المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة



الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة

للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي
ابن أبي بكر البقاعي الشافعي

(ت ٨٨٥ هـ)

الجزء الأول

دراسة وتحقيق الطالب

سامي بن علي بن محمد القليطي العمري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إشراف الدكتور

أحمد بن عبد الرحيم السايح

الأستاذ بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

العام الجامعي : ١٤١٩ هـ

ملخص رسالة ماجستير بعنوان « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » للإمام البقاعي - دراسة وتحقيق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ... وبعد :

فقد ألَّف الإمام البقاعي – رحمه الله – كتابه المشهور « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » وقد استأنس فيه ببعض ما جاء في التوراة والإنجيل لتأييد دين الإسلام والرد على الأخصام ، فعارضه على فعله هذا بعض خصومه الذين عادوه بسبب ردِّه على ابن الفارض وابن عربي والغزالي واتهموه أنه يريد إظهار التوراة والإنجيل على القرآن ، وأن فعله هذا محرَّم، فألَّف كتابه الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة للردِّ عليهم ، وقد جعله في مقدمة وثمانية فصول وخاتمة ، فكانت المقدّمة في بيان غرض من شنّع عليه ، والفصل الأول في كلام علماء عصره حول كتابه النظم ومسألة الكتاب ، والفصل الثاني في حكم النقل من الكتب السابقة لتأييد دين الإسلام ، والفصل الثالث في أدلة ذلك الحكم ، والفصل الرابع في الشواهد والمؤيدات الدلة على ذلك ، والفصل الخامس في بيان كلام العلماء على الأدلة وعلى ما يتراءى أنه يخالفها ، والفصل السادس في ذكر بعض من نقل من تلك الكتب من أعيان الأمة ، وذكر بعض ما نقلوه ، والفصل السابع في الكلام على الكتب السماوية السابقة ، هل هي مبدَّلة ؟ وما المبدَّل منها ؟ هل هو جيمعها أم بعضها ؟ والفصل الثامن في أن حكم النقل عن بني إسرائيل هو الجواز ، ثم ختم كتابه بخاتمة ضمَّنها فوائد عدة في مختلف العلوم والفنون .

وكانت خطتي في الرسالة قد اشتملت على مقدمة وقسمين رئيسين : دراسي وتحقيقي وخاتمة ومجموعة من الفهارس العلمية.

المقدمة : ذكرت فيها أهم أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهج التحقيق ، وأهم الصعوبات التي واجهتني أثناء التحقيق ، وشكر وتقدير .

القسم الدراسي : وفيه بابان ، الباب الأول في دراسة المؤلِّف وعصره ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في عصر المؤلف وتحدثت فيه عن نشأة نظام الحكم القائم في تلك الفترة وحالاته السياسية والأقتصادية والاجتماعية والعلمية وأثر ذلك على المصنف .

الفصل الثاني : في سيرة المؤلف وتحدثت فيه عن اسم المؤلف وكنيته ولقبه ونسبته ، وأسرته ، وأصله ومولده ، ونشأته وطلبه للعلم ، ورحلاته ، وشيوخه ، ومكانته العلميه ، وثناء العلماء عليه ، وأعماله ومناصبه ، وصفاته ، وأخلاقه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته ، ومذهبه الفقهي ، وعقيدته ، ووفاته ورثائه .

الفصل الثالث : فيما جرى بين المؤلف وخصومه ، وقد ذكرت فيه : أبرز خصومه ، ودوافع الخصومة ، والانتقادات الموجهة إليه ، وموقفه ممن خاصمه .

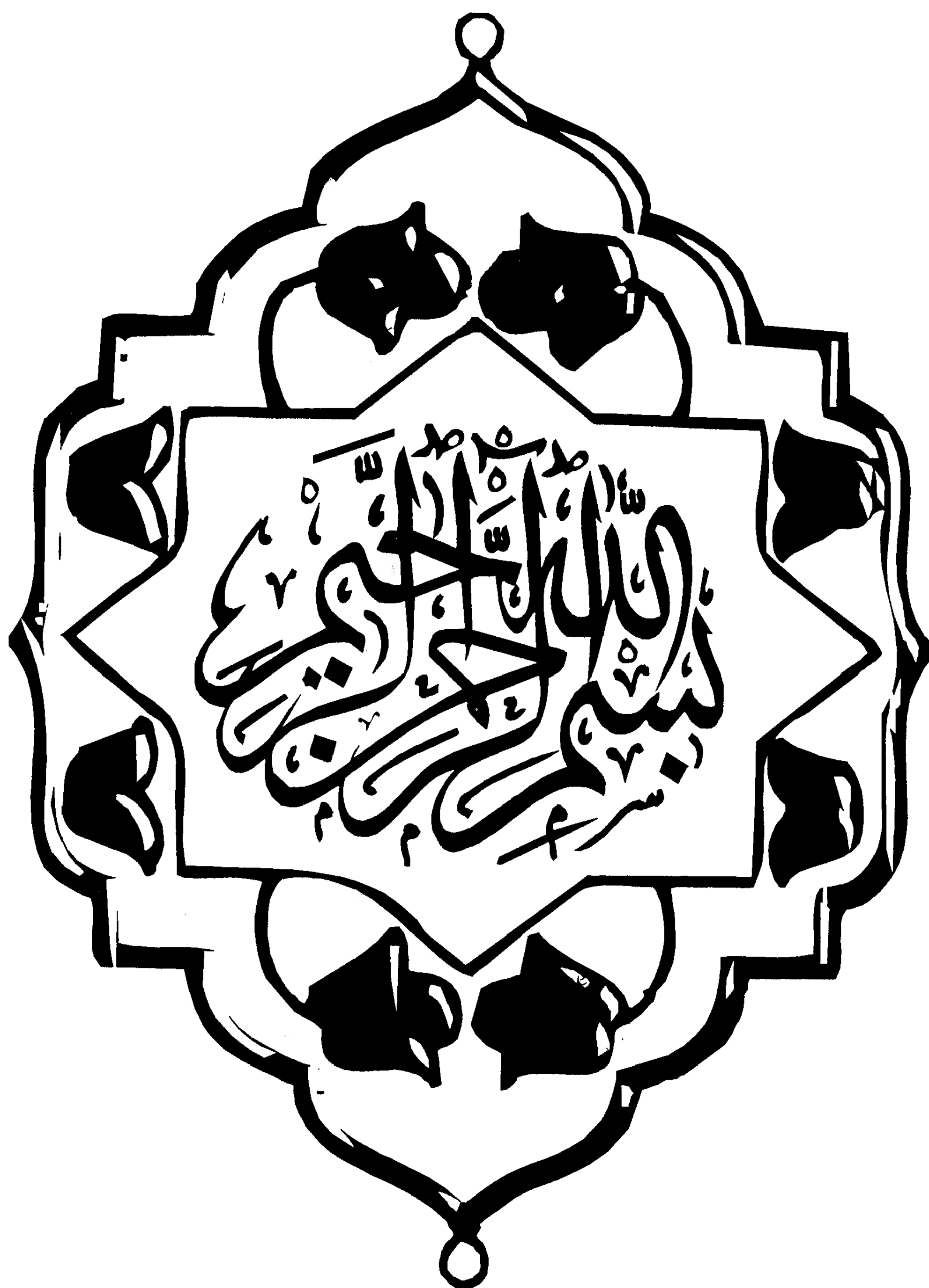
الباب الثاني : في دراسة الكتاب وتحدثت فيه عن اسم الكتاب ، وتوثيق نسبته لمؤلفه ، وسبب وتاريخ تأليفه وموضوعه ، ووصفه ، وقيمته وأهميته العلمية ، ومنهج المؤلف فيه ، ومصادره ، والمآخذ عليه ، والتعريف بنسخه الخطية .

القسم الثاني : القسم التحقيقي ، وكان عملي فيه على النحو التالي : نسخ وضبط الكتاب ، والمقابلة بين نسختيه ، وترقيم أوراق النسخة الأصلية ، ووضع عناوين جانبية على الكتاب ، والإشارة إلى نهاية كل نسخة خطية على جوانب الرسالة ، وعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف الشريف ، وتخريج الأحاديث والآثار الواردة في الرسالة مع ذكر أقوال العلماء فيها ، وشرح الألفاظ والكلمات الغريبة ، وتوثيق الأقوال والنصوص والأبيات الشعرية ، والتعليق على بعض المسائل التي تحتاج لذلك ، والترجمة للأعلام والتعريف بالأماكن والبلدان والبقاع والفرق والطوائف ، والتعريف ببعض المصطلحات العلمية ، والتنبيه على الأخطاء الموجودة في الكتاب .

خاتمة التحقيق : وضعت خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، وأخيراً ذيَّلت الرسالة بفهارس فنية علمية تسهل الوصول للمراد بيسر وسهولة .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

عميد الكلية :	المشرف	الطالب
د. محمد سعيد بخاري	د. أحمد بن عبد الرحيم السايح	سامي بن علي القليطي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بـا لله مـن شـرور أنفسـنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهـده ا لله فـلا مضـل لـه ، ومـن يضلـل فـلا هـادي لـه ، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ا للهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [(1)] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا ا للهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ ا للهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [(2)] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ا للهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [(3)] . [(4)]

أما بعد :

فإن من أكبر نعم ا لله تبارك وتعالى على هذه الأمة قاطبة ، نعمة كمـال الديـن وتمامه ، وتعهُّد ا لله بحفظ كتابهـا ، وصيانتـه مـن كـل تحريـف وتبديـل ، فهـي أمـة معصومة الأصول ، لم تعبث بها أيدي التحريف ، و لم تتناولها أصابع التزييف ، قـال

---

(١) سورة آل عمران – الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء – الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب – الآية : ٧٠ – ٧١ .

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول ا لله ﷺ يعلمها أصحابه وهي في سنن النسائي – كتاب الجمعة – باب كيفية الخطبة (٣ / ١٠٤ – ١٠٥ – رقم ١٤٠٤) ، وسنن ابن ماجه – كتاب النكاح – باب خطبة النكاح (١ / ٦٠٩ – ٦١٠ – رقم ١٨٩٢) ، وورد ذكر طرف منها في صحيح مسلم – كتاب الجمعة – باب تحقيق الصلاة والخطبة (٢ / ٤٩٦ – ٤٩٧ – رقم ٨٦٨) ، وسنن أبي داود – كتاب الصلاة – باب الرجل يخطب على قوس (١ / ٦٥٩ – رقم ١٠٩٧) ، وانظر في تخريجها رسالة الشيخ الألباني : خطبة الحاجة التي كان رسول ا لله ﷺ يعلمها أصحابه .

أسباب اختيار الموضوع :

إن من أهم الحوافز والأسباب التي دعتني لاختيار هذا الكتاب ما يلي :

١- ما اشتملت عليه فصول الكتاب ومباحثه من مسائل ، وفوائد كثيرة جداً، التي من أهمها : بيان حكم النقل من الكتب السماوية ، وهل هي مبدَّلة أم غير مبدَّلة ؟ وما المبدَّل منها ؟ هل هو الجميع أم البعض ؟ وهل التبديل كان في المعاني دون الألفاظ أم فيهما ؟ وما يجوز نقله منها وما لا يجوز ؟ وما هي الفائدة المرجوَّة من النقل منها ؟ ومن هو الناقل الذي يحق له النظر والنقل منها ؟ وغير ذلك من مسائل مختلفة الجوانب .[1]

٢- قيمة وأهمية الكتاب العلمية التي سيأتي بيانها بإذن الله .[2]

٣- مكانة المؤلف العلمية بين العلماء ، فهو أحد أبرز تلامذة الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - وأحد المحدثين المفسِّرين المؤرِّخين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وأحد أصحاب التصانيف المتعددة المختلفة الفنون والعلوم ، التي نُعتت بالحسن والجودة ، وهي الغاية التي يصبو إليها كل مصنف ، وقلَّما تجتمع عند أحد .[3]

٤- عصر المؤلف الذي نشأ فيه ، والذي يعتبر من أزهى العصور التي انتشرت وألفت فيه الكتب الجامعة المطولة والمختصرة في مختلف العلوم والفنون ، فقد واكب المؤلف - رحمه الله - هذه النهضة العلمية ، والتي نتفيأ ظلالها هذه الأيام ، وقد تتلمذ على كثير من رجالاتها سواء كان ذلك مباشرة ، أو عن طريق كتبهم

---

(١) انظر : مبحث موضوع الكتاب ووصفه : (ص : ١٤٦ - ١٥٥) .

(٢) انظر : (ص : ١٥٦ - ١٥٨) .

(٣) انظر : مبحث مكانة المؤلف وثناء العلماء عليه (ص : ٥٧ - ٦٤) .

ومصنفاتهم .[1]

٥- الترجمة المظلمة الجائرة التي ترجمت للمصنف - رحمه الله - من قبل قرينه العلامة السخاوي في كتابه « **الضوء اللامع** » .[2]

٦- الانفتاح على العالم الذي نعيشه هذه الأيام ، والذي أصبح فيه هذا العالم الكبير المترامي الأطراف كالقرية الصغيرة ، فقد انتشر كثيرٌ من كتب أهل الملل والنحل ، فأصبح أبناء المسلمين يتساءلون عن حكم النظر في تلك الكتب هل هو الجواز أم المنع ، ومتى يجوز ذلك ومتى لا يجوز ؟ وهل الكتب السماوية مبدَّلة ألفاظها ومعانيها ؟ أم المعاني دون الألفاظ ؟ وما هي الفوائد المرجوة من النظر فيها ؟ وماهي المضار التي نجتنيها إن نقلنا منها ؟ تساؤلات عدة تدور في خلد أبناء المسلمين جعلتني أسعى في إخراج هذا الكتاب الذي ناقش وبيَّن أصل المسألة وحكمها وفوائدها وضوابطها .

٧- تشجيع بعض مشايخي الأفاضل في إخراج هذا الكتاب ، ولاسيما تشجيع مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد السايح - سلَّمه الله ورعاه - .

٨- الرغبة في إثراء المكتبة الإسلامية بخدمة كتب أئمة الإسلام .

٩- ومن الأسباب التي دعتني لتحقيق هذا الكتاب أيضاً : ما وقع عليه ناظري في مجلة « **معهد المخطوطات العربية** » المجلد السادس والعشرين ، الجزء الثاني ، في جمادى الآخرة لعام ١٤٠٠ هـ ، من نشر جزء صغير من الكتاب ، مليءٍ بالتصحيفات والسقط والأخطاء التي شوَّهت صورته الأصلية التي كتبها مؤلفها .[3]

---

(١) انظر : مبحث الحالة العلمية في عصر المؤلف (ص : ٣٥ - ٤٢) .

(٢) انظر : الفصل الثالث من الباب الأول (ص : ١٢٢ - ١٣٥) .

(٣) أرفقت ملحقاً خاصاً بنقد ما نشر في هذه المجلة ضمن الخطة الأساسية المقدمة للقسم عند تسجيل الموضوع .

خطة البحث :

لما كان لابد لكل عمل علمي منهجيّ سليم ، من خطة ترسم أهدافه ، وتحـدِّد معالمه ، وتحصر جزئياته ، وأفكاره ومحتوياته ، فقد قمت بوضع هـذه الخطـة ، تحت نظر ورعاية مشرفي الفاضل - سلّمه الله - ، والـتي تشتمل على مقدِّمـة وقسمين رئيسين : دراسيٍ ، وتحقيقي ، وخاتمةٍ ، ومجموعةٍ من الفهارس العلمية .

أما المقدمة فتشتمل على :

١- أسباب اختيار الموضوع .

٢- خطة البحث .

٣- منهج التحقيق .

٤- أهم الصعوبات والمشكلات التي واجهتني أثناء التحقيق .

٥- شكر وتقدير .

القسم الأول : القسم الدراسي ، وفيه بابان :

الباب الأول : دراسة المؤلف وعصره وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر المؤلف : وفيه تمهيد وأربعة مباحث .

التمهيد : ويشتمل على نبذة عن نشأة نظام الحكم القائم في تلك الفترة .

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاقتصادية .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية .

المبحث الرابع : الحالة العلمية .

الفصل الثاني : سيرة المؤلف وفيه اثنا عشر مبحثاً :

المبحث الأول : اسمه وكنيته ولقبه ونسبته .

المبحث الثاني : أسرته وأصله .

المبحث الثالث : مولده ونشأته وطلبه للعلم ورحلاته .

المبحث الرابع : شيوخه .

المبحث الخامس : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث السادس : أعماله ومناصبه .

المبحث السابع : صفاته وأخلاقه .

المبحث الثامن : تلاميذه .

المبحث التاسع : مؤلفاته .

المبحث العاشر : مذهبه الفقهي .

المبحث الحادي عشر : عقيدته .

المبحث الثاني عشر : وفاته ورثاؤه .

الفصل الثالث : البقاعي وخصومه وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

التمهيد : ويشتمل على ذكر أسماء أبرز خصومه .

المبحث الأول : أهم الأسباب والدوافع التي دفعت خصومه للنيل منه .

المبحث الثاني : أهم انتقادات السخاوي التي وجَّهها إليه .

المبحث الثالث : موقفه ممن انتقده ونال منه .

الباب الثاني : دراسة الكتاب ونسخه الخطية وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : تحقيق اسم الكتاب .

المبحث الثاني : توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه .

المبحث الثالث : سبب تأليف الكتاب .

المبحث الرابع : تاريخ تأليف الكتاب .

المبحث الخامس : موضوع الكتاب ووصفه .

المبحث السادس : قيمة ومزايا الكتاب وأهميته العلمية .

المبحث السابع : منهج المؤلف في الكتاب .

المبحث الثامن : مصادر المؤلف في الكتاب .

المبحث التاسع : أهم المآخذ على الكتاب .

المبحث العاشر : التعريف بنسخ الكتاب الخطية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نسخ الكتاب وأماكن وجودها .

المطلب الثاني : وصف النسخ الخطية .

المطلب الثالث : نماذج مصورة من النسخ الخطية .

القسم الثاني : النص المحقق :

خاتمة التحقيق .

وقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة والتحقيق .

الفهارس الفنية العلمية :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار .

٣- فهرس الأعلام .

٤- فهرس الأبيات الشعرية .

٥- فهرس الأماكن والبلدان والبقاع .

٦- فهرس الفرق والطوائف والأديان .

٧- فهرس الكلمات الغريبة .

٨- فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن .

٩- جريدة المراجع والمصادر .

١٠- فهرس محتويات الرسالة .

منهج التحقيق :

سأعتمد – بإذن الله تبارك وتعالى –في منهجي لتحقيق هذا الكتاب على طريقة التحقيق المعروفة لدى المحققين والباحثين والتي تتلخص في الآتي :

١– نسخ الكتاب مراعياً في ذلك كتابته حسب القواعد الإملائية الحديثة .

٢– المقابلة بين النسخة التي اتخذتها أصلاً وهي نسخة دار الكتب المصرية والتي رمزت لها بحرف (م) وبين النسخة الأخرى وهي نسخة الأسكوريال والتي رمزت لها بحرف (س) مقابلة علمية ، وذلك بإكمال السقط ، وإصلاح الخلل ، وتبيين الخطأ ، وإثبات الفوارق المعتبرة بين النسختين ، مع التنبيه على كل ذلك في الهامش، فإن كان هناك زيادة في (س) ، أو إصلاح خلل يقتضيه السياق ، غير موجود في (م) أو (س) فإنني أضعه ما بين معقوفتين هكذا [ ] ، وإن كان هناك سقط أو تكرار في النسخة الأخرى فإنه إما أن يكون يسيراً أو طويلاً ، فإن كان يسيراً فإني أشير إليه في الهامش فأقول : قوله كذا ساقط من (س) ، وإن كان طويلاً فإني أضعه ما بين هلالين هكذا ( ) وأشير إليه في الهامش ، وإن كان هناك فرقٌ في الكلمات بين النسختين فإني أشير إليه في الهامش .

وأما إن كان الاختلاف في تنقيط الكلمة حيث وجد في النسختين كثير من الكلمات غير منقوطة فقمت بتنقيطها دون الإشارة إلى ذلك إلا إذا كان هناك فائدة مثل الخوف من حصول بعض اللبس فإني أشير إلى ذلك في الهامش .

٣– ترقيم أوراق النسخة المصرية لعدم وجود ترقيم دقيق عليها .

٤– وضع بعض العناوين المناسبة لبعض الموضوعات والمسائل الرئيسة كانت أو الفرعية في الكتاب على جوانب الكتاب تسهيلاً للقارئ ، وخدمة للكتاب .

٥– وضع خط مائل هكذا « / » عند نهاية كل ورقة من أوراق النسختين مع الإشارة إلى رقمها في المخطوط على جوانب الكتاب .

٦- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في المصحف ، بذكر اسم السورة ، ورقم الآية .

٧- تخريج الأحاديث النبوية ، والآثار الواردة في الرسالة من مصادرها في كتب السنة قدر المستطاع ، وذلك عند أول ذكر لها ، وقد أرجي التخريج في موطن آخر عند الحاجة ، وقمت بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة الموجود فيها الحديث أو الأثر ، كما قمت بنقل حكم العلماء على الأحاديث قدر المستطاع، إلا إذا كان الحديث في « **الصحيحين** » أو أحدهما فأكتفي بالعزو فقط في أغلب الأحيان .

٨- شرح الألفاظ والكلمات اللغوية الغريبة ، وذلك بالرجوع إلى القواميس والمعاجم اللغوية وكتب الغريب .

٩- توثيق النصوص التي نقلها المؤلف من مصادرها الأصلية قدر المستطاع ، وقد قمت في هذه الجزئية بعزو النصوص إلى أماكنها ، دون الإشارة إلى الفوارق بين ما هو منقول في كتاب المصنف وبين ما هو موجود في تلك المؤلفات ، إلاّ إذا كان هناك اختلاف يُخل بالمعنى فإني أشير إليه مع بيان الصواب ، وذلك لأن المؤلف من عادته أن ينقل من تلك المصنفات بتصرف واختصار .[١]

١٠- التعليق على بعض المسائل التي رأيت أنها تحتاج إلى تعليق .

١١- الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب عدا المشهورين منهم ، قدر المستطاع .

١٢- التعريف الموجز بالأماكن ، والبلدان ، والبقاع ، عدا المشهور منها .

١٣- التعريف الموجز بالفرق ، والطوائف ، الوارد ذكرها في الكتاب .



(١) انظر : منهج المؤلف في كتابه (ص : ١٥٩) .

١٤- التنبيه على بعض الأخطاء التي وقعت في الكتاب .

١٥- التعريف ببعض المصطلحات التي رأيت أنها تحتاج لبيان .

١٦- عزو الأبيات الشعرية إلى مظانها قدر المستطاع .

١٧- فيما يخصُّ المصادر والمراجع اكتفيت في الحواشي بذكر اسم الكتاب ، واسم المؤلف ، ورقم الجزء والصفحة ، وأرجأت بقية المعلومات عن الكتاب في جريدة المصادر إلا ما تدعو الحاجة لتفصيله .

١٨- اعتمدت بالنسبة لـ « **صحيح البخاري** » على النسخة الموجودة مع « **فتح الباري** » .

١٩- وضعت خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة والتحقيق .

٢٠- عملت فهارس فنية علمية - سبق سردها - تعين القارئ للوصول إلى مراده بيسرٍ وسهولةٍ .

أهم الصعوبات والمشكلات التي واجهتني أثناء التحقيق :

لقد واجهت أثناء تحقيقي لهذا الكتاب عدة صعوبات أُجْمِلُها في الآتي :

١- كثرة الإلحاقات الهامشية من المصنِّف في النسخة المصرية ، والتي كثيراً ما تكتب بصورة متداخلة يصعب على الباحث التمييز بين أسطرها .[١]

٢- تشعّب الكتاب ، وتشعب مسائله ، مما جعلني أعيش كُلَّ يوم ضمن مراجع فنٍ من الفنون .

٣- كثرة مصادر المؤلف ، وكثرة النصوص التي نقل منها ، التي تحتاج لتوثيق، إذ يوجد من هذه المصادر ما هو مخطوط بذلت كثيراً من الوقت في البحث عنه ، ومن ثَمَّ توثيق النص المراد توثيقه .

٤- العزو الخاطئ من قبل المصنِّف ، أو من ينقل عنهم ، الذي أخذ مني جهداً كبيراً في البحث ، ومن ثم ذكر الصواب .[٢]

٥- التداخل في كلام بعض من ينقل عنهم أحياناً ، دون الإشارة إلى نهاية كلام كلِّ شخص ، مما سبَّب صعوبة في التمييز بين الكلام .[٣]

٦- كثرة الأعلام والتراجم ، الذي أخذ مني وقتاً طويلاً في البحث عنهم ، ومن ثم ذكر تراجمهم .

---

(١) انظر : النماذج المرفقة من النسخة المصرية .

(٢) انظر : المبحث التاسع في الفصل الثاني والمعنون بـ أهم المآخذ على الكتاب .

(٣) انظر : التعليق السابق .

شكر وتقدير :

وبعد : فإني لم أدخر وسعاً أو جهداً في إخراج هذا العمل بالصورة المرضية غير أن عمل البشر دائماً محفوف بالخطأ والتقصير ، بل هي سمة ناتجة عن ضعف أصله ، قال تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً ﴾ (1) .

فما كان في هذه الرسالة من صواب وتسديد فهو محض فضل من الله تعالى ، وما كان فيها من خطأ وتقصير ، فمن نفسي وأستغفر الله ، ومن الشيطان والعياذ بالله ، ولا عدمت أستاذاً ، أو شيخاً ، أو أخاً ناصحاً ، وقف على شيء من ذلك ، فنبهني إليه مشكوراً مأجوراً .

ثم إنني في نهاية هذه المقدمة واستجابة لأمر الله تبارك وتعالى في قوله تعالى : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (2) ، ولقول النبي ﷺ : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** » . (3)

أتوجه بالشكر لله تبارك وتعالى على ما أولاني من نعم عظيمة لا أحصي عدها ولا أبلغ شكرها ، ومن أعظمها : نعمة الإسلام والإيمان ، ونعمة شكري له تبارك وتعالى ، ونعمة سلوك طريق العلم وتيسره لي ، ومن ذلك إنجاز هذا العمل وهذه الرسالة من غير حول مني ولا قوة فله الحمد والشكر كله .

---

(1) سورة النساء – الآية : ٢٨ .

(2) سورة لقمان – الآية : ١٤ .

(3) رواه أحمد في المسند (٢ / ٢٩٥ ، ٢٠٢ – ٢٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٩٢) ، وأبو داود في السنن – كتاب الأدب – باب في شكر المعروف (٥ / ١٥٧ – ١٥٨ – رقم ٤٨١١) ، والترمذي في السنن – كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الشكر ... (٤ / ٢٩٨ – ٢٩٩ –رقم ١٩٥٤)، وقال:حديث حسن صحيح، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٧٠٢– رقم ٤١٦)، وفي صحيح الجامع (٢/ ١٢٧٦– رقم٧٧١٩) من حديث أبي هريرة والأشعث .

كما أتوجّه بوافر شكري وامتناني وتقديري لوالديَّ الكريمين الفاضلين سائلاً الله تبارك وتعالى لهما السعادة في الدارين ، وأن يغفر لهما ويرحمهما كما ربَّياني صغيراً .

كما أتوجه بشكر موصول غير مقطوع ، وتقدير ممدود غير مجذوذ ، للقائمين على جامعة أم القرى المباركة بمكة المكرمة ، ممثلة بعمادة الدراسات العليا ، وكلية الدعوة وأصول الدين ، وقسم العقيدة ، على ما شرَّفُوني به من فتح باب الابتعاث لديهم ، وتلقي العلم النافع في رحاب جامعتهم المباركة على أيدي مشايخ وأساتذة أجلاء فضلاء كرماء ، فشكر الله لهم ذلك ، وجزاهم عني وعن طلاب العلم خير الجزاء ، كما أتوجه بوافر شكري وتقديري لأستاذي الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن عبد الرحيم السايح على تفضله وتكرمه بالإشراف على هذه الرسالة ، وعلى ما أولاني به من رعاية ، ومودة أبوية ، فقد أفدت من توجيهاته الكريمة ، وإرشاداته السديدة ، وملاحظاته النافعة ، الأمر الذي كان له أكبر الأثر بعد توفيق الله على إنجاز هذا العمل ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وكتب له أعظم الأجر والمثوبة على ذلك ، إنه قريب مجيب وبالإجابة جدير.

كما أتوجه بوافر الشكر ووافر التقدير والامتنان لفضيلتي الأستاذين المناقشين الفاضلين على تفضلهما وتكرمهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، سائلاً الله تبارك وتعالى أن ينفعني بتوجيهاتهما ، وإرشاداتهما ، وملاحظاتهما ، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة ، وأن يوفقهما للخير في الدنيا والآخرة .

كما أشكر كل من ساعدني في هذا العمل ، بإشارة أو عبارة ، أو مقابلة ، أو توفير مخطوط ، أو إعارة كتاب ، فجزى الله الجميع خير الجزاء ، وأجزل لهم في الدارين العطاء .

ولا ينبغي أو يجدر بي ، أن أضع القلم قبل أن أسجل وأسطر جزيل شكري

وتقديري واحترامي ، لجامعتي الغراء جامعة الملك عبد العزيز ، ممثلة بكلية التربية بالمدينة المنورة ، وقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، وكذا إدارة الابتعاث بجدة ، على ما قدموه لي من تسهيلات في إجراءات الابتعاث ، وعلى ما قدموه لي أيضاً من نصح وتوجيه وإرشاد ، فجزاهم الله خير الجزاء وبارك في جهودهم وسدد للخير خطاهم .

وأخيراً : الله أسأل أن يتقبل عملي هذا بفضله ورحمته ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن يغفر لي خطئي وتقصيري فيه ، وأن يوفقني لما يحبه ويرضاه ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القسم الأول : القسم الدراسي

وفيه بابان :

الباب الأول : دراسة المؤلف وعصره .

الباب الثاني : دراسة الكتاب ونسخه الخطية .

الباب الأول : دراسة المؤلف وعصره

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر المؤلف .

الفصل الثاني : سيرة المؤلف .

الفصل الثالث : البقاعي وخصومه .

الفصل الأول : عصر المؤلف ، وفيه تمهيد وأربعة مباحث .

التمهيد : نبذة عن نشأة نظام حكم المماليك .

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاقتصادية .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية .

المبحث الرابع : الحالة العلمية .

التمهيد : نبذة عن نشأة نظام حكم المماليك :

كانت ولادة الإمام البقاعي - رحمه الله - في بداية القرن التاسع الهجري ، كما كانت وفاته في نهاية هذا القرن أيضاً ، وعلى هذا الأساس أستطيع أن أقول : إن البقاعي عاش كما عاشت أسرته تحت حكم المماليك الذين حكموا مصر والشام أكثر من قرنين ونصف من الزمان ، وبالتحديد بدأ حكمهم بعد انتهاء دولة الأيوبيين سنة (٦٤٨ هـ) ، وانتهى بفتح الأتراك العثمانيين لمصر وما جاورها سنة (٩٢٣ هـ) . [١]

ومن هنا أرى أنه يجدر بي أن ألقي بعض الأضواء على هذا النوع من الحكم ، وأصل هؤلاء المماليك ، وكيف كان وصولهم إلى الحكم ، وكيف كانت حالة البلاد المحكومة في عهدهم من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، لأقف مع أخي القارئ الكريم على البيئة التي عاش فيها الإمام البقاعي ومدى أثرها عليه وتأثره بها في تكوينه العلمي ، لأن الإنسان كما يقال : « ابن بيئته » .

أصل المماليك :

إن أصل المماليك من الرقيق الذين كانوا يجلبون إلى البلاد العربية من بلاد القوقاز وفارس وآسيا الصغرى وغيرها عن طريق الحروب والغارات والسلب والاختطاف ، فقد كان يجاء بهم إلى الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء الذين كانوا على أهبة الاستعداد لإنفاق مئات الدنانير والدراهم لشرائهم واستخدامهم في أغراضهم الخاصة . [٢]

---

(١) انظر : الخطط للمقريزي (٢ / ٢٣٦ - ٢٤٤) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ١١ - ٢٢) .

(٢) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ١١ - ١٣) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح عاشور (ص : ١ - ٢) .

نشأة نظام المماليك:

يرجع ظهور المماليك في العالم الإسلامي إلى ما قبل قيام دولتهم بأمد طويل ، وذلك أيام الخليفة العباسي المأمون الذي يعد أول من استخدمهم بكثرة في بلاطه ، وذلك لتدعيم سلطانه وملكه خوفاً من سيادة الفرس الذين قامت على أكتافهم الدولة العباسية ، ثم سار على نهجه وسنته أخوه المعتصم بالله والذي أكثر من جلبهم واستخدامهم لمركز الخلافة ، فكانت هذه سابقة أولى نهجها الخلفاء والأمراء فيما بعد ، فاتخذوا من المماليك عدتهم وجندهم ، وجعلوهم السند القوي في تدعيم دولتهم وسلطانهم .[(١)]

وزاد الأمر على ما هو عليه في السابق أيام الدولة الإخشيدية ، حتى بلغ الأمر بالأمير محمد بن طغج الإخشيدي بمصر أن جعل كل جنده من الأتراك ومن الديالمة المماليك ، وكان عددهم نحو أربعمائة ألف جندي[(٢)] ، ولما انتقلت السلطة إلى الأيوبيين زاد الاهتمام بالمماليك على ما هو عليه في السابق ، فأحسن الايوبيون تربيتهم واهتموا بإعدادهم إعداداً عسكرياً ، وبنوا لهم الثكنات ، واتخذوا منهم الوزراء والأمراء والقواد ، حتى أصبحوا هم الأداة التي لا غنى عنها للملوك الأيوبيين للاحتفاظ بسلطانهم .[(٣)]

كيفية وصول المماليك إلى الحكم:

في سنة (٦٤٨ هـ) انتقلت السلطة من الأيوبيين إلى المماليك ، وذلك بعد مقتل توران شاه آخر سلاطين المماليك على يد شجرة الدر زوجة أبيه نجم الدين

---

(١) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ١٣ - ١٥) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢) .

(٢) انظر : تاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ٢٤) .

(٣) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣ - ٤) .

أيوب بعد أن علمت أنه يريد قتلها ، والذي انتقلت له السلطة بعد موت أبيه نجم الدين أيوب ، فاعتلت شجرة الدر المملوكية العرش ونادت بقيام دولة المماليك ، ولكن ظهرت معارضة قوية في صفوف الشعب تطلب منها التخلي عن العرش ، إذ لا يتولى أمر المسلمين امرأة ، وكان على رأس المعارضين : سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، فما كان من شجرة الدر إلا أن تزوجت عز الدين أيبك أحد موالي وقواد زوجها السابق ، ومن المقربين له وتنازلت له عن السلطة ، وبذلك يكون عز الدين أيبك أول سلطان مملوكي حكم مصر وما جاورها من بلاد الشام .[1]

أقسام المماليك ومدة حكم كل قسم :

أشرت في السابق إلى أن دولة المماليك بدأت سنة (٦٤٨ هـ) إبان سقوط دولة الأيوبيين ، وانتهت سنة (٩٢٣ هـ) على يد الأتراك العثمانيين ، وفي هذه الفترة الزمنية والتي تقدر بنحو مائتين وخمس وسبعين عاماً انقسم حكمها إلى قسمين هما :

١- دولة المماليك البحرية : [2]

والتي استمر حكمها ما بين سنتي (٦٤٨ هـ - ٧٨٤ هـ) أي ما يقارب ١٣٦ عاماً ، بلغ عدد ملوكها ٢٥ ملكاً ، كان أولهم عز الدين أيبك التركماني

---

(١) انظر : السلوك للمقريزي (٣ / ٣٦١ - ٣٦٨) ، وسمط النجوم العوالي لعبد الملك العصامي (٤ / ١٥) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ١٨ - ٢١) .

(٢) سموا بالبحرية : لأن الملك الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون مقراً لهم ، وقيل : لأنهم كانوا يجلبون عن طريق البحر .

انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ٢٢) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٥) .

التركي ، وآخرهم حاجي شعبان الأشرف الملقب بالملك الصالح .[1]

٢- دولة المماليك البرجية :[2]

والتي استمر حكمها ما بين سنتي (٧٨٤ هـ - ٩٢٣ هـ) أي ما يقارب ١٣٩ عاماً ، بلغ عدد ملوكها ٢٢ ملكاً ، كان أولهم الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص ، وآخرهم الدوادار الكبير طومان باي ، والذي شهد عهده سقوط دولة المماليك بمصر .[3]

وبعد هذه الجولة السريعة في أصل هذا النظام ، ونشأته ، وكيفية وصوله للحكم ، ومدة حكمه ، أرى أنه من الطبيعي أن ألقي نظرة على حالات عصر هذا النظام من النواحي التالية :

١- السياسية .

٢- والاقتصادية .

٣- والاجتماعية .

٤- والعلمية .

---

(١) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ٢٢ - ٤٠) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٥) .

(٢) سموا بذلك نسبة إلى أبراج القلعة التي أنزلهم بها السلطان قلاوون .

انظر : النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧ / ٣٣٠) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ٤١ - ٤٢) .

(٣) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (١ / ٤١ - ٦٣) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (١٣٤ - ١٥٢) .

المبحث الأول : الحالة السياسية :

أ- السياسة الخارجية :

لعل من أبرز أحداث هذا العصر ما شاهده العالم الإسلامي من غزو مغولي همجي تتري على يد هولاكو ملكهم الذي اجتاح البلاد الإسلامية ، فأسقط دويلاتها واحدة تلو الأخرى ابتداء من سنة (٦١٧ هـ) ، واستطاع في سنة (٦٥٦ هـ) إسقاط بغداد عاصمة الخلافة العباسية وقتل خليفتها المستعصم با لله غدراً بعد أن أعطاه الأمان ، ونهب أموالها ، وسبى نساءها ، وأغرق كتبها ، كل ذلك بمساعدة من وزير الخليفة مؤيد الدين - الشر - ابن العلقمي الرافضي - عليه من ا لله ما يستحق [1] - وبسقوط بغداد - مركز العالم الإسلامي حينئذ - تداعت البلاد الإسلامية ، وشهدت عدة انقسامات سياسية ، وأصبحت بين المغول والعرب والأتراك ، فالمغول من أقصى حدود الهند شرقاً حتى سوريا غرباً ، ويتخلل هذه البقعة مواضع للنفوذ الوقتي للفرس والترك في فارس والعراق ، أما الترك فقد حكموا من سوريا شرقاً إلى حدود مصر الغربية ، وساد العرب والبربر فيما وراء ذلك غرباً إلى شواطئ المحيط الأطلسي وفي اليمن ، وأصبحت مصر والشام في حوزة المماليك [2] ، واستطاع المغول في سنة (٦٥٨ هـ) إسقاط دمشق وكثير من مدن الشام [3] ، ثم زحفوا تجاه مصر بعد إرسال الرسائل التهديدية والتوعدية لسلطان المماليك قطز ، ولكن قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس كانا من الشجاعة بمكان ،

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ / ٢١٣ - ٢١٦) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧ / ٤٧ - ٥٣) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٩ - ١٠) .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ / ٢٣١) ، وتاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان (٣ / ١١٦ - ١١٧) .

(٣) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ / ٢٣١) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧ / ٥٤)

فلم يأبها بوعيدهم و لم يخافا تهديدهم ، وأرسلا رسالة عاجلة لهولاكو ملك المغول وهي عبارة عن إعدام رسله الذين أرسلهم برسائل التهديد والوعيد ، فاشتاط هولاكو غضباً ، والتقى الجيشان المغولي والإسلامي في معركة عين جالوت الشهيرة [1] ، في رمضان سنة (٦٥٨ هـ) ، فكان النصر للإسلام والهزيمة والوبال والنكال للمغول [2] ، وبعد هذه المعركة الحاسمة تقهقرت قوى التتار ، وتعاظمت قوى المماليك ، وهذا لا يعني أن التتر توقفوا عن تهديد العالم الإسلامي بل أخذوا يهددونه بين الفينة والفينة ، والمرة والمرة ، وظلت الحرب سجالاً بين الجيشين إلى أن خرج تيمورلنك قبل وفاته بأيام من الشام سنة (٨٠٤ هـ) بعد أن أشعل النار في دمشق وتركها خراباً شاملاً وحطاماً بالياً . [3]

و لم تكن جبهة المغول هي الجبهة الوحيدة التي واجهها المماليك ، بل كانت هناك جبهة أخرى من قِبَل الصليبيين الذين اتخذوا لهم مراكز على ساحل البحر المتوسط من مدن الشام يُغِيرون من خلالها على أطراف دولة المماليك في مصر والشام بين الفينة والأخرى ، ولقد استطاع سلاطين المماليك مقاومتهم ودحضهم ، وكان من أشهر من قاومهم السلطان الظاهر بيبرس فقد غزاهم سنة (٦٦٤ هـ) واسترد منهم بعض ما أخذوه ، كما داهمهم في سنة (٦٦٦ هـ) واسترد انطاكية من أيديهم ، وفي سنة (٦٧٥ هـ) استطاع أن يسترد قيسارية .

وفي سنة (٦٨٨ هـ) استطاع السلطان قلاوون فتح حصن المرقب ودخول

---

(١) وهي بين بيسان ونابلس في فلسطين .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ١٧٧) .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ / ٢٣٣ - ٢٣٥) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧ / ٧٢ - ٨٢) ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٢ / ٣٩) .

(٣) انظر : السلوك للمقريزي (٣ / ١٠٤٦ - ١٠٥٣) .

طرابلس ، كما استطاع من بعده ابنه الأشرف خليل فتح عكا سنة (٦٩٠ هـ) وتخليصها من أيدي الصليبيين بعد أن ضربها بالمنجنيق [١] ، وعلى إثر ذلك انتهت الحروب الصليبية في ذلك العصر ، ولكن بقيت بعض الغارات على سواحل مصر الشمالية من قبل جموع من الأفرنج المتلصصين ، كان السلاطين لهم بالمرصاد .

وهناك خارج دولة المماليك جهة الشمال ، نجد أن العثمانيين فتحوا القسطنطينية على يد القائد الماجد محمد الفاتح سنة (٨٥٧ هـ) ، وقد اعتبر فتحه منعطفاً هاماً في تاريخ الأمة الإسلامية [٢] ، وفي جهة الغرب نجد مأساة عظيمة مهولة وقعت للأمة الإسلامية ، وهي سقوط الأندلس التي حكمها المسلمون مدة طويلة من الزمن ، وذلك بخروج أو بالأحرى بفرار آخر ملوك المسلمين أبي عبد الله محمد بن علي بن نصر من غرناطة سنة (٨٩٨ هـ) . [٣]

ب- السياسة الداخلية :

رغم ما سجله التاريخ من مواقف خالدة ، ومآثر بطولية جليلة لسلاطين المماليك في السياسة الخارجية ، إلا أنَّ هناك خللاً وضعفاً داخلياً واضحاً أسفر عنه سقوط الدولة فيما بعد ، وكان لهذا الخلل أسباب كثيرة من أهمها :

١- تفشي المنكرات وظهور الانحراف في المفاهيم والسلوك . [٤]

٢- أصلهم ونشأتهم اللذان بقيا واضحين في الأذهان يذكرانهم كما يذكران الذين خضعوا لهم بأنهم ليسوا بمستوى مسؤوليات الحكم ، فدفعهم ذلك إلى

(١) انظر : تاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ١٧٩ - ١٨٢) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٢ / ٢٧) .

(٢) انظر : إظهار العصر للبقاعي (١ / ٣٧٣ - ٣٧٩) ، والدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث لإسماعيل أحمد (ص : ٤٧ - ٥٠) .

(٣) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ١٣) .

(٤) انظر : ص (٣٤) من هذا الكتاب .

الانكماش على أنفسهم في كثير من الأمور ، مما سبب النفور من بعض الرعية ، فظهرت الثورات الداخلية في حلب وغيرها .[1]

٣- ما تخلل هذا العصر من مؤامرات ودسائس تدار خلف الكواليس بين السلاطين أنفسهم ، فتجد شجرة الدر تتآمر ضِدّ زوجها عز الدين أيبك وتكتب نهاية حياته ، لأنه فكر في أن يتزوج عليها ، وسيف الدين قطز يذهب ضحية مؤامرة دبّرها له قائده وشريكه في النصر على التتار في عين جالوت الظاهر بيبرس ، والملك المنصور قلاوون يخلع في رجب سنة (٦٧٨ هـ) الملك العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس ابن السبع سنين ونصف ، والملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون يقتل في أوائل المحرم سنة (٦٩٣ هـ) على يد الأمير الأشرف بيدار ، ولم يلبث أن قتل بيدار على أيدي رجال الملك الأشرف خليل ، وكانت المؤامرات والدسائس مستمرة ، ومن النادر أن تكون نهاية سلاطين هذا العصر طبيعية ، فإذا لم يكن القتل ، فهو الخلع على يد القواد والأمراء ، بل وصل الحال في آخر هذا العصر، أن رفض كثير من الأمراء تولي السلطة خوفاً من الخلع والقتل والتعذيب ، فعندما خلع الملك العادل طومان باي سنة (٩٠٦ هـ) بعد يوم واحد فقط من تسلطنه ، لم يقدم أحد على السلطة رغم توفر الأمراء ، ونجد أن بعضهم يشير على بعض بتولي السلطة وأخيراً اتفقوا على تولية قانصوه الغوري ، لا لكفاءته بل لأنه كان سهل الإزالة .[2]

٤- صغر سن بعض السلاطين والذي أدى إلى طمع الأمراء الآخرين بالسلطة

---

(١) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢٠٥ - ٢٠٧ ، ٢١٣ - ٢١٤ ، ٣٠٨) .

(٢) انظر : سمط النجوم العوالي لعبد الملك العصامي (٤ / ١٥ - ٣١ ، ٣٦ - ٣٨ ، ٤١ ، ٤٨ - ٥٠) ، وتاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ٤٦٤ - ٤٦٨) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢١٤ - ٢٢٢ ، ٣٢٤ - ٣٢٥) .

وتدخل كبار قواد الدولة في شؤون الحكم ، فتجد سلامش بن بيبرس تسلطن سنة (٦٧٨ هـ) وعمره سبع سنوات ونصف ، والملك الناصر محمد بن قلاوون كان عمره عند السلطنة سنة (٦٩٣ هـ) تسع سنين ، والملك المظفر أبو السعادات أحمد ابن المؤيد شيخ المحمودي اعتلى الحكم في محرم سنة (٨٢٤ هـ) وعمره سنة وثمانية أشهر ، والملك محمد بن الظاهر ططر تولى السلطة في ذي الحجة سنة (٨٢٤ هـ) وعمره عشر سنين ، وفخر الدين عثمان بن جقمق تولى السلطة سنة (٨٥٧ هـ) وعمره أقل من عشرين سنة . [١]

٥- عدم التجاوب والسمع والطاعة من كثير من أمراء الشام التي قسمها المماليك إلى ست أمارات ، والذين تم تعيينهم من قبل السلطة في مصر ، فعلى سبيل المثال : نجد أن الأمير علم الدين سنقر الحلبي نائب دمشق للظاهر بيبرس قد خرج على الظاهر بعد شهر واحد فقط من تولي السلطة ، وتلقب بالملك المجاهد ووضع اسمه على النقود ، ودعا لنفسه في خطبة الجمعة ، ولكن سرعان ما أخمد الظاهر بيبرس فتنته ، كما نجد الأمير شمس الدين سنقر أحد نواب الشام امتنع عن مبايعة السلطان المنصور قلاوون ، ودعا أهل دمشق إلى طاعته ، وتلقب بالملك الكامل ، ولكن سرعان ما أخمد المنصور فتنته أيضاً . [٢]

وفي ظل هذا الاضطراب الداخلي في سياسة المماليك نشأ كثير من الحروب والغارات القبلية ، والتي راح ضحيَّتها كثرٌ من أبناء القبائل ، ومنهم أسرة الإمام البقاعي نفسه ، الذين هجم عليهم جيرانهم من بني مزاحم كما سيأتي قريباً . [٣]

---

(١) انظر : سمط النجوم العوالي لعبد الملك العصامي (٤ / ١٩ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٦ - ٤٥) .

(٢) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢١٥ - ٢٢٤) .

(٣) انظر : نشأة الإمام البقاعي ص : (٤٧) .

أما عن مدى أثر هذه السياسة على الإمام البقاعي - رحمه الله - فإننا نجدها قد أثرت فيه أيما تأثير ، فوجدناه - رحمه الله - قد شارك الجيش في الثغور فرابط وجاهد غير مرة [1] ، كما كتب وألف عدة رسائل حث فيها الناس على جهاد أعداء الدين من الكافرين والملحدين ، ومن هذه الرسائل : « **أخبار الجلاد في فتح البلاد** » ، و « **الإسفار عن أشرف الأسفار والإخبار بأظرف الأخبار** » ، و « **أسواق الأشواق من مصارع العشاق** » ، و « **زوال الشدة بقتال أهل الردة** » . [2]

المبحث الثاني : الحالة الاقتصادية :

اهتم المماليك بالزراعة ولاسيما في مصر اهتماماً كبيراً ، فعنوا بمرافقها من جسور وترع ، ومقاييس للنيل وغيرها [3] ، ولكن كان يعوق تقدمها وازدهارها كثرة الضرائب التي كان المماليك يثقلون بها كاهل الفلاحين والتجار ، واستعمال القسوة والتعذيب في جبايتها ، وقد تفننوا في ذلك ، فأوجبوا على الناس ضريبة الأرض ، والخراج ، وزكاة الدولة ، والرسوم الجمركية ، وموارد الديوان الخاص ، وضريبة التركات ، وضريبة وفاء النيل ، وغير ذلك من ضرائب . [4]

وإلى جانب اهتمام المماليك بالزراعة ، نجدهم اهتموا أيضاً بالثروة الحيوانية كتربية الأغنام والدواجن [5] ، كما ازدهر في عهدهم كثير من الصناعات حتى أنها

---

(١) انظر : (ص : ٦٨ - ٧١) عند الحديث عن جهاده ومشاركته في الغزو .

(٢) انظر : هذه الكتب ضمن مبحث مؤلفات البقاعي - رحمه الله - .

(٣) انظر : القاهرة لعبد الرحمن زكي (ص : ١٠٩) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢٧٣ - ٢٧٦) .

(٤) انظر : تاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ٤٢٦ - ٤٢٧) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢٧٧ ، ٢٩٨ - ٣٠٣) .

(٥) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢٧٧ - ٢٧٨) .

بلغت درجة عظيمة من التقدم والرقي ، كصناعة المنسوجات ، والفرش ، والستور ، والخيم والسروج والأواني النحاسية المكفتة كالأباريق وصناعة الصحون ، والطسوت ، والثريات ، والقلل ، والأزيار ، والزجاج ، والسكر ، والحلوى ، والزيوت ، والأسلحة ، وأدوات الحرب والسفن وأدوات الصيد وغيرها .[1]

كما نَعِمَ هذا العصر أيضاً بمصدر آخر من مصادر الغنى ، والثروة ملأ خزائن الدولة بالأموال الطائلة ، وهيَّأ لها البذخ والتنعم ببناء القصور والعمائر والمساجد ذات الروعة والجمال ، ألا وهو : التجارة الشرقية التي كانت تخترق مصر والشام في طريقها إلى أوروبا ، فقد فرضت الدولة على هذه التجارة ما شاءت من مكوس وضرائب باهظة ، ولم تكن فائدة البلاد من مرور التجارة بأراضيها مقصورة على الضرائب الباهظة ، فقد كانت تعمر الأسواق ، وتنشط حركة البيع والشراء فيها ، كما سعت في بناء الخانات والفنادق وتوسعة الأسواق القديمة وإنشاء أسواق جديدة .[2]

وأخيراً : مع هذا التقدم الاقتصادي في الزراعة والصناعة والتجارة نجد أغلب الناس ومنهم البقاعي - رحمه الله - كانوا يعيشون في فقر مُدْقِعٍ[3] ، وكان المستفيد الأول والأخير من هذا التقدم الاقتصادي هم علية القوم من الطبقة الحاكمة وكبار التجار .

---

(١) انظر : المرجع السابق (ص : ٢٧٨ - ٢٨٤) .

(٢) انظر : المرجع السابق (ص : ٢٨٤ - ٢٩٨) .

(٣) انظر : ما سيأتي ذكره - بإذن الله - في الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية :

من المعروف أن المماليك كانوا من عناصر تركية وجركسية ورومية ومغولية وغيرهم بيعوا في أسواق الرقيق ، ومع أنهم كانوا في الأصل أرقاء بيعوا في أسواق النخاسة ،ويتشرفون بالانتساب إلى أسيادهم الذين اشتروهم ، أو التجار الذي باعوهم فقد كانوا يتعالون على المصريين والشاميين ويشمخون بأنوفهم فلا يخالطونهم ، أو يتزوجون منهم ، بل إنك تجد أن جواريهم كانوا من بني جنسهم ، ووصل بهم الحال إلى عدم السماح لغيرهم بركوب الخيل ؛ لأنهم اعتبروه ميزة خاصة بهم !! . [1]

وعلى أثر هذا التعالي والتعاظم انقسم المجتمع إلى طبقتين رئيستين :

أولاهما : الطبقة الحاكمة : والتي تتألف من السلاطين والأمراء والأجناد وكلهم من المماليك الذين كانوا بالأمس أرقاء واليوم أسياد في أيديهم الحكم والأرض والجاه والتنعم بخيرات البلاد وثرواتها .

وثانيهما : الطبقة المحكومة والتي تتألف من ستة عناصر هي :

١- أهل اليسار والغنى من التجار وأولي النعم .

٢- الباعة وهم متوسطو الحال من التجار ، ويلحق بهم السوقة من أصحاب المهن والحرف .

٣- الفلاحون وهم المزارعون الذين يسكنون الريف والقرى .

٤- الأُجَرَاء وأصحاب الأعمال المعيشية البسيطة .

٥- الفقراء وهم معظم الفقهاء ، وطلاب العلم .

---

(١) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٠٨ - ٣١٢) .

٦- ذوو الحاجة والمسكنة ، وهم أهل السؤال الذين يتكفّفون الناس .[١]

ومن هذه العناصر الستة يتألف الشعب المحكوم ، وهم العناصر الكادحة في سبيل العيش ، والتي تتحمل الضرائب الباهظة ، وتدفع نفقات الحروب ، ومؤنة الدفاع عن البلاد ، وليس لها من أمر الحكم شيء ، ولا تستشار في سلم أو حرب ، ولا تملك من الأرض التي تزرعها ، والتي توزع على شكل إقطاعيات على الطبقة الحاكمة ، كل واحد منهم يتصرف بإقطاعيته بالبيع والشراء والتنازل والمقايضة حسب رتبته ، وللسلطان الحظ الأوفر والنصيب الأكبر ، وليس لها أيضاً الحق بالالتحاق بالجندية أو المدارس العسكرية ، وإنما كان أمامها المساجد والمدارس تتعلم بها الأحكام الشرعية .[٢]

وكان من رؤساء هذه الطبقة الكادحة العلماء والفقهاء وهم الأقرب إلى الحكام ، ولم يكن لهم من الوظائف العامة في الدولة إلا القضاء ، أو الكتابة في الدواوين أو التدريس في الجوامع والمساجد وما عدا ذلك فلا .[٣]

ومن جهة أخرى كان المماليك يُعْنَونَ بأشخاصهم ، وأُسَرهم ، وأتباعِهم وغِلمانِهم من الجهة التعليمية وغيرها .

كما كانوا يعيشون عِيشة البَذَخ والتَرف ، ويميلون إلى اللهو والمرح وعقد المجالس وإقامة الحفلات والموائد، والإكثار من المواكب الرسمية في شتى المناسبات[٤]،

---

(١) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٢ / ٣٢٧) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣١١ - ٣١٢) .

(٢) انظر : تاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ٤٣١ - ٤٣٥ ، ٤٤١) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٢٧٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٣) .

(٣) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣١١) .

(٤) انظر : تاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ٤٧٨ - ٤٧٩) ، وعصر سلاطين ==

وبينما يعيش المماليك هذا الترف نجد أن كثيراً من المجتمع يبيت في حالة فقر مدقـع ، حتى وصل الأمر إلى انتشار المجاعات والتي على جرائها انتشرت الأوبئة والأمراض ، ومن أكبر المجاعات التي اجتاحت البلاد : المجاعة التي رَوَّعَتْ مصر في عهـد السلطان كتبغا سنة (٦٩٥ هـ) فقد توقف النيل ، ونقص منسوب المياه ، وجفت الآبـار ، فندرت المحاصيل ، وتعطلت معظم الأرض عن الزراعة ، وهلكت معظم الدواب لعدم وجود الأعلاف اللازمة لها وسرى البخل بين أكابر الأعيان كالأمراء والتجار ، وبلغت الشدة غايتها فأكل الناس الميتة ، وانتشر في سنة (٧٤٩ هـ) الطاعون بين الناس ، فساد الحزن جميع البلاد حتى إنه يكـاد لا يوجد بيت إلا وفيه بكـاء على ميت بالطاعون ، وفي ذلك يقول حبيب الحلبي :

إن هذا الطاعون يفتك في العا ... لم فتك امرئ ظلوم حقود
ويطوف البلاد شرقاً وغرباً ... ويسوق العباد نحو اللحود
كم طوى النشر من أخ عن أخيه ... وسَبى عقل والدٍ بوليد
إن أعِشْ بعده فإني شكور ... مُخْلِصِ الحَمدِ للولي الحميد

كما انتشر من جراء تلك المجاعة : السلب والنهب والثورات الداخلية من قبل العربان . [1]

وفي هذا العصر نجد الشارع المصري انقلب إلى ميدان حرب بين أمراء المماليك، فقد كان من المناظر المألوفة لسكان القاهرة أن تنقلب شوارعها وأحياؤها بين عشية وضحاها إلى ميدان حرب بين أميرين وأنصارهما فيغلق التجار حوانيتهم

==

المماليك لمحمود رزق (٢/ ٣٤٣ - ٣٤٤)، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص: ٣٠٩).

(١) انظر : تاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ٤٢٧ - ٤٣٠ ، ٤٦٨ - ٤٧٠) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٢ / ٣٠٤ - ٣٢٥) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣١٢ - ٣١٣ ، ٣٢٥ - ٣٢٨) .

خشية أن يسلب ما بها من أموال وتجارة ، ويتملك الناس الخوف والفزع ، فيحتمون بأبواب الحارات والمساجد أو في بيوتهم إلى أن تنجلي الغمة وتنكشف الكربة . [١]

وإلى جانب تلك الطبقية وذاك الفقر وهذه الاضطرابات ، ظهر الانحراف في العقيدة والأخلاق أو بتعبير آخر في المفاهيم والسلوك ، فتجد في هذا العصر التصوف قد انتشر على نطاق واسع بما فيه من بدع وخرافات ودروشة ، وتعددت طرقه وبنيت بيوته من خانقاوات وربط وزوايا ، وانتشرت الفلسفة ، كما انتشر القول بالوحدة والاتحاد والحلول ، وتفشى الإرجاء عند كثير من الناس ، والذي نتج عنه تساهلهم في الذنوب والمعاصي ، كما انتشر البغاء وعرف ما يسمى : بضمان الغواني، وهو عبارة عن مال تدفعه البغايا بعد أن تجعل اسمها عند امرأة تسمى الضامنة ، فلا يقدر أحد من الناس أن يمنعها من بغائها ، ولقد استطاع السلطان الناصر بن محمد - رحمه الله - أن يبطل هذا المنكر وهذا الانحراف ، كما انتشرت الأغاني وآلات اللهو والطرب ، وكثرت المخدرات ، وعرف الحشيش ، وكثرت الحيل ، وظهر المحلل والمحلل له بشكل معلن ، وتفشت الرشوة ، واستغل النفوذ ، وانتشر الغش في البيع والشراء واحتكار الأقوات . [٢]

وأمام هذا السيل الجارف من الانحراف العقدي والخلقي ، قام العلماء والدعاة والمصلحون بدور بارز سجله وسطره لهم التاريخ ، فحاربوا هذه المنكرات العقدية

---

(١) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٢٤ - ٣٢٥) ، والقاهرة لعبد الرحمن زكي (ص : ١٠٦) .

(٢) انظر الانحراف بقسميه : تاريخ المماليك البحرية لعلي إبراهيم حسن (ص : ٤٨١ - ٤٨٤) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٢ / ٣٤٧ - ٣٥٤) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (٣٢٠ - ٣٢١ ، ٣٣٩ - ٣٤١) .

منها أو الخلقيـة فـألَّفوا الرسـائل ، وعقـدوا المجـالس ، ونـادوا النـاس بـالعودة للديـن والتمسك بسنة سيد المرسلين ونبذ الانحراف في الدين فتجد سلطان العلماء العـز بـن عبد السلام ألَّف « **مجلساً في ذم الحشيشة** » ، كما نجد شيخ الإسلام ابن تيمية ألَّف رسائله العديـدة المشـهورة في العقيـدة والأخـلاق ، وابـن القيـم نجـده ألَّـف « **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** » و « **مفتاح دار السعادة** » و « **الجواب الكافي لمـن سأل عن الدواء الشافي**» و « **الكافية الشافية في الانتصـار للفرقـة الناجيـة** » ، و « **السـنة والبدعـة** » ، ونجـد الحـافظ ابـن رجـب ألَّـف « **كشـف الكربـة في وصـف حـال أهـل الغربة** » و « **نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس** » ، و « **ذم الخمـر وشاربها** » ، ونجد صاحبنا البقاعي ألَّف « **تنبيه الغبي في الرد علـى ابـن عربـي** » ، و « **الفارض في تكفير ابـن الفـارض** » ، و « **دلائـل البرهـان لمنصفـي الإخـوان علـى طريق الإنسان** » ، و « **بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع** » ، و « **تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد** » إلى غير ذلـك مـن مؤلفـات ورسـائل سطرها أهل العلم رحم الله الجميع .(١)

المبحث الرابع : الحالة العلمية :

قامت في عصر المماليك حركة علمية نشطة مباركة متميزة ، فـألف فيـه كثـيرٌ من الكتب والدواوين ، ونبغ فيه فطاحل أهل العلم المبرزين ، وقد يبدو للوهلة الأولى أن في ذلك بعض الغرابة وذلك لعدة أسباب أهمها :

١- ما كـانت تعيشـه البـلاد في أكثر أوقاتهـا مـن فـتن وثـورات داخليـة بـين السلاطين .

٢- كثرة الحروب التي خاضتها البلاد مع الصليبيين والمغول وغيرهم .

---

(١) انظر: عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣/٨٨ - ١٧٤) ، والمبحث التاسع من الفصل القادم .

٣- تعرض البلاد لكثير من الأوبئة والمجاعات بين الحين والآخر .

ولكنَّ هذا كُلَّه ، لم يكن ليقف حائلاً دون قيام مثل هذه النهضة والصحوة العلمية ، وبخاصة أن العوامل والظروف حَتَّمَتْ قيامها والتي من أهمها :

١- وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشام :

علم في السابق أن الجيش التتري المغولي الهمجي قضى على بغداد مدينة السلام ومدينة العلم والعلماء سنة (٦٥٦ هـ) ، وألقى ما في خزائنها من كتب ومؤلفات في نهر دجلة لِيَعْبُرَ عليها جنوده ، فأصيبت الحضارة العباسية والإسلامية بضربة قاصمة ، ونكسة عظيمة ، قضت على جهود قرون عديدة ، ومن جراء هذا البطش وهذه الهمجية رأى العلماء أن مصر والشام خير حمى لهم يلجأون ويفزعون إليه من كيد المغول ، فاتجه كثير منهم إلى مصر وبعضهم إلى الشام ، فأصبحت مصر والشام محط الرحال، ومقصد العلماء والطلاب ، من مختلف الأقطار شرقيها وغربيها ، حتى إنك تجد أن ألقاب العلماء والشعراء والأدباء قد تغيرت من البغدادي والبخاري والنيسابوري والكوفي إلى القاهري والدمشقي والحلبي والاسكندري والفيومي والمقدسي والسيوطي .

وكان من أبرز الوافدين إلى بلاط المماليك من أهل العلم : ابن خلكان الإربيلي، وابن مالك الأندلسي ، وابن أبي حجلة المغربي ، والحافظ رشيد الدين النابلسي ، وغيرهم من أهل العلم - رحم الله الجميع - .(١)

٢- شعور العلماء بعظم المسؤولية :

أمام ما خلَّفَته أيدي التتار الغاشمة من ويلات جسام ، رأى كثير من العلماء في مصر والشام أنهم أمام مسؤولية عظيمة تقتضي منهم القيام بالواجب الذي أوجبه

---

(١) انظر : تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان (٣ / ١١٧ - ١١٩) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ١٠ - ١١ ، ١٨ - ١٩) .

ا لله عليهم ، وأداء الأمانة الملقاة على عواتِقِهم بنشر العلم ورفع الجهل وإحياء ما أبادته أيدي التتار الهمجية ، والرد على أهل الأديان الباطلة الذين يتربَّصون بالمسلمين الدوائر، فتكاتف العلماء وقاموا بواجبهم حق القيام ، وتنافسوا في التأليف والتدريس منافسة شديدة ، وصل الأمر بها في بعض الأحيان إلى ما يعرف بحسد الأقران (1) ، ومن جراء هذا الشعور وهذا التكاتف وهذا التأليف نتجت هذه الحركة العلمية المباركة والتي نتفيأ ظلالها هذه الأيام . (2)

٣- تعظيم السلاطين للعلم والعلماء :

إن هذا النشاط العلمي وهذه الحركة والنهضة ما كان لها أن تزدهر وتثمر لولا أن قيَّض ا لله - تبارك وتعالى - لها تشجيع سلاطين المماليك الذين بذلوا وأنفقوا وسعوا لنشر العلم وتشجيع الناس فيه ، وقد سلكوا في ذلك طريقين :

أحدهما : الاهتمام بالعلماء بتقديرهم واحترامهم وإنزالهم من نفوسهم المكانة اللائقة بهم وبمراكزهم ، وحضور دروسهم والأخذ عنهم ، حتى إنَّ بعضهم من جراء ما استفاده من دروس ، تَصَدَّر للإقراء والتدريس ، مثل السلطان المؤيد الذي روى الصحيح عن الإمام البلقيني ، كما انصبَّ اهتمامهم على وظيفة التدريس والتي أصبحت جليلة القدر ، يخلع السلطان على صاحبها ويكتب له توقيعاً من ديوان الإنشاء ، يختلف باختلاف المواد التي يقوم بتدريسها . (3)

الثاني : الاهتمام بدور العلم ، وإن أعظم دليل على ذلك هو حرصهم الشديد

---

(1) انظر ما سيأتي ذكره بإذن ا لله ص : (١٢٨- ١٢٩) .

(2) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٢٥ - ٢٦ ، ٨٤ ، ٨٨ - ٨٩) .

(3) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٢٠ - ٢٥) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٣٣٢) ، والقاهرة لعبد الرحمن زكي (ص : ١٠٨-١١١).

على إنشاء كثير من دور العلم ومؤسساته ، سواء كانت مدارس أو مساجد أو كتاتيب أو مكتبات [1] ، وإن من أهم المدارس والمؤسسات التي اهتم بها سلاطين المماليك وقصدها طلاب العلم من كل مكان ما يلي :

١- جامع عمرو بن العاص : وهو الجامع الذي بناه عمرو بن العاص ﷺ عند فتح مصر سنة (٢١ هـ) ، وقد عني به سلاطين المماليك عناية فائقة ، فقاموا بترميم ما تهدَّم منه ، وتجديد محتوياته وذلك سنة (٧٠٢ هـ) . [2]

٢- جامع أحمد بن طولون : وهو الجامع المشهور بحي القلعة بالقاهرة ، بدأ ابن طولون ببنائه سنة (٢٦٣ هـ) ، وفرغ منه سنة (٢٦٦ هـ) ، وقد ظلَّ الجامع منارة ، يشع منه نور العلم في مصر ردحاً من الزمن ، وقد اعتنى به سلاطين المماليك فأوقفوا له الأوقاف ، ورتبوا فيه الدروس في مختلف التخصصات . [3]

٣- جامع الأزهر : وهو الجامع الذي بناه العبيديّون سنة (٣٦١ هـ) ، والذي حظي أيام المماليك بعناية فائقة من ترميم وتجديد وإيقاف الأوقاف له ، كما لقي شيوخه وطلابه رعاية خاصة . [4]

٤- جامع الحاكم : وهو الجامع الذي أسسه العبيديّون أيضاً سنة (٣٩٣ هـ) وجدَّد بناءه الظاهر بيبرس بعد أن تهدَّم ، ورتَّب فيه دروساً للفقه على المذاهب

---

(١) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٢٧ - ٣٢) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٣٠ - ٣٣٦) .

(٢) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٢/٢٣٩-٢٤٥)، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣/٣٣).

(٣) انظر : حسن المحاضرة للسيوطي (٢ / ٢٣٩ - ٢٤٥) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٣٣ - ٣٤) .

(٤) انظر : حسن المحاضرة للسيوطي (٢ / ٢٥١ - ٢٥٢) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٣٤ - ٣٧) .

الأربعة ، ودروساً للحديث ، وأخرى للنحو والصرف والقراءات .[1]

٥- المدرسة القمحية : وهي المدرسة التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٦٦ هـ) ، بجوار جامع عمرو بن العاص ، وسميت بالقمحية بسبب ما كان يرسل من القمح إلى فقهائها ومدرِّسيها ، وقد اهتم المماليك بها وبطلابها وأنشأوا فيها الدروس وخاصة دروس الفقه المالكي .[2]

٦- المدرسة الصلاحية : ويقال لها الناصرية ، وقد أسسها صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٢ هـ) ، بجوار مسجد الإمام الشافعي ، وقد عاشت في العصر المملوكي مدة طويلة أدت دوراً هاماً في تعليم المصريين وغيرهم .[3]

٧- المدرسة الظاهرية : وهي المدرسة التي أسسها الظاهر بيبرس سنة (٦٦١ هـ) ، وأودعها خزانة كبيرة للكتب وبنى بجانبها مكتباً يتعلم فيه الأيتام القرآن الكريم ، وفيه زخرت هذه المدرسة بتدريس العلوم الشرعية ، وهي غير الظاهرية الحديثة التي أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة (٦٨٦ هـ) .[4]

٨- المدرسة المنصورية : وهي التي أسسها الملك المنصور قلاوون ، ودُرِّسَ فيها الفقه على شتى المذاهب ، كما دُرِّسَ فيها القرآن والتفسير والطب ، وحددت أوقاتاً للوعظ فيها .[5]

---

(١) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٢/٢٥٣-٢٥٤)، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣/٣٧).

(٢) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٣٧ - ٣٨) .

(٣) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٢/٢٥٧-٢٥٩)، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣/٣٧).

(٤) انظر : حسن المحاضرة للسيوطي (٢ / ٢٦٤ - ٢٧١) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٥٦ - ٥٧) .

(٥) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٤٢ - ٤٣) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٣٣ - ٣٣٤) .

٩- المدرسة الصاحبية البهائية : وهي التي أسسها الوزير الصاحب بهاء الدين علي محمد سنة (٦٥٤ هـ) ، وكانت هذه المدرسة من أَجَلِّ مدارس العصر المملوكي .[(١)]

١٠- المدرسة الناصرية : وهي التي أسسها العادل زين كتبغا سنة (٧٠٣ هـ) ورتب بها دروساً للمذاهب الأربعة .[(٢)]

١١- المدرسة الكاملية : وهي التي أنشأها الكامل ناصر الدين محمد بن العادل الأيوبي سنة (٦٢٣ هـ) ، وقد لقيت عناية طيبة من المماليك ، وقد أقيمت فيها دروس الحديث خاصة ، لذا عرفت بدار الحديث .[(٣)]

١٢- خزانة كتب المدرسة الظاهرية .[(٤)]

١٣- خزانة الكتب الموجودة بالقبة المنصورية .[(٥)]

١٤- خزانة المدرسة الناصرية .[(٦)]

١٥- خزانة جامع الخضيري ببولاق .[(٧)]

١٦- خزانة جامع المؤيد .[(٨)]

هذه هي أهم المدارس والمؤسسات العلمية الموجودة في العصر المملوكي والتي

---

(١) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٤٣) .

(٢) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٤٣) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٣١) .

(٣) انظر : حسن المحاضرة للسيوطي (٢ / ٢٦٢) .

(٤) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٣٣) .

(٥) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٦٨) .

(٦) انظر : المصدر السابق .

(٧) انظر : المصدر السابق .

(٨) انظر : العصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح (ص : ٣٣٤) .

لقيت عناية فائقة مِن قِبَلِ السلاطين .

بعد هذه النظرة السريعة في هذه الحركة والنهضة العلمية أرى أنه لمن الطبيعي أن تقطف الأمة ثمارها اليانعة ، والتي من أهمها ذاك الكم الهائل من فطاحل العلماء الذين خلفوا لنا مصنفات ومؤلّفات عجز الباحثون عن إخراج وتحقيق كثير منها في أيامنا هذه ، فلقد ألفت في عصر النهضة هذا المطولات والمختصرات في مختلف العلوم والفنون ، فألفت في القراءات والتفسير والحديث والعقائد والأديان ، والفقه والتاريخ والوعظ والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والأدب والطب وغيرها من علوم .[(١)]

وكان من أبرز العلماء الذين نبغوا في هذا العصر : الإمام ابن الصلاح ، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام ، وابن أبي أصيبعة ، وصاحب « **وفيات الأعيان** » المؤرخ ابن خلكان ، ومحيي الدين النووي ، وابن المنير الإسكندري ، والإمام ابن دقيق العيد ، وابن الرفعة ، ونجم الدين الطوفي الحنبلي ، والبيضاوي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ المزي ، والعلامة ابن عبد الهادي ، وابن الوردي، والمحقق المدقق العلامة ابن القيم ، وصلاح الدين الصفدي ، والحافظ ابن كثير ، وتقي الدين السبكي ، والحافظ ابن رجب الحنبلي ، وسراج الدين البلقيني ، وابن خلدون ، والمقريزي ، وخاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني ، والبدر العيني ، وابن تغري بردي ، والإمام الحافظ برهان الدين البقاعي ، والحافظان السخاوي والسيوطي وغيرهم من العلماء المبرزين – رحم الله الجميع – .[(٢)]

وأخيراً في ظل هذه الأجواء السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والعلمية بما

---

(١) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٣ / ٩٠ – ١٧٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق (٣ / ٨٨ – ٤٠٢) .

اشتملت عليه من اضطرابات وفتن وقلاقل ، وفقر وجوع في كثير من الأحيان ، وبما اشتملت عليه من نهضة علمية نشأ الإمام البقاعي ونما وترعرع ، وأخذ يطلب العلم من هنا وهناك ، ويتلقى من هذا الشيخ وذاك ، حتى برع في كثير من العلوم والفنون ، فانتقل من مرحلة التحصيل والتلقي إلى مرحلة التأليف والإبداع فكان في مجال التفسير مفسراً ، وفي مجال الحديث محدثاً ، وفي مجال الفقه فقيهاً ، وفي مجال اللغة العربية لغوياً أديباً شاعراً ، وفي مجال الفكر مفكراً ، وفي مجال التاريخ مؤرخاً ومترجماً ، وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آمراً وناهياً ومصلحاً اجتماعياً داعياً للسنة ، ومحارباً لبدع المتصوفة وخرافاتهم ، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

الفصل الثاني : سيرة المؤلِّف وفيه اثنا عشر مبحثاً

المبحث الأول : اسمه وكنيته ولقبه ونسبته .

المبحث الثاني : أسرته وأصله .

المبحث الثالث : مولده ونشأته وطلبه العلم ورحلاته .

المبحث الرابع : شيوخه .

المبحث الخامس : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث السادس : أعماله ومناصبه .

المبحث السابع : صفاته وأخلاقه .

المبحث الثامن : تلاميذه .

المبحث التاسع : مؤلفاته .

المبحث العاشر : مذهبه الفقهي .

المبحث الحادي عشر : عقيدته .

المبحث الثاني عشر : وفاته ورثاؤه .

المبحث الأول : اسمه وكنيته ولقبه ونسبته .

هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط [١] بن علي بن أبي بكر البقاعي الخرباوي الشافعي الدمشقي الأصل والمنشأ والوفاة ، نزيل القاهرة . [٢]

والبقاعي : بكسر الباء الموحدة – وقيل بضمها ، والأول هو المشهور – وفتح القاف مخففة ، وبعد الألف عين مهملة نسبة إلى : سهل البقاع العزيزي [٣] ، الذي كان يطلق عليه بقاع كلب [٤] ، وهو عبارة عن سهل يقع بين بعلبك وحمص ودمشق ، وهو في لبنان حالياً وسوريا قديماً ، وينحصر هذا السهل بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، ويبلغ طوله حوالي ١٢٠ كيلاً ، وعرضه ما بين ٨ – ١٤ كيلاً ، ويتصل بالشمال بسهل نهر العاصي ، ويتمتع هذا السهل بمياهه الغزيرة العذبة النميرة ، وبمروجه الخلابة الخضراء . [٥]

---

(١) الرُّباط : بضم الراء وتخفيف الباء الموحدة ، هو لقب لجده حسن ، وسبب تلقيبه بذلك أن شخصاً من أكابر أقاربه رآه وهو شاب ، وكان طويلاً رفيعاً فقال له : كأنك رِباط – بكسر الراء – وهو الحبل الكبير ، فأصبح معروفاً بالرُّباط – بالضم – بعدما حرَّفته العامة .
انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٦) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٦) ، وذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٦) والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠١) .

(٣) نسبة للعزيز بن صلاح الدين ، وقيل سمي بذلك لوجود قبور بعض الأنبياء فيه أمثال : نوح وإلياس وشيث عليهم السلام . انظر : دائرة المعارف (جـ ٤ عدد ٢ ص : ٣٤) .

(٤) نسبة لكلب بن وبرة ، انظر : تاج العروس للزبيدي (٢٠ / ٣٤٧) .

(٥) انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٤٧٠) ، ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق البغدادي (١/٢١١) ، والضوء اللامع للسخاوي (١/١٠١) ، وتاج العروس للزبيدي (٢٠/٣٤٧– ٣٤٨) ، والموسوعة العربية الميسرة (ص:٣٨٥–٣٨٦) ، ومعجم الأعلام لبسام الجابي (ص: ١٧– ١٨) .

والخرباوي : نسبة إلى قرية « خربة روحا » إحدى قرى البقاع ، والتي تبعد حوالي مرحلة عن دمشق ، أي ما يقارب ٤٤ كيلاً .[1]

المبحث الثاني : أسرته وأصله :

كان البقاعي – رحمه الله – من قومٍ يقال لهم : بنو حسن ، ولحسن هذا ثلاثة أولاد : يونس وعلي ومكي ، وقد أنجب كل واحد من هؤلاء الثلاثة خلائق حتى صار بنو حسن ثلاثة أبطن : بنو يونس ، وبنو علي ، وبنو مكي ، ولقد تفرقت هذه الأبطن في البلاد ، فمنهم من نزل مدينة حلب ، ومنهم من نزل في محلة مُعوش[2] ، ومنهم من نزل في بلاد كرك الشوبك[3] ، ومنهم من نزل إلى نواحي بِلْبِيس[4] من بلاد مصر .

وصاحب الترجمة – رحمه الله – من بني مكي ، إلا أنه لم يَعْرِف ما بعد أبي بكر من نسبه ، وإن كان يغلب على ظنه أن أبا بكر هو ابنٌ لمكي ، لأن أقرانه من بني عمه ليس بينهم وبين حسن أكثر من أربعة أنفس ، وكذا لم يَعْرِف –رحمه الله– ما بعد حسن من نسبه إلا أن شخصاً أخبره بأن بني حسن ينسبون إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ ولكن لم يجزم بذلك .[5]

---

(١) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٦) .

(٢) إحدى القرى الشمالية بالبقاع .
انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٦) .

(٣) هي إحدى القلاع الحصينة في أطراف الشام .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ٣٧٠) (٤ / ٤٥٣) .

(٤) بكسر الباءين وسكون اللام ، وياء وسين مهملة ، مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ – أي ٥٠ كيلاً تقريباً – على طريق الشام . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٤٧٩) .

(٥) انظر في نسب البقاعي ما كتبه عن نفسه في عنوان الزمان (١ / ق ٣٥٦ – ٣٥٧) .

المبحث الثالث : مولده ونشأته وطلبه العلم ورحلاته :

في أسرة كبيرة يقال لها : بنو حسن بقرية خربة روحا من قرى سهل البقاع الخصيب ولد البقاعي – رحمه الله – في القرن التاسع الهجري سنة تسع وثمانمائة من الهجرة النبوية تقريباً [(١)] ، الموافق للسادس وأربعمائة وألف من الميلاد ، لأبوين فقيرين صالحين يعيشان عِيشة الكفاف ، ويعتمدان في تلك المعشية على الله وحده تبارك وتعالى . [(٢)]

وحكى الابن البقاعي أنه كان كثيراً ما يسمع والده يتمثل بأبيات من الشعر تنبي عن عظيم ثقته بالله ، وبما عنده سبحانه من فضل ، وعن عميق توكُّله عليه ، وحسن إسلام وجهه له جلَّ وعلا – وهي – :

كِلِ الأمورَ إلى القضا ولا تكنْ معترضا　　　فلربما اتسع المضيق وربَّما ضاق الفضا
ولربَّ أمر متعب لك في عواقِبِه الرضا　　　الله يفعل ما يشاء فلا تَكُنْ مُعترضا [(٣)]

فعند من كان يتمثل بهذه الأبيات ، نشأ صاحبنا طفلاً صغيراً يتلمَّس أول الطريق ، وفي ظلال تلك القرية ، في سهل البقاع الخصيب ، تعلَّم القراءة والكتابة ، ثم انكبَّ الصبي على كتاب الله -تبارك وتعالى- يتعلمه ويحفظه إلى أن انتهى منه ، وصلى به التراويح ، وهو في العاشرة من عمره ، وذلك على يد كلٍّ مِن :

---

(١) يلاحظ على كثير ممن ترجم للبقاعي – رحمه الله – ذكر بعد سنة الولادة كلمة « تقريباً » ويعود السبب في ذلك لما ذكره البقاعي في عنوان الزمان (١ / ق ٣٥٨) عند ترجمته لنفسه حينما قال : « ولد صاحب الترجمة سنة تسعٍ وثمانمائة تقريباً » .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠١) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٨) ، وذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٦)، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠١) .

(٣) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٨) ، وذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٦) ، والبقاعي وجهوده في التفسير لمحمد بحيري (ص : ٥٧) .

عمه المقرئ المجود أحمد بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٢٠ هـ) [(١)] ، والمقرئ أبو الجود محمد بن عثمان بن إسرائيل البقاعي (ت ٨٥٠ هـ) [(٢)] ، ويوسف بن مكي بن عثمان بن علي البقاعي (ت ٨٢١ هـ) [(٣)] .

وبينما الصبي يواصل دراسته الأولية في كتاب القرية تحت رعاية عمه وبصر أبيه وتربية مشايخه ، وقعت أسرته تحت وطأة كارثة مهولة ، أودت بحياة رجالها ، وأثرت في الصبي كثيراً ، ففي شعبان سنة (٨٢١ هـ) هجم على أسرته أناسٌ يقال لهم : « بنو مزاحم » فقتلوا تسعة أنفس من بينهم والده وعماه ، وأصيب هو بثلاث ضربات بالسيف ، أحدها في رأسه كاد من جرائها أن يموت ، وكانت سنُّه حينذاك اثني عشر عاماً[(٤)]، وتُعَدُّ هذه النكبة والتي في ظاهرها مِحْنَة مِنْحَة إلهية، مهدت للفتى سلوك طريق العلم ، والترحال لمواطنه والاعتماد بعد الله تبارك وتعالى على النفس .

وبعد هذه الفجيعة التي حلَّت بأسرته لم يَطِبْ له ولأمِّه المقام بتلك القرية ، فالخطر ما زال محدقاً بأهلها ينذر بتوالي الحوادث والنكبات في جنباتها ، فانتقلت به أمه مع أبيها علي بن محمد بن سليمان السليمي ، ورحلت به متخفية عن الرقباء والمترصدين ، سالكة طريق قرى وادي التيم والعرقوب ، حتى وصلت به إلى مدينة دمشق إحدى قِبَلِ العلم ومناراته وذلك سنة (٨٢٣ هـ) . [(٥)]

---

(١) انظر ترجمته في : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦ - ٣٧) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢) انظر ترجمته في : الضوء اللامع للسخاوي (٨ / ١٤١) .

(٣) انظر ترجمته في : عنوان الزمان للبقاعي (٤ / ق ٣٧١ - ٣٧٢) ، والضوء اللامع للسخاوي (١٠ / ٣٣٤ - ٣٣٥) .

(٤) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٨) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٥٠٩) .

(٥) انظر : المصدرين السابقين ومقدمة مصاعد النظر لعبد السميع حسنين (١ / ٣٤ - ٣٥) .

وفي دمشق حط الفتى رحله ، فطابت نفسه ، وهدأ باله ، فجدَّد حفظ القرآن وجوَّده ، وصلى به التراويح أيضاً ، وعـرَفَ أُصول القُرَّاء السبعة ، وحفظ بعض « **الشاطبية** » ، وقرأ على علامة القراء بالشام الشيخ صدقة بن سلامة بن حسين الضرير المَسْحَراني (ت ٨٢٥ هـ) [١] . [٢]

ثم أقبل - رحمه الله - على الاشتغال بالعلم سنة (٨٢٦ هـ) ، فلازم الحبر العلامة أبا حامد محمد بن بهادر بن عبد الله الدمشقي الشافعي المعروف بـ « سبط ابن الشهيد » (ت ٨٣١ هـ) [٣] ، وأخذ عنه النحو والتصريف ، والفقه والمعقولات ، واستمر ملازماً له إلى أن مات - رحمه الله - . [٤]

وفي سنة (٨٢٧ هـ) سطع في دمشق نجم من ألمع النجوم وعلامة وقته وشاطبي زمانه، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الجزري (ت ٨٣٣ هـ)[٥] وما أن استقر الحال بهذا النجم في دمشق ، حتى هرع إليه صاحبنا ينهل من معينه وكأنه ينتظر مَقْدَمَه منذ فترة طويلة ، فلازمَه وأخذ عنه القراءات العشر ، وحفظ منظومته في القراءات « **طيبة النشر في القراءات العشر** »[٦] .

وفي تلك السنة رحل البقاعي إلى القدس ، واشتغل فيها بالحساب على العماد

---

(١) انظر ترجمته في : إنباء الغمر لابن حجر (٧/٤٧٥-٤٧٦)، وعنوان الزمان للبقاعي (٢/ ق ٧٦) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٨) ، (٢ / ق ٧٦) .

(٣) انظر ترجمته في : عنوان الزمان للبقاعي (٣ / ق ٢١٠ - ٢١٢) ، والضوء اللامع للسخاوي (٧ / ٢٠٤ - ٢٠٥) .

(٤) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٨) .

(٥) انظر ترجمته في: الذيل الشافي لابن تغري بردي (٢/٦٩٧)، وعنوان الزمان للبقاعي (٤/ق ٢٠٦).

(٦) انظر: عنوان الزمان للبقاعي (١/ ق ٣٥٩) ، (٤/ق٢٠٦)، ونظم العقيان للسيوطي (ص: ٩٢) .

إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن شرف المقدسي الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)[(١)] تلميذ ابن الهائم ، وحفظ عليه منظومتي ابن الهائم في الجبر ، وقواعد الإعراب ، وعرضها عليه ، وفي نفس هذا العام بدأ - رحمه الله - بتأليف بعض كتبه ، فبدأ بعمل منظومته في علمي الحساب والجبر والتي سماها « **الباحة** » ، وكانت سنه في هذا الوقت ثمانية عشر عاماً . [(٢)]

وفي شهر رمضان من هذا العام فجع البقاعي بوفاة أمه - رحمها الله - في القدس[(٣)] ، وقبل نهاية هذا العام بشهرين وبالتحديد في شهر ذي القعدة منه ، رحل صاحبنا إلى دمشق والتي طال مكثه بها هذه المرة فحفظ فيها النصف الأول من « **البهجة نظم الحاوي** » لابن الوردي ، كما ألف فيها كتابه « **كفاية القارئ وغنية المقرئ** » في رواية أبي عمرو ، وحضر بحث « **الحاوي** » على فقيه الشام تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي المعروف بابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) [(٤)]، كما واصل ملازمته لتاج الدين ابن بهادر[(٥)]، وفي مطلع سنة (٨٣٢ هـ) رحل البقاعي إلى القدس مرة أخرى ، فمكث بها مدة عامين ، أكمل فيها حفظ « **البهجة** » وزاد قليلاً في نظم كتابه « **الباحة** » ، وبحث على الشيخ ماهر ابن عبد الله بن نجم الأنصاري البلقسي (ت ٨٨٦ هـ) [(٦)] تلميذ ابن الهائم

---

(١) انظر ترجمته في : الضوء اللامع للسخاوي (٢ / ٢٨٤) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٩) .

(٣) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٩) .

(٤) انظر ترجمته : (ص : ٢١٣) .

(٥) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٩) .

(٦) انظر ترجمته في : عنوان الزمان للبقاعي (٣ / ق ٢ - ٣) ، والضوء اللامع للسخاوي (٦ / ٢٣٦ - ٢٣٧) .

« **الوسيلة** » لابن الهائم في الحساب ، و « **الفصول** » له أيضاً في علم الفرائض وغير ذلك ، كما درس « **شرح نظم كافية ابن الحاجب** » على العلامة محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مسلم السالمي المعروف بابن القرابيلي (ت ٨٣٥ هـ) [(١)] ، ودرس على العماد ابن شرف - السابق ذكره - « **شرح النخبة** » للحافظ ابن حجر .

وابتدأ - رحمه الله - يشرح « **البهجة** » بطريقة فريدة لم يسبق إلى مثلها في النظم وصل فيها إلى باب التيمم . [(٢)]

وفي سنة (٨٣٤ هـ) شد البقاعي رحله ، وجَدَّ في سيره ، وألقى عصا ترحاله في القاهرة ، كعبة العلم ومنارة من مناراته ، ومقصد العلماء في ذلك الوقت ، فالتقى فيها بعلامة زمانه ، وحافظ وقته الإمام ، الحجة الناقد الحافظ أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي الكناني المصري العسقلاني المعروف بابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)[(٣)] فلازمه وقرأ عليه ، وكتب جملة من تصانيفه وقرأها عليه [(٤)] ، فأعجب به الحافظ ابن حجر كثيراً ، وأجازه بجميع مروياته ، وأثنى عليه وعلى مؤلفاته ، وعدَّه من كبار تلامذته ، ووصفه بالعلاَّمة . [(٥)]

وفي هذه السنة أيضاً التقى بمشايخ القاهرة وقرأ عليهم ، واستفتى جماعة منهم فتاوى نظماً عن كائنة وقعت له بالقدس وجمعها مع ذكر الواقعة وما يتعلّق بها نظماً

---

(١) انظر ترجمته في: عنوان الزمان للبقاعي (٤/ق٢٤٧)، ولحظ الألحاظ لابن فهد (ص:٢٩٨-٢٩٩).

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٩ - ٣٦٠) .

(٣) انظر ترجمته : (ص : ٢٦١ - ٢٦٢) .

(٤) ولعل من ذلك كتاب لسان الميزان ، فإنه يوجد نسخة منه بمكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم (٢٩٤٤ / ١) كتبها البقاعي بخطه وقرأها على الحافظ ابن حجر .

(٥) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦٠) .

في كراريس سماها : « **أسد البقاع الناهسة لمعتدي المقادسة** » .[1]

وفي أواخر هذا العام رجع إلى القدس فقرأ بها « **سنن أبي داود** » وغيرها .[2]

وفي أوائل سنة (٨٣٥ هـ) عاد إلى القاهرة ، وأكمل فيها نظم الحساب حتى جاء في سبعمائة بيت ، ضمَّنها مسائل « **الوسيلة** » لابن الهائم وزاد عليها ، وضم إلى ذلك علم المساحة وسماها : « **مشترك الملاحة في علمي الحساب والمساحة** » .

ثم شرع - رحمه الله- في اختصار تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ملتزماً أن لا يحذف من أسانيده ولا من معانيه ، وأن يكون في مقدار نصف حجمه ، أو أزيد بقليل ، وسماه : « **وشي الحرير في اختصار ابن جرير** » كتب منه نحو عشرين كراساً ، ثم واصل - رحمه الله - ملازمته للحافظ ابن حجر ، ورحل معه إلى حلب سنة (٨٣٦ هـ) والتي أخذ فيها عن مشايخها ، وأكثر من سمع منه هناك حافظ الشام العلامة إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المعروف بـ سبط ابن العجمي (ت ٨٤١ هـ)[3] ، وقرأ - رحمه الله- على مشايخ دمشق أثناء رجوعه مع شيخه ابن حجر من حلب إلى القاهرة ، وذلك في سنة (٨٣٧ هـ) ، وفي القاهرة من هذا العام سمع على شيخه ابن حجر غالب شرح ألفية العراقي ، وعلّق عليها كثيراً مما كان يسمعه منه من النكت واللطائف في كراريس عدة ، وسماه : « **النكت الوفية بما في شرح الألفية** » .[4]

وفي نفس السنة المذكورة رحل - رحمه الله - إلى دمياط والإسكندرية ،

---

(١) انظر : المصدر السابق ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١١٠) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦٠) .

(٣) انظر ترجمته في : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٤٠٠ - ٤٠٦) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٣٨ - ١٤٥) .

(٤) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦٠ - ٣٦١) .

وطوّف فيما بينهما من البلاد ، وسمع بأكثرها ، وكتب عن شعرائها ، ثم قفل عائداً إلى القاهرة ، والتي أطال المكث فيها هذه المرة ، وسمع فيها بحث « **الحاوي** » على العلامة الفقيه موسى بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن سليمان السبكي الشافعي (ت ٨٤٠ هـ)[١] والذي أجازه بالإفتاء والتدريس ، كما سمع كثيراً من « **الحاوي** » أيضاً على العلامة محمد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد الونائي (ت ٨٤٩ هـ)[٢] وعلّق عليه شرحاً مدبجاً ، وفي تلك الفترة ألّف وكتب - رحمه الله - بعض مصنّفاته مثل : « **أسواق الأشواق من مصارع العشاق** » و « **فوح الزبد من سقط الزند** » .[٣]

وفي سنة (٨٤٨ هـ) توجَّه إمامنا - رحمه الله - إلى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج ، وفي أثناء سنة (٨٤٩ هـ) سمع من بعض شيوخ مكة ، ثم طاف - رحمه الله - ببلاد الحجاز فرحل إلى الطائف ،وسمع بها ، ثم توجَّه إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه ، وفي أثناء إقامته بها سمع من بعض شيوخها ، ثم عاد - رحمه الله - إلى القاهرة مُعَرِّجاً بمدينة ينبع ، والتي سمع بها على بعض شيوخها ، وكان وصوله إلى القاهرة في العشر الأوسط من شهر رمضان المبارك من السنة المذكورة .[٤] واستمرَّ في ملازمة شيخه ابن حجر حتى توفي -رحمه الله- سنة (٨٥٢ هـ)، والأخذ فيها عن شيخه العلامة المفسر محمد بن محمد ابن أبي القاسم المشدالي البجائي المغربي (ت ٨٦٤ هـ)[٥] علم المناسبات .[٦]

---

(١) انظر ترجمته في : الضوء اللامع للسخاوي (١٠ / ١٧٦ - ١٧٨) .

(٢) انظر ترجمته في : الضوء اللامع للسخاوي (٧ / ١٤٠) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) .

(٣) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦١ - ٣٦٢) .

(٤) انظر : ذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٦ - ٣٣٨) .

(٥) انظر ترجمته في : عنوان الزمان للبقاعي (٤ / ق ٢٢٠ - ٢٣٣) ، والضوء اللامع للسخاوي (٩ / ١٨٠ - ١٨٨) .

(٦) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٩ / ١٨٥) .

ثم اشتغل بالتأليف والتدريس فألّف مجموعة من الكتب منها : « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** » ، و « **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي** » ، و « **تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الإتحاد** » ، و « **الفارض في تكفير ابن الفارض** » فقامت قيامة خصومه من المتصوفة وأهل الوحدة والإتحاد وغيرهم ، فحسدوه وعادوه وآذوه حتّى وصل بهم الحال إلى تكفيره وتأليب السلطان عليه ، فسجنه مع أصحاب الجرائم ، ثم أطلق سراحه ، فضاق بإمامنا الحال والمقام ، فرحل حزيناً مكسوراً من القاهرة إلى دمشق والتي ألقى بها عصا الترحال نهائياً ، وذلك في سنة (٨٨٠ هـ) [١] ، ومكث بقية عمره بها فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

وفي نهاية هذا المبحث أرى أنه لا بد أن أذكر أمراً يتعلق بهذه النشأة ، وهو الحديث عن المصدر المالي الذي كان ينفق منه -رحمه الله- .

لم يكن للبقاعي مصدرٌ ماليٌّ ينفق منه ، فقد وُلد لأبوين فقيرين كما تقدَّم ، ولم يكن له أحدٌ يتولّى الإنفاق عليه خلال ذلك الترحال وذاك التجوال ، وإنما كان ينفق على نفسه من عمل يده ، فقد رزقه الله - تبارك وتعالى - حسن خط وجودة كتابة ، فكان يكتب لغيره من العلماء نظير أجرٍ معلوم ، كما كان يقوم - رحمه الله - بتعليم الصبيان مبادئ العلوم والقرآن نظير أجرٍ معلوم أيضاً ، ومن ذلك كان يأكل ويلبس ويكفي نفسه مؤنة العيش . [٢]

---

(١) انظر الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٦) ، و (ص : ٢٥٧) من هذا الكتاب .

(٢) للأسف الشديد نجد أن السخاوي - رحمه الله - عدَّ عمل البقاعي هذا نقيصة رماه بها ، وما كان ينبغي له فإن خير الكسب عمل الرجل بيده . انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٢)

المبحث الرابع : شيوخه

كان البقاعي - رحمه الله - حريصاً على طلب العلم ، شغوفاً بتحصيله ، مولعاً بجمعه ، أفنى حياته في طلبه بالتنقل هنا وهناك ، وبذل الغالي والنفيس للقاء أهله ، والنهل من معينهم ، والأخذ من علومهم ، فولّد ذلك كله كثرة كاثرة من الأساتذة والشيوخ جمعهم جميعاً في كتابٍ مستقلٍ سماه : « **عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران** » [1] ، وكان من أبرز هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم :

١- الإمام العالم الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة المقدسي الناصري الباعوني الدمشقي (٧٧٧ - ٨٥٩ هـ) ، وقد درس عليه بالباسطية من صالحية دمشق . [2]

٢- العلامة المحدِّث أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز ابن عثمان الكناني البوصيري القاهري الشافعي (٧٦٣ - ٨٤٠ هـ) ، وقد أجاز له مروياته ومصنفاته . [3]

٣- خاتمة الحفاظ الإمام العلامة الناقد المحقِّق أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ -٨٥٢ هـ) ، وقد قرأ عليه وأجازه - كما تقدم - بجميع مروياته .. [4]

٤- العلامة الفقيه مؤرخ الشام أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد الأسدي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي شهبة (٧٧٩ - ٨٥١ هـ) وقد أخذ عنه الفقه . [5]

---

(١) انظر في الحديث عنه : (ص : ٩٠ - ٩١) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٢٩٢ - ٣٠٣) .

(٣) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ١٧ - ٢٢) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ٢٥١) .

(٤) انظر : المبحث السابق .

(٥) انظر : ذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٧).

٥- العلامة المتفنن حسن بن محمد بن حسن الصالحي اللحام الهندي ، الشهير بـ قُنْدُس (٧٧٠ - ٨٤٠ هـ) ، وقد أخذ عنه بدمشق سنة (٨٢٨ هـ) أوائل « **الشمسية** » في المنطق .[(١)]

٦- العلامة المقرئ شرف الدين صدقة بن سلامة بن حسين بن بدران بن إبراهيم المسحراني الدمشقي (٧٦٠ - ٨٢٥ هـ) .[(٢)]

٧- العلامة عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن حسين بن يحيى اللخمي المصري الحنبلي ، المعروف بالقبابي (٧٤٩ - ٨٣٨ هـ) ، وقد أخذ عليه « **علوم الحديث** » لابن الصلاح شفاهاً .[(٣)]

٨- العلامة القاضي علي بن محمد بن علي بن عمر بن عبد الغفار النحراوي المالكي ، المعروف بابن عُديس (٧٧٩ - ٨٤٠ هـ) ، وقرأ عليه « **صحيح الإمام البخاري** » .[(٤)]

٩- العلامة أبو حفص عمر بن قديد بن عبد الله القَلَمْطَائي - بفتح القاف واللام وسكون الميم - القاهري الحنفي ، المعروف بابن قَدِيد - بالتكبير - (٧٨٥ - ٨٥٦ هـ) ، وقد أخذ عنه كثيراً من العلوم مثل : النحو ،والأصول ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق ، والحكمة ، والجدل وغيرها .[(٥)]

---

(١) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ١٢ - ١٤) ، والضوء اللامع للسخاوي (٣ / ١٢٤) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٨) (٢ / ق ٧٦) .

(٣) انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٨ / ٣٦٣ - ٣٦٤) ، وعنوان الزمان للبقاعي (٢ / ق ١٣٥)، والضوء اللامع للسخاوي (٤ / ١١٣ - ١١٤) .

(٤) انظر: عنوان الزمان للبقاعي (٢ / ق ٤٠٣ - ٤٠٤) ، والضوء اللامع للسخاوي (٥ /٣٢٢).

(٥) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (٢ / ق ٤٣٣ - ٤٣٥) ، والضوء اللامع للسخاوي (٦ / ١١٣ - ١١٤) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٣٢) .

١٠- العلامة أبو حامد محمد بن بهادر بن عبد الله الدمشقي الشافعي ، المعروف بـ سبط ابن الشهيد (٨٠٠ - ٨٣١ هـ) .[١]

١١- الفقيه الأصولي النحوي محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي الشافعي (ت ٨٥٠ هـ) ، وقد أخذ عنه الفقه ، وأصوله ، والنحو ، والمنطق ، والمعاني ، والبيان .[٢]

١٢- الإمام العلامة المفسِّر أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد ابن عبد الصمد المشعراني البجائي المغربي المالكي (٨٢١ - ٨٦٤ هـ) ، وهو عمدته في كتابه « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** » .[٣]

١٣- الإمام العلامة المحدِّث محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين (٧٧٧ - ٨٤٢ هـ) .[٤]

١٤- الإمام العلامة المقرئ أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الجزري (٧٥١ - ٨٣٣ هـ) وقد أخذ عنه القراءات .[٥]

---

(١) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥٨) (٣ / ق ٢١٠ - ٢١٢) ، والضوء اللامع للسخاوي (٧ / ٢٠٥) .

(٢) انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٩ / ٢٤٧ - ٢٤٩) ، والدليل الشافي لابن تغري بردي (٢ / ٦٥٦) ، وعنوان الزمان للبقاعي (٤ / ق ٢٥ - ٥٠) .

(٣) انظر : ذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٦ - ٣٣٧) ، والضوء اللامع للسخاوي (٩ / ١٨٠ - ١٨٨) .

(٤) وهو صاحب كتاب الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية : شيخ الإسلام كافر .
انظر: عنوان الزمان للبقاعي (١/ ق ٢٩٢- ٣٠٣)، والضوء اللامع للسخاوي (٨/١٠٣-١٠٦).

(٥) انظر: عنوان الزمان للبقاعي (١ /ق ٣٥٩) (٤ / ق ٢٠٦)، ونظم العقيان للسيوطي (ص:٩٢).

المبحث الخامس : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

لم يكن الإمام البقاعي - رحمه الله - بالشخص الخامل الذكر ، أو الخافت الصيت ، فقد كان في زمانٍ سمع به القاصي والداني ، وأفاد منه القريب والبعيد ؛ لأنه- رحمه الله - قد أحاط بمعارف عصره ، ونبغ في كافة علومه ، والناظر في تراثه بإمعان يدرك لأول وهلة أنه أمام شخصية علمية ، متعددة المواهب ، مختلفة الجوانب، فهو مفسِّرٌ ، محدِّثٌ ، مؤرِّخٌ ، أديبٌ ، شاعرٌ .

وقبل أن ألقي نظرة على بعض ما كتبه أو قاله عنه العلماء أرى أنه من المناسب أن ألقي نظرة على أهم الجوانب التي برز فيها إمامنا - رحمه الله - للتعرف عليها من جهة ، ولبيان مكانته العلمية من جهةٍ أخرى .[1]

أولاً : البقاعي مفسِّراً :

لا شك أن البقاعي - رحمه الله - في مجال التفسير يعد علماً من أعلامه ورائداً من رواده ، وحامل رايته في حله وترحاله ، وكتابه « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** » ليس ببعيد عنّا ، وهو أشهر من أن يجهله طالب علمٍ فضلاً عن عالم سواء كان ذلك في عصره أم في ما تلاه من عصور ، وكذا كتابه « **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور** » الذي حوى كثيراً من علوم القرآن ، وكتابه في المناسبات - أعني **نظم الدرر** - والذي اشتهر به يُعدُّ من أوائل الخطوات التجديدية في التفسير ، فقد سلك فيه مسلكاً رشيداً ، وهو إبراز المناسبات بين كل آية وآية ، وبين كل جملة وجملة ، وبين كل سورة وسورة [2] ، فَوُفِّق - رحمه الله - في ذلك إلى حدٍّ

---

(١) انظر : مقدمة مصاعد النظر د. عبد السميع حسنين (١ / ٦٢) .

(٢) انظر في الكلام عن جهد البقاعي - رحمه الله - في استخراج هذه المناسبات رسالتي : البقاعي وجهوده في التفسير للدكتور محمد بحيري (ص : ١٣١ - ١٣٦) ، وتحقيق مقدمة نظم الدرر لإسماعيل الحاج (ص : ٤٩ - ٥٣) .

كبير وإن كان لا يخلو منهجه في المناسبات من بعض المبالغات [1] في الربط والتناسب .

ثانياً : البقاعي محدِّثاً :

عرف البقاعي - رحمه الله - عند جميع من ترجم له أنه أحد أئمة الحديث المبرزين فيه ، بل نجد أن بعضهم قد عدَّه من الحفاظ ، يقول ابن تغري بردي في ترجمته : « الحافظ العلامة برهان الدين البقاعي » [2] ، ويقول السيوطي : « برهان الدين أبو الحسن العلامة المحدِّث الحافظ » [3] ، ويقول الصيرفي : « الإمام العلامة المحدِّث » [4] ، ويقول ابن طولون : « المحدِّث البرهان البقاعي » [5] .

والمطلع على كتب البقاعي التي ألَّفها في الحديث وعلومه كـ « **النكت الوفية على شرح الألفية** » ، وبعض كتبه التي اعتنى فيها بتخريج الأحاديث ونقدها ككتابه هذا و « **مصاعد النظر** » ، و « **نظم الدرر** » وغيرها من كتب ، يجد أن البقاعي - رحمه الله - في علم المصطلح وتخريج الأحاديث ، وما يتعلَّق بها من بيان درجاتها ، وضبط رواتها ، وعدالة نقلتها كالملاح الماهر الواثق بنفسه ، والذي يعرف كيف يوجه دفة السفينة في شدة العواصف والأعاصير ، فنجده - رحمه الله - يتتبع الحديث الواحد في جميع مصادره باستيعاب ، ويبحث عنه في شتى المصادر باستقصاء [6] ، فلا يكلُّ ولا يسأم من عزوه لتلك المصادر ، ومن سياقه مرة بعد

---

(١) انظر ما ذكره في خاتمة كتابه هذا عند الحديث عن سورة الكوثر (ص : ٧٠١ - ٧٠٧) .

(٢) النجوم الزاهرة (١٦ / ٣٤٧) .

(٣) نظم العقيان (ص : ٢٤) .

(٤) إنباء الهصر (ص : ٥٠٨) .

(٥) مفاكهة الخلان (٢ / ٦) .

(٦) انظر على سبيل المثال: حديث رجم اليهوديين (ص : ٢٨٨ - ٢٩٥) ، وحديث المسيح الدجال (ص : ٣١١ - ٣١٧).

أخرى لكي يوقف القارئ على كلِّ ألفاظ الحديث التي اختلفت رواياتها لدى كل مصنِّف بزيادة أو نقصان ، بتقديم أو تأخير .[(١)]

وهذا كله لا يُستغرب منه ، فإنه – رحمه الله – تلميذ حافظ عصره ، ومحدِّث زمانه ، وخاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني الذي لازمه في الحضر والسفر ، وتلميذ العلامة المحدِّث البوصيري صاحب « **إتحاف الخيرة** » .[(٢)]

ثالثاً : البقاعي مقرئاً :

اهتم البقاعي – رحمه الله – كما ذكر في السابق بعلم القراءات منذ نعومة أظفاره ، فقد درس على شاطبي زمانه الشمس ابن الجزري [(٣)] ، وألَّف في مطلع عمره كتابه « **كفاية القارئ وغنية المقرئ** » في رواية أبي عمرو بن العلاء البصري » والذي قال فيه شيخه ابن حجر : « فهكذا هكذا تنظم اللآلي ، وإلى هنا تنتهي رتب أولي المعالي ، إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً ، ويا ليت شعري ، ومن هذه بدايته فما الذي بلحاق النجم ينتظر » .[(٤)]

وليس هذا الكتاب الوحيد الذي ألَّفه – رحمه الله – في القراءات ، فقد ألَّف كتباً أخرى تدل على رسوخ قدمه في هذا الفن مثل « **ضوابط الإشارات إلى أجزاء علم القراءات** » ، و « **القول المفيد في أصول التجويد** » .[(٥)]

والناظر في خاتمة كتابه هذا يجد تبحُّر البقاعي – رحمه الله – في هذا العلم ،

---

(١) انظر : مقدمة مصاعد النظر د عبد السميع حسنين (١ / ٦٣ – ٦٥) .

(٢) انظر : (ص : ٥٠ – ٥٢ ، ٥٤) .

(٣) انظر : (ص : ٤٨) .

(٤) انظر : مصاعد النظر (١ / ١٣٠ – ١٣١) .

(٥) انظر : مقدمة د. عبد السميع حسنين لكتاب البقاعي مصاعد النظر (١ / ٦٥ – ٦٦) .

وذلك بما ذكره من نقول لأهل العلم في أوجه قراءات بعض الآيات .[1]

رابعاً البقاعي مؤرِّخاً :

أما عن التاريخ فقد كان فارساً من فرسانه ، ورائداً من رواده ، فقد سلك فيه مسلك المحدِّثين ، القائم على الضبط والتحقيق ، فنجده - رحمه الله - عند ذكر العلَم المترجم له ، أو الواقعة التي يريد ذكرها ، يعتني اعتناءً شديداً بضبط الأسماء والأماكن ، مع ذكر السنة والشهر واليوم ومكان اللقاء[2] ، وقد ألَّف فيه عدة مصنفات من أهمها : « **أخبار الجلاد في فتح البلاد** » ، و « **إظهار العصر لأسرار أهل العصر** » ، والذي ذيل فيه على كتاب شيخه ابن حجر « **إنباء الغمر بأبناء العمر** »، و « **عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران** » ، و « **عنوان العنوان** » ، وهو مختصر للسابق ، و « **الوفيات** » ، و« **مختصر سيرة الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء** » .[3]

خامساً : البقاعي شاعراً وناظماً :

كان إمامنا البقاعي - رحمه الله - شاعراً لكنه لم يشتهر بذلك ؛ لأنَّ شهرته في التفسير والحديث والرد على المبتدعة غطَّت على هذا الجانب من جوانب ثقافته وعلومه ، مثله في ذلك مثل كثير من العلماء كالشافعي وابن القيم - رحمهما الله-.

وقد كان له - رحمه الله - شعرٌ كثيرٌ ، جمعه في ديوان له أسماه : « **إشعار الواعي بأشعار البقاعي** » ، وشعره كثير ، والجيد منه وسط .[4]

ومن جميل شعره - رحمه الله - :

---

(١) انظر على سبيل المثال : (ص : ٥٣٩ - ٥٥٧ ، ٦١١ - ٦٢١) .

(٢) انظر على سبيل المثال : عنوان الزمان (١ / ق ٢٤) ، (٤ / ق ٢٢٠) ، وإظهار العصر (١ / ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢) .

(٣) انظر مقدمة د. عبد السميع حسنين لمصاعد النظر للبقاعي (١ / ٦٦ - ٦٧) ..

(٤) انظر : نظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) .

ولما رأيت البدر ألقى شـــعاعــه ... عـــلى نيل مصر والسفين بنا يجري
تخيَّلْتُه نَهْراً يسير بــــــسيرنا ... من الفضة البيضاء في لُجَّةِ البَحْرِ [1]

وقوله :

للعبد يجري الأجر بـعد الموت في ... تـــسْع كما قال النبي المصطفى
إجراءُ نهر ، حفر بئرٍ ، غَرْسُ نخـ ... ـل ، نشرُ علم ، والتصدُّقُ في الشفا
وبناء بيت لابن السبيل ومسجـــد ... ويتَــرْكِهِ ابناً صالِحاً أوْ مُصْحَفا [2]

وقوله في مدح شيخه ابن حجر وكتابه « **فتح الباري** » .

إن كنت لا تصبو لوصف عذاري ... دع عنك تهيامي وخلع عذاري
إن الغرام له رجال ديـــنهــم ... تلف النفوس على هوى الأقمار
خاضوا بحار العشق وقت هياجها ... إذْ مَــــوْجُها كالجحفل الجرار
فاستوسقوا دُرَراً تَجِلُّ نُعوتـــها ... صاروا بها في العاشقين دراري
لله أيام الوصال وطيـــبـــها ... لـــو لم تـكن ككواكب الأسحار
ليلات أرتشف الرحيق من الثـغو ... ر فـأنتشي من دون شُرْبِ عُقَار
وأدير في روض الوجوه محاجرى ... عـــجباً فتعييني عن الأنوار
بأبي الخدود نواظر حسناتـــها ... كـــنواظر الغزلان في الدينار
قصدت يكون المسك حسن خـتامها ... فــتعلمت من ختم فتح الباري
شرح البخاري الذي في ضـــمنه ... نـظمت علوم الشرع مثل بحار
في كل طرس منه روضٌ مُـزْهِرٌ ... وبـــكل سطر منه نهر جاري
وبه زوائد من فوائد جـــمَّـــة ... وفـــرائِدَ أعيت على النظار
شرح الحديث به فكم من مشـكل ... فـــيه انْجَلَى للعين بالآثار
يـــأتي إلى طرق الحديث يضمُّها ... إن العـــيان مصدق الأخبار
وتـزاحمت أفديه في تحـصيله ... زمر الملوك فسل من السـفار
من فيض أحمد نَبْعُه ولـــه مـنا ... ســبة به اشتهرت لدى الأفكار
إن قلت نهر فهو للحجر انـتمى ... ومـــن الحجارة منبع الأنهار
أو قلت بَحْرٌ عســقلان أصلــه ... فـــالناس عالة بحرها الزخار
كم قد رحلت وكم جمعت مصنفاً ... فـــالدين قد أحييت بالأسفار
وسكنت في العلياء تُقىً وفضــائلاً ... أنت الشهاب بك اهتداءُ الساري

---

(١) المصدر السابق (ص : ٢٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق .

رَحَلَتْ إليك الطالبون ليقتدوا ... وتَتَابَعوا سبقاً من الأقطار
وتراكضوا خيل الشبيبة حين لم ... تركس بوهن أو بوصف عذاري
فارقتُ في أرض البقاع عشائري ... أطوي إليك فَيَافِياً وصحاري
فارقتُ منهم كلَّ أروعَ ماجد ... حامي الذمار بسيفه والجار
فمصنفاتك سهلت وتنزَّهَتْ ... من طاعن يرجو قذى أو عار
تربو على مائة ونصف أودِعَتْ ... درراً تضيء الليل وَقْتَ سَرَار
وتَضُوع بالمسك الذكي لناشقٍ ... حُسْناً فيخجل أن يضوع الداري
ماذا أقول ولو أطلت مدائحي ... وجعلت أهل الأرض من أنصاري
لم تبلغ المقصود من أوصافكم ... كلاً ولم تَقْرُبْ من المِعْشَار
فَاسْلَم على كر الليالي راقِياً ... رُتَب العلا تَهْنَأ بفتح الباري[1]

وبعد هذه النظرة السريعة ، في هذه الجوانب المختلفة من ثقافته وعلومه ، أعود لأذكر بعض ما قاله بعض علماء عصره ، وغيرهم من أهل العلم فيه :

فقد كتب شيخه الحافظ ابن حجر على كتابه « **كفاية القاري** » ما نصه : « فهكذا هكذا تنظم اللآلي ، وإلى هنا تنتهي رتب أولي المعالي ، إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً ، ويا ليت شعري ، ومن هذه بدايته فما الذي بلحاق النجم ينتظر » . [2] كما كتب له على « **عنوان الزمان** » ما نصه : « الشيخ الإمام العلامة الأوحد، المتقن المتفنن ، الحافظ المحقق » . [3]

وكتب له العلامة ناصر الدين البارزي - كاتب السر في الديار المصرية - على كتابه « **جامع الفتاوي لإيضاح بهجة الحاوي** » ما نصه : « وقفت متأملاً في محاسن هذا الجامع ، متفكراً في فصاحة خطيبه ، وما أبدعه فيه من إعجاب الناظر ، وإطراب السامع فألفيته حاوياً لكل حجة ، شاملاً للأنوار والبهجة ، وعلمت تميُّز

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٥٥٢ - ٥٥٣) ، وانظر أيضاً : مقدمة د. عبد السميع حسنين لمصاعد النظر للبقاعي (١ / ٦٧-٦٩) .

(٢) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٠ - ١٣١) .

(٣) انظر : المصدر السابق (١ / ١٣٥) .

مصنِّفه على أقرانه ، وتنبُّهه على أهل زمانه ، أمدَّه الله بالكفاية ، وجعل خاتمته بالحسنى وزيادة » . [1]

وكتب له العلامة الكافيجي على « **نظم الدرر** » ما نصه : « العالم العلامة ، والبحر الفهامة ، الفائق على الأقران ، أفصح من سحبان في البيان ، الألمعيُّ العظاميُّ العِصامي ، بديع الزمان ، وقاد الذهن نقاد الطبع ، الأصمعيُّ ، منحة الرحمن ، الرحلة في الرواية ، العمدة في الدراية ، إمام الهدى ، نور التقى ، شمس الضحى ، زين الورى ، فلك العلى ... » . [2]

وقال العلامة ابن فهد عنه : « العلامة الحافظ المتفنن ... وهو إمام علامة حسن المذاكرة ، كثير الاستحضار ، وعلى ذهنه فضائل وفوائد ، وله محاضرات لطيفة ، ونوادر ظريفة ، والثناء عليه جميل » . [3]

وقال العلامة أمين الدين الأقصرائي عنه : « الإمام العلامة ، الحبر الفهامة ، المدقق المحقق ... » . [4]

وقال علي بن داود الصيرفي في ترجمته : « الشيخ الإمام العلامة المحدث البقاعي الشافعي ، اشتغل كثيراً ونبغ وفضل ... ورقاه قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر حتى جعله قارئ البخاري في القصر بقلعة الجبل بحضور السلطان في دولة الظاهر جقمق ، وكان يثني على قراءته وفصاحته وهو كذلك مع الدين والخير » . [5]

وقال السيوطي عنه : « العلامة المحدث الحافظ ... مهر وبرع في الفنون ودأب

---

(١) انظر : المصدر السابق (١ / ١٣٢) .

(٢) انظر : (ص : ٢٥٢) من هذا الكتاب .

(٣) ذيل معجم الشيوخ (ص : ٣٣٦ - ٣٣٩) .

(٤) انظر : ص : (٢٣٧ - ٢٣٨) من هذا الكتاب

(٥) إنباء الهصر بأبناء العصر (ص : ٥٠٨ - ٥٠٩) .

في الحديث ورحل ... وله تصانيف عديدة كثيرة حسنة » .[1]

وقال ابن العماد في ترجمته : « المحدث المفسر ، الإمام العلامة ، المؤرخ ... برع وتميز ، وناظر وانتقد حتى على شيوخه ، وصنّف تصانيف عديدة ... وبالجملة فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته » .[2]

وقال الشوكاني في ترجمته : « برع في جميع العلوم وفاق الأقران ... وأنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف ، ومَن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير ، عَلِم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء ، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول ، وكثيراً ما يشكل علي شيء في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها ، فلا أجد ما يشفي وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب ... وهو كثير النظم ، جيد النثر في تراجمه ومراسلاته ومصنفاته » .[3]

وقال عمر رضا كحالة في ترجمته : « عالم ، أديب ، مفسر ، محدث ، ومؤرخ » .[4]

وأخيراً فمن تلك الجوانب وهذه الأقوال تبين لنا ما حَظيت به شخصية البقاعي - رحمه الله - من مكانة علمية مرموقة لدى أهل العلم من علماء عصره ومن جاء بعدهم ، وقبل أن أختم هذا المبحث أود أن أشير إلى أن هناك من نابذ البقاعي وخاصمه وعاداه وسفّهه وجهّله ، وكال له الاتهامات من أبناء عصره ، وذلك لأسباب عدة سأبينها - بإذن الله - في فصل مستقل قادم .[5]

---

(١) نظم العقيان (ص : ٢٤) .

(٢) شذرات الذهب (٩ / ٥٠٩ - ٥١٠) .

(٣) البدر الطالع (١ / ٢٠ - ٢١) .

(٤) معجم المؤلفين (١ / ٤٩) .

(٥) انظر : (ص : ١٢٤ - ١٢٩) .

المبحث السادس : أعماله ومناصبه :

تولى البقاعي رحمه الله في حياته مناصب وأعمالاً عدة ، كان من أبرزها :

١- التدريس بالمدرسة المؤيدية [١] ، وقام فيها بتدريس القرآن والقراءة والتجويد وهي من أول الوظائف التي قام بها رحمه الله . [٢]

٢- إقراء « **صحيح البخاري** » في القصر بقلعة الجبل [٣] بحضور السلطان في دولة الظاهر جقمق ، وذلك بتعيين وتوصية من شيخه ابن حجر . [٤]

٣- تولى مشيخة القراء بتربة أم الصالح [٥] بدمشق . [٦]

٤- النظر على جامع الفكاهيين [٧] . [٨]

٥- النظر على خان الزيداني . [٩]

---

(١) هي المدرسة التي أنشأها الملك المؤيد شيخ المحمودي ، والتي انتهت عمارتها سنة (٨١٩ هـ) ، وقد بلغ إجمالي ما أنفق عليها أربعين ألف دينار .
انظر : الخطط للمقريزي (٢ / ٣٢٨ - ٣٣٠) ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٢ / ٢٧٢) ، والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح عاشور (ص : ٣٣٤) .

(٢) انظر: إظهار العصر لأسرار أهل العصر للبقاعي (١/ ٢٦٨) ، والضوء اللامع للسخاوي (١/١٠٣)

(٣) قام بإنشائها صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٢ هـ) على قطعة من الجبل تتصل بجبل المقطم ، وتطل على القاهرة والنيل والقرافة . انظر : الخطط للمقريزي (٢ / ٢٠١ - ٢٠٥) .

(٤) انظر : إنباء الغمر (٩/ ٥٣) ، وإنباء الهصر للصيرفي (ص: ٥٠٨) ، والضوء اللامع (١/ ١٠٢).

(٥) هي التي بها المدرسة الصالحية التي أوقفها الملك الصالح إسماعيل بن العادل سيف الدين أبي بكر (ت ٦٤٨ هـ) . انظر : الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١ / ٣١٦) .

(٦) انظر : الضوء اللامع (١ / ١٠٦) .

(٧) ويعرف أيضاً « بجامع الظافر » أو « الجامع الأفخر » ، وهو الذي بناه الخليفة الظافر بنصر الله الفاطمي سنة (٥٤٣ هـ) . انظر : الخطط للمقريزي (٢ / ٢٩٣) .

(٨) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١/ ١٠٣) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٤/ ٢٢٦) .

(٩) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٣) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٤/ ٢٢٦).

المبحث السابع : صفاته وأخلاقه :

من خلال هذا المبحث - بإذن الله تبارك وتعالى - سألقي نظرة على جوانب من صفات وسيرة وأخلاق الإمام البقاعي - رحمه الله- ، وذلك من خلال النقاط التالية :

أولاً : تواضعه وقبوله وانقياده للحق :

لقد كان الإمام البقاعي - رحمه الله - أحد الباحثين عن الحق والداعين إليه ، والمتبعين له ، فإننا نجده يخاطب من حوله من أعدائه وأصدقائه ، راجياً منهم إسداء النصيحة له إن هم رأوا منه خطأً في كتاب أو مقولة ، قال - رحمه الله - في كتابه « **مصاعد النظر** » : « وأنا لم أدَّعِ العِصْمَةَ فيما قلت ، وما تركت أحداً ممن يلم بي، إلا قلت له : المراد ؛ الوقوف على الحق من معاني كتاب الله تعالى ، والمساعدة على ما ينفع أهل الإسلام ، فمن وجد لي خطأ فليخبرني به لأصلحه ، ووالله الذي جلت قدرته ، وتعالت عظمته ، لو أنَّ لي سعة تقوم بما أريد ، لكنت أبذُلُ مالاً لمن ينبهني على خطئي ، فكلما نبهني أحد على خطأ أعطيته ديناراً ، ولقد نبهني غير واحد على أشياء فيه ، فأصلحتها ، وكنت أدعو لهم ، وأثني عليهم ، وأقول لهم هذا الكلام ترغيباً في المعاودة إلى الانتقاد، والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد » .[1]

ثانياً : كفاحه في الحياة :

نشأ الإمام البقاعي - رحمه الله - كما تقدم [2] في أسرة فقيرة تعيش عيشة الكفاف، وبعد موت أفراد تلك الأسرة ضاقت به السبل وأصبح أفقر مما مضى ، وكان لهذه المعيشة أثرها الإيجابي بأن جعلته - رحمه الله - عصامياً مكافحاً معتمداً

---

(١) مصاعد النظر (١ / ١٠٤ - ١٠٥) .

(٢) انظر : (ص : ٤٦ - ٤٧) .

على نفسه بعد الله – عز وجل – في رسم طريق حياته وطريق تكسبه ، فوجدناه – رحمه الله – يطلب العيش الكريم بشتى الوسائل الشريفة الفضلى ، فَعَمِل في وظيفة تعليم الأطفال القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وعَمِل نَسَّاخاً لبعض كتب غيره من معاصريه ، كل ذلك نظير أجر معلوم .[1]

ثالثاً : اعتزازه بنفسه :

إن الناظر في كتابنا هذا[2] أو كتب المصنف الأخرى مثل « **نظم الدرر** »[3] ، و « **مصاعد النظر** »[4] يجد أن المؤلف – رحمه الله – كان يعتز بنفسه ، ويثني على مؤلفاته كثيراً ، حتى نجد أنَّ البعض ظن به الكِبْر والعُجب والتيه[5] ، بسبب هذا الاعتزاز والاطراء .

يقول الدكتور محمد بحيري في رسالته « **البقاعي وجهوده في التفسير** » في سبب اعتزاز المصنف بنفسه وبمؤلفاته ، بعدما ذكر ما اشتملت عليه مؤلفاته من علوم ونكات في مختلف المجالات : « إن أعداءه أنفسهم ، والمكثرين عليه ، هم الذين يدفعونه أن يقف هذا الموقف ؛ لأن الدفاع عن النفس يستتبع تزكيتها ، وكم في الإسلام من علماء ترجموا لأنفسهم بأقلامهم ، و لم يتورَّعوا عن ذكر مآثر أتوها ، ومواقف شريفة وقفوها ، و لم يَعُدَّ العلماءُ ذلك منهم أمراً منكراً ، والبقاعي الجليل من أولئك العلماء المعتزين بأنفسهم ، الذين وقفوا حياتهم على مقارعة الخصوم ، ومنازلة الأعداء ، وكان في ذلك صريحاً لا يداهن ، ومضطراً في بعض الأحيان أن

---

(١) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٢) .

(٢) انظر على سبيل المثال : (ص : ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٥٩٥) .

(٣) انظر على سبيل المثال : (١ / ٣ ، ٥ ، ٩) ، (٨ / ٦٢٠ – ٦٢٣) .

(٤) انظر على سبيل المثال : (١ / ١٠١ – ١٠٣ ، ١٤٦ ، ١٥٣) .

(٥) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٣) .

يدافع عن نفسه بما يشبه أن يكون مدحاً ، و لم يقصد من ذلك إلا تبديد الشبهات التي أثارها الأعداء في حقه ، وهذا يدخل تحت قوله تعالى : ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1] » [2] .

رابعاً : شجاعته وجهاده ومشاركته في الغزو :

لم يكن الإمام البقاعي - رحمه الله - منارة وعلماً في ميادين العلم ، ومَعلماً يرحل إليه طلاب العلم من كل حدب وصوب فحسب ، بل كان بالإضافة إلى ذلك جندياً من جنود الإسلام البواسل ، شجاعاً لا يرهب العدو ، ولا تخيفه كثرة الأعداء ، فنجده - رحمه الله - شارك المسلمين غزواتهم البحرية والبرية ، ورابط غير مرة في دمياط والإسكندرية ، وذلك في المعارك التي دارت رحاها بين المماليك ، وعباد الصليب من النصارى والإفرنج بين سنتي (٨٤٧ - ٨٤٨ هـ) ، والتي كان من أهمها غزوتا رودس [3] ، وقبرص [4] . [5]

---

(١) سورة الشورى - الآية : ٤١ - ٤٢ .

(٢) البقاعي وجهوده في التفسير (ص : ٨٣) .

(٣) هي جزيرة في بحر الروم - وهو البحر الأبيض المتوسط حالياً - كانت من الثغور الشامية ، افتتحها جنادة بن أبي أمية عنوة في خلافة معاوية ﷺ ، وبينها وبين قبرص عشرون ميلاً ، وكانت مقراً لتعليم الفلسفة قبل انتقال التعليم إلى الإسكندرية ، ومعنى رودس بلغة الإغريقيين : الورد .
انظر : الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص : ٢٧٨) .

(٤) هي جزيرة في بحر الروم- أي البحر المتوسط- وتكتب بالسين والصاد ، فتحت عنوة على يد معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما- سنة (٣٣ هـ) ، ومعنى قبرص بالعربية: النحاس الجيد .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/ ٣٠٥) ، والروض المعطار للحميري (ص : ٤٥٣).

(٥) انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٩ / ٢٠٠ - ٢١٣) ، وعنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦٥) ، ومصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٣) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٢) ، والبدر الطالع ==

كما كان قلبه - رحمه الله - مفعماً بحب النصر للإسلام والمسلمين ، يفرح لنصرهم ويتألَّم ويتفطَّر لهزيمتهم ، فعندما قرأ - رحمه الله - قصيدة استصراخ أهل سبتة المغربيَّة [1] حينما حاصرها واستولى عليها الإفرنج النصارى والتي مطلعها :

حُماة الهدى سَبْقاً وإن بَعُدَ المدى فقد سَألَتْكم نصرها مِلَّةُ الهدى

عارضها بقوله :

حُروف النِّدا سُحقاً لمن سمع النداً ولم يَهْتزِزْ شوقاً إلى صدمة العِدَى
لِيَكْسِر جمع الشِّرْك مُفرد عَزْمِهِ إذا ما تثنَّى الرُّمحُ شكراً وعَرْبدا
يكابد أنواع الشدائد وَحْدَهُ إذا سمع الإشراك بالله وَحَّدا
ويجعل ظهر الخيل حَبْساً مُؤبَّداً ليَنْتصِرَ الإسلامُ نصراً مؤبَّدا
ويُرسل من سُمر الرماح عَسَاكراً ويُتبِعُها بالبيض جُنداً مُجنَّدا
لِيَخطِف أبصار العِدَى بِبُروقها ويُرعِبَ أنصارَ الصَّليب ويُرعِدا
إذا استلَّ بيضَ الهندِ سحتْ بأحمر الـدِّماء فَعادَ الجَوُّ أزرقَ أسْودا
على سَبْتة تَهمِي الدموعُ سحائباً وتُفْني النواعي صَبْرَها والتَّجلُّدا
على سَبْتة تُذكى القلوب سعيرها ليقطُرَ دمعُ العين ورداً مُوَرَّدا
وتَنْفطِرُ الأكباد وهي نوادبُ لتلك النَّوادي مَرتَع الجود والنَّدى
لقد ناحتْ الدُّنيا إلى أن تضرَّعت ولم يبقَ منها موضعٌ أو تهدَّدا
وقد رُجَّتْ الآفاق شرقاً ومَغرباً وأكثر مَنْ في الكونِ شَجْواً وَعَدَّدا
وقد أسمعَ الملهوف لو أنَّ غوثهُ لِقَيد حياة مُطلقاً أو مقيَّدا
ولكن هي الأشباحُ قدْ دُفِنتْ بها الـ القلوب فما تحتاج حُفراً لِتُلحدا
لقد تَخَذُوا الدنيا قَراراً وغَرَّهم بنَيل الأماني مَنْ أضلَّ وما هدى [2]

للشوكاني (١ / ٢٠) .

(١) هي مدينة مشهورة من بلاد المغرب ، ويعد مرساها من أجود المراسي البحرية ، سقطت في أيدي الإفرنج سنة (٨١٦ هـ) ، وقيل : (٨١٧ هـ) ، وقيل : (٨١٨ هـ) ، وقيل: (٨٢٥ هـ) ، وينسب لها مجموعة من العلماء منهم ابن مراثة السبتي ، وابن غازي الخطيب، وابن عطاء الكاتب.

انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ١٨٢ - ١٨٣) ، ومقالة الأستاذ حسين اليعقوبي ضمن مجلة دراسات أندلسية ، العدد السادس (ص : ٥٠ - ٥٢) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٧٠ - ٣٧١) ، وشذرات الذهب لابن العماد

ولقد ألَّف وكتب – رحمه الله – عدة مؤلفات يحثُّ الناس فيها على الجهاد والغزو في سبيل الله ، ومن هذه الكتب : « **أخبار الجلاد في فتح البلاد** » ، و « **الاستشهاد بآيات الجهاد** » ، و « **أسواق الأسواق من مصارع العشاق** » ، و « **الإسفار عن أشرف الأسفار** » ، و « **الإخبار بأظرف الأخبار** » .[1]

قال – رحمه الله – في علة تأليفه لكتابه « **الاستشهاد بآيات الجهاد** » : « أفردته للأبطال، ترغيباً في الحرب والنزال لمقارعة أهل الضلال ، طمعاً في حسن المآل ».[2]

ثم ليعلم أن هذه الجندية ليست بغريبة عن البقاعي ، فقد ورثها – رحمه الله – عن آبائه وأجداده الذين كانوا فرساناً في الحروب ، شجعاناً عند النزال في الخطوب، وبذلك كان يفخر في إحدى قصائده فيقول :

إنا بنو حسنٍ والنَّاسُ تعرفُنا　　　وقتَ النزالِ وأسدُ الحربِ في حَنَقِ
كم جئتُ قفراً ولم يسلكْ بهِ بشرٌ　　　غيري ولا أنْسَ إلاَّ السيفَ في عُنقي[3]

خامساً : أخلاقه بوجهٍ عام :

إنَّ الناظر في سيرة وحياة البقاعي – رحمه الله – يظهر له بكل وضوح ما تمتَّعت به هذه الشخصية من أخلاقٍ نبيلةٍ وصفاتٍ حميدة مثل : مساعدة الضعفاء والفقراء بتلبية حوائجهم ، ومحاربة الفساد في كل صوره وأشكاله، ونصرة المظلومين ، والدفاع عنهم ، وعن حقوقهم ولو كان ذلك على حساب النفس وتشتيت الشمل .

==

(٩ / ١٨٣) ، ومقالة الأستاذ حسين اليعقوبي ضمن مجلة دراسات أندلسية (ص: ٤٩- ٥٥).

(١) انظر : مبحث مؤلفات البقاعي .

(٢) انظر : البقاعي وجهوده في التفسير لمحمد بحيري (ص : ١١٣) .

(٣) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١١٠ - ١١١) .

قال – رحمه الله – :

فلا حسد يبقى لـديـك ولا قلى　　　فتـنطق في مدحي بأي معان
وتنظر أوصافي فتعلم أنـهـا　　　علـت عن مدانٍ بأعز مكان
ويمسي رجالٌ قد تهدَّم ركنـهـم　　　فَمَـدْمَعُهُمْ لي دائم الهملان
فكم من عزيز بي يذل جـمـاحه　　　ويـطمع فيه ذو شقا وهوان
فياربَّ من يفجأ بهولٍ يـؤوده　　　ولو كنت موجوداً إليه دعاني
وياربَّ شخصٍ قد دَهَتْهُ مصيـبةٌ　　　لها القلب أسى دائم الخفـقان
فيطلب من يجلو صداها فلا يـرى　　　ولـو كنت جلتها يدي ولساني
وكم من ظالم نالته مني غضاضـة　　　لـنصرة مظلوم ضعيف جنان
وكم خطة سيـمت ذووها معرة　　　أعيذت بضرب من يدي وطعان
فإن يَرْثِنِي من كنت أجمع شمـله　　　بتـشتيت شملي فالوفا رثاني [(1)]

المبحث الثامن : تلاميذه

مما لا شك فيه أنّ عالماً في قوة ومنزلة الإمام البقاعي العلمية ، لا بد أن يكثر طلابه وتلامذته ، كما أن من طبيعة الموارد العذبة أن يكثر روادها ، كيما ينالوا من معينها وينهلوا من زلالها .

وإمامنا البقاعي – رحمه الله – كان منهلاً عذباً يكثر حوله الطلاب والتلاميذ ، الذين رحلوا من أجله من أماكن وبقاع شتى .

وكان من أبرزهم :

١ – المقرئ الشاعر شيخ قراء دمشق أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير بن خليل الرملي الدمشقي الشافعي (٨٥٤ – ٩٢٣ هـ) ، فقد لازمه مدة إقامته بدمشق وأخذ عنه « **ألفية الحديث** » ، وكتب عنه قطعة من « **نظم الدرر** » . [(2)]

---

(١) مصاعد النظر (١ / ١٤٠) .

(٢) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ٢٢١) ، والكواكب السائرة للغزي (١ / ١٣١) .

٢- العلامة حسن بن علي بن يوسف بن المختار الإربيلي الحصكفي الحلبي الشافعي الشهير بابن السيوفي ، وهي حرفة أبيه (٨٥٠ - ٩٢٥ هـ) ، وقد أخذ عنه سنة (٨٨١ هـ) .[١]

٣- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي الطولوني الشافعي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، وقد تردد عليه وسمع منه .[٢]

٤- العلامة المحدِّث أبو الخير وأبو فارس عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد ابن محمد الهاشمي المكي الشافعي ، المعروف بابن فهد (٨٥٠ - ٩٢١ هـ) .[٣]

٥- عبد القادر بن عمر بن حسين بن علي بن مشرف بن سعيد الزفتاوي القاهري المقسي الشافعي (ت ٨٨٣ هـ) ، وقد قرأ عليه « **شرح النخبة** » .[٤]

٦- العلامة المؤرخ أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر النعيمي الدمشقي (٨٤٥ - ٩٢٧ هـ) ، وقد أخذ عنه وأجاز له .[٥]

٧- أبو حامد عبيد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني الشافعي المعروف بابن السيد (٨٤٢ - ٩٠٠ هـ) ، وقد أخذ عنه بدمشق .[٦]

٨- علي بن إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري المقسي الشافعي المعروف بالكبشاوي وبالكلبشي - وربما الصالحي - المولود سنة (٨٤٠ هـ) ، وقد قرأ عليه

---

(١) انظر : الضوء اللامع (٣ / ١١٨ - ١١٩) ، والكواكب السائرة للغزي (١ / ١٧٨) .

(٢) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٤ / ٦٥ - ٧٠) ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٣٢٨ - ٣٣٥) .

(٣) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٤ / ٢٢٤ - ٢٢٦) ، والكواكب السائرة للغزي (١/ ٢٣٨).

(٤) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٤ / ٢٨١ - ٢٨٢) .

(٥) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٤ / ٢٩٢) ، والكواكب السائرة للغزي (١ / ٢٥٠) .

(٦) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٥ / ١١٩) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٦٥٠) .

« **نظم الدرر** » .[1]

٩- نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن علي المحلي القاهري الشافعي ، المعروف بابن قريبة ، وقد لازمه كثيراً ، وأوصى له البقاعي بكتبه بعد موته .[2]

١٠- أبو النجا محمد بن أحمد بن عبد الله بن رمضان القاهري الشافعي ، المعروف بالمخلص (ت ٨٩٦ هـ) ، وقد أخذ عنه سنة (٨٦٨ هـ) .[3]

١١- محمد بن أحمد بن علي بن محمد النشرتي القاهري الشافعي (٨٢١ - ٨٨١ هـ) ، وقد قرأ عليه « **مختصر الروح** » له .[4]

١٢- العلامة الفهامة أبو الجود محمد بن أحمد بن عيسى بن أحمد البدراني الدمياطي القاهري الشافعي ، المعروف بابن النجار (٨٤٥ - ٩٢٨ هـ) .[5]

١٣- محمد بن علي بن عبد الله البلان السدار ، المعروف بالمجاور (ت ٨٩٠ هـ) .[6]

١٤- العلامة المالكي يعقوب بن عبد الرحمن بن يعقوب بن عبد الرحمن المغربي الفاسي ، المعروف بابن المعلم (٨٢٤ - ٨٧٧ هـ) ، وقد حضر عليه مجالس كثيرة ، وقرأ عليه « **نظم الدرر** » وأجاز له .[7]

---

(١) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٥ / ١٥٢) .

(٢) انظر : (ص : ٢١٧) .

(٣) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٦ / ٣٢٤ - ٣٢٥) .

(٤) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٧ / ٨ - ٩) .

(٥) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٧ / ٣٥ - ٣٦) ، والكواكب السائرة للغزي (١ / ٣٣) .

(٦) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٨ / ١٩٥) .

(٧) انظر: عنوان الزمان للبقاعي (٤/ق ٣٣٧-٣٣٩)، والضوء اللامع للسخاوي (١٠/٢٨٤-٢٨٥).

المبحث التاسع : مؤلفاته

نُعت البقاعي - رحمه الله - بكثرة التأليف ، كما نُعتت مؤلفاته بالحسن والجودة [1] ، وتلك هي الغاية التي يصبو إليها كل مصنِّف ، فإننا نجده -رحمه الله- نبغ في جميع العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصره ، فقد ألَّف في القرآن والتفسير وعلومهما ، وفي الحديث وعلومه ، والعقائد والأديان ، والفقه ، والتاريخ ، والتراجم ، والحساب ، واللغة ، والأدب وغيرها من العلوم .

وقد نفع الله تبارك وتعالى بهذه المؤلفات في حياة المؤلف وبعد مماته فكانت خير مرجع لطلاب العلم ، ولمن أراد البحث والاستفادة ، وقد بلغ مجموع ما وقفت عليه من أسماء مصنفاته ثلاثاً وتسعين مصنفاً ، منها المطول ، ومنها المختصر .

وهاك أخي القارئ الكريم كتبه ومؤلفاته ورسائله مرتبةً حسب الحروف الهجائية ، مع الإشارة إلى المصادر والمراجع التي ذكرتها ، مع بيان المطبوع منها وغير المطبوع ، وأماكن وجودها ، وذلك كله قدر الإمكان ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

١- الإباحة في شرح الباحة في علمي الحساب والمساحة ، أو مشترك الملاحة في علمي الحساب والمساحة . والكتاب عبارة عن شرح منظومته في الحساب والمساحة المسماة بالباحة ، والتي بدأ تأليفها سنة (٨٢٧ هـ) ، ويوجد منه نسخة بالمكتبة الخديوية بدار الكتب المصرية ، تقع في نحو (٢٠٠) ورقة . [2]

---

(١) انظر : نظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٢٠) .

(٢) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦١) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ ب) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٢١٦) ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ / ١٨٣) ، ومقالة عيسى المعلوف في مجلة الزهراء - العدد الثامن - ١٣٤٥ هـ (ص : ٥١٤) ، وأعلام الفكر في دمشق لإحسان خلوصي (ص : ١٢) .

٢- إتمام إيساغوجي [1] في المنطق .

يوجد منه نسخة في مكتبة الأسد بدمشق برقم (١٤١١٤) في (٥) ورقات، نسخ سنة (١٠٠٢ هـ) . [2]

٣- الأجوبة السرية عن الألغاز الجزرية في القراءات .

يوجد منه نسخة مصورة على ميكرو فيلم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٢٨٩) ، وهي مصورة من نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ذات الرقم (١١٢ / ٥٩٥٠) وتقع في (١٥) ورقة . [3]

٤- أحسن الكلام المنتقى من ذم الكلام .

انتقاه - رحمه الله - من كتاب « **ذم الكلام** » [4] لشيخ الإسلام أبي إسماعيل

---

(١) قال حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ٢٠٦) عن معنى إيساغوجي : « هو لفظ يوناني معناه الكليات الخمس ، أي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق ، وقال بعضهم في ضبطه (شعر) :

جنس وفصل ونوع وخاصة عرض عام ... جملة را إيساغوجي كردند نام

وصنف فيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين كـ فرفوريوس الحكيم ، ومختصر كتاب فرفوريوس لأبي العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي المقتول سنة ست وثمانين ومائتين ... ، والمشهور المتداول في زماننا هو المختصر المنسوب إلى الفاضل أثير الدين مفضل بن عمر الأبهري المتوفى في حدود سنة سبعمائة ، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق ، سمي إيساغوجي مجازاً من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل ، أو المظروف على الظرف ، أو تسمية الكتاب باسم مقدمته ، وله شروح وحواش » .

(٢) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ / أ) ، ومقالة الأستاذ خير الله الشريف في مجلة آفاق الثقافة والتراث - العدد التاسع - محرم ١٤١٦ هـ (ص : ٨١) .

(٣) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق٤/أ)، ومقالة خير الله الشريف (ص: ٨١).

(٤) هذا الكتاب حققه كاملاً فضيلة الشيخ الفاضل د. عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل في الجامعة الإسلامية - قسم العقيدة - وطبع جزء منه ، ونسأل الله أن ييسر طبع الباقي وإخراجه .

عبد الله بن محمد الأنصاري (ت ٤٨١ هـ) ، وذلك بعد أن سمعه من شيخه الحافظ ابن حجر سنة (٨٤٦ هـ) .[(١)]

٥- أخبار الجلاد في فتح البلاد .

وقد تحدث في هذا الكتاب عن فتوحات الإسلام في عصره الأول ، ووصل فيه إلى خلافة عثمان بن عفان ﷺ ، والكتاب يوجد منه نسختان في إسطنبول ، في مكتبة داماد إبراهيم باشا برقم (٨٨٦) ، وفي مكتبة لا له لي برقم (١٩٩٤) ، ونسخة في المكتبة الوطنية بباريس برقم (٥٨٦٢) .[(٢)]

٦- الإدراك لفن الاحتباك .[(٣)]

وهو في الفنون البلاغية ، قال - رحمه الله - في « **نظم الدرر** » عن هذا الفن وهذا الكتاب : « وهو فن عزيز نفيس ، وقد جمعت فيه كتاباً حسناً ، ذكرت فيه تعريفه ومآخذه من اللغة ، وما حضرني من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء، وسميته « **الإدراك لفن الإحتباك** » .[(٤)]

٧- أُسد البقاع الناهسة لمعتدي المقادسة .

وهو عبارة عن كراريس ، تحدث فيها نظماً ونثراً عن كائنة وقعت له بالقدس

---

(١) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ١٧ ، ٨٢٧) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٤) .

(٢) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ أ) ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ / ١٨٣) ، ومعجم المؤرخين الدمشقيين لصلاح الدين المنجد (ص : ٢٦٠ - ٢٦١) ومقالة خير الله الشريف (ص: ٨١)، ومقدمة النكت الوفية للأخ جمعان الزهراني (ص: ٣٥).

(٣) انظر : نظم الدرر للبقاعي (١ / ٨٣) ، وهذا الكتاب (ص : ٦٢٠) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) ، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده (٢ / ٤٦٦) .

(٤) نظم الدرر (١ / ٨٣) .

سنة (٨٣٤ هـ) .[(١)]

٨- الاستشهاد بآيات الجهاد .

قال الدكتور محمد بحيري عنه : « ولقد اطلعت عليه وقرأته ، وهو عبارة عن جمع لآيات الجهاد من الكتاب العزيز ، قال البقاعي في علة تأليفه : أفردته للأبطال ، ترغيباً في الحرب والنزال ، لمقارعة أهل الضلال ، طمعاً في حسن المآل ، وهو على وجازته عظيم في ثمرته » .[(٢)]

والكتاب يوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (١٣٧٦ تصوف) .[(٣)]

٩- الإسفار عن أشرف الأسفار ، والإخبار بأظرف الأخبار ، كما يسمى الإسفار عن أشردة الأسفار . والكتاب ألَّفه - رحمه الله - عند خروجه إلى غزوتي قبرص ورودس - المتقدمتي الذكر [(٤)] - ولم يكن قد تم الفتح بعد .[(٥)]

١٠- أسواق الأشواق من مصارع العشاق .

والمصارع هو « **مصارع العشاق في مشارع الأشواق** » للإمام أبي محمد جعفر ابن محمد المعروف بابن السرَّاج (ت ٥٠٠ هـ) ، رتب البقاعي كتابه وهذَّبه ، وزاد عليه ، وأدخل فيه كتاب « **الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين** »

---

(١) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦٠) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ ب) ، والضوء اللامع للسخاوي (١٠ / ١١٠) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٨١) وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٢) البقاعي وجهوده في التفسير (ص : ١١٣) .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ومقدمة د. عبد السميع حسنين لمصاعد النظر (١ / ٥٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨١) .

(٤) انظر : (ص: ٦٨) .

(٥) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ ب) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٨٦) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٥) .

للحافظ مغلطاي (ت ٧٦٢ هـ) ، وكتاب « **منازل الأحباب ومنازه الألباب** » لشيخه الحافظ ابن حجر ، ويقع كتاب البقاعي هذا في مقدمة وعشرة أبواب ، ويوجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط برقم (٢٣٢٤) في (٢٨٠) ورقة نسخت سنة (٨٧٦ هـ) بخط علي بن محمد المنظراوي ، وأخرى في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض على ميكروفيلم رقم (٣٢٠ / ١) ، ونسختان في الأسكوريال بباريس .[(١)]

١١- الإشارة لمسألة تسابق الحدث والطهارة .

ويوجد من هذا الكتاب نسخة في مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة برقم (٨٣٠ ص) عام .[(٢)]

١٢- إشعار الواعي بأشعار البقاعي .

وهو عبارة عن ديوان شعر ضمنه أشعاره ، وقد ذكر جزءاً ليس بالقليل منه في كتابه « **عنوان الزمان** » .[(٣)]

١٣- أشلاء الباز ، على ابن الخباز .

وهو جزء جمعه في الرد على خصمه ناصر الدين ابن الزفتاوي -أحد النواب- وذكر أنه ندم على ما فعل ، فقرأ عليه وصيَّره من شيوخه .[(٤)]

---

(١) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦٢) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ أ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٧٠٣) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ / ١٨٣) ، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨١ - ٨٢) .

(٢) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ ب) .

(٣) انظر: عنوان الزمان للبقاعي (١/ق٣٦٥-٣٩٣)، وذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص: ٣٣٨)، ونظم العقيان للسيوطي (ص: ٢٤)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/١٠٤)، وهدية العارفين للبغدادي(٥/٢٢)، والأعلام للزركلي (١/٥٦)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٤٩).

(٤) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٩) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ١٠٥) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

١٤- أصول التواريخ .[١]

١٥- أطباق الأغلال في أعناق الضلال .[٢]

١٦- الاطلاع على حجة الوداع .[٣]

١٧- إظهار العصر لأسرار أهل العصر .

وهو عبارة عن تذييل على كتاب شيخه ابن حجر « **إنباء الغمر بأبناء العمر** » وقد بدأه بحوادث سنة (٨٥٥ هـ) وانتهى إلى سنة (٨٧٠ هـ)[٤] ، والكتاب طبع جزء منه ، وبالتحديد إلى سنة (٨٦٥ هـ) بتحقيق د. محمد شديد العوفي .

١٨- الإعلام بسن الهجرة إلى الشام .[٥]

والكتاب طبع عام ١٤١٨ هـ بتحقيق محمد مجير الخطيب الحسيني .

١٩- الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة .

وهو كتابنا هذا .

٢٠- إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر .

وهو كتاب مختصر ألَّفه - رحمه الله - بدمشق لما رأى اجتماع الصوفية على شيخٍ في الجامع يرقصون ويرفعون أصواتهم عنده ، فكتب نهياً لهم ، وذلك في سؤالٍ

---

(١) انظر : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٢٧٨) ، والبقاعي وجهوده في التفسير لمحمد بحيري (ص : ١١٣).

(٢) انظر : مقدمة د. محمد العوفي لكتاب البقاعي إظهار العصر لأسرار أهل العصر (١ / ٣٣) .

(٣) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (٣ / ٢٧٢) ، وذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٨) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ ب) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص: ٢٤) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ١١٧) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٤) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ١١٨ ، ١٧١)، وهدية العارفين للبغدادي (٥/٢٢) .

(٥) انظر : إيضاح المكنون للبغدادي (٣ / ١٠٢) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) .

سنة (٨٨١ هـ) . ويوجد منه نسخة في مكتبة تشستربيتي في دبلن بإيرلندا برقم (٣٦٦٦ / ١) عدد أوراقها (٢٨) ورقة ، نسخت في ٢٧ ذي القعدة سنة (٨٨١ هـ) بخط عمر ابن محمد بن علي المؤدب .[(١)]

٢١- الانتصار من المعتدي بالأبصار .[(٢)]

قال شيخه الكمال محمد بن الهمام في تقريظه له : « وقفت على ساحل بحر زاخر إذ وفقت للنظر في هذا المؤلف الباهر ، المنتصب على معارضه كالسيف الباتر، فلعمري لقد سلك في نطره - بعد سبيل الأبرار - ما يعجز عنه فحول راسخي النُّظَّار ، من دقائق زُبَدِ أَبْكَارِ الأفكار ... » .[(٣)]

٢٢- الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان .[(٤)]

والكتاب طبع عام ١٤١٦ هـ بتحقيق مجدي فتحي السيد .

٢٣- إيقاف المطالع على اتفاق المقاطع والمطالع ، أو تشنيف المسمع برد المقطع على المطلع ، وهو في التفسير .[(٥)]

٢٤- إيلاف المهتدين وإتلاف المعتدين .[(٦)]

٢٥- الباحة في علمي الحساب والمساحة .

---

(١) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ١٧٠) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، وفهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي (١ / ٣٩٤) ، ومقدمة د. عبد السميع حسنين لمصاعد النظر (١ / ٥٤ - ٥٥) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٥) .

(٢) انظر: مصاعد النظر للبقاعي (١/ ١٣٥)، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ أ) .

(٣) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٥) .

(٤) انظر: فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ أ)، وإيضاح المكنون للبغدادي (٣ / ١٥٢)، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٥) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ ب) .

(٦) انظر : المصدر السابق (ق ٣ أ) .

وهي منظومة في الحساب وبدأها سنة (٨٢٧ هـ) ، وانتهى منها سنة (٨٣٥ هـ) ، وهي التي شرحها وسماها بعد الشرح « **الإباحة في شرح الباحة في علمي الحساب والمساحة** »، أو « **مشترك الملاحة في علمي الحساب والمساحة** ».[(١)]

٢٦- بذل النصح والشفقة بصحبة السيد ورقة .

وهي رسالة أثبت فيها بما وقف عليه من أدلة صحبة ورقة بن نوفل ، وكان فراغه منها في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (٨٨٣ هـ) .

ويوجد منها نسخة في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٨٤٣٤) ، كما يوجد مصورتها في الجامعة الإسلامية برقم (١٥٦٢) وتقع في (٦٩) ورقة ، وكان نسخها سنة (٨٨٤ هـ) .[(٢)]

٢٧- بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع .[(٣)]

٢٨- بيان المخطئ والمصيب في اعتقاد العقلاء والمجاذيب .[(٤)]

٢٩- تتميم الخزرجية[(٥)] في العروض .[(٦)]

---

(١) انظر : (ص : ٤٩ ، ٥١) .

(٢) انظر : الأعلام للزركلي (١ / ٥٦) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٤٩) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٣) .

(٣) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٢٦٠) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٥) .

(٤) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ ب) .

(٥) وتعرف بالرامزة ، وهي من البحر الطويل في علم العروض والقوافي للإمام ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد المالكي الأندلسي الخزرجي (ت ٥٤٩ هـ) .
انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١١٣٥ - ١١٣٦) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٢٧٨) .

(٦) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ / أ) .

٣٠- تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد .

وهو عبارة عن رسالة رد فيها على ابن عربي في « **فصوصه** » ، وابن الفارض في « **تائيته** » ، وبيَّن ما فيهما من آثار أهل الوحدة والاتحاد .[1] والكتاب مطبوع بتحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل بالقاهرة سنة (١٣٧٢ هـ) كما طبع معه الكتاب الآتي ذكره « **تنبيه الغبي** »، وقد سمى المحقق الكتابين بـ « **مصرع التصوف** » .

٣١- التحرير لمسألة طال عنها التنفير في شرح الرافعي الكبير .[2]

٣٢- تحقيق الشرعة في مقتضى مسمى الركعة .

وهو في نحو نصف كراسة .[3]

٣٣- التحقيق لما يجب في مقالات الزنديق . وهو عبارة عن كراسة .[4]

٣٤- تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض ، أو تدمير المعارض في تقبيح ابن الفارض . وهو عبارة عن رد على من اعترض عليه في تكفير ابن الفارض .[5]

٣٥- ترياق الحاوي[6] للفتاوي .[7]

---

(١) انظر : نظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢١) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٣٥٥) ، وهدية العارفين للبغدادي (٢٢/٥) ، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) .

(٢) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ ب) .

(٣) انظر : المصدر السابق .

(٤) انظر : المصدر السابق .

(٥) انظر : نظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢١) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٣٨٢) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٥) .

(٦) أي الحاوي الصغير وهو أحد الكتب المعتمدة عند الشافعية لنجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت ٦٦٥ هـ) . انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٦٢٥) .

(٧) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ / ب) .

٣٦- تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي .[(١)]

قال في سبب تأليفه : « لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي المنسوب إلى التصوف ، الموسوم عند أهل الحق بالوحدة ، ولم أر من شفى القلب في ترجمته ، وكان كفره في كتابه « **الفصوص** » أظهر منه في غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً حتى يُعْلَم حاله ، فيُهْجَر مقاله ، ويعتقد انحلاله ، وكفره وضلاله ، وأنه إلى الهاوية مآبه ومآله » .[(٢)]

والكتاب مطبوع كما تقدم مع « **تحذير العباد** » ، وقام بطبعه الشيخ عبد الرحمن الوكيل تحت اسم « **مصرع التصوف** » .

٣٧- تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان .

وفيه ردٌ على الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة ، كما اعترض فيه على مقولة الغزالي في « **إحيائه** » : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » وقد فرغ منه سنة (٨٨٣ هـ) .

ويوجد منه نسخة في مكتبة الأسد بدمشق برقم (١٧٣٨١) في (٢٦) ورقة ، ونسختان في مكتبة بريل بهولندا .[(٣)]

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢١) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ ب) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٥١٠) ، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٧٩) .

(٢) تنبيه الغبي (ص : ١٨) .

(٣) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٥١٣) ، وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٩ / ٤٤٣) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، والإعجاز البياني لمحمد أحمد القاسم (٧٩ - ٨٠) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٣) ، وانظر أيضاً : (ص : ١١٥) من هذا الكتاب .

٣٨- تهذيب جمل الخونجي .

والجمل هو كتاب « **الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق وأحكامه** » للقاضي محمد بن ناماور الخونجي (ت ٦٢٤ هـ) ، قام البقاعي رحمه الله بتهذيب نظمه لابن مرزوق التلمساني (ت ٨٤٢ هـ) ، وفرغ منه سنة (٨٦١ هـ) .[(١)]

٣٩- جامع الفتاوي لإيضاح بهجة الحاوي[(٢)] .[(٣)]

قال البقاعي - رحمه الله - في وصف كتابه : « وهو كتاب غريب ، مزجت فيه كلام البهجة - على أنه نظم - بكلام الشرح مزجاً ، صارا بحيث يظن أن الكلامين متنٌ مستقل » .[(٤)]

٤٠- الجامع المبين لما قيل في ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ ... ﴾[(٥)] الآية .[(٦)]

٤١- الجواب المصري عن حديث عزي للحسن البصري .[(٧)]

٤٢- جواهر البحار في نظم سيرة المختار .

---

(١) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ أ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٦٠٢) .

(٢) بهجة الحاوي هي عبارة نظم كتاب الحاوي السابق الذكر ، وهي في خمسة آلاف بيت لزين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي (ت ٧٤٩ هـ) .
انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٦٢٧) .

(٣) انظر: مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٢)، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (٤ق/ ب) ومقدمة د. العوفي لإظهار العصر (١ / ٣٤) .

(٤) مصاعد النظر (١ / ١٣٢) .

(٥) سورة آل عمران - الآية : ١٤٦ .

(٦) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٢ / ١٦٣)، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ أ).

(٧) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) .

وهو عبارة عن أرجوزة في سبعمائة بيت ، أتمها في رشيد مصر ، في صفر سنة (٨٤٨ هـ) .

ويوجد منها نسخة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٦٤٢) ، وأخرى في دار الكتب المصرية برقم (٢١٤٣) في (٣٨) ورقة .[١]

٤٣- الجواهر والدرر في مناسبة الآي والسور .[٢]

٤٤- خير الزاد المنتقى من كتاب الاعتقاد .

انتقاه - رحمه الله - من كتاب « **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** » للإمام البيهقي صاحب « **السنن الكبرى** » (ت ٤٥٨ هـ) بعدما قرأه على شيخه الحافظ ابن حجر ، وقد فرغ منه في ذي القعدة سنة (٨٦١ هـ) .[٣]

٤٥- دلائل البرهان لمنصفي الإخوان على طريق الإيمان .

وهو عبارة عن رسالة أرسلها إلى بعض أحبابه وأصدقائه في القاهرة ، وقد فرغ منها سنة (٨٧٧ هـ) .[٤]

٤٦- دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان .[٥]

---

(١) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ أ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٦١٢) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومعجم المؤرخين الدمشقيين لصلاح الدين المنجد (٢٦٠ - ٢٦١) ، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) .

(٢) مقدمة د. العوفي لإظهار العصر (١ / ٣٥) .

(٣) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٧٢٧) ، (٢ / ١٣٩٣) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٦) .

(٤) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ / ب) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٧٥٩) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٥) هذا هو الصواب في اسم الكتاب كما هو موجود في نسخة الجامعة الإسلامية ، وكما ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩ / ٤٤٣) ، ومحمد الحسيني في مقدمة الإعلام بسن الهجرة إلى
==

وهو أحد الردود على مقولة الغزالي في « **إحيائه** » : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » ، وقد فرغ منه سنة (٨٨٤ هـ) بدمشق .

ويوجد منه نسخة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٤٧٦١) ، وأخرى في مكتبة آصف باستنبول برقم (١٣٠٤ - ١٠٩) .[١]

والكتاب قام بتحقيقه الأستاذ حسين اليعقوبي .[٢]

٤٧- دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم .

وهو عبارة عن مختصر لكتابه « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** » .

والكتاب يوجد منه نسخة في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم (٤٧٢٤) في (٤٦٤) ورقة .[٣]

٤٨- رد الجواب للسائل المرتاب .[٤]

٤٩- ردع الجاهل عن العالم العامل .[٥]

الشام (ص : ٦٧) ، وقد سماه كل من حاجي خليفة في الكشف (١ / ٧٥٩) ، والبغدادي في هدية العارفين (٥ / ٢٢) ، وكحالة في معجم المؤلفين (١ / ٤٩) ، وخير الله الشريف في مجلة آفاق الثقافة (ص : ٨٣) بـ « دلالة البرهان على أن ليس في الإمكان أبدع مما كان » وهذه التسمية ليست بصحيحة ، لأن المصنف - رحمه الله - كان ضد هذه المقولة جملة وتفصيلاً .

(١) انظر : مفاكهة الخلان لابن طولون (١ / ١٤ ، ٢٣) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٧٥٩) ، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي (٩ / ٤٤٣) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٤٩) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٣) .

(٢) انظر : مجلة دراسات أندلسية - العدد السادس (ص : ٤٩) .

(٣) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ أ) ، وإيضاح المكنون للبغدادي (٣ / ٤٧٥) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨١) .

(٤) انظر : مقدمة د. العوفي لإظهار العصر (١ / ٣٥) .

(٥) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ ب) .

٥٠- رسالة في اختلاف علماء الحنفية في الديار المصرية .

وهي من مخطوطات خزانة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة .(١)

٥١- رسالة في تراجم أحوال الرجال .

قال- رحمه الله - في مقدمتها : « قال أحوج خلق الله إلى عفو الحق أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن بكر البقاعي الشافعي نزيل القاهرة : هذه الكراسة التي خفيت أحوال منتخباتها على الحافظ أبي عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم ، فسأل عنها شيخه الحافظ أبا الحسن علي بن عمر الدارقطني ، فعلق بخطه تحت أساميهم ما صح له من أقوالهم ، وقال : ثم سألته فشافهني بها وكلهم من أهل العراق ، وقد رتَّبتُها ليسهل الكشف منها وبا لله التوفيق » .(٢)

ويوجد من هذه الرسالة نسخة في المتحفة البريطانية بلندن تحت رقم (٥٧ - ٨٦٥٥) في عدة أوراق بخط المؤلف ، وقد فرغ من تأليفها سنة (٨٥٢ هـ) بالقاهرة .(٣)

٥٢- رفع اللثام عن عرائس النظام .

وهو مختصر في العروض والقوافي ، وقد قسمه إلى قسمين : الأول في العروض، والثاني في القوافي ، فرغ من تأليفه سنة (٨٤٨ هـ) .(٤)

٥٣- زوال الشدة بقتال أهل الردة ، أو العدة في أخبار أهل الردة .(٥)

---

(١) انظر : مقالة عيسى المعلوف في مجلة الزهراء (ص : ٥١٤) .

(٢) انظر : مجلة لغة العرب - السنة السابعة (ص : ٦١٨) .

(٣) انظر : المصدر السابق .

(٤) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق٣ ب) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٩١٠ - ٩١١) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٥) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ أ) .

٥٤- سر البرهان من دُرّ الأوزان .

وهو عبارة عن رسالة في بحور الشعر .[١]

٥٥- سر الروح .

وهو مختصر لكتاب « **الروح** » للإمام ابن القيم (ت ٧٥١ هـ)[٢] ، والكتاب طبع مرتين الأولى بعناية محمد بدر الدين الحلبي سنة (١٩٠٨ م) بمطبعة السعادة ، والثانية بعناية محمود محمد نصار سنة (١٩٩٠ م) بمطبعة مكتبة التراث الإسلامي .

٥٦- السيف الصارم فيمن تكلم من المفتين في مسألة الخاتم .[٣]

٥٧- السيف المسنون اللماع على المفتي المفتون بالابتداع .

وهو عبارة عن ردّ على السيوطي الذي أفتى بلزوم قراءة الفاتحة في أعقاب الصلوات .

والكتاب يوجد منه نسخة في مكتبة تشستربيتي في دبلن بإيرلندا برقم (٣٦٦٦ / ٢) في (٢٥) ورقة ، نسخت في (١٢) رمضان سنة (٨٨٢ هـ) .[٤]

٥٨- شد الرحل لفهم أسرار آية النحل .[٥]

٥٩- شرح جمع الجوامع .

وهو شرح لكتاب « **جمع الجوامع** » في أصول الفقه ، لتاج الدين عبد الوهاب

---

(١) انظر : المصدر السابق (ق ٣ ب) .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٤٢١) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٣) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ ب) .

(٤) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٠١٨) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، وفهرست المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي (١ / ٣٩٤) .

(٥) انظر : فهرست مصفنات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) .

ابن علي السكبي (ت ٧٧١ هـ) .[١]

٦٠- شرح جواهر البحار في نظم سيرة المختار .

وهو عبارة عن شرح لكتابه جواهر البحار .[٢]

٦١- شرح الهداية إلى علوم الدراية .

وهو شرح لمنظومة الإمام ابن الجزري في الحديث المسماة « **الهداية إلى علوم الدراية** » ، والتي نظمها سنة (٨٣٣ هـ) .[٣]

٦٢- صواب الجواب للسائل المرتاب المعارض المجادل في كفر ابن الفارض .[٤]

قال صاحب « **كشف الظنون** » عن هذا الكتاب : « وذكر فيه أن رجلاً من الأغبياء رام إظهار بدعة الاتحادية ، سنة أربع وسبعين وثمانمائة بالقاهرة ، فأخذ يقرأ في شرح السعيد الفرغاني على « **التائية** » ، فقام في نصرة الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ، قاضي القضاة المحب ابن الشحنة الحنفي ، والعز الكناني الحنبلي ، وكمال الدين محمد بن إمام الكاملية الشافعي ، فاستند ذلك الشافعي إلى جماعة واستفتى فيمن قال بكفر عمر بن الفارض » وعدَّ جماعة منهم ، ثم قال : « ولما بلغ أجوبتهم البقاعي أجاب عنها أولاً ، ثم انتقى من « **التائيَّة** » ما يقارب أربعمائة وخمسين بيتاً ، شهد شراحها أن مراده منها صريح الاتحاد » .[٥]

٦٣- الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات .

---

(١) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٥٩٦) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٢) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ أ) .

(٣) انظر : فهرس الفهارس للكتاني (٢ / ٦٢٠) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٦) .

(٤) انظر : نظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢١) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٢٦٧) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٥) كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٢٦٧) .

وهو كتاب مختصر لطيف في القراءات ، ينحصر الكلام فيه في وسائل ومقاصد، والكتاب نشره الأستاذ محمد رستم في مجلة الأحياء - العدد السابع - رقم (١٩) في رمضان (١٤١٦ هـ) ، (ص : ١٧٧ - ٢١١) .

ويوجد منه نسخة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (٧٧٣) ، وفي مكتبة الأسد بدمشق رقم (٧٤٢٢) في (٨) ورقات ، نسخ سنة (٨٦٦ هـ) ، وفي مجموعة « جاريت / يهوذا » بجامعة برنستون في الولايات المتحدة رقم (٢٤٧) (١ / ب - ٨ / ب) ، وأخرى فيها أيضاً رقم (١٨٦١) ، وفي الخزانة العامة بالرباط رقم (٥٠٣ / د) الأوراق (١٩١ ب - ١٩٥ ب) ، وفي مكتبة يحيى أفندي في السليمانية باستنبول رقم (٦) ، وفي مكتبة H.H رقم (٧٥٥٩) ، وفي مكتبة محمد بن الأمين أبو خبزه .[١]

٦٤- عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة .

في هذا الكتاب هذب - رحمه الله - منظومة نور الدين محمد بن أحمد بن خطيب الدهشة المصري الحموي في الخط والشكل والنقط .[٢]

٦٥- عنوان الزمان في تراجم (بتراجم) الشيوخ والأقران .

جمع فيه - رحمه الله - شيوخه ، وأساتذته ، ومعاصريه ، وتلاميذه على حروف المعجم ، مع تحقيق أسمائهم ، وأنسابهم ، ووفياتهم على طريقة المحدثين في الدقة والتحقيق.

ويوجد منه نسخة في مكتبة كوبرلي بإسطنبول برقم (١١١٩) ، وهي

---

(١) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ أ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٠٩٠) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٣) ومقدمة الأستاذ محمد رستم في مجلة الأحياء - العدد السابع (ص : ١٨٣) .

(٢) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١١٤٢) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

المصورة في دار الكتب المصرية برقم (١٠٠١) تاريخ ، وهي المصورة أيضاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٢٩٨٥) ، وتقع هذه النسخة في أربع مجلدات مجموع صفحاتها (١٨٦٥) ، وأخرى في المكتبة الأحمدية بالزيتونة بتونس برقم (٥٣٤) ، وفي مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٤٣) تاريخ ، قطعة منها بخط المؤلف [١] ، وقد أفاد الدكتور عبد السميع حسنين أن الكتاب قيد التحقيق بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية . [٢]

٦٦- عنوان العنوان بتجريد أسماء الشيوخ والتلاميذ والأقران :

وهو مختصر لكتابه السابق ، وهو مطبوع ببيروت بدار الكتاب العربي سنة (١٩٨٧ م) . [٣]

٦٧- الفارض في تكفير ابن الفارض . [٤]

قال صاحب « **الكشف** » عنه : « ذكره - يعني البقاعي - في « **دلالة البرهان** »،

---

(١) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٥) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٥) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ أ) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٥١٠) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١١٧٤) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ / ١٨٢ - ١٨٣) ، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٣) .

(٢) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ٥٩) .

(٣) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٥) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١١٧٦) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومعجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة (ص : ١٤) ، ومقالة عيسى المعلوف (ص: ٥١٤) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٠).

(٤) انظر : تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد للبقاعي (ص : ٢٥٧) ، ونظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢١) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

وقال : ومن أراد بسط الأدلة في هذه الرسالة فعليه بكتابي « **الفارض** » فإنه بحر عباب ، وذكرى عظيمة لا يستغني عنه في هذا الزمان متشرع » . [(١)]

٦٨- الفتح القدسي في آية الكرسي .

فرغ من تأليفه في شعبان سنة (٨٧٩ هـ) بالقاهرة ، ويوجد منه نسخة في تشستربتي بإيرلندا برقم (٣٤٦٦ / ٤) عدد أوراقها من (٦٨ - ٩٥) ورقة ، ومن هذه صورة في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض على ميكروفيلم برقم (٣٦٦٦) في (٢٨) ورقة ، ويوجد منه نسخة أخرى في مكتبة أيا صوفيا في السليمانية باستنبول برقم (٣٨٧) ، وأخرى في مكتبة ولي الدين باستنبول برقم (٤٣١) في (١٢٠) ورقة . [(٢)]

٦٩- فصول القرآن وأصول الفرقان .

يوجد منه نسخة في خزانة جميل بك العظم ببيروت . [(٣)]

٧٠- فوح الزبد من سقط الزند .

انتقاه - رحمه الله - من ديوان سقط الزند لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري (ت ٤٤٩ هـ) . [(٤)]

٧١- قدح الفكر وتنوير البصر بأجوبة الشهاب ابن حجر في الفقه . [(٥)]

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٢١٥) .

(٢) انظر: فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١٢٣٣/٢)، وهدية العارفين للبغدادي (٢٢/٥)، وفهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي (٣٩٤/١-٣٩٥)، ومقالة خير الله الشريف (ص:٨٤)، وفهرس مخطوطات آل البيت (ص:٢٥).

(٣) انظر : مقالة عيسى المعلوف (ص : ٥١٤) .

(٤) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦٢) .

(٥) انظر : مقدمة د. محمد العوفي لإظهار العصر (١ / ٣٧) .

٧٢- القول الفارق بين الصادق والمنافق .[١]

٧٣- القول المعروف في الرد على منكري المعروف ، أو القول المألوف في الرد على منكر المعروف .

وهذا الكتاب عبارة عن رد على بعض المبتدعة الذين زادوا عقب أذان الصبح مقولة : يا دائم المعروف .[٢]

قال - رحمه الله - في مقدمة هذا الكتاب مبيناً سبب تأليفه : « فإن بعض أتباع الشياطين قد أحدثوا في القاهرة ، عقب أذان الصبح الذي مع الفجر : يا دائم المعروف ، وأخذوا ذلك من مكة المشرفة ، لأن سخفاء تقول ذلك على البناء الذي على زمزم بعد الأذان ، وأول ما ابتدع فيها ، قام بعض أهل الخير في إبطاله ، فعارضه من الفقهاء من زل عن الصراط الأقوم ... ، فزاد هؤلاء الذين بالقاهرة ان جعلوه على موضع الأذان من المؤذن نفسه ، فعمت بذلك البلوى في سنة (٨٧١ هـ) فتألمت من ذلك ، وأبطلته من كل مؤذن ... ، فأجبت ذاكراً مُسْتَنَدِي في ذلك ، إعلاماً بالحق لمن أراد ، وخروجاً من عهدته بين يدي الله » .[٣]

٧٤- القول المفيد في أصول التجويد .

وهو عبارة عن كتاب لطيف في التجويد ، حث المؤلف فيه طلاب العلم الصغار على حفظه والعمل به ، فرغ منه يرحمه الله سنة (٨٣٦ هـ) .

والكتاب طبع بتحقيق خير الله الشريف عام (١٤١٦ هـ) من قبل دار

---

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢) انظر : نظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢٠) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ ب)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٣٦٤) ، والفواكه العديدة في المسائل المفيدة لأحمد النجدي (١ / ٨٢ - ٨٣) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٣) انظر : الفواكه العديدة لأحمد النجدي (١ / ٨٢) .

البشائر الإسلامية ، وقام بتحقيقه أيضاً الأستاذ محمد رستم لكنه لم يطبعه .[1]

٧٥- كشف الغمة عن حكم بيع العبد للأَمَة .[2]

٧٦- كفاية القاري وغنية المقرئ في رواية أبي عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) ، والكتاب من أوائل الكتب التي ألفها - رحمه الله - وهو في علم القراءات .[3]

٧٧- الكلام على مسألة ما دام .[4]

٧٨- اللامعة المنيرة في تصوير السيرة .[5]

٧٩ - لعب العرب بالميسر في الجاهلية .

الكتاب بنصه مأخوذ من نظم الدرر عند قوله تعالى في سورة البقرة - الآية ٢١٩ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... ﴾[6] ، وهو مطبوع في بريل بمدينة ليدن سنة (١٣٠٣ هـ) ضمن مجموعة طرف عربية ، بتحقيق عمر السويدي .[7]

٨٠- ما لا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان .

وهو في علم النحو ، فرغ المؤلف - رحمه الله - منه سنة (٨٣٦ هـ) ،

---

(١) انظر: فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ أ) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص: ٢٤)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٣٦٥) ، ومقالة الأستاذ محمد رستم - (ص : ١٨٠) .

(٢) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ ب) .

(٣) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٠ - ١٣١) ، وفهرست مصفنات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ أ) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) ، وكشف الظنون (٢ / ١٥٠٠) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(٤) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ ب) .

(٥) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ ب) .

(٦) انظر : نظم الدرر للبقاعي (١ / ٤٠٩ - ٤١٥) .

(٧) انظر : طرف عربية لعمر السويدي (ص : ٢٨ - ٣٨) .

والكتاب يوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (١٥٩٣) .[(١)]

٨١- مختصر سيرة النبي ﷺ وثلاثة من الخلفاء الراشدين .

يوجد منه نسخة في مكتبة أحمد عبيد بدمشق ، وأخرى في برلين برقم (٩٦٩٤) .[(٢)]

٨٢- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور :

ويسمى أيضاً المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى ، والكتاب مطبوع بتحقيق د . عبد السميع محمد أحمد حسنين في الرياض عام (١٤٠٨ هـ) ، والكتاب حقق أيضاً في رسائل علمية ، من جماعة من الباحثين المغاربة من بينهم الأستاذ لحسن حريض .[(٣)]

٨٣- المعاني الألمعية في أصول اللغة العربية .[(٤)]

٨٤- مقامة الإعلام بأهل العلم والعوام .

فرغ من تأليفه في جمادى الآخرة عام (٨٣٥ هـ)[(٥)] ، ويوجد منه نسخة في

---

(١) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٥٧٥) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٤) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٤٩) .

(٢) انظر : تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ / ١٨٣) ، والإعلام للزركلي (١ / ٥٦) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٤) .

(٣) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ٩٨) ، ونظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢٠) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ ب) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٧٠٤) وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) ، ومقالة الأستاذ محمد رستم (ص : ١٨٠) .

(٤) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ أ) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ق ٥ ب) .

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٦٣٣) ، ويقع في (٣) ورقات .

٨٥- المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي .

وفي هذا الكتاب مدح الغزالي في أوله ثم رد عليه مقولته : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » . [١]

٨٦- الملتقط من معجم الطبراني الأوسط . [٢]

٨٧- منتقى الغريب الفاني من الترغيب للأصفهاني [٣] . [٤]

٨٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .

وهو كتابه المشهور في التفسير والذي من أسبابه قام عليه خصومه وحساده ، وقد فرغ - رحمه الله - من تأليفه في شعبان سنة (٨٧٥ هـ) ، وكان قد بدأ تأليفه في شعبان سنة (٨٦١ هـ) . [٥]

قال -رحمه الله- في مقدمته : « فهذا كتاب عجاب ، رفيع الجناب ، في فن ما رأيت من سبقني إليه ، ولا عوّل ثاقب فكره عليه ، أذكر فيه إن شاء الله مناسبات ترتيب السور والآيات ، أطلت فيه التدبر وأنعمت فيه التفكر لآيات الكتاب » . [٦]

---

(١) انظر : إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٩ / ٤٤٣) .

(٢) انظر : مقدمة د. العوفي لإظهار العصر (١ / ٣٧) .

(٣) أي كتاب الترغيب والترهيب للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني (ت ٥٣٥ هـ) .
انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٤٠٠) .

(٤) انظر : مقدمة د. العوفي لإظهار العصر (١ / ٣٧) .

(٥) انظر : هذا الكتاب (ص : ١٨٩ -١٩١) ، ومصاعد النظر للبقاعي (١ / ١١٢ - ١٣٢) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٥ أ) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٩٦١ - ١٩٦٢)، والبدر الطالع للشوكاني (١ /٢٠)، والأعلام للزركلي (١ / ٥٦) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٤٩) .

(٦) نظم الدرر للبقاعي (١ / ٣) .

وقد أثنى عليه جمهرة كبيرة من أهل العلم كما سيأتي في الفصل الأول من كتابه هذا ، وكما هو موجود أيضاً في مقدمة « **مصاعد النظر** » [(١)] ، وكتاب « **نظم الدرر** » هذا طبع كاملاً في حيدر أباد الدكن بالهند سنة (١٩٧٦ هـ) ، وطبع مرة أخرى كاملاً أيضاً بتحقيق عبد الرزاق غالب المهدي في بيروت سنة (١٤١٥ هـ) ، وقد قام بعض الباحثين في جامعة الأزهر بتحقيقه ضمن برنامج أُعِدَّ لنيل درجة الدكتوراه من خلاله .

٨٩- النكت والفوائد على شرح العقائد . [(٢)]

ويوجد منه نسخة في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٢٩٦٣) في (١٧٧) ورقة نسخها سنة (٨٧٣ هـ) محمد بن محمد الظاهري [(٣)] ، وذكر الأستاذ محمد رستم أن الكتاب قد حُقِّقَ . [(٤)]

٩٠- النكت الوفية بما في شرح الألفية .

والكتاب عبارة عن حاشية على ألفية الحديث للزين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) أورد فيها البقاعي – رحمه الله – ما سمعه من شيخه الحافظ ابن حجر . [(٥)]

---

(١) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١١٢ - ١٣٢) .

(٢) أي شرح سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) على كتاب العقائد النسفية لأبي حفص عمر بن محمد النسفي (ت ٥٣٧ هـ) ، وهو من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة .
انظر : كشف الظنون (٢ / ١١٤٥ - ١١٤٩) ، وهدية العارفين (٥ / ٢٢) .

(٣) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٣ أ) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص: ٢٤)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١١٤٨) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، ومقالة خير الله الشريف (ص : ٨٤) .

(٤) انظر : دراسته للمؤلف في مجلة الإحياء (ص : ١٨٠) .

(٥) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٥) ، وفهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ / ل أ) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ١٥٦) ، ==

والكتاب حُقِّقَ كاملاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من قبل الإخوة الأفاضل : خبير خليل ، ويحيى الأسدي ، وعبد الرحمن الرشيدان ، وجمعان الزهراني ، وسيطبع بإذن الله قريباً كما أفادني بذلك بعضهم .

٩١- وشي الحرير في اختصار تفسير ابن جرير .

وهو عبارة عن اختصار تفسير ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، التزم فيه المصنف عدم حذف الأسانيد أو المعاني ، وأن يكون المختصر مقدار نصف حجم الأصل أو أزيد بقليل .[1]

٩٢- الوفيات .

ذكر فيه - رحمه الله - أسماء من توفي ، وتاريخ وفاتهم من سنة الهجرة إلى سنة (٧٤٥ هـ) ، ويوجد منه نسخة بخط المؤلف في مكتبة عاشر أفندي في مجموع تحت رقم (١١٦٢) في (١٤) ورقة .[2]

٩٣- وهن الخاتم عن مسألة الخاتم .[3]

وإيضاح المكنون للبغدادي (٤ / ٦٧٨) ، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

(١) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٦١) .

(٢) انظر : معجم المؤرخين الدمشقيين لصلاح الدين المنجد (ص : ٢٦٠ - ٢٦١) ، ومقدمة د. عبد السميع حسنين لمصاعد النظر (١ / ٦٢) .

(٣) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٤ أ) .

المبحث العاشر : مذهبه الفقهي :

يتفق جميع المؤرخين الذين ترجموا له على أنه كان شافعي المذهب ، وإن كان قد سمع من غير الشافعيين في الفقه ، كما يعتبر - رحمه الله - من المتعمقين في دراسة أبواب ومسائل المذهب ، ولا غرو في ذلك لأنَّ دراسته كانت على كبار فقهاء المذهب في عصره أمثال التاج بن بهادر ، وابن قاضي شهبة ، والشرف السبكي ، والحافظ ابن حجر رحم الله الجميع .[1]

المبحث الحادي عشر : عقيدته :

نشأ الإمام البقاعي - رحمه الله - كما تقدم في عصر ظهر فيه كثيرٌ من المجادلات والمحاورات حول بعض القضايا العقدية ، والتي ارتفع صيتها في ذلك العصر ، فكان له موقفه وكلمته منها .

ومن خلال هذا المبحث سأتطرَّق - بإذن الله - إلى أهم تلك القضايا موضِّحاً موقفه منها ، ولكن قبل أن أبدأ الحديث عنها أودُّ أن أذكر أمراً هاماً يتعلق بعقيدته من جهة أسماء الله وصفاته .

فقد سلك - رحمه الله وعفا عنا وعنه - مسلك الأشاعرة فيها ، وهو المسلك الذي كان يسير عليه كثير من مشايخه ، وعلماء عصره في ذلك الوقت ، وهو مسلك مخالف لمسلك ومنهج السلف الصالح رحمهم الله .

فإننا نجده يصف منهج السلف الصالح بوصف باطل ، ولا يليق أن يصدر من

---

(1) انظر : عنوان الزمان للبقاعي (١ / ق ٣٥١) و ص (٣٥٤) من هذا الكتاب ، وإنباء الهصر للصيرفي (ص : ٥٠٨) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ٢٤) ، وبدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٩٦) ، والمبحث الثالث من هذا الفصل .

مثله .

قال في « **النكت الوفية** » : « فإنه ربما فهم الشيء على غير وجهه ، فكان فهماً ضاراً كفهم أهل الإلحاد لآيات الصفات وأحاديثها على ظواهرها ، فإن ذلك ضار ، بل هو أضر الأشياء ، فإنه حالق للدين من أصله ، لأن أهل الإسلام اتفقوا على صرفها عن الظاهر الذي يلزم منه التشبيه أول كل شيء ، ثم انقسموا بعد ذلك إلى ساكت مفوِّض وإلى قائل مؤوِّل ، فَمن حمل على الظاهر فقد خالف الأمة ، واتبع غير سبيل المؤمنين وشاقق الله ورسوله ، من بعد ما تبين له الهدى » .[1]

ونجده – عفا الله عنا وعنه – أوَّل صفة الاستواء ، كما نفى أن يكون لله أصبعاً أصلاً ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[2] حيث قال : « ﴿ اسْتَوَى ﴾ أي أخذ في تدبير ذلك منفرداً ، فخاطب العباد بما يفهمونه من قولهم : فلان استوى أي جلس معتدلاً على سرير الملك ، فانفرد بتدبيره ، وإن لم يكن هناك سرير ، ولا كون عليه أصلاً ، هذا روح هذه العبارة ، كما أن روح قوله عليه الصلاة والسلام الذي رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – : « **القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء** »[3] : أنه سبحانه وتعالى عظيم القدرة على ذلك ، وهو عليه يسير خفيف كخفته على من هذا حاله ، وليس المراد أن هناك إصبعاً أصلاً ، نبَّه على ذلك حجة الإسلام الغزالي ، ومنه أخذ الزمخشري أن يد فلان مبسوطة كناية عن جواد ، وإن لم

---

(١) النكت الوفية للمؤلف ، تحقيق الأخ جمعان الزهراني (ص : ٢٦٩) .

(٢) سورة طه – الآية : ٥ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه – كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٤ / ١٦٢٣ – رقم ٢٦٥٤) .

يكن هناك يد ولا بسط أصلاً » . [١]

كما نجده – عفا الله عنا وعنه – أوَّل صفة اليدين لله تبارك وتعالى عند قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢] حيث قال : « ولما كان العالم العلوي أشرف ، شرَّفه عند التمثيل باليمين فقال : ﴿ بِيَمِينِهِ ﴾ ، ولما كان هذا إنما هو تمثيل بما نعهد ، والمراد به الغاية في القدرة ، نزَّه نفسه المقدَّس عمَّا رُبَّما تشبَّث به المجسِّم والمشبِّه فقال : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ أي تنزه من هذه القدرة قدرتُه عن كل شائبة نقص وما يؤدِّي إلى النقص من الشرك والتجسيم وما شاكله » . [٣]

هذا هو مسلك البقاعي – عفا الله عنا وعنه – في الأسماء والصفات وهو مخالف لمنهج السلف الصالح – رحمهم الله – في الأسماء والصفات ، فإنَّ منهجهم فيها قائم على إثبات أسماء الله تعالى وصفاته التي ورد بها الكتاب العزيز ، والسنة المطهَّرة ، والإيمان بها من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ، وعدم البحث عن كيفيتها ولا عن كنهها ، والإيمان بها حقيقة لا مجازاً على الوجه اللائق بكمال الله تعالى وجلاله وعظمته ، ونفي ما نفاه الكتاب والسنة من صفات لا يجوز ولا يليق أن يوصف بها سبحانه وتعالى .

ومنهجهم هو منهج وسط بين الجافية والغالية ، بين المعطِّلة من الجهمية ، والمعتزلة ، ومن سلك مسلكهم من الأشاعرة ، وغيرهم من الذين يُلحدون في أسماء الله وصفاته ، ويعطِّلون حقائق ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله ﷺ ،

---

(١) نظم الدرر (٥ / ٩ – ١٠) .

(٢) سورة الزمر – الآية : ٦٧ .

(٣) نظم الدرر (٦ / ٤٦٩ – ٤٧٠) .

وبين الممثِّلة من الكرامية ، وغلاة الرافضة الذين يضربون لله - عز في علاه - الأمثال ويُشَبِّهُونَهُ بالمخلوقات ، وكلا المذهبين مجانب للصواب ، والمذهب الذي لا معدل عنه ، لكل مَن يريد السير على الصراط المستقيم هو مذهب السلف الذي هو أسلم وأعلم وأحكم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ملخصاً مذهب السلف - رحمهم الله - في هذا الباب : « فالأصل في هذا الباب أن يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد علم أن طريق سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك يَنفون عنه ما نفاه عن نفسه ، مع إثبات ما أثبته من الصفات ، من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته ، فإن الله تعالى ذمّ الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ... ﴾ [(٢)] الآية ، فطريقتهم تتضمَّنُ إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [(٣)] ، ففي قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ردٌّ للتشبيه والتمثيل ، وفي قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ردٌّ للإلحاد والتعطيل » [(٤)] .

هذا هو منهج السلف في معرفتهم لربهم ، عن طريق معرفة أسمائه وصفاته التي

(١) سورة الأعراف - الآية : ١٨٠ .

(٢) سورة فصلت - الآية : ٤٠ .

(٣) سورة الشورى - الآية : ١١ .

(٤) مجموع الفتاوى (٣ / ٣ - ٤) .

اتصف بها ، كما جاءت به الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهو الذي عليه أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين ، ومن سلك مسلكهم من علماء المسلمين .[1]

ثم بعد أن عرف مسلكه - عفا الله عنا وعنه - في أسمائه وصفاته أعود إلى ما أشرت إليه في السابق وهو ذكر موقفه من أهم القضايا العقدية المنتشرة في عصره .

أولاً : موقفه من قطبَيْ الحلول والاتحاد - ابن عربي[2]

---

(١) انظر في الكلام عن منهج السلف في الأسماء والصفات :
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢ / ١٩٣ - ٣٦٨)، (٣ / ٣٧٥- ٥٢٤)، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص : ٢١ - ٢٥) ، والتدمرية لابن تيمية (ص : ٣١ - ٤٤) ، والعقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها لمحمد خليل هراس (ص : ٢٠ - ٤٥) ، والفتوى الحموية الكبرى - ضمن مجموع الفتاوى (٥ / ٥ - ٨٠) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤ / ١ - ١٣ ، ١٧٣ - ١٨٦) ، (٦ / ٣٣ - ٤٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦) ، وبدائع الفوائد لابن القيم (١ / ١٦٩ - ١٧٠) ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص : ٣٣٦ - ٣٤٨ ، ٤٥٤ - ٤٦٥) ، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي ، والقواعد المثلى لابن عثيمين .

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي المولود بمرسية سنة (٥٦٠ هـ) ، والمتوفى بدمشق سنة (٦٣٨ هـ) ، صاحب الشطحات العظيمة ، والقول بوحدة الوجود ، وهو الشيخ الأكبر والإمام الأعظم عند الصوفية ، تكلم فيه كثير من العلماء وحذروا من كتبه التي ملئت بالكفر والضلال والقول بالوحدة والاتحاد ، نسأل الله السلامة والعافية والتي منها : فصوص الحكم ، والفتوحات المكية .
قال الذهبي -رحمه الله -في السير (٢٣ / ٤٨) : « ومن أردء تواليفه كتاب الفصوص ، فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة ، فوا غوثاه بالله ! » .
ونقل أيضاً عن شيخه ابن دقيق العيد (٢٣ / ٤٨ - ٤٩) أنه سمع العز بن عبد السلام يقول عن ابن عربي : « شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا » .
وقال أيضاً في ميزان الاعتدال (٥ / ١٠٦) : « من أمعن النظر في فصوص الحكم ، أو أنعم التأمل لاح له العجب ، فإن الذكي إذا تأمل من ذلك الأقوال والنظائر والأشباه فهو أحد رجلين : إما من
==

وابن الفارض [1] - :

==

الاتحادية في الباطن ، وإما من المؤمنين با لله الذين يعدون أن هذه النحلة من أكفر الكفر ، نسأل ا لله العفو ، وأن يكتب الإيمان في قلوبنا ... » إلى أن قال : « فوا لله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ، ويؤمن با لله واليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق » .

وقال البقاعي عنه في تنبيه الغبي (ص : ١٨) : « وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره » .

وقال أيضاً (ص : ٢٢) عند ذكر تسمية كتابه التنبيه : « وسميت هذه الأوراق تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي ، وإن شئت فسمها النصوص من كفر الفصوص » .

انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢ / ١٢١ - ١٣٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣ / ٤٨ - ٤٩) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٥ / ١٠٥ - ١٠٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٧ / ٣٣٢ - ٣٤٨) ، والصوارم الحداد القاطعة للشوكاني (ص : ١٠٦) ، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح (١ / ٥٢٦ - ٥٣٥) .

(١) هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي المصري المعروف بابن الفارض المولود بالقاهرة سنة (٥٦٦ هـ) وقيل (٥٦٧ هـ) ، والمتوفى بها سنة (٦٣٢ هـ) صاحب التائية المشهورة ، والتي كانت على اصطلاح الاتحادية ، والتي بسببها رمي بالزندقة والضلال .

قال الذهبي - رحمه ا لله - عنه في السير (٢٢ / ٣٦٨) : « صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية .... ، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده ، فما في العالم زندقة ولا ضلال ، اللهم ألهمنا التقوى ، وأعذنا من الهوى ، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله ؟ ! فلا حول ولا قوة إلا با لله » .

وقال في الميزان (٤ / ١٣٤) عنه : « ينعق بالاتحاد الصريح في شعره ، وهذه بلية عظيمة ، فتدبر نظمه ولا تستعجل ، ولكنك حسن الظن بالصوفية ، وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة ، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي ، فقد نصحتك وا لله الموعد » .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله -في لسان الميزان (٤ / ٣١٨) : « وقد كنت سألت شيخنا الإمام سراج الدين البلقيني عن ابن عربي فبادر الجواب بأنه كافر ، فسألته عن ابن الفارض فقال :

==

إن من أهم القضايا التي تصدّى لها البقاعي - رحمه الله - وبذل في سبيل إبطالها ودحضها ما لم يبذله في غيرها ، قضية الحلول والاتحاد ، والرد على قطبيه : ابن عربي وابن الفارض ، فنجده - رحمه الله - ألّف في الرد عليهما مصنفات عدة كان من أهمها : « **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي** » ، « **وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد** » ، « **والفارض في تكفير ابن الفارض** » ، « **وتدمير المعارض في تكفير ابن الفارض** » ، « **وصواب الجواب للسائل المرتاب المعارض المجادل في كفر ابن الفارض** » .

ومن خلال الأسطر القادمة - بإذن الله تعالى - سألقي نظرة على أهم المآخذ والانتقادات التي انتقدها - رحمه الله - عليهما .

أ- أهم مآخذه - رحمه الله - على ابن عربي :

١- قال -رحمه الله- عنه : « وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة وهي : أنه لا شيء سوى هذا العالم ، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، ثم إنه يسعى في إبطال الدين من أصله ، بما يحل به عقائد أهله ، بأن كل أحد على صراط مستقيم ، وأن الوعيد لا يقع منه شيء ، وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة ، ونحو ذلك . وإن حصل لأهله أَلَمٌ فهو لا

==

لا أحب أن أتكلم فيه ، قلت : فما الفرق بينهما والموضع واحد ، وأنشدته من التائية فقطع علي بعد إنشاد عدة أبيات بقوله : هذا كفر ، هذا كفر » .

انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢ / ١١٥ ، ١٢٣ - ١٢٤ ، ٢٩٤) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢ / ٣٦٨ - ٣٦٩) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٤ / ١٣٤ - ١٣٥) ، ولسان الميزان لابن حجر (٤ / ٣١٨) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٧ / ٢٦١) ، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح (١ / ٥١٩ - ٥٢٦) .

ينافي السعادة والرضى ، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا ، وهذا يحط عند من له وعي على اعتقاد أنه لا إله أصلاً ، وأنه ما ثمَّ إلاَّ أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما وراء ذلك شيء » . (١)

٢- وقال - رحمه الله - عنه : « وقد أصَّل لهم غَوِيُّهم هذا كما صرَّح به في الفص النوحي : أن الدعوة إلى الله مكر !! ونسب ذلك إلى الأنبياء - عليهم السلام - فقال : ادعوا إلى الله فهذا عين المكر » . (٢)

٣- وقال - رحمه الله - في معرض الرد عليه : « فكيف بمن يقول : إن جميع الخلق من أهل الملل وغيرها على صراط مستقيم ، وإن فرعون مات طاهراً مطهراً ، بعد النص القطعي على أنه من أهل النار بقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (٤) ، وقال : إن كل عابد شيئاً فهو عابد لله ، وحرَّف ما أخبر به عن عذاب قوم نوح وهود ... فكيف بمن يقول صريحاً : إن الخلق هو الحق ، والحق هو الخلق ، والحق هو الإنسان الكبير ، وهو حقيقة العالم وهويته .... ، فكيف بمن صرَّح بأنه (٥) عين كل شيء ... ، وأن الضلال أهدى من الهدى ، لأن الضال حائر ، والحائر دائر حول القطب، والمهتدي سالك في طريق مستطيل ، فهو بعيد عن القطب » . (٦)

٤- قال - رحمه الله - ناقلاً كلامه في أن النار عين الجنة : « ثم قال : الثناء

---

(١) تنبيه الغبي (ص : ١٩) .

(٢) المصدر السابق (ص : ٢٠) .

(٣) سورة يونس - الآية : ٨٣ .

(٤) سورة غافر - الآية : ٤٣ .

(٥) أي الله سبحانه وتعالى .

(٦) تنبيه الغبي (ص : ٢٨ - ٣٢) .

بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد ، والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات ، فيثني عليها بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[1]، لم يقل: ووعيده، بل قال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[2] ، مع أنه توعد على ذلك، فأثنى على إسماعيل -عليه الصلاة والسلام- بأنه كان صادق الوعد:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وما لِوَعيدِ الحقِّ عين تُعَايَنُ
وإن دخلوا دار الشقاء فإنَّهُم ... على لَذَّةٍ فيها نعيم مباين
نعيم جِنَان الخلد فالأمر واحد ... وبينها عند التجلي تباين
يُسَمَّى عذاباً من عُذُوبة لَفْظِهِ ... ذاك له كالقِشْرِ والقِشْرُ صائِنُ »[3]

٥- وقال - رحمه الله - ناقلاً كلامه في أن الضال مهتد والكافر مؤمن :

« ثم قال : نحن على الصراط المستقيم الذي الرب عليه ، لكون نواصينا في يده ، تستحيل مفارقتنا إياه ، فنحن معه بالتضمين ، وهو معنا بالتصريح ، فإنه قال : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[4] ، ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا ، فهو تعالى مع نفسه حيثما مشى بنا من صراطه ، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ».[5]

٦- وقال - رحمه الله - ناقلاً كلامه وتمجيده لقوم موسى حينما عبدوا العجل ، ثم نقل - رحمه الله - كلام زين الدين العراقي في ذم كلام ابن عربي :

« ثم قال : وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هارون ، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل ، لعلمه بأن الله قد قضى ألا نعبد إلا إياه ، وما حكم الله بشيء إلا وقع ، فكان عتب موسى أخاه هارون ، لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه ،

---

(١) سورة إبراهيم - الآية : ٤٧ .

(٢) سورة الأحقاف - الآية : ١٦ .

(٣) تنبيه الغبي (ص : ٧٥) .

(٤) سورة الحديد - الآية : ٤ .

(٥) تنبيه الغبي (ص : ١٠٨) .

فإن العارف مَن يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء » قال الشيخ زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور : « وهذا الكلام كفر من قائله من وجوه :

أحدها : أنه نسب موسى – عليه السلام – إلى رضاه بعبادة قومه للعجل .

الثاني : استدلاله بقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [1] على أنه قدر أن لا يعبد إلا هو ، وأن عابد الصنم عابد له .

الثالث : أن موسى – عليه السلام – عتب على أخيه هارون – عليهما السلام- إنكاره لما وقع ، وهذا كذب على موسى – عليه السلام – ، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبه لعبادتهم العجل .

الرابع : أن العارف يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، فجعل العجل عين الإله المعبود ، فليعجب السامع لمثل هذه الجرأة التي لا تصدر ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان » . [2]

٧- وقال – رحمه الله – عنه وعن كتابه « **الفصوص** » : « هذا آخر الكتاب ، المباعد للصواب ، المراد للشك والارتياب ، لعنة الله على معتقده ، ورحمة الله على منتقده ، قد تم – ولله الحمد – ما أردت انتقاده منه ، مترجماً بسوء السيرة ، وقبح السريرة عنه ، وانتهى ما وقع انتقادي عليه ، وأدّاني اجتهادي إليه ، من واضح كفره ، ودقيق مكره ، وَجَلِيِّ شَرِّهِ ، أعاذنا الله بحوله وقُوَّته من شكوكه ، وعصمنا من زيغ طريقه ، وباعدنا من سلوكه » . [3]

---

(١) سورة الإسراء – الآية : ٢٣ .

(٢) تنبيه الغبي (ص : ١٢١ – ١٢٢) .

(٣) المصدر السابق (ص : ١٤٩) .

ب- أهم مآخذه - رحمه الله - على ابن الفارض :

١- قال - رحمه الله - منكراً عليه قوله بالاتحاد ووحدة الأديان : « وعلى هذا الأصل المخبث الخبيث ، وهو الاتحاد بين جميع الكائنات وأنه لا غير ، ولا غيرية في شيء من الوجود ، فرع صحة كل دين ؛ لأن الفاعل عنده إنما هو الله ، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عداه باطل ، فصار المحامي له خاذلاً لمن ينصره ، فإنَّ مَن كفَّر ابن الفارض ساعٍ جهده في نصر دين الإسلام ، وتأييد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأغلب المحامين له يعتقدون أن دين الإسلام - القائل بضلال ما عداه - هو الحق ، ويسعون في نصر من يُصَوِّبُ كلَّ مِلَّةٍ ، ويصحح كلَّ نِحلةٍ ، وهم لا يشعرون أنه قال في تصويب جميع الأباطيل ، شعراً :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت	كما جاء في الأخبار من ألف حجة
فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم	سوايَ وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوءَ نوري مرة فتوهموه	ناراً فضلُّوا في الهدى بالأشعة
وإن خرَّ للأحجار في البد عاكف	فلا وجه للإنكار بالعصبية
فقد عبد الدينار - معنى - مُنَزَّهٌ	عن العار بالإشراك بالوثنية
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد	فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه	يُناجي بها الأحبار في كل ليلة
وما احتار مَن للشمس عن غِرةٍ صبا	وإشراقها من نور إسفار غُرَّتي
وقد بَلَغَ الإنذارُ عني من بَغَى	وقامت بي الأعذار في كل فرقة
فما زاغت الأبصار من كل مِلَّةٍ	ولا راغت الأفكار في كل نحلة

قال شراحه : « إنه مهد في هذه الأبيات أعذار كُلِّ فرقة ، وأن كل صاحب ملة ونحلة - وإن بطل سعيه - على نصيب من الهدى ، فعُبَّاد النار غيرُ مؤاخَذِين من جميع الوجوه ، بل من وجه دون وجه ، ولا لوم على أحد ، بل لكل واحد وجه ، ومَحْمَلُ خير يُحْمَلُ عليه ، فكلٌّ يعمل على شاكلته ، وكذا عابد الأصنام ، قالوا : لا تنكر عليه ، فإن أنكرت لم يكن إنكارك إلا تعصُّباً ، لأنَّك لا تنكر على المقبل على الدنيا ، مع أنه أقوى شِرْكاً من عابد الصنم ، وقالوا : كما أنَّ القرآن نور

المساجد، فكذلك الإنجيل نور المعابد، وقالوا نحو هذا في التوراة، وفي عابد الشمس: إنه بإتيانه عين الألوهية لم يكن ناقصاً ، فقام له عذر من وجه من الوجوه» ، وذلك كاف للكريم ، ولا يقول بشيء من هذا مسلم » .[1]

٢- وقال -رحمه الله - منكراً عليه وصف الله تبارك وتعالى في « **تائيته** » بضمير المؤنث : « وأما ما في « **التائية** » من ذلك فقال فيها مخاطباً لله تعالى - كما أجمع عليه شراحه - بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها ، وهي نحو سبعمائة بيت ، ولو خاطب أحد من أهل الزمان غيره بمثل ذلك قاتله ، لكن الناس لا يحلمون إلا عند حقوق مولاهم سبحانه ، وأما في حقوقهم فهم في غاية الحدة والمشاحة والله الهادي » .[2]

٣- وقال -رحمه الله - منكراً عليه دعواه العروج إلى السماء : « وادَّعى العروج إلى الله والوصول إلى مقام ، أو أدنى ، فقال :

ومن أنا إياها إلى حيث لا إلى عرجتُ وعطرتُ الوجود برجعتي

قالوا في شرحه : « عرجت من مقام : أنا إياها - وهو ابتداء الاتحاد - ومن قولهم : أنا الحق ، ولا إله إلا أنا فاعبدني ، إلى أن وصلتُ إلى مقام لا نهاية فيه ، وعطر الوجود برجوعه ، لاتصافه بصفات الرحمن ، واتحاده بذات الملك الديان ....، وقال عياض في أواخر « **الشفاء** » : وكذلك - أي يكفر - من ادعى مجالسة الله تعالى ، والعروج إليه ومكالمته ، أو حلوله في أحد الأشخاص ، كقول بعض المتصوفة » .[3]

٤- وقال - رحمه الله - في بيان معاندته للتوحيد الحق : « وقد عاند التوحيد

---

(١) تحذير العباد (ص : ٢٤١ - ٢٤٢) ، وانظر (ص : ٢٢٥ - ٢٢٦) من هذا الكتاب.

(٢) تحذير العباد (ص : ٢١٨) .

(٣) المصدر السابق (ص : ٢٤٩ - ٢٥١) .

الحق في قوله :

ولو أنني وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ وانسلخْ تُ من آي جَمْعِي مُشركاً بِيَ صَنْعَتي

قالوا في شرحه : « لو أنني أتيت وحدة الذات الحق المطلوب المحبوب ونفيت كثرة نسبه عنه ، كما أثبتت ونفت المنزهة ، وبعض الفلاسفة لكنت مائلاً عن سنن الاستقامة ، لأني أثبت لنفسي وغيري وجوداً يقابل وجود الحق » .

وهذا عين الإلحاد والشرك ، فليس وراء هذا كفر ، فإن كان هذا مما يفهمه المنازع ، كما يفهم الذاب عن الشارع ، فقد علم منابذته لله ، ولرسوله ﷺ ، وإن كان لا يفهمه ويدَّعي أنَّ له معنى حسناً ، فيكفيه أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء ، وهو أصول الدين الذي في الزلة فيه ذهاب الروح والدين » . [(١)]

٥- وقال - رحمه الله - عنه : « ثم قال في ذم الشرع والعلم :

ولا تك ممن طيَّشَتْهُ دُرُوسه بحيث استقلَّت عقله واستفزَّت

فثَمَّ وراء النقل علم يدقُّ عن مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته مني وعَنِّي أخذته ونفسي كانت من عطائي مُمَدَّتِي

قالوا في معناه : « لا يستخفنَّك كثرة دروس العلوم النقلية ، فوراءها علم مكنون ، أخذت ظاهره من حسي ، وباطنه من عقلي ، وسره من روحي ، ومكنونه من سري ، من حيث أن كل واحد منها عيني وذاتي ، ولا وصف ولا نعت زائد عليَّ حاكم بمغايرتي ، وغيرتي إياها ، فكنتُ المعطِي ، وكنتُ المعطَى ، وكنتُ المُمِدُّ ، وكنتُ المُسْتَمِدّ ، والفاعلَ والقابلَ » ، هذا أمرهم في الانسلاخ من العقل ، وقد شهد عليهم العلماء بذلك » . [(٢)]

٦- وقال - رحمه الله - في ادِّعائه الربوبية : « ولما تمهد له في زعمه ادعى أنه

---

(١) المصدر السابق (ص : ٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٢) المصدر السابق (ص : ٢٢٣ - ٢٢٤) .

الله عناداً لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [1] ، وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ [3] ، ولأمر رسول الله ﷺ في قتاله لكل من سمّى شيئاً غير الله إلهاً فقال :

فبي دارت الأفلاك فاعجب لقطبها الـ ... محيط بها والقطبُ مركز نقطتي
فمن قال أو من طال أو صال إنما ... يَـمُنُّ بإمدادي له برقيقة
وما سار فوق الماء أو طار في الهواء ... أو اختـرق النيران إلا بهمتي
وعنّي من أمددته بـرقيقة ... تَـصَرَّف عن مَجْمُوعةٍ في دقيقة
ومني لو قـامـت بميت لطيفـة ... لـرُدت إليه نفسه وأعيدت
ولا تـحسبن الأمر عنّيَ خارجاً ... فما ساد إلاّ داخل في عبودتي » [4]

٧- قال - رحمه الله - عن شعره : « وأما المحامون له ، فإنهم داعون إلى شاعر لم يؤثر عنه قط غير ديوان شعر ، لم يمدح النبي ﷺ فيه بقصيدة واحدة ، بل هو كفر وضلالة وخلاعة ، وبطالة ، وقد علم ذم الله وذم رسوله ﷺ للشعر والشعراء إذا كان حالهم مثل هذا ... فإنه ليس له شيء ينفع الدين أصلاً ، وليس له من الشعر إلا ما عادى به الإسلام وأهله ، وآذاهم غاية الأذى ، وأوقع به بينهم العداوة والبغضاء ، لأنه مَلأَهُ كفراً وخلاعة ، وصَدّاً عن الدين وشناعة ، فقد حادَّ به الله ورسوله ﷺ » . [5]

---

(١) سورة المائدة - الآية : ١٧ .

(٢) سورة التوبة - الآية : ٣١ .

(٣) سورة مريم - الآية : ٦٥ .

(٤) تحذير العباد (ص : ٢٢٥ - ٢٢٦) .

(٥) المصدر السابق (ص : ٢٥٥ - ٢٥٦) .

ثانياً : موقفه من البدع المنتشرة في عصره :

وقف الإمام البقاعي - رحمه الله - موقف الداعية المصلح المرشد ، الآمر بالمعروف ، الناهي عن المنكر من بدع المتصوفة الجُهَّال وخرافاتهم ، والتي كانت منتشرة في عصره ، فنجده - رحمه الله - ألَّف في بيان حقائقها وما اشتملت عليه من مخالفة صريحة لسنة النبي ﷺ ونهج صحابته الكرام الرسائل والمؤلفات ، والتي كان من أبرزها : « **الأغلال في أعناق الضلال** » ، و « **إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر** » ، و « **بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع** » ، و « **بيان المخطئ والمصيب في اعتقاد العقلاء والمجاذيب** » ، و « **السيف المسنون اللماع على المفتي المفتون بالابتداع** » ، و « **القول المعروف في الرد على منكر المعروف** » .

قال - رحمه الله - في آخر الكتب السابقة المذكورة مبيناً موقفه من بدعة زيادة كلمة : يا دائم المعروف ، بعد أذان صلاة الفجر : « فإن بعض أتباع الشياطين قد أحدثوا في القاهرة ، عقب أذان الصبح الذي مع الفجر : يا دائم المعروف ، وأخذوا ذلك من مكة المشرَّفة ، لأن سخفاء تقول ذلك على البناء الذي على زمزم بعد الأذان ، وأول ما ابتدع فيها قام بعض أهل الخير في إبطاله ، فعارضه من الفقهاء من زلَّ عن الصراط الأقوم ... ، فزاد هؤلاء الذين بالقاهرة أن جعلوه على موضع الأذان من المؤذن نفسه ، فعمت بذلك البلوى في سنة (٨٧١ هـ) ، فتألمت من ذلك ، وأبطلته من كل مؤذن ، فقام أهل ذلك ، فداروا على المفتين بالقاهرة ، وحرَّفوا في السؤال بعض التحريف ، فأفتوهم بجوازه ، وأنَّه بدعة حسنة ، فقلت لمن كلَّمني : يكفيهم أنهم مُقِرُّون بأنها بدعة ، وأما كونها حسنة ، فمن أين لهم إثباته ؟ فأجبت ذاكراً مستندي في ذلك إعلاماً بالحق لمن أراد ، وخروجاً من عهدته بين يدي الله ، وذلك بعد تحرير محل النزاع بأنه مخالف للسنة ، لئلا يَظُنَّ مَن لا علم له

بالدين أنَّ ذلك من الأذان ، فيكون فاعله شارعاً في الدين ما ليس منه ، ولم يُنْقَل ذلك عنه ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ، ولا من القرون الثلاثة مِثْله : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [1] إذا حُرِّرَ ذلك وحفظ ، فقد ثبت من حديث العرباض بن سارية: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** » . [2]

وذكر القاضي الطرطوشي عن حذيفة : « كل عبادة لم يتعبَّدها أصحاب النبي ﷺ فلا تتعبَّدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً » ، ومن الأمر المبين لذلك أن يقال لمن أمر به : ما تقول في مؤذِّنٍ قال هذا عقب أذانه ، وآخر سكت أيهما أفضل ؟

فإن قال الذي قاله ، لزمه أن يقول : إنه أفضل أذاناً من بلال ، ولا شك أن من قال هذا فقد أذن بحرب من الله ورسوله ، وإن قال بل الساكت أفضل ، قيل : فأي غرض بعدول الإنسان إلى ما هو أطول ؟ وغير ذلك » . [3]

وقال -رحمه الله- عند قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [4] راداً على المتصوفة سوء فهمهم لهذه الآية : « ومن نقص من الأعمال شيئاً اعتماداً على أنه

---

(١) سورة الشورى – الآية : ٢١ .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤ / ١٢٦ – ١٢٧) ، وأبو داود في السنن – كتاب السنة – باب في لزوم السنة (٥ / ١٣ – ١٥ – رقم ٤٦٠٧) ، والترمذي في السنن – كتاب العلم – باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥ / ٤٣ – رقم ٢٦٧٦) ، وابن ماجه في مقدمة السنن – باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١ / ١٥ – ١٦ – رقم ٤٢) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٩٥ – ٩٧) ، والحديث حكم عليه الألباني في السلسلة الصحيحة بالصحة (٢ / ٦٤٧ – ٦٤٨ – رقم ٩٣٧) .

(٣) انظر : الفواكه العديدة في المسائل المفيدة – أحمد بن محمد النجدي (١ / ٨٢ – ٨٣) .

(٤) سورة الحجر – الآية : ٩٩ .

وصل ، فقد تزندق ، وكان مثله مثل شخص في بيت مظلم ، أسرج فيه سراجاً فأضاء ، فقال : ما أوقدت السراج إلا ليضيء البيت فقد أضاء ، فلا حاجة لي الآن إلى السراج ، فأطفأه فعاد الظلام كما كان » . [1]

ثالثاً : موقفه من مقولة الغزالي : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » : [2]

قام الإمام البقاعي - رحمه الله - بالرد على هذه المقولة إجمالاً في عدة مواضع من كتبه ، وأفرد بالرد عليها ثلاث رسائل مستقلّة وهي : « **المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي** » ، « **وتهديم الأركان من : ليس في الإمكان أبدع مما كان** » ، « **ودلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان** » .

قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [3] : « ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ أي : أيها المخاطبون على صور لا توافق شيئاً من صور العلويات ولا السفليات ، ولا فيها صورة توافق الأخرى من كل وجه .

﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ فجعلها أحسن صور الحيوانات كلها ، كما هو مشاهد في الدنيا ، وكذا في الآخرة ، خلافاً لأهل التناسخ ، مع أنَّ وضعها في نفسها أحسن الأوضاع ، لو غير شيءٌ منها عن مكانه إلى شيء مما نعلمه فحصلت البشاعة به ، مع تفضيل الآدمي بتزيينه بصفوة أوصاف الكائنات ، وجعل سبحانه أعضاء متصرِّفة بكل ما يتصرَّف به أعضاء سائر الحيوان ، مع زيادات اختصَّ بها الآدميُّ إلى حسن

---

(١) نظم الدرر (٨ / ٦١٨) .

(٢) انظر مقولة الغزالي هذه وكلام العلماء عليها في : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٩ / ٤٣٠ - ٤٦٠) .

(٣) سورة التغابن - الآية : ٣ .

الوجه وجمال الجوارح ، فهو أحسن بالنسبة إلى النوع من حيث هو هو ، وبالنسبة إلى الأفراد في نفس الأمر ، وإن كان بعضها أحسن من بعض ، فقبيح القبيح منه إنما هو بالنسبة إلى أحسن منه ، ولذا قال الحكماء : « شيئان لا غاية لهما : الجمال والبيان » ، فخلق الإنسان في أحسن تقويم لا ينفي أن يكون للنوع الذي جعل أحسن أفراد أنواع لما فوقه من الجنس ، لا نهاية لأحسنية بعضها بالنسبة إلى بعض يشاهد ما وجد من أفراد نوعه من الذوات ، فقدرة الله لا تتناهى ، فإياك أن تصغي لما وقع في كتب الغزالي : « أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان » ، وإن كان قد علم أنه اعترض عليه في ذلك ، وأجاب عنه في الكتاب الذي أجاب فيه عن أشياء اعتُرِضَ عليه فيها ، فإنه لا عبرة بذلك الجواب أيضاً ، فإن ذلك ينحلُّ إلى أنه سبحانه وتعالى لا يقدر على أن يخلق أحسن من هذا العالم ، وهذا لا يقوله أحد».[(١)]

وقال الزبيدي حول رد البقاعي على مقولة الغزالي الآنفة الذكر : « وممن جاء بعد هذه الطبقة بكثير ، فتعصَّبَ عليه ، وطعن البرهان إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي أحد تلامذة الحافظ ابن حجر ، فقد صنف ثلاث رسائل في الرد عليه ، إحداها : « **المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي** » ، مدحه في أوله وأطال فيه ، ثم تعرَّض للرد عليه في هذه المسألة ، والثانية : « **تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان** » ، والثالثة : « **دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان** » ، وكل من الثلاثة عندي ، قال في الثانية : وبعد : فهذا كتاب سميته « **تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان** » ، أرد فيه كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة ، بهذه العبارة التي عنوا بها أن الله جلت قدرته لا يمكنه أن يوجد شيئاً أبدع من هذا الذي كان ، من هذا الكون الذي نشاهد ما نشاهد منه ، ونعلم

---

(١) نظم الدرر (٨ / ٧) .

ما غاب عنا ، بإعلام الرسل - عليهم السلام- ؛ لأنَّ ذلك على زعمهم من قبيل المحال ، فلا تتعلق به القدرة لانصراف الإرادة عنه ؛ لأنَّ مِنْ شأنها أن لا تتعلق بالمحال ، وهذا يشبه أن يكون قول من يقول : إن الإله يفعل بالذات لا بالاختيار ، وهو قول باطل يلزم عليه قدم العالم بالزمان ، أو أنه قول من يقول بِقِدَمِ العالم بالذات ، حتى لا يكون شيء سوى هذا الوجود المشهود ، إنما هو على زعمه أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وهو قول أهل الطبيعة القائلين : بأن حوادث هذا العالم عِلَّتها امتزاج هذه العناصر بعضها من بعض ، وهو أبطل من الأول ، أو قول مَن يقول بأنه تعالى يجب عليه رعاية الأصلح ، وقد تظافر أهل السنة على ردِّه ، واغتر بقولهم هذا بعض الناس، وأكد غرورهم بهذه المقالة أن أخذها الإمام حجة الإسلام، وأودعها بعض كتبه ... أما نقله لهذه العبارة فقال في كتابه المسمى بـ « **الجواهر** » و « **الأربعين في أصول الدين** » ، وفي « **الإحياء** » - ثم ساق عبارة الأخيرين ولم يسق عبارة « **الجواهر**» كأنه لم يطَّلع عليه - وقد سقناه نحن آنفاً ، وهذه العبارة في موضعين منه ثم قال : وهو من المواضع التي اعترض عليه فيها في حياته ، فأجاب كما عُزِي إليه إن صحَّ ذلك عنه في كتاب اسمه « **الإملاء على الإحياء** » فقال ما نصُّه ، فساقه الخ كما سنذكره بعد ، ثم قال : انتهى جميع ما وقفت عليه من كلامه على هذا المعنى حسبما عزي إليه ، والله أعلم بحقيقة الحال ، هل هو كلامه ؟ أو مدسوس عليه ؟ كما ظننته قبل اطلاعي على هذه النقول ... ، وما تضمَّنته هذه النقول هو كما ترى ظاهرٌ جداً في نسبة الله إلى العجز عن أن يبدع عالماً أكمل من هذا العالم ، وفي أنه يعد إبداع ما هو أكمل من هذا محالاً ، حتى يصير مما ليس من شأن القدرة أن تتعلق به ، وليس ذلك كذلك قطعاً ، ولا يثبت كون الشيء محالاً بمجرد الدعوى ، بل نقول إنه ممكن فهو مقدور عليه ، وادخاره لا يلزم منه بخل ولا عجز ، كما لا يلزم ذلك من خلق شخص من الأشخاص الآدميين على غاية

البشاعة في صورته ، ومعناه خلقاً وخلقاً مع علمنا بالقدرة على جعله من أكمل الخلق ، حتى يكون على صورة من هو أكمل منه سواء بسواء ، لا شبهة في ذلك ، ولا شبهة في أنّه كان قادراً على أن يدع الخلق على ما كانوا عليه أمة واحدة ، مؤمنين على قلب رجل واحد ، لا تحاسد بينهم ولا تباغُض بوجه ، ولو شاء الله ما اختلفوا ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولا شك أن ذلك أبدع مما نحن فيه من هذا التخالف والتدابر والتباغض والتناحر ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، ولو شاء لأعطى كل نفس هداها ، ولو شاء لحفظ الأرض من الفساد بعد إصلاحها ، ثم ذكر نقولاً من كتاب الأحياء مما توافق مقصوده ... ، ثم قال : غاية القول في هذا أنَّ قائله ظن أن وجود الإبداع محال غير داخل تحت القدرة ، وهو غالط في ذلك ، هذا حاصل ما ذكره في « **تهديم الأركان** » .[1]

(١) إتحاف السادة المتقين (٩ / ٤٤٢ - ٤٤٤) .

المبحث الثاني عشر : وفاته ورثاؤه :

بعد حياة مليئة بالانجازات العلمية ، وثرية بالمواقف البطولية ، وحافلة بالجد والعمل والنشاط ، يُسَلِّم الشيخ روحه إلى باريها عَزَّ وجل ، بعد أن تفتت كبده من جراء ما عمل به حُسَّاده ، فيموت بتلك المدينة التي انطلق منها نشاطه وكفاحه ، في ليلة السبت الثامن عشر من شهر رجب سنة خمس وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية ، وصُلِّي عليه يومَ الأحد بالجامع الأموي ، ودفن بمقبرة الحميرية ، خارج دمشق من جهة قبر عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموية .[(1)]

فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته ، فقد كان عالماً ، مفسراً ، محدثاً فقيهاً ، مؤرخاً ، نحوياً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم .

وقبل أن أختم الحديث عن هذا الإمام الجهبذ ، أترك له المجال يَرثي نفسه قبل وفاته بأبيات نونية جميلة انطلقت من صميم الفؤاد يقول فيها :

ألا ربَّ شخص قد غدا لي حاسدا ... يُرَجِّى مماتي وهو مثلي فان
ويا ليت شعري إن أمت ما ينالـه ... ومـاذا عليه لو أطيل زماني
عدوي قاصٍ عنه ظلمي آمـن ... من الجور داني النفع حيث رجاني
وهل لي تراث غير قوس أعِدُّهَـا ... لحرب ذوي كفر وغير يماني
وما يبتغي الحُسَّـاد مني وإنني ... لفي شغل عنهم بأعظم شأني
أنَكّبُ نفسي عن مَخُوفٍ يَؤُمُّـها ... لَعَلّيَ أن أحظى بنيل أماني
نعم إنني عما قريب لـميت ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
كأنك بي أنعى إليك وعندهـا ... ترى خيراً صمت له الأذنان
فلا حسد يبقى لـديك ولا قلى ... فتنطق في مدحي بأي معان
وتنظر أوصافي فتعلم أنـها ... علت عن مدان في أعز مكان
ويمسي رجال قد تهدم ركنـهم ... فمدمعهم لي دائم الهملان

---

(1) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٧) ، وبدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٩٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٥٠٩ - ٥١٠) ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٢١) .

فكم من عـزيز بي يذل جـــــماحه ... ويـــــطمع فيه ذو شقا وهـــوان
فيـــا رُبَّ من يفجأ بهول يـــؤوده ... ولـــــو كنت موجوداً إليه دعاني
ويـــا رُبَّ شخص قد دهته مصيبة ... لـــــها القلب آسى دائم الخفقان
فـيطلب من يجلو صـــداها فلا يرى ... ولـــــو كنت جَلَّتْهَا يدي ولساني
وكم ظالم نالتـــــه مني غضاضة ... لـــنـــصرة مظلوم ضعيف جَنَان
وكم خُطَّةٍ سيمت ذووها مَـــعَرَّةٍ ... أعـيذت بـــضرْبٍ من يدي وطعان
فإن يرثني من كنت أجمع شـــمله ... بتـــشـــــتيت شملي فالوفا رثاني
وإلا نعاني كل خلق تــــرفـــعت ... بـــه هـــممي عن شائن وبكاني
إلـــــهي كما أوليتنيها تـــفضلاً ... فـــــأتمم بإيتائي نعيم جنان [(1)]

---

(1) انظر : مصاعد النظر للبقاعي (١ / ١٣٩ - ١٤٠) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٧ - ١٠٨) ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٢١ - ٢٢) .

الفصل الثالث : البقاعي وخصومه :

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

التمهيد : ويشتمل على ذكر أسماء أبرز خصومه .

المبحث الأول : أهم الأسباب والدوافع التي دفعت خصومه للنيل منه .

المبحث الثاني : أهم انتقادات السخاوي التي وجَّهها إليه .

المبحث الثالث : موقفه ممن انتقده ونال منه .

التمهيد :

ذكرت في فصل سابق ما للإمام البقاعي - رحمه الله - من مكانة علمية مرموقة عند كثير من علماء عصره ، كما أشرت إلى أنَّ هناك من معاصريه من أطلق للسانه العنان في الثلب والحط والتنقيص منه - رحمه الله - .

وكان من أشد هؤلاء تنقيصاً وتحقيراً له : السخاوي [1] الذي لم يترك مناسبة يذكر فيها البقاعي إلا ويصفه بأسوء الوصف ، ساعياً للحط من علمه وقدره بأسلوب لافت للنظر ، وقد ترجم له ترجمة مظلمة في كتابه « **الضوء اللامع** » [2] والتي كان من ضمنها قوله : « وما أحسن قول بعضهم :

إنَّ البقاعي البذئ لفحشه　　　　ولكذبه ومحاله وعقوقه

لو قال إن الشمس تظهر في السماء　　　　وَقَفَتْ ذوو الألباب عن تصديقه [3]

وحول هذه الترجمة يقول الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « وقد ترجم له السخاوي ترجمة مظلمة ، كلُّها سبٌّ وانتقاص ، وطوَّلها بالمثالب ، بل ما زال يحط

---

(١) هو : أبو عبد الله وأبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي القاهري الشافعي ، لقب من قبل خصومه بابن البارد ، وهو أحد العلماء المبرزين في كثير من العلوم وعلى رأسها الحديث والتاريخ ، وهو أحد تلامذة الحافظ ابن حجر المبرزين ، وقد جرت بينه وبين بعض معاصريه - ومنهم البقاعي والسيوطي - مطاحنات عدة ، وله عدة مصنفات منها : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، والمقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة ، ولد بالقاهرة سنة (٨٣١ هـ) ، وتوفي بالمدينة سنة (٩٠٢ هـ) .

انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٨ / ٢ - ٣٢) ، وشذرات الذهب لابن العماد (١٠ / ٢٣ - ٢٥) ، والبدر الطالع للشوكاني (٢ / ١٨٤ - ١٨٧) .

(٢) الضوء اللامع (١ / ١٠١ - ١١١) .

(٣) المصدر السابق (١ / ١٠٥) .

عليه في جميع كتابه المسمى بـ **الضوء اللامع** » .[(1)]

ويقول محمود رزق : « وقد كان شمس الدين السخاوي صاحب « **الضوء** » معاصراً للبقاعي وزميلاً له أثناء التلمذة، وقد ترجم له في كتابه « **الضوء**» وحمل عليه حملة شعواء ، وسفَّهه ، وقبَّح أعماله ، ونسب إليه كل رذيلة في الخلق ، ونقص في العلم ، على أن السخاوي من عادته أن يبالغ في نقده وتحامله ، ولا سيما على معاصريه وبخاصة من مسَّه منهم أذى » .[(2)]

و لم يكن السخاوي وحده في الميدان ، بل كان معه البدر بن القطان [(3)] ، وأبو العباس القدسي [(4)] ، والشهاب المتبولي [(5)] وغيرهم .

وقبل أن أذكر بعض ما قاله السخاوي في الترجمة المذكورة ، وبعض ما قاله البقاعي فيمن نال منه ؛ أرى أنَّه من المناسب أن أذكر أهم الدوافع والأسباب - في نظري - التي دفعت السخاوي ومن معه من الحط والنيل ممَّن قال فيه شيخه الكافيجي :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إنَّ الزمان بمثله لبخيل [(6)]

---

(1) البدر الطالع (١ / ٢١) .

(2) عصر سلاطين المماليك (٤ / ٢٢٦) .

(3) انظر ترجمته (ص : ١٩٤ - ١٩٥) من هذا الكتاب .

(4) انظر : ترجمته (ص : ٢٠٢) من هذا الكتاب .

(5) هو : شهاب الدين أبو الفتح أحمد بن موسى بن أحمد بن عبد الرحمن القاهري الحسيني الشافعي ، أخذ عن البلقيني والكافيجي ، له عدة مصنفات منها : الرد على البقاعي في إنكاره قول يا دائم المعروف، ورد آخر أسماه: المدد الفائض في الذب عن ابن الفارض، كان حياً حتى سنة (٩٠٢ هـ). انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٦) ، (٢ / ٢٢٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ /٣١٤) .

(6) انظر : (ص : ٢٥٣) من هذا الكتاب .

المبحث الأول : أهم الأسباب والدوافع التي دفعت خصومه للنيل منه .

١- ما ألّفه - رحمه الله - في الردّ على المتصوفة المنتشرين في عصره ، وتكفيره لأبرز رموزهم وأقطابهم : ابن عربي وابن الفارض .

قال البقاعي - رحمه الله - : « ثم قاموا في فتنة ابن الفارض وكلهم معاند معارض ، وألّبوا عليَّ رعاع الناس ، فاشتدَّ شعاع الباس ، فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس ، وصوبوا طريقة الإلحاد ، وبالغوا في الرفع من أهل الاتحاد ، ولجُّوا بالخصام في العناد ، وأفتوا بمحض الباطل ، وبثوا السم القاتل » . [1]

وقال الصيرفي : « ثم في يوم السبت ثالثه ، أصبح البقاعي على ما أمسى ، وشكا خصومه لبيت الأمير تمر حاجب الحجاب ، وأعلمه بما أراد ، فاجتمع الجم الغفير والخلائق أفواجاً ، وحضر من العلماء والفضلاء جماعات منهم : الشيخ بدر الدين بن القطان ، والشيخ تاج الدين بن شرف ، والشيخ الخطيب الوزيري ، وبرزوا للبقاعي وطلبوه ، فحضر بين يدي الأمير المذكور ، وأراد الطلوع من المقعد فما مكّنه خصومه ، ووقف من تحت المقعد ... ، وترضَّوا على الشيخ عمر بن الفارض ، ولعنوا وكفّروا من يكفّره ، وحصل له بهدلة ما توصف ، وانفصلوا على غير طائل ، ولم يحصل للبقاعي مقصوده ، ولا غرضه ، فإنه مخمول سيما أنه يتعرَّض لجناب سيدي الأستاذ العارف بالله عمر بن الفارض » . [2]

وقال ابن إياس في ترجمته : « وليس من مساويه سوى حَطّه على الشيخ عمر ابن الفارض » . [3]

---

(١) نظم الدرر (٨ / ٦٢٠ - ٦٢١) .

(٢) إنباء الهصر (ص : ٢٥٧) .

(٣) بدائع الزهور (ص : ٤٩٦) .

ولقد صنَّف خصومه في الردِّ عليه في هذه المسألة عدة مصنَّفات منها : تصنيف السيوطي المسمى : « **قمع المعارض في الرد على ابن الفارض** » [(١)] ، وتصنيفه الآخر « **تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي** » [(٢)] ، وتصنيف الشهاب المتبولي : « **المدد الفائض في الذب عن ابن الفارض** » [(٣)] ، وصنَّف بعضهم كتاباً سماه : « **درياق الأفاعي في الرد على البقاعي** » . [(٤)]

٢- استشهاده بالكتب القديمة للرد على أهلها منها في كتابه « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** » ، وبسبب هذا الاستشهاد اتهموه - والعياذ با لله - في دينه فزعموا أنه أراد بهذا الاستدلال إظهار التوراة والإنجيل على القرآن [(٥)] ، وصنفوا في ذلك التصانيف للرد عليه ، وكان منها تصنيف السخاوي المسمى بـ « **الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل** » . [(٦)]

قال البقاعي - رحمه الله - : « إني لَمَّا صنَّفتُ الكتاب المذكور ، وهو المسمى « **نظم الدرر من تناسب الآي والسور** » الحاوي لروح التفسير ولباب التأويل ، حيث ظفر غيره بالجسم ، ولم يَحْظَ بغير القشر ، فحلَّ كتابي كالشمس في الحمَل ، وبلغ

---

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٤٢٠) .

(٢) انظر : عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٤ / ٢٢٦) .

(٣) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٦) .

(٤) انظر : بدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٢٠) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٤ / ٢٢٦) .

(٥) انظر : (ص : ٢٠٤) من هذا الكتاب ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٢٠) .

(٦) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٦) .

تنبيه : لقد أخطأ كلٌّ من عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (١ / ٤٩) ، ومجدي فتحي السيد في مقدمة الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان للبقاعي (ص : ٢٢) حينما عزيا هذا الكتاب للبقاعي ، والصواب أنه ليس له ، بل هو للسخاوي يرد فيه على البقاعي .

النهاية من نيل الأماني والأمل ، حسدني عليه من هوت بـه أهـواؤه ، وأعضلـت بـه أدواؤه ، فبسطوا ألسنتهم فيه بما زاده علـواً وشـرفاً ، ورقّـاهُ رُتبـاً ، وأسـكنه عـلالي وغرفاً ، فلم يجدوا طعناً مخيلا ، ولا شيئاً ميـلاً عنـه أو محيـلا ، سـوى التبشـيع بـين الرعاع والتخجيل بالاستشهاد بالتوراة والزبور والإنجيل ، فأكثروا في ذلك وأطالوا ، وزلزلوا غاية الزلزال وأمالوا » .[1]

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – : « وقد نال منـه علمـاء عصـره بسـبب تصنيف هذا الكتاب ، وأنكروا عليه النقل من التوراة والإنجيل ، وترسّلوا عليه وأغروا به الرؤساء ، ورأيت له رسالة يجيب بها عنهم ، وينقل الأدلة على جواز النقل من الكتابين وفيها ما يَشْفِي » .[2]

ويقول البقاعي – رحمه الله – في مقدمة كتابه هذا مُسوِّغاً ما نَحا إليه من هذا الاستشهاد : « فإن الذي أذكره عنهم إما لبيان مصادقته للقرآن ، ويلزم من كثيرٍ منه الردَّ عليهم فيه إما لبيان سوء أفهامهم أو بيان تبديلهم له » .[3]

وذكر – رحمه الله – أيضاً في نهاية الفصل الخامس من كتابنا هذا أربعة أوجه بيَّن فيها سبب استشهاده هذا :

أحدها : إقامة الدليل على مصادقة ما هم متمسكون به من كتبهم للقرآن وما في ذلك من حسن وتأييد لدين الإسلام .

الثاني : أنَّ إثبات المصادقة بين الأنبياء ، يُثْبِت إبطالَ ما ينتحله أهل الفرق من الأديان مما يخالف الإسلام بشهادة كتبهم التي هم معترفون بها .

---

(١) انظر : (ص : ١٩٠ – ١٩٤) من هذا الكتاب .

(٢) البدر الطالع (١ / ٢٠) .

(٣) انظر : (ص : ٢٢٥) من هذا الكتاب.

الثالث : أنه يتبين من بعض تلك المصادقات ، سوء فهمهم لبعض معتقداتهم .

الرابع : أنه يتبيَّن أيضاً من بعض تلك المصادقات معرفتنا تبديلهم ومخالفتهم لكتبهم .[1]

ويقول الدكتور محمد القاسم في مَعْرِض ردِّه على معارضيه في هذه المسألة ، وذلك بعد أن ذكر جملة من المواضع التي استدل بها المصنف من التوراة والإنجيل : « وإنني إذ أنقل هذه الصفحات الكثيرة لا أؤيِّد متهميه ، فإن الناظر إلى ما جاء فيها يرى أنه إنما جاء بها لبيان جهة من جهات إعجاز القرآن ، لأنها مؤيدة للموضع الذي ذكرت فيه ، أو مشيرة إلى تحريفهم الكتاب ، وإما مبينة أن المسيح – عليه السلام – لم يكن إلهاً ولا ابنَ إله ، وإما حاكية لظلمهم ونبذهم الكتاب » .[2]

٣- ردوده في كتبه ورسائله على مقولة الغزالي : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » .

قال السخاوي في ترجمته منتقداً له : « وعارض وهو هناك [3] في حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ولَمَّحَ بالحطِّ عليه ، وقال : إن قوله : " ليس في الإمكان أبدع مما كان " كلام أهل الوحدة من الفلاسفة والإسلاميين القائلين بأن الله هو الوجود ، وقال أيضاً : إنَّه وَجَّهَهُ بما لا يليق حيث قال [4] : لو فرض أحسن من هذا الوجود لكان تركه بخلاً وعجزاً » .[5]

وقال الزبيدي بعد أن ساق كلام البقاعي – رحمه الله – عن مقولة الغزالي

---

(١) انظر : (ص : ٣٦٢) من هذا الكتاب .

(٢) الإعجاز البياني (ص : ٩٤ – ٩٥) .

(٣) أي بدمشق .

(٤) أي الغزالي .

(٥) الضوء اللامع (١ / ١٠٧) .

تلك : « وقد ردَّ عليه الحافظ السيوطي فأحسن وأجاد » .[1]

٤- ما ألَّفه - رحمه الله - في ذم بعض البدع التي كانت منتشرة في عصره عند الجهلة من المتصوفة وغيرهم .

قال - رحمه الله - « فتبين حينئذ أنه إنما بهم داء الحسد ، إن نهيت عن بدعة أمروا بها وأدَّعوا أنها حسنة ، وأفتوا بها ، وتعاونوا على تصنيف في ذلك لرد تصنيفي فيه ، كما فعلوا لما نهيت عن قول بعض المؤذنين عقب أذان الصبح متصلاً بالأذان بصوت الأذان : يا دائم المعروف ، يا كثير الخير » .[2]

وقال السخاوي في ترجمته : « وقد رددت عليه غير مسئلة له في عدة تصانيف منها : « **الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل** » ، و « **القول المألوف في الرد على منكر المعروف** » .[3]

٥- ومن الأسباب التي جعلت خصومه ينالون منه ما عرف بحسد الأقران ، كما أشار إلى ذلك - رحمه الله - في مقدمة كتابه هذا [4] ، وكما في « **مصاعد النظر** » [5] أيضاً ، والذي قال فيه :

ألا رُبَّ شخص قد غدا لي حاسداً   يُرَجِّي مماتي وهو مثلي فان
ويا ليت شعري إن أمت ما ينالـه   وماذا عليه لو أطـيل زماني

إلى أن قال :

وما يبتغي الحساد مني وإنني   لفي شغلٍ عنهم بأعظم شاني

ويؤيد هذا ما قاله الشوكاني - رحمه الله - في ترجمته بعد أن ساق بعض

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٩ / ٤٤٤) .

(٢) انظر : (ص : ٢٢١- ٢٢٢) من هذا الكتاب .

(٣) الضوء اللامع (١ / ١٠٦) .

(٤) انظر : (ص : ١٨٩ - ١٩١) ، وانظر : العاملين الأول والرابع .

(٥) مصاعد النظر (١ / ١٣٩) .

كلام السخاوي فيه : « ولكنَّ هذا من كلام الأقران في بعضهم ، بما يخالف الإنصاف لما يجري بينهم من المنافسات تارة على العلم ، وتارة على الدنيا ، وقد كان المترجم له منحرفاً عن السخاوي ، والسخاوي منحرفاً عنه ، وجرى بينهما من المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر ، ومَن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور ، عَلِمَ أنَّهُ من أوعية العلم المفرطِين في الذكاء ، الجامعين بين علمَيْ المعقول والمنقول » .[1]

المبحث الثاني : أهم انتقادات السخاوي التي وجَّهها إليه .

بعد أن عرفنا أهم الأسباب والعوامل التي دَفَعَتْ خصومه للنيل منه والطعن فيه، أودُّ أن أذكر أهم الانتقادات والطعون التي ذكرها السخاوي أثناء ترجمته المظلمة له في كتابه « **الضوء اللامع** » ولم أذكرها في السابق :

١- قال السخاوي عنه : « صاحب تلك العجائب والنوائب والقلاقل والمسائل المتعارضة المتناقضة » .[2]

إن الناظر في كلام السخاوي هذا يرى مقدار التحامل منه - عفا الله عنَّا وعنه - تجاه البقاعي ، فما هي العجائب والقلاقل والنوائب المقصودة يا ترى ؟ إنه وبلا شك يقصد ما ترتب من موقف البقاعي من المتصوفة وبدعهم ، ومن تكفيره لابن عربي وابن الفارض ، ومن ردِّه على الغزالي ، ومن تأليفه كتاب « **نظم الدرر** » وما استشهد فيه من الكتب القديمة ، من رسائل ومحاورات ومناظرات بينه - رحمه الله - وبين أهل البدع والمناضلين عن تلك القضايا ، وأرى أن عمل البقاعي هذا يكتب في سجل حسناته الناصعة لا في سجل سيئاته .

---

(١) البدر الطالع (١ / ٢٠) .

(٢) الضوء اللامع (١ /١٠١) .

٢- قال السخاوي متهكِّماً به : « ثم تحوَّل إلى دمشق ، ثم فارقها ، ودخل بيت المقدس ، ثم القاهرة للاستفتاء على أهلها ، وهو في غاية من البؤس والقلة والعري ! » .[١]

إن البؤس والقلة والفقر ليس قدحاً في الشخص ، وليس مما يُعاب به المرء ، فهذه أرزاق بيد الرزاق سبحانه وتعالى يؤتيها من يشاء من عباده ، بل قيمة المرء في تقواه واستقامته ، وعيبه في معصيته وانحرافه ، غنياً كان أو فقيراً .

٣- قال السخاوي عنه : « لم يعرف له كتاب في الفقه والنحو ، ولا في غيرهما » .[٢]

إن عدم معرفة السخاوي لا تدلُّ على ما ذكر ، فإن الواقع يشهد بأن كتب البقاعي كثيرة جداً ، وقد حوت أنواع الفنون من تفسير وحديث وعقيدة ونحو وتاريخ وأدب وغيرها من العلوم [٣] ، ثم لنفرض - جدلاً - أنه لا يُعرف للبقاعي كتابٌ في فنٍّ من الفنون ، فهل هذا ينقص من مكانته العلمية ؟ فالعالم لم يكون عالماً بعلمه وتمسكه وورعه وتقواه لا بكتبه ورسائله ، فإن كثيراً من سلف الأمة لم يكن لهم تآليف وكانت شهرتهم وصيتهم في كل مكان وفي كل زمان .

٤- ذكر السخاوي أن البقاعي كثيراً ما يلحن في القراءة .[٤]

قال الصيرفي في ترجمته - والذي يعتبر قوله هذا رداً على كلام السخاوي المذكور - : « ورقَّاه قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر حتى جعله قارئ البخاري في القصر بقلعة الجبل ، بحضور السلطان في دولة الظاهر جقمق ، وكان

---

(١) المصدر السابق (١ / ١٠١ - ١٠٢) .

(٢) المصدر السابق (١ / ١٠٢) .

(٣) انظر : مبحث مؤلفاته .

(٤) الضوء اللامع (١ / ١٠٢) .

يُثْنِي على قراءته وفصاحته ، وهو كذلك مع الدين والخير » . [1]

٥- قال السخاوي عنه : « وما علمته أتقن فناً ، ولا بلغ مرتبة العلماء ، بل قصارى أمره إدراجه في الفضلاء ، وتصانيفه شاهدة بما قلته » . [2]

يقول الإمام الشوكاني في ترجمته راداً على كلام السخاوي هذا : « وبرع في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، لا كما قال السخاوي أنه ما بلغ رتبة العلماء ، بل قصارى أمره إدراجه في الفضلاء ، وأنه ما علمه أتقن فناً ، قال [3] : وتصانيفه شاهدة بما قلته ، قلت : بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله وأنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف » . [4]

٦- قال السخاوي عنه : « وسافر لدمياط وإسكندرية وغيرهما ، وحج وأقام بمكة يسيراً ، وزار الطائف والمدينة ، وركب البحر في عدة غزوات ورابط غير مرة الله أعلم بنيته في ذلك كله » . [5]

يفهم من كلام السخاوي - عفا الله عنَّا وعنه - التشكيك في حسن نية البقاعي في الجهاد والحج والرحلة في الطلب ، والتشكيك في النوايا مما لا ينبغي ، فالله عز وجل تولى السرائر ، وترك لنا الحكم بالظواهر ، وقصَّة أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - وتقريع النبي ﷺ له ليست ببعيدة عنَّا ، فقد روى الإمام مسلم في « **صحيحه** » عن أسامة بن زيد أنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، فصبَّحْنا الحرقات من جهينة ، فأدركت رجلاً فقال : لا إله إلاَّ الله ، فطعنته ، فوقع في

(١) إنباء الهصر (ص : ٥٠٨) .

(٢) الضوء اللامع (١ / ١٠٢) .

(٣) يعني السخاوي .

(٤) البدر الطالع (١ / ٢٠) .

(٥) الضوء اللامع (١ / ١٠٢) .

نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **أقال : لا إله إلا الله وقتلته ؟** » قلت : يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح ، قال : « **أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا** ... » . الحديث .[1]

٧- قال السخاوي عنه : « أهلكه التيه والعجب ، وحب الشرف والسمعة ، بحيث يزعم أنه قيّم العصريين بكتاب الله وسنّة رسوله ، وأنّه أبدى ببديهته جواباً مكث التقي السبكي واقفاً عنه أربعين سنة ، وأنّه لا يخرج عن الكتاب والسنة ، بل هو متطبِّعٌ بطباع الصحابة » .[2]

يا سبحان الله ! لماذا يستغرب السخاوي مِنْ حلِّ البقاعي لمسألة مكث التقي السبكي واقفاً عنها أربعين سنة ، ويتهمه على إثر ذلك بالعجب وحب الشرف ؟ ألم يعرف أنه يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر ، وأنه يوجد عند التلميذ ما لا يوجد عند الشيخ ، وأن العلم والفطنة فيه من الفتوحات الربانية التي يرزقها الله عباده ، وأنه قد تخفى بعض دقائق العلم على بعض العلماء ، وتظهر للبعض الآخر ، وأن ذلك من فضل الله الواسع الذي يؤتيه من يشاء من عباده .

قال الإمام ابن مالك النحوي في مقدمة كتابه « **التسهيل** » : « وإذا كانت العلوم منحاً إلهية ، ومواهب اختصاصية فغير مُستْبعدٍ أن يُدَّخَرَ لبعض المتأخرين ما عَسُر على كثير من المتقدمين ، أعاذنا الله من حسدٍ يسدُّ باب الإنصاف ويصدُّ عن جميل الأوصاف » .[3]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله (١ / ٩٢ رقم ٩٦) .

(٢) الضوء اللامع (١ / ١٠٣) .

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (ص : ٢) .

وأما عن وصفه بالتيه والعجب لأنه ذكر - أي البقاعي - أنه متطبعٌ بطباع الصحابة فأترك الجواب عليه للإمام الشوكاني - رحمه الله - حيث قال : « ومن محاسنه التي جعلها السخاوي من جملة عيوبه ما نقله عنه أنَّه قال في وصف نفسه إنَّه لا يخرج عن الكتاب والسنَّة ، بل هو متطبِّعٌ بطباع الصحابة . انتهى ، وهذه منقبة شريفة ومرتبة منيفة » .[1]

٨- قال السخاوي : « وتعدَّى في تراجم الناس وزاد على الحد ، خصوصاً في كتابه « **عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والتلاميذ والأقران** » الذي طالعته بعد موته، وملخصه المسمى « **عنوان العنوان بتجريد الشيوخ والتلاميذ والأقران** » ، وناقض نفسه في كثيرين ، فإنه كان يترجمهم أولاً ببعض ما يليق بهم ، ثم صار - بعد مخالفتهم له في أغراضه ونحو ذلك- يزيد في تراجمهم أو يغيِّر ما كان أثبته أولاً » .[2]

إن احترام البقاعي - رحمه الله - لمشايخه أمرٌ مشهورٌ ، يستطيع القارئ أن يدركه من خلال دراسته لكتبه ، فلينظر على سبيل المثال : الفصل الأول من كتابنا هذا ، وكيف كان - رحمه الله - يصف فيه مشايخه ، وكذا كتاب « **نظم الدرر** » و « **مصاعد النظر** » ، وكتابه المشهور في التاريخ ، والذي يقول فيه عن شيخه ابن حجر : « الإمام العلامة ، الحجة الناقد الجهبذ ، جبل الحفظ ومعدن النقد ، وطبيب الحديث في علله ، بحر العلم ، حبر الأمة ، قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، فرد زمانه ، وإمام وقته وأوانه ، رأس المسلمين في عصره بلا منازعة » .[3]

ثم ليعلم أن المؤرخ قد يصدر منه تجاه واقعة من الوقائع تعليقٌ يُصَوِّبُ فيه ما

---

(١) البدر الطالع (١ / ٢٢) .

(٢) الضوء اللامع (١ / ١٠٥) .

(٣) عنوان الزمان (١ / ق ٨٦) .

يراه صواباً ، أو يذمّ ما يراه قد جانب الصواب في تلك الواقعة المعينة ، فلا يُحْمَل كلامه إذاً إلاَّ على تلك الواقعة المعيَّنة ، وهذا ما حدث للبقاعي في كثير من انتقاداته لبعض مشايخه وبعض أقرانه ، وليعلم أيضاً أن المؤرخ يحكم على ما يراه أمامه ، فلعل المحكوم عليه كان في بداية عمره على الحق ثم انحرف عنه ، فيمدحه في حاله الأولى ويذمّه في الثانية والعكس بالعكس .

وخلاصه القول في هذا الأمر ما قاله الدكتور محمد القاسم في كتابه « **الإعجاز البياني** » : « أنه كان يعذر شيوخه ولا يذكرهم إلا بالخير مثنياً عليهم بما هم أهله ، وأما ما ورد من بعض العبارات التي تؤخذ عليه فهو قليل » .[1]

٩- قال السخاوي : « بل رام المالكي أن يرتّب عليه مقتضى ما أخبرت به البينة العادلة من كونه قال : إن بعض المغاربة سأله أن يفصل في المناسبات التي عملها بين كلام الله وقوله بـ أي ونحوها دفعاً لما لعله يتوهم ، فترامى على الزيني بن مزهر حتى عزره وحكم بإسلامه ، بعد أن جبن عن مقاومة المالكي فيها غير واحد من أعيان النواب » .[2]

قال الإمام الشوكاني في ترجمته عن هذه الدعوى : « وقد كان بلغ جماعة من أهل العلم في التعرض له بكل ما يكره إلى حد تكفيره ، حتى رتّبوا عليه دعوى عند القاضي المالكي أنه قال : إن بعض المغاربة سأله أن يفصل في تفسيره بين كلام الله وبين تفسيره بقوله : « أي » أو نحوها دفعاً لما لعله يتوهم ، وقد كان رام المالكي الحكم بكفره وإراقة دمه بهذه المقالة ، حتى ترامى المترجم له على القاضي الزيني بن مزهر ، فعذره وحكم بإسلامه ، وقد امتحن الله أهل تلك الديار بقضاة من المالكية

---

(١) الإعجاز البياني (ص : ٧٥) .

(٢) الضوء اللامع (١ / ١٠٦) .

يتجرَّؤُون على سفك الدماء بما لا يحل به أدنى تعزير ، فأراقوا دماء جماعة من أهل العلم ، جهالة وضلالة ، وجُرأة على الله ، ومخالفة لشريعة رسول الله ، وتلاعباً بدينه ، بمجرد نصوص فقهية ، واستنباطات فروعية ، ليس عليها أثارة من علم ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون » .[1]

أما عن موضوع اتهامه بخلط القرآن بكلامه بدون فاصل بينهما فأترك الدكتور محمد القاسم يجيب عنه بقوله : « ويمكن أن نقول في اتهامه بخلط القرآن بكلامه بدون فاصل بينهما بأن الناس قد اشتهر أمر القرآن بينهم بنصه ، بحيث لا يخفى على أحدٍ مطلقاً ، فلا لبس ولا اشتباه ، زد على ذلك مغايرة لون الخط المكتوب به المخطوطات ، وغير ذلك من الملابسات التي تدفع اتهام السخاوي للبقاعي بخلط كلام الله بكلامه » .[2]

المبحث الثالث : موقفه ممن انتقده ونال منه :

من خلال الأسطر القادمة سأذكر – بإذن الله – نصاً واحداً للبقاعي – رحمه الله – يتبيَّن منه مدى تقبُّله لانتقادات خصومه .

قال – رحمه الله – : « ولقد انتدب لهذا الكتاب البديع[3] ، والديوان العلي الرفيع أقوام من الأغبياء ، والأساة القساة الأعتياء ، لا يفمهون من معانيه ، ولا يدركون من قواعده ومبانيه ، ذكروا أنهم ظفروا فيه بما لا يليق ، فأخذوا يُشَنِّعُون عليه ، ويصوِّبون بالطعن إليه ، وقسموا فيه الأقوال ، وفرَّقوا وجوه الانتحال ، ولم يذكروا شيئاً من محاسنه المحققة ، ومعاليه المعجبة المؤنقة التي هي بالنسبة إلى ما رأوا

---

(١) البدر الطالع (١ / ٢٠ – ٢١) .

(٢) الإعجاز البياني (ص : ٧٥) .

(٣) يعني نظم الدرر .

- وأثبتوا له النقص علة ما ادعوا - كالبحر بالنسبة إلى صغير القطر فكانوا ... كالذين يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

على أن الأمر المشهور الذي لم يخف على أحد أن الإمام مالكاً - رحمه الله - قال : « كلٌّ يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا صاحب هذا القبر » يعني النبي ﷺ ، وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : « صنفت هذه الكتب ، وما آلوت فيها جهداً ، وإني لأعلم أن فيها الخطأ ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [1] ، فكلام هذين الإمامين يدل على أن وجود الخطأ للمصنِّف لا يوجب ترك تصنيفه ، ولا الغض عنه ، لا سيما إن كان مشهوراً بالدين ، غير مغموص عليه ولا مرتاب فيه ، اللهم إلا أن يكون الأمر الذي فيه أَخْذٌ عليه أمراً محقَّقاً لا جواب عنه ، ويعرف به ولا يرجع عنه ، ولا يحتجّ له بشيء يقبل ، وقلّ أن يرى مصنِّف إلا وهو يقول :

وإن تجد عيباً فَسُدَّ الخَلَلا	فَجَلَّ مَن لا عيب فيه وعَلا

أو معنى ذلك .

وبعضهم يأذن في إصلاح الخطأ من كتابه للعالم المتحري ، بعد التوقُّف والتثبُّت ، وأنا لم أدَّعِ العصمة فيما قلت ، وما تركت أحداً ممن يُلِمُّ بي إلا قلت له : المراد الوقوف على الحق من معاني كتاب الله تعالى ، والمساعدة على ما ينفع أهل الإسلام ، فمن وجد لي خطأ فليخبرني به لأصلحه ، ووالله الذي جلَّت قدرته ، وتعالت عظمته لو أن لي سعة تقوم بما أريد لكنت أبذل مالاً لمن يُنبِّهَني على خَطَئي ، فكلما نبَّهني أحدٌ على خطأ أعطيته ديناراً .

ولقد نبَّهني غير واحد على أشياء فيه فأصلحتها ، وكنت أدعو لهم ، وأثني

(١) سورة النساء - الآية : ٨٢ .

عليهم ، وأقول لهم هذا الكلام ترغيباً في المعاودة إلى الانتقاد ، والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد .

فكان طريق هؤلاء - لو أنَّ كلامهم كان عن بصيرة ، وكان لله بقصد النصيحة - أن يأتوا إليَّ ، أو يرسلوا لينظروا ما عندي في ذلك الذي ذكروه ، هل أُبدِي لهم ، أو لذكري إياه معنىً صحيحاً ، أو أعترف بالخطأ ، فإن أصلحته كُنَّا قَدْ تعاونَّا على البر والتقوى ، وإن أبقيته وجب الطعن حينئذٍ على حسب ما يستحقُّه ذلك المعنى .

وحيث لم يفعلوا ذلك كان طعنهم إما عن جهلٍ ؛ لأن من جهل شيئاً عاداه

وكم من عائبٍ معنىً صحيحاً وآفـتـه من الفهم السقيم

وإما عن حسد لمن لا يحسدهم ، ... ومالي من ذنب عندهم إلا اعتزالي عنهم، وعدم مشاحنتهم في دنياهم ، ورضائي بما قسم الله ، ومحبتي لإظهار الفائدة فيهم ، وشمول الفضل لهم ... وقد قلت في حالي وحالهم ، واعظاً لنفسي ، حذار من حلول رمسي ، وهو من الطويل ، مطلق مرادف :

لسانك عوِّد ذكر ربك لا تكن بذي غفلة عنه - فديت - ولا لاغي
وإن سدَّد الأعدا إليك سهامهم فـإنَّ نبال العدْل تَحْمي من الباغي
فلا تخش من كيدٍ إذا كنت ذا تقى فـربك أخَّاذٌ لكل امرئ طاغي

على أن حالهم في تشنيعهم ظاهر ، فإنه لو كان لهم علم ، أو كان كلامهم لله لبدأوا بما في مشاهير التفاسير التي يتغالى فيها المفاليس منهم والمياسير ، من البلايا التي تَصُمُّ الآذان ، وتُخرِس ذَرِبَ اللسان ، فنبَّهوا عليه ، وحذَّروا منه ، وأزالوه من تلك التفاسير بطريقٍ من الطرق .... » .[1] [2]

---

(١) مصاعد النظر (١ / ١٠٣ - ١٠٩) باختصار .

(٢) انظر مصادر ترجمته - رحمه الله - في :

١- عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران للبقاعي (١ / ق ٣٥٦ - ٣٩٣)

==

==

٢- ذيل معجم الشيوخ لابن فهد (ص : ٣٣٦ - ٣٣٩)

٣- إنباء الهصر بأبناء العصر للصيرفي (ص : ٥٠٨ - ٥٠٩)

٤- الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠١ - ١١١)

٥- التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (ص : ٦٣ - ٨٨)

٦- وجيز الكلام في الذيل على تاريخ الإسلام للسخاوي (٣ / ٩٠٩)

٧- فهرست مصنفات البقاعي لأحمد اللبودي

٨- نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي (ص : ٢٤ - ٢٥)

٩- بدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٢٠ - ٤٢١ ، ٤٩٦)

١٠- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون (١ / ٢٣)

١١- كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٦ ، ٢٦٧ ، ٣٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥١٣ ، ٥٩٦ ، ٦٠٢ ، ٦١٢ ، ٧٥٩ ، ٨٢٨ ، ٩١٠ ، ٩١١) ، (٢ / ١٠١٨ ، ١٠٩٠ ، ١١٤٢ ، ١١٤٨ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١٢١٥ ، ١٢٣٢ ، ١٣٦٥ ، ١٣٩٣ ، ١٤٢١ ، ١٥٠٠ ، ١٥٧٥ ، ١٧٠٤ ، ١٩٦١)

١٢- شذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٥٠٩ - ٥١٠)

١٣- تاج العروس للزبيدي (٢٠ / ٣٤٨)

١٤- البدر الطالع للشوكاني (١ / ١٩ - ٢٢)

١٥- مفتاح السعادة لطاش كبري زاده (٢ / ٤٦٦)

١٦- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ / ١٨٢ - ١٨٣)

١٧- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٥ / ٢١ - ٢٢) .

١٨ - معجم المصنفين لمحمود حسن التونكي (٣ / ٢٧٧ -٢٨٢)

١٩- فهرس الفهارس للكتاني (٢ / ٦١٩ - ٦٢٠)

٢٠- بحث للأستاذ عيسى المعلوف بعنوان « البرهان إبراهيم بن عمر البقاعي » في مجلة الزهراء - العدد الثامن - شعبان عام (١٣٤٥ هـ) (ص : ٥١٣ - ٥١٥)

٢١- الأعلام للزركلي (١ / ٥٦)

٢٢- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٤٩ - ٥٠)

٢٣- معجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة (ص : ١٣ - ١٤)

==

٢٤- دراسة الشيخ عبد الرحمن الوكيل في مقدمة تحقيقه لكتابي : تنبيه الغبي ، وتحذير العباد للمولف

٢٥- عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم (٤ / ٢٢٥ - ٢٢٦)

٢٦- معجم المؤلفين الدمشقيين للدكتور صلاح الدين المنجد (ض : ٢٥٩ - ٢٦١)

٢٧- معجم الأعلام لبسام عبد الوهاب الجابي (ص : ١٧ - ١٨)

٢٨- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم (ص : ٧٠ - ١٣٣) .

٢٩- البقاعي وجهوده في التفسير - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر للدكتور محمد بحيري إبراهيم

٣٠- دراسة الدكتور محمد مرسي الخولي في مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد السادس والعشرون- الجزء الثالث - جماد الآخرة ، عام ١٤٠٠ هـ .

٣١- بحث الأستاذ خير الله الشريف بعنوان الإمام البقاعي ومؤلفاته في مجلة أفاق الثقافة والتراث ، السنة الثالثة ، العدد التاسع ، شهر محرم عام ١٤٠٦ هـ (ص : ٧٧ - ٨٨)

٣٢- بحث للدكتور محمد بحيري بعنوان « برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي وكتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » في مجلة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد الأول - سنة ١٤٠٢ هـ (ص : ٢٦١ - ٢٩٤)

٣٣- مقالة الأستاذ حسين اليعقوبي في مجلة دراسات أندلسية ، العدد السادس عام ١٤١١ هـ ، طباعة المطبعة المغاربية ، تونس (ص : ٤٩ - ٥٥) .

٣٤- دراسة الدكتور نجاتي قرا في مقدمة أطروحته للدكتوراه والتي بعنوان « برهان الدين البقاعي ومنهجه في التفسير » المقدمة إلى جامعة أتا تورك بتركيا عام ١٩٨١ م ، كما في مجلة الحكمة - العدد الخامس (ص : ٢٨٧)

٣٥- دراسة الدكتور إسماعيل الحاج أمين الحاج في مقدمة أطروحته للدكتوراه والتي بعنوان « دراسة وتحقيق مقدمة نظم الدرر وسورتي الفاتحة والبقرة » المقدمة لجامعة الأزهر عام ١٤٠٣ هـ

٣٦- دراسة الدكتور عبد السميع حسنين في مقدمة تحقيقه لكتاب « مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور » للمؤلف

٣٧- دراسة الدكتور محمد شديد العوفي في مقدمة تحقيقه لكتاب « إظهار العصر لأسرار أهل العصر » للمؤلف

٣٨- أعلام الفكر في دمشق بين القرنين الأول والثاني عشر للهجرة لإحسان بنت سعيد خلوصي (١١ - ١٣)

٣٩- دراسة الباحث خبير خليل في مقدمة أطروحته للماجستير والتي بعنوان « تحقيق القسم الأول من النكت الوفية » للمؤلف ، المقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤٠٦ هـ

٤٠- دراسة الأخ الفاضل يحيى الأسدي في مقدمة أطروحته للماجستير والتي بعنوان « تحقيق القسم الثاني من النكت الوفية » ، المقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١٤ هـ

٤١- دراسة الأخ الفاضل عبد الرحمن الرشيدان في مقدمة أطروحته للماجستير والتي بعنوان « تحقيق القسم الثالث من النكت الوفية » المقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١٥ هـ

٤٢- دراسة الأخ الفاضل جمعان الزهراني في مقدمة أطروحته للماجستير والتي بعنوان « تحقيق القسم الرابع من النكت الوفية » المقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١٧ هـ

٤٣- دراسة محمود محمد نصار في مقدمة تحقيقه لكتاب « سر الروح » للمؤلف

٤٤- دراسة مجدي فتحي السيد في مقدمة تحقيقه لكتاب « الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان » للمؤلف

٤٥- مقالة الأستاذ محمود توفيق محمد سعد في مجلة الفيصل - العدد الثمانين - شهر صفر - عام ١٤٠٤ هـ

٤٦- دراسة الأستاذ محمد رستم في مقدمة تحقيقه لكتاب « الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات » للمؤلف ، ضمن مجلة الإحياء ، العدد السابع رقم (١٩) شهر رمضان سنة ١٤١٦ هـ (ص : ١٧٨ - ١٨٢)

٤٧- دراسة محمد مجير الخطيب الحسيني في مقدمة تحقيقه لكتاب « الإعلام بسن الهجرة إلى الشام » للمؤلف

الباب الثاني : دراسة الكتاب ونسخه الخطية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : دراسة الكتاب ، وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : تحقيق اسم الكتاب .

المبحث الثاني : توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه .

المبحث الثالث : سبب تأليف الكتاب .

المبحث الرابع : تاريخ تأليف الكتاب .

المبحث الخامس : موضوع الكتاب ووصفه .

المبحث السادس : قيمة ومزايا الكتاب وأهميته العلمية .

المبحث السابع : منهج المؤلف في الكتاب .

المبحث الثامن : مصادر المؤلف في الكتاب .

المبحث التاسع : أهم المآخذ على الكتاب.

المبحث الأول : تحقيق اسم الكتاب :

يسمى هذا الكتاب : « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » كما نصّ على ذلك المؤلّف في مقدمة كتابه هذا حينما قال : « وبعد : فهذا كتاب سميته « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » .[1]

وفي أوائل كتابه « **نظم الدرر** » بعد أن ساق مجموعة من الأدلة على جواز النقل مَن الكتب القديمة ، حينما قال : « ثم صنَّفْت في ذلك تصنيفاً حسناً سميته « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » .[2]

وفي مؤخرة كتابه « **نظم الدرر** » حينما قال : « فصنَّفت في ذلك « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » ، بيَّنت فيه أن ذلك سنَّة مستقيمة » .[3]

وهكذا جاء على الورقة الأولى من النسختين الخطيتين المصرية والأسبانية .

وبهذا الاسم ذكر أيضاً في « **فهرست مصنفات البقاعي** »[4] ، وفي « **كشف الظنون**»[5] ، وفي « **هدية العارفين** »[6] ، وغير ذلك من كتب .

المبحث الثاني : توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه :

لا مجال للشكِّ في نسبة هذا الكتاب لمؤلفه - رحمه الله - ولم أعثر على أي خلاف في ذلك ، ولن يصادف الباحث أدنى صعوبة في تحقيق هذه النسبة ، والتي من الممكن إبرازها أيضاً من خلال الجوانب التالية :

---

(١) انظر : (ص : ١٨٨) .

(٢) نظم الدرر (١ / ١٠٠ - ١٠١) .

(٣) نظم الدرر (٨ / ٦٢٠) .

(٤) انظر : فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي (ق ٢ ب) .

(٥) انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ١٤٠ ، ٨٣٧) .

(٦) انظر : هدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) .

١- ما جاء في خطبة هذا الكتاب من التصريح باسم الكتاب ونسبته لمؤلفه.[(١)]

٢- ما جاء في كتب المؤلف الأخرى من ذكر الكتاب ونسبته له ، فقد ورد ذكره مثلاً في « **نظم الدرر** » في عدة مواطن .[(٢)]

٣- ما جاء على الورقة الأولى من النسختين الخطيتين من ذكر اسم الكتاب ومؤلفه .

٤- ما جاء في أواخر النسخة المصرية بخط المؤلف نفسه من مقابلة .

٥- ما جاء في كتاب تلميذه أحمد اللبودي من نسبة الكتاب للمصنف رحمه الله .[(٣)]

٦- ما ذكره كثير من العلماء في ترجمة المؤلف من نسبة الكتاب له - رحمه الله - ومنهم : حاجي خليفة [(٤)] ، والشوكاني الذي قال عنه : « وقد نال منه علماء عصره بسبب تصنيف هذا الكتاب [(٥)] ، وأنكروا عليه النقل من التوراة والإنجيل ، وترسلوا عليه ، وأغروا به الرؤساء ، ورأيت له رسالة يجيب بها عنهم وينقل الأدلة على جواز النقل من الكتابين وفيها ما يشفي » .[(٦)]

وكذا البغدادي [(٧)] رحم الله الجميع .

---

(١) انظر : (ص : ١٨٨) .

(٢) انظر : نظم الدرر (١ / ١٠٢) ، (٨ / ٦٢٠) .

(٣) انظر : فهرست مصنفات البقاعي (ق ٢ ب) .

(٤) انظر : كشف الظنون (١ / ١٤٠ ، ٨٣٧) .

(٥) يعني نظم الدرر .

(٦) البدر الطالع (١ / ٢٠) .

(٧) انظر : هدية العارفين (٥ / ٢٢) .

المبحث الثالث : سبب تأليف الكتاب :

ألف الإمام البقاعي -رحمه الله - كتابه المشهور في التفسير والمسمى « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** » والذي كان يستأنس فيه ببعض ما جاء في الكتب القديمة كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور لتأييد دين الإسلام من جهة ، والرد على الخصوم من أهل الملل من جهة أخرى ، ولكنَّ هذا الأمر لم يوافقه عليه خصومه من معاصريه الذين كادوا له وآذوه كثيراً بسبب بعض الوقائع والقضايا ، والتي تقدَّم ذكرها في فصل مستقل [1] ، فأنكروا عليه هذا الاستشهاد ، واتّهموه أنّه يريد إظهار التوراة والإنجيل على القرآن ، فانبرى - رحمه الله - بتأليف هذا الكتاب للردِّ عليهم وبيان جواز النقل من كتب أهل الملل والنحل المخالفة للإسلام للرد عليهم منها ، وبيان صحة دين الإسلام ؛ لأن الرد على الخصم بما يعتقده يعد من أقوى الحجج والبراهين ، مستشهداً لذلك بالآيات والأحاديث وأقوال وعمل أئمة وعلماء المسلمين ، وكذا لبيان سلامة كتابه « **نظم الدرر** » من أمور شنيعة وقع فيها غيره من المفسرين .

قال - رحمه الله - في مقدمة كتابنا هذا : « وبعد : فهذا كتاب سميته « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » أُحْوِجْتُ إلى تصنيفه ، وقد كان الزمان غنياً عنه بعدما مرّت دهور وهي خالية منه ... أَحْوَجَنِي إليه من قصرت به الرتبة السنية ، والهمة العلية ، فصار يُغْلي نفسه بالغض من الأفاضل ، والرفع من الأراذل والأسافل ، فصنَّفت هذا الكتاب لحزم ما زوَّره من الحساب ، وقرَّره من التكذاب ، وقدره من فظيع الارتكاب ... وذلك أنِّي لما صنعت الكتاب المذكور وهو المسمى « **نظم الدرر من تناسب الآي والسور** » ... حسدني عليه من هوت به

---

(١) انظر : المبحث الأول من الفصل الثالث من الباب الأول .

أهواؤه ، وأعضلت به أدواؤه ، فبسطوا ألسنتهم فيه بما زاده علواً وشرفاً ، ورقّاه رتباً وأسكنه علالي وغرفاً ، فلم يجدوا طعناً مخيلاً ، ولا شيئاً مميلاً عنه أو محيلاً ، سوى التبشيع بين الرعاع ، والتخجيل بالاستشهاد بالتوراة والزبور والإنجيل ... » .[(١)]

وقال - رحمه الله - في أواخر كتابه « **نظم الدرر** » عن كتابه « **النظم** » : « فإني بعدما توغّلت فيه ، واستقامت لي مبانيه ، فوصلت إلى قريب من نصفه ، فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبكه ، وغزارة معانيه ، وإحكام رصفه ، دب داء الحسد في جماعة أولي النكد ، والمكر واللدد ، يريدون الرئاسة بالباطل ، وكل منهم من جوهر العلم عاطل ، مدَّ ليل الجهل فيهم ظلامه ، وأَثَار نقعُ السفه على رؤوسهم سوادَه وقَتَامه ، صوَّبوا سهام الشرور والأباطيل ، وأنواع الزور ، فأكثروا التشييع بالتشنيع ، والتنقيح والتبشيع ، والتخطئة والتضليل ، بالنقل من التوراة والإنجيل ، فصَنَّفْتُ في ذلك « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » بيَّنتُ فيه أنَّ ذلك سنَّة مستقيمة ، لتأييد الملة الحنيفية العظيمة ، وأخرجت بذلك نصَّ الشافعي ، وكلام النووي والرافعي ، واستكتبت على الكتاب : العلماء الأنجاب » .[(٢)]

المبحث الرابع : تاريخ تأليف الكتاب :

أَلّف المصنف - رحمه الله - كتابه هذا سنة (٨٧٣ هـ) ، وذلك كما يبدو واضحاً من سير كلامه الذي ذكره بين طيات الكتاب عند حديثه عن المراسلة التي كانت بين برهان الدين بن ظهيرة ، وزين الدين عبد القادر بن شعبان بخصوص موافاة الثاني للأول ببقية كتاب المصنِّف « **نظم الدرر** » فقد قال - أعني البقاعي - :

---

(١) انظر : (ص : ١٩١ - ١٩٣) من هذا الكتاب .

(٢) انظر : نظم الدرر (٨ / ٦٢٠) .

« وقد صار عنده الآن في سنة ثلاث وسبعين منه إلى آخر الكهف » . [1]

ويؤيد هذا أيضاً أن الناسخ أبا اللطف محمد بن محمد الخطيب - تلميذ المصنف - ذكر أنه فرغ من كتابة نسخته في يوم السبت الرابع من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية الشريفة . [2]

المبحث الخامس : موضوع الكتاب ووصفه :

إنّ موضوع الكتاب يظهر لنا من خلال ما مضى ذكره في سبب التأليف ، حيث ذكرت هناك أنَّ المؤلف - رحمه الله - ألَّف كتابه هذا لبيان جواز النقل من التوراة والإنجيل والزبور لتأييد دين الإسلام ، والرد على الخصوم ولبيان سلامة كتابه « **نظم الدرر** » من أمور شنيعة وقع فيها غيره من المفسرين ، وقد ذكر في هذا الكتاب كثيراً من المسائل المتعلقة بالكتب القديمة ، وذلك مثل : متى يكون النقل منها ؟ ومتى لا يكون ؟ ومن هو الناقل ؟ وهل الكتب السماوية السابقة مبدَّلة أم غير مبدَّلة ؟ وما المبدَّل منها ؟ هل هو الجميع أم البعض ؟ وهل التبديل وقع في المعاني دون الألفاظ أم فيهما ؟ وغير ذلك من مسائل عقدية ، وتفسيرية ، وفقهية ، وتاريخية ، ولغوية .

وقد جعل المصنف - رحمه الله - كتابه هذا في : تمهيد ومقدمة ، وثمانية فصول ، وخاتمة ، ومن خلال الأسطر التالية - بإذن الله - سألقي نظرة سريعة على أهم ما ذكره في جنبات هذا التقسيم .

---

(1) انظر : (ص : ٢٢١) من هذا الكتاب .

(2) انظر : (ص : ٧١٩) من هذا الكتاب .

التمهيد :

جعل المصنف – رحمه الله – لِمقدمته تمهيداً اشتمل على عدة أمور منها :

١- ذكر سبب تأليفه لهذا الكتاب .

٢- ذكر حال أبرز خصومه ، وهو البدر ابن القطان ، وذكر ما كان عليه من معاشرة للأقباط النصارى ، وحضور لأعيادهم واحتفالاتهم ، مع ذكر بعض فتاويه المخالفة للدليل والبرهان .

٣- نقل بعض أقوال العلماء في مسألة الحكم لأيتام أهل الذمة ببقائهم على الكفر والشرك والتي أفتى بجوازها خصمه البدر ابن القطان .

٤- ذكر بعض من المناظرات التي حصلت بينه وبين خصومه في مسألة الكتاب .

٥- الإشارة إلى حكم إفتاء أهل الذمة بجواز إبقاء كنائسهم ، وجواز ترميمها.

٦- بيان ما المقصود بفاعل قال في قوله : قال في التوراة .

٧- ردّه على قول من قال : إن الله لا يغفر عقوق الأستاذين ، وبيان وجه مخالفة ذلك لكتاب الله تبارك وتعالى .

المقدمة :

وقد اشتملت على عدة أمور منها :

١- بيان الأسباب التي دفعت خصومه للنيل منه .

٢- الإشارة إلى ما نقله خصومه من تأليف مصنف مستقل في الرد عليه في هذه المسألة ، وذكر أنهم نقلوا في مصنفهم هذا كلاماً للعلماء دون مراعاة للسياق والسباق في كلامهم وأقوالهم .

٣- ذكر أنه طلب من خصومه الاجتماع معه ، أو مع أحد من جماعته للتباحث فيما أنكروا عليه من استدلال بكتب أهل الكتاب ، للرد عليهم منها ،

ولبيان الحق في ذلك ، لكنهم رفضوا واتبعوا أهواءهم .

الفصل الأول :

في كلام مشايخ الإسلام من أهل العصر في الكتاب مدحاً وإفتاءً :

ذكر - رحمه الله - في هذا الفصل تقاريظ كثيرة من علماء عصره لكتابه « **نظم الدرر** » وموقفه من النقل من الكتب القديمة ، والرد على أهلها منها ، مبيناً رأيهم في الكتاب ومؤلفه والمسألة التي نقم عليه بسببها .

وقد تضمَّنت هذه التقاريظ والفتاوى عدة أمور منها :

١- عند ذكره اسم كل مقرظ ذكر موقفه من فتنة أهل الحلول والاتحاد .

٢- بيان مكانة البقاعي العلمية .

٣- بيان رأي العلماء المقرظين في حكم النقل من الكتب القديمة .

٤- بيان معنى القاعدة الشرعية : جلب جميع المنافع ليس بواجب بالاتفاق ، ودفع المفاسد واجب بالاتفاق .

٥- الجمع بين أحاديث النهي التي دلَّت على حرمة النقل من الكتب القديمة ، وأحاديث الإباحة التي دلَّت على إباحة النقل .

٦- ذكر معنى قول بعض أهل العلم : إنَّ الكتب السماوية قد نسخت تلاوتها وكتابتها .

٧- الإشارة إلى مسألة متى يكون النقل ؟ ومتى لا يكون ؟ ومن هو الذي يجوز له النقل ؟ ومن هو الذي لا يجوز له ذلك ؟

٨- الإشارة إلى أنَّ البقاعي لم يأت ببدع من القول ، بل سار على نهج علماء المسلمين في القديم والحديث .

٩- اشتمال كثير من هذه التقاريظ على ألفاظ أدبية ، ونواحي بلاغية ، وأبيات شعرية ، وإطراء ومديح .

وفي أواخر هذا الفصل حذّر المصنِّف من كتب تضمَّنت عقائد مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة مثل : كتاب « **الكشاف** » للزمخشري ، و « **رسائل إخوان الصفا** » ، و « **الفلاحة** » لابن وحشية ، و « **الفصوص** » لابن عربي .

الفصل الثاني :

في حكم النقل من الكتب القديمة لتأييد دين الإسلام ، وإبطال مذاهب أهل الضلال :

اشتمل هذا الفصل على عدة أمور منها :

١- تعريف السنة ، وكان تعريفه لها على طريقة علماء الأصول الشافعيين .

٢- بيان أن الاستدلال على أهل الكتاب بما في التوراة والإنجيل والزبور في صحة دين الإسلام ، والرد عليهم في اعتقاداتهم الباطلة سنة جليلة ، أمر الله بها أشرف خلقه محمداً ﷺ بقوله : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1] وسار عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين .

٣- إن الرد على الخصوم بما يلتزمون به ، وبما يعتقدونه يعتبر من أبلغ الردود وأفضلها .

٤- التحذير من اتباع الهوى ، وبيان كيفية الحذر من الأهواء .

الفصل الثالث :

في الدلائل الدالة على أن النقل من الكتب القديمة لذلك المقصد سنة عظيمة وطريقة مستقيمة :

وقد اشتمل هذا الفصل على عدة أمور منها :

١- الحث على التأمل في الدليل الشرعي ، مع وجوب اتباعه والعمل به .

---

(١) سورة آل عمران - الآية : ٩٣ .

٢- الاستدلال على ما ذهب إليه المصنف بالقرآن ، وبكثير من الأحاديث النبوية مع عزوها لكثير من كتب السنة ، والحكم على بعضها أحياناً .

٣- بيان أن النبي ﷺ في غنى عن الاستشهاد بالكتب السابقة بما له من المعجزات الباهرات التي تُعَدُّ من الدلائل الدالة على وجوب الإيمان به ، وبيان أنَّ ما فعله من استشهاد بتلك الكتب للتنبيه على عِظَمِ جَدْوَى ذلك في الرد على الخصم .

٤- الحث على وجوب اتباع النبي ﷺ ، والأخذ بسنته ، والإذعان لها .

الفصل الرابع :

في الشواهد لِحُسن الاستدلال بها ، والمؤيِّدات الدَّالة على أنَّ ذلك يسر النبي ﷺ :

تكلم - رحمه الله - في هذا الفصل عن الشواهد والمؤيدات التي تؤيد ما ذهب إليه ، وذلك بذكره بعض القصص التي حدثت في عهد النبي ﷺ ، وكان فيها دلالة على الأخذ عن أهل الكتاب ، وكيف أن النبي ﷺ كان يدخله الفرح والسرور إذا سمع ما يؤيد كلامه من تلك القصص والأخبار ، ولقد ذكر المصنف هذه الأخبار معزوَّةً إلى مصادرها من كتب السنة ، مع بيان روايات وطرق كثير منها .

الفصل الخامس :

في كلام الأئمة على الأدلة وما يتراءى أنه يخالفها :

وقد اشتمل هذا الفصل على عدة أمور منها :

١- الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإباحة الدالة على حكم النقل من الكتب القديمة ، والتي يُظَنُّ أَنَّهَا متعارضة وتوجيهها التوجيه الصحيح .

٢- توجيه أقوال العلماء التي وردت في باب الأحداث ، والسير ، والجهاد ، والوصية ، والتي يُظنُّ أَنَّها مخالفة لما ذهب إليه المصنف التوجيه الصحيح .

٣- ما تضمَّنته أقوال العلماء في الانتفاع بالتوراة والإنجيل من فوائد ونكات

والتي منها :

أ- بيان موقف المسلم من كتب السحر ، والشعوذة ،والشرك .

ب- حكم مَسِّ الجُنب ، والمحدِث للتوراة والإنجيل .

ج- حكم الانتفاع بما عند الكفار من العلوم التي لا تخالف الإسلام مثل علم الطب وغيره .

٤- الرد على مَن يقول بجواز الاستنجاء بالتوراة والإنجيل .

٥- بيان أن إنكار ما دعت إليه أدلة الكتاب والسنّة التي استدل بها المصنِّف في كتابه ينادي على صاحبه بالاتهام على دين الإسلام وذلك من أربعة أوجه .

٦- الحث على التمسك بالكتاب والسنة ،وعدم مخالفتهما ذاكراً بعض أقوال السلف في ذلك .

الفصل السادس :

في ذكر بعض مَن نقل من الكتب القديمة من الأئمة وأعيان الأمة ، وذكر بعض ما نقلوه عن اليهود والنصارى :

نقل في هذا الفصل كثيراً من النقول عن أئمة الإسلام المتقدمين والمتأخرين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من علماء المسلمين ، مبيناً من تلك النقول موقفهم من النقل من التوراة ، والإنجيل ، والزبور .

وقد اشتمل هذا الفصل ، وتلك النقول على عِدَّةِ أمور منها :

١- ذكر أسماء وصفات النبي ﷺ في التوراة والإنجيل والزبور .

٢- حكم قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه .

٣- ذكر كثير من القصص والأخبار الدالة على نبوة النبي ﷺ .

٤- الإشارة إلى ضلال النصارى في زعمهم أن الله ثالث ثلاثة .

٥- ذكر موقف بني إسرائيل من القرابين والغنائم .

٦- الرد على النصارى في زعمهم : أن عيسى ابن الله ، وبيان معنى قولهم عن عيسى عليه السلام : أذهب إلى أبي وأبيكم .

٧- الإشارة لمسألة كيفية نزول التوراة والإنجيل .

٨- الإشارة لمسألة اشتراط التفسير في قبول الجرح .

٩- التنبيه على مسألة مهمة ، وهي أنه من الحكمة عدم رواية المشْكِل الذي لا تحتمله عقول العوام للعوام .

الفصل السابع :

في أن الكتب القديمة هل هي مبدَّلة ؟ وما المبدَّل منها ؟ :

وقد اشتمل هذا الفصل على عدة أمور منها :

١- ذكر أقوال العلماء في تحريف التوراة والإنجيل ، وهل كان التحريف في الجميع أم في البعض ؟ أم كان التحريف في المعاني دون الألفاظ ؟ أم في المعاني والألفاظ ؟ مع بيان الراجح في المسألة .

٢- الإشارة إلى سبب تحريف التوراة ، وإملاء عزرا الهاروني لها .

٣- الإشارة إلى مجمع نيقية وما حدث فيه من اعتماد الأناجيل .

٤- الرد على من زعم أن التوراة والإنجيل لم يحرفا ! وبيان اللوازم التي تلزم من هذا القول .

٥- الرد على الزركشي في دعواه الإجماع على أنَّه لا يجوز النظر في الكتب السماوية السابقة مطلقاً .

٦- الإشارة إلى مسألة مهمة وهي : أيهما يقدم قول ناقل الإجماع ؟ أم قول ناقل الخلاف ؟

٧- التوسُّع في تخريج حديث غضب النبي ﷺ من عمر بن الخطاب ﷺ حينما رأى معه صحيفة من التوراة .

٨- الإشارة إلى أن النبي ﷺ قد يغضب من فعل المكروه ، ومن فعل خلاف الأولى ، إذا صدر ممّن لا يليق منه ذلك .

٩- ذِكْر من يجوز له النظر في تلك الكتب ، ومتى يكون ذلك .

الفصل الثامن :

في أنَّ حكم النقل عن بني إسرائيل ، ولو كان فيما لا يُصَدِّقه كتابنا ولا يكذِّبه الجواز :

وقد اشتمل هذا الفصل على عدة أمور منها :

١- أن ما ينقل عن بني إسرائيل وغيرهم فيما لم يصدِّقه كتابنا ، ولم يكذبه الجواز ، لأن المقصود بها الاستئناس لا الاعتماد ، بخلاف ما يستدل به في شرعنا فإنَّه العمدة في الاحتجاج بالدين فلا بد من ثبوته .

٢- ذكر أقسام الأدلة الشرعية من ناحية الصحة والضعف .

٣- بيان وجوب التحذير من الأحاديث الموضوعة ، وأنه لا يجوز روايتها إلا لبيان حالها .

٤- بيان معنى قول النبي ﷺ : « **حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » .

الخاتمة :

وقد أطال المصنف -رحمه الله - النفس فيها ، وقد ضمَّنها أمرين :

الأمر الأول : بيان سلامة كتابه « **نظم الدرر** » من الأمور الشنيعة التي وَقعت عند غيره من المفسِّرين .

وقد اشتمل هذا الأمر على عدة نقاط منها :

١- بيان أنه وقع في كثير من كتب التفسير كـ « **الكشاف** » للزمخشري و « **تفسير البيضاوي** » و « **تفسير الواحدي** » و « **تفسير الثعلبي** » كثيرٌ من الأحاديث الموضوعة ، مثل حديث فضائل القرآن سورةً سورةً المروي عن ابن عباس

وأبي بن كعب رضي ا لله عنهم .

٢- تحذيره من كتاب « **الكشاف** » للزمخشري خاصة ، وذلك لاشتماله على كثير من الاعتزاليات التي اغتر بها كثير من الناس .

٣- الدفاع عن الحرالي الذي أكثر من النقل عنه في كتابه « **نظم الدرر** » .

٤- الحديث عن منسألة مهمَّة يجب علينا مَعاشِرِ الطلاب الوقوفُ عليها والتأمل فيها وهي مسألة ضوابط التكفير ، والجرح والتعديل ، وكان من أبرز ما ذكره من ضوابط :

أ- معرفة الكبائر والصغائر .

ب- معرفة ما يوجب الفسق وما لا يوجبه .

ج- معرفة المكفِّر من الذنوب وغير المكفِّر .

د- معرفة أقسام البدعة المكفِّرة والمفسِّقة .

٥- بيانه لحال خصمه ابن القطان ، وما هو عليه من ضياع للأوقات والاشتغال بما لا طائل تحته ، ونصرته للبدع وأهلها .

٦- ذكر أنَّه صان كتابه « **نظم الدرر** » مما وقع في كثير من كتب التفسير من الحط على بعض الأنبياء ، بسبب ما نقلوه من كتب أهل الكتاب من أباطيل وأراجيف دون تمحيص .

الأمر الثاني : وهو في بيان كمال كتابه « **نظم الدرر** » وقد قسمه إلى قسمين :

القسم الأول :

شرح فيه ثمان آيات من كتاب ا لله تعالى من سور متفرقة اختلف في تفسيرها العلماء ، فبيَّن قول العلماء فيها ، ثم بيَّن قولَه فيها من كتابه « **نظم الدرر** » ، وقد تضمَّنت هذه الآيات نواحي مختلفة من العلوم ، فقد كان منها ما يتعلق بالعقيدة ، ومنها ما يتعلَّق بالفقه ، والأكثر يتعلَّق باللغة والنحو والقراءات.

القسم الثاني :

ذكر في هذا القسم تفسير أخصر سورة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وهي سورة الكوثر ، وكان الكلام عليها من ناحيتين ، أولاهما ذكر تفسير ابن النقيب البلخي لها ، وثانيهما ذكر تفسيره لها من « **نظم الدرر** » بعدما عقَّب على تفسير ابن النقيب ببعض التعقيبات .

وقد تضمن تفسير ابن النقيب لهذه السورة فوائد عديدة تصلح أن تكون في بحث مستقل ، إذ تكلَّم عنها من ستة عشر وجهاً كان من أهمِّها : بيان معنى الكوثر ، وهل الكوثر هو الحوض ؟ أم هناك فرق بينهما ؟ والكلام على منكري الحوض والكوثر وجزاؤهم ، والكلام عن سبب نزولها ، ووجه انتظامها لما قبلها ، وغير ذلك من الفوائد .

وأما حديث البقاعي عنها ، فقد اشتمل على نواحي شتى أيضاً ، فتكلَّم عن مقصودها ، وعن بيان فساد كلام مسيلمة الكذاب في معارضتها ، وعن وجه ارتباطها بما قبلها ، ووجه ارتباط بعضها ببعض ، وعن الإشارات فيها ، والتي لا تخلو من مبالغة في بعض الأحيان ، وغير ذلك من قضايا .

وفي أواخر هذا الفصل ، تكلَّم عن حاله مع خصومه ، وأنَّه لا يريد منهم مالاً ولا جاهاً ، بل يريد منهم تركه وإهماله وعدم التعرض له ، ثم ختم كتابه – رحمه الله – بالحث على وجوب الكف عن أعراض المسلمين ، وعدم التعرض لهم .

وأخيراً أقول : إنَّ ما ذكرته في هذه العُجالة هو غيضٌ من فيضٍ ممَّا حواه هذا الكتاب من مباحث ومسائل ، والله الموفِّق .

المبحث السادس : قيمة ومزايا الكتاب وأهميته العلمية :

لعله مما سبق ذكره في المبحث السابق من بعض ما اشتمل عليه هذا المؤلَّف من موضوعات ، ومسائل ، ولطائف ، ونكات قد ظهر لنا جلياً أهمية ومزايا هذا الكتاب الذي استطاع مصنِّفه - رحمه الله - أن يجمع فيه هذه النقول الكثيرة ، وهذه المسائل المتعددة المتشعبة الوفيرة .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هناك عدة نقاط تبرز لنا قيمة ومزايا الكتاب وأهميته العلمية أيضاً من أهمها :

١- اشتمال الكتاب على كثير من النصوص الشرعية .

٢- اشتمال الكتاب على كثير من النقول عن أئمة الإسلام في موضوع الكتاب ، والتي لم تجمع في مكان ومؤلَّف واحد ، وذلك حسب علمي القاصر .

٣- ما اشتمل عليه الكتاب من الإسهاب في ذكر روايات كثيرة للأحاديث ، مع الحكم عليها من ناحية الصحة والضعف .

٤- ما اشتمل عليه الكتاب من تحرير لمسألة النهي عن النقل من الكتب القديمة ، وبيان وجه إباحة النقل منها .

٥- ما اشتمل عليه الكتاب من إبراز لمسألة تبديل التوراة والإنجيل ، وهل التبديل وقع في جميعها أم في بعضها ؟ وهل كان التبديل للمعاني دون الألفاظ ؟ أم فيهما ؟ وما يجوز نقله منهما وما لا يجوز ؟ ومن هو الناقل ؟

٦- ما اشتمل عليه الكتاب من تحذير من بعض كتب أهل البدع كـ « **الكشاف** » ، و « **فصوص الحكم** » ، و « **رسائل إخوان الصفا** » .

٧- ما اشتمل عليه الكتاب من ذكر كثير من الآداب والوصايا التي ينبغي لطالب العلم وَضْعُهَا نُصْب عينيه وذلك مثل :

أ- اتباع الكتاب والسنة واجتناب البدعة .

ب- عدم الخوض والطعن في أعراض المسلمين .

جـ- عدم الانشغال وتضييع الأوقات فيما لا طائل تحته .

د- معرفة بعض شروط التكفير والتفسيق .

٨- ما اشتمل عليه الكتاب من فوائد النظر في كتب أهل الملل والنحل من قِبَل المتخصصين .

٩- ما اشتمل عليه الكتاب من ذكر بعض القواعد والفوائد والمصطلحات الشرعية ، وذلك مثل :

أ- جلب جميع المنافع ليس بواجب بالاتفاق ، ودفع المفاسد واجب بالاتفاق .

ب- أفعاله ﷺ ودلالتها على الأحكام .

جـ- القياس ومتى يكون ؟

١٠- ما اشتمل عليه الكتاب من ذكر لأسماء كثير من الكتب ، والمصنفات في مختلف العلوم والفنون والتي لا زال كثير منها مخطوطاً .

١١- كثرة مصادر المؤلف في كتابه ، ودقته في النقل منها .

١٢- ما اشتمل عليه الكتاب من بيان مكانة المؤلف العلمية ، وبيان حال العصر الذي عاش فيه رحمه الله .

١٣- ومن النقاط التي تبرز لنا أهمية الكتاب ،ما نعيشه هذه الأيام من انفتاح على العالم الكبير والذي أصبح كالقرية الصغيرة ، وبسبب هذا الانفتاح أصبح في متناول كثير من أبناء المسلمين كثيرٌ من كتب أهل الملل والنحل ، فكثرت تساؤلات كثير منهم عن حكم النظر في تلك الكتب ، هل هو الجواز أم المنع ؟ أم هناك تفصيل ؟ ومتى يجوز النقل ؟ ومتى لا يجوز ؟ وما هي الفوائد التي نأخذها إن نظرنا ونقلنا منها ؟ وما هي المضار التي نجنيها لو نظرنا في تلك الكتب ؟ تساؤلات عدة راودت كثيراً من النفوس ، فجاء هذا الكتاب لبيان هذه التساؤلات من كتاب الله

وسنة رسول الله ﷺ ، وأقوال وعمل أئمة الإسلام .

١٤- ما اشتمل عليه الكتاب من ذكر كثير من المباحث اللغوية ، والأبيات الشعرية ، والنواحي البلاغية ، والألفاظ الأدبية .

وأخيراً أقول : مع أن الكتاب أصله في بيان مسألة صغيرة في علم مقارنة الأديان ، وهي حكم النقل من كتب أهل الملل والنحل ، إلا أنه يعد موسوعة حافلة بكثير من الموضوعات والمباحث والمسائل المتعددة الجوانب ، والتي قد أشرت إلى جزءٍ منها في المبحث السابق ، وسنقف - بإذن الله - عليها وعلى غيرها بين طياته.

المبحث السابع : منهج المؤلف في الكتاب :

ذكر المصنِّف -رحمه الله - في مقدمة كتابه هذا الأطر الأساسية العامة التي سار عليها فيه وذلك حينما قال : « وكنتُ أولاً كتبته على وجهٍ دون هذا ، فكتب عليه صاحبي العلامة نور الدين علي بن محمد المحلي الشافعي ، حواشي نافعة مهمة ، فأحببت أن أذكرها في هذا التصنيف معزوَّةً إليه ، فستراها في مواضعها - إن شاء الله تعالى - ورتبته في مقدمة وثمانية فصول وخاتمة » . [1]

ثم شرع - رحمه الله - في ذكر عناوين هذه الأُطُر وهذه التقسيمات . [2]

ثم إنه من خلال قراءة هذا الكتاب ، والعمل في تحقيقه ، تبيَّن لي بعض الأمور التي سار عليها المؤلف - رحمه الله - في كتابه والتي تعد من منهجه فيه ، ومنها :

١- تتبع روايات وطرق بعض الأحاديث التي استدل بها في كتابه ، ومن ذلك

---

(١) انظر : (ص : ٢١٧ - ٢١٨) .

(٢) انظر : المبحث الخامس من هذا الفصل .

على سبيل المثال : حديث رجم اليهوديين [1] ، وحديث « **لو كان موسى حياً ما وسعه إلاَّ اتباعي** » [2] ، وحديث الجساسة . [3]

٢- الحكم في بعض الأحيان على تلك الأحاديث ببيان ما في سندها من حال بعض الرواة ، ونقل كلام العلماء في ذلك . [4]

٣- تكرار الأدلة التي يستشهد بها في مواطن عدة من كتابه . [5]

٤- الإكثار من النقول عن كثير من العلماء ، مع الإطالة في ذلك أحياناً . [6]

٥- شدة التحري والاحتياط ، في ذكر المصادر والمراجع التي استقى منها مادته العلمية ، ويندر أن يستفيد من أحد ويُهمله ، إلا أنه - رحمه الله - ليس له منهجٌ موحدٌ عند النقل والإفادة من هذه الكتب ، فربما يذكر اسم المنقول منه والكتاب الذي نقل منه [7] ، وربما يذكر اسم الكتاب فقط [8] ، وربما يذكر اسم المؤلف فقط دون اسم الكتاب [9] ، وربما نقل بالنص ، وربما ينقل بالمعنى ، مع بعض التقديم والتأخير . [10]

وكان - رحمه الله - في بعض الأحيان يحدد مواطن النقل في تلك المصادر

---

(١) انظر : (ص : ٢٨٨ - ٢٩٥) .

(٢) انظر : (ص : ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٤٩٥ - ٤٩٩) .

(٣) انظر : (ص : ٣١١ - ٣١٧) .

(٤) انظر : (ص : ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٣٦٨ - ٣٦٩ ، ٦٩٥) .

(٥) انظر: (ص: ٢٠٩، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٨٨ -٢٩٥، ٣٢٩ -٣٣٠، ٣٦٤، ٣٦٧، ٤٩٥-٤٩٩).

(٦) انظر : الفصلين الخامس والسادس ، وكذا ما نقله عن ابن النقيب في خاتمة الكتاب .

(٧) انظر : (ص : ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٣٤١ ، ٣٦٤) .

(٨) انظر : (ص : ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٥٨٥) .

(٩) انظر : (ص : ٤٥٤ ، ٤٦٣ ، ٥٧١) .

(١٠) انظر : (ص : ٥١١ - ٥١٢) .

والمراجع .[1]

٦- يذكر في بعض الأحيان عند نهاية الكلام كلمة « انتهى » ، وأحياناً كثيرة لا يذكرها .[2]

٧- يدرج - رحمه الله - عند نقله من بعض الكتب كلاماً من عنده ، يوضح به المراد .[3]

٨- الترجمة لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في بعض الأحيان .[4]

٩- استخدام بعض الكلمات والجمل المسجوعة أحياناً .[5]

١٠- الاهتمام بالمباحث اللغوية في الخاتمة .

١١- ذكر في الخاتمة عند شرحه الآيات الثمان ، وسورة الكوثر أقوال العلماء فيها أولاً ، ثم بيَّن رأيه فيها ، وما ذكره في « **نظم الدرر** » حولها .

١٢- ذكره لمجموعة لا بأس بها من الأبيات الشعرية في كتابه .[6]

المبحث الثامن : مصادر المؤلف في الكتاب :

كان الإمام البقاعي - رحمه الله - مكتبة مليئة بأمهات الكتب ، في شتى العلوم والفنون ، فقد تنوعت موارده ومصادره في هذا الكتاب ، فلم يقتصر - رحمه الله - على كتب فنٍّ واحد فقط بل حوى كتابه مصادر وموارد متعددة ، فمنها ما

---

(١) انظر : (ص : ٣٤٧ ، ٤٧٤ ، ٥٠٧) .

(٢) انظر : (ص : ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٥١٠ ، ٥١٢) .

(٣) انظر : (ص : ٣٣٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣) .

(٤) انظر : (ص : ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٣٧٩ - ٣٨٠ ، ٤٠١ - ٤٠٢) .

(٥) انظر : مقدمة الكتاب .

(٦) انظر : (ص : ٤٦٤ ، ٥٠٣ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٧١٥ ، ٧١٨) .

يتعلّق بالعقيدة والملل والنحل ، ومنها ما يتعلّق بالقرآن وعلومه ، ومنها ما يتعلّق بالحديث وعلومه ، ومنها ما يتعلّق بالفقه ، ومنها ما يتعلّق باللغة ، وبعضها الآخر بالتاريخ والتراجم . وفيما يلي عرض معجمي لمصادره - رحمه الله - التي نقل منها في هذا الكتاب [(١)] :

١-الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي . [(٢)]

٢-إحياء علوم الدين للغزالي . [(٣)]

٣-أخبار البدريين لأسامة بن مرشد . [(٤)]

٤-أسباب النزول للواحدي . [(٥)]

٥-الاستغناء بالقرآن لابن رجب . [(٦)]

٦-الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر . [(٧)]

٧-الإصابة في تمييز أخبار الصحابة للحافظ ابن حجر . [(٨)]

٨-الأم للشافعي . [(٩)]

---

(١) هناك كتب كثيرة سيجدها القارئ الكريم بين طيات الكتاب غير مذكورة هنا ، ويعود السبب في ذلك إلى أن تلك الكتب مذكورة ضمن النقول التي نقلها المصنف من كتب من نقل عنهم من أهل العلم ، وسيجدها - بإذن الله - مذكورة ضمن فهرس الكتب الواردة في المتن .

(٢) انظر : (ص : ٤٤٦) .

(٣) انظر : (ص : ٣٧٧) .

(٤) انظر : (ص : ٢٩٥ ، ٤٧٣) .

(٥) انظر : (ص : ٢٩٦) .

(٦) انظر : (ص : ٣٦٩) .

(٧) انظر : (ص : ٣٠٠) .

(٨) انظر : (ص : ٤٧٤) .

(٩) انظر : (ص : ٣٤٤ ، ٣٥٥) .

٩-البحر المحيط لأبي حيان .[١]

١٠-البسيط للغزالي .[٢]

١١-بهجة الحاوي لابن الوردي .[٣]

١٢-تاريخ ابن الشحنة (روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر) .[٤]

١٣-تاريخ ابن الوردي .[٥]

١٤-تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب لبدر الدين الدماميني .[٦]

١٥-ترتيب كتاب الأم للبلقيني .[٧]

١٦-الترشيح لتاج الدين السبكي .[٨]

١٧-تفسير ابن النقيب لمحمد بن سليمان البلخي .[٩]

١٨-تفسير الأصفهاني .[١٠]

١٩-تفسير البغوي .[١١]

---

(١) انظر : (ص : ٤٤١ ، ٦١٥) .

(٢) انظر : (ص : ٣٤٦) .

(٣) انظر : (ص : ٣٤٧) .

(٤) انظر : (ص : ٤٦٣) .

(٥) انظر : (ص : ٤٦٣) .

(٦) انظر : (ص : ٤٩١) .

(٧) انظر : (ص : ٣٥٤) .

(٨) انظر : (ص : ٥٩٠) .

(٩) انظر : (ص : ٦٢٩ ، ٦٣٨) .

(١٠) انظر : (ص : ٤٢٦ ، ٤٨٢ ، ٥٧٠) .

(١١) انظر : (ص : ٣٠٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧) .

٢٠-تفسير البيضاوي .[١]

٢١-تفسير الثعلبي .[٢]

٢٢-تهذيب الأسماء واللغات للنووي .[٣]

٢٣-التهذيب في فقه الإمام الشافعي للبغوي .[٤]

٢٤-حاشية نور الدين المحلي على الأقوال القويمة .[٥]

٢٥-حلية الأولياء لأبي نعيم .[٦]

٢٦-خير البشر بخير البشر لمحمد بن ظفر .[٧]

٢٧-الدر المصون في علوم القرآن المكنون للسمين الحلبي .[٨]

٢٨-دلائل النبوة للبيهقي .[٩]

٢٩-الديباج في توضيح المنهاج لبدر الدين الزركشي .[١٠]

٣٠-الرد الجميل على من غيَّر التوراة والإنجيل للغزالي .[١١]

---

(١) انظر : (ص : ٤٢٥ ، ٤٥٠ ، ٦٠٠) .

(٢) انظر : (ص : ٥١٨) .

(٣) انظر : (ص : ٢٨٧) .

(٤) انظر : (ص : ٣٤٨ ، ٣٥٠) .

(٥) انظر : (ص : ٣٢٦ ، ٣٨٦ ، ٤٨٨) .

(٦) انظر : (ص : ٧١٥) .

(٧) انظر : (ص : ٤٠٧) .

(٨) انظر : (ص : ٥٤٠) .

(٩) انظر : (ص : ٣٢٠ ، ٣٨٩ ، ٧١٢) .

(١٠) انظر : (ص : ٣٢٧) .

(١١) انظر : (ص : ٤٤٥) .

٣١-الرسالة للشافعي .[١]

٣٢-روضة الطالبين للنووي .[٢]

٣٣-سنن أبي داود .[٣]

٣٤-سنن ابن ماجه .[٤]

٣٥-سنن الترمذي .[٥]

٣٦-سنن الدارقطني .[٦]

٣٧-سنن الدارمي .[٧]

٣٨-سنن النسائي .[٨]

٣٩-السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني .[٩]

٤٠-سير السالك إلى أسنى المسالك لأبي بكر الحصني .[١٠]

٤١-سيرة ابن إسحاق .[١١]

---

(١) انظر : (ص : ٣٥٩ ، ٤٨١ ، ٥٠٧) .

(٢) انظر : (ص : ٣٤٧ ، ٣٤٩) .

(٣) انظر : (ص : ٢٨٨ ، ٣١١) .

(٤) انظر : (ص : ٢٩٢ ، ٣١١) .

(٥) انظر : (ص :٢٨٩ ، ٣١١ ، ٥٠٦) .

(٦) انظر : (ص : ٢٩٤) .

(٧) انظر : (ص : ٢٨٨ ، ٣٥٧ ، ٤٠٣) .

(٨) انظر : (ص : ٢٨٩) .

(٩) انظر : (ص : ٣١١) .

(١٠) انظر : (ص : ٣٨٠) .

(١١) انظر : (ص : ٣٠٣ ، ٣١٨) .

٤٢-السيرة النبوية - أو تهذيب السيرة النبوية لابن هشام .[١]

٤٣-شرح التنبيه لأبي العباس أحمد بن لؤلؤ المشهور بابن النقيب .[٢]

٤٤-شرح السراجية لأكمل الدين محمد بن محمود الحنفي .[٣]

٤٥-شرح السنة للبغوي .[٤]

٤٦-شرح الكرماني على صحيح الإمام البخاري .[٥]

٤٧-شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني .[٦]

٤٨-شرح المواقف للجرجاني .[٧]

٤٩-الشفاء للقاضي عياض .[٨]

٥٠-الصحائف الإلهية للسمرقندي .[٩]

٥١-صحيح ابن حبان .[١٠]

٥٢-صحيح البخاري .[١١]

---

(١) انظر : (ص : ٣٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٨) .

(٢) انظر : (ص : ١٩٩) .

(٣) انظر : (ص : ٤٥١) .

(٤) انظر : (ص : ٣٢٠) .

(٥) انظر : (ص : ٣٢٣) .

(٦) انظر : (ص : ٣٧٢ ، ٤٤٧) .

(٧) انظر : (ص : ٤٤٨) .

(٨) انظر : (ص : ٣٦٦، ٣٧٠ ، ٣٨١) .

(٩) انظر : (ص : ٤٤٧) .

(١٠) انظر : (ص : ٣٢٠) .

(١١) انظر : (ص : ٢٠٩ ، ٢٨٨ ، ٥٠٦) .

٥٣-صحيح مسلم .[1]

٥٤-طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة .[2]

٥٥-طبقات الشافعية للأسنوي .[3]

٥٦-طبقات الشافعية الوسطى للسبكي .[4]

٥٧-عوارف المعارف للسهروردي .[5]

٥٨-الغاية في اختصار النهاية للعز بن عبد السلام .[6]

٥٩-فتاوى ابن الصلاح .[7]

٦٠-فتح الباري للحافظ ابن حجر .[8]

٦١-فتح العزيز بشرح الوجيز للرافعي .[9]

٦٢-فتح المغيث بشرح ألفية الحديث لزين الدين العراقي .[10]

٦٣-فتوح مصر والمغرب لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم .[11]

٦٤-الكتاب المقدَّس .[12]

---

(١) انظر : (ص : ٢٨٨ ، ٣١١) .

(٢) انظر : (ص : ٤٦٣) .

(٣) انظر : (ص : ٤٦٣) .

(٤) انظر : (ص : ٤٦٣) .

(٥) انظر : (ص : ٣٠٩) .

(٦) انظر : (ص : ٣٤٥) .

(٧) انظر : (ص : ٤٢٤) .

(٨) انظر : (ص : ٣٢٩ ، ٤٧٨) .

(٩) انظر : (ص : ٣٤٠ ، ٣٤٤) .

(١٠) انظر : (ص : ٤٦٧ ، ٥١٠) .

(١١) انظر : (ص : ٢٢٤ ، ٣٦٧ ، ٤٠٤) .

(١٢) انظر : (ص : ٣٥٢) .

٦٥-الكشاف للزمخشري .[١]

٦٦-الكفاية لابن الرفعة .[٢]

٦٧-المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري .[٣]

٦٨-المجموع شرح المهذب للنووي .[٤]

٦٩-المجيد في إعراب القرآن المجيد لبرهان الدين السفاقسي .[٥]

٧٠-مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري .[٦]

٧١-مختصر السنن للمنذري .[٧]

٧٢-مختصر الكفاية لأبي العباس أحمد بن لؤلؤ المشهور بابن النقيب .[٨]

٧٣-مختصر المزني .[٩]

٧٤-مسند أبي يعلى .[١٠]

٧٥-مسند أحمد بن منيع .[١١]

---

(١) انظر : (ص : ٣٧٩ ، ٥١٨ ، ٥٨٤) .

(٢) انظر : (ص : ٣٤١ ، ٣٤٧) .

(٣) انظر : (ص : ٧١١) .

(٤) انظر : (ص : ٢٨٥ ، ٣٤٧) .

(٥) انظر : (ص : ٥٥٧ ، ٦١٩) .

(٦) انظر : (ص : ٢٩٩) .

(٧) انظر : (ص : ٢٩٢) .

(٨) انظر : (ص : ٣٤٧) .

(٩) انظر : (ص : ٣٤٣) .

(١٠) انظر : (ص : ٣١٢) .

(١١) انظر : (ص : ٣٢١) .

٧٦-مسند إسحاق بن راهويه .[1]

٧٧-مسند الإمام أحمد .[2]

٧٨-مسند الحارث بن أبي أسامة .[3]

٧٩-مسند مسدد بن مسرهد .[4]

٨٠-مصنف أبي بكر بن أبي شيبة .[5]

٨١-المعجم الكبير للطبراني .[6]

٨٢-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام .[7]

٨٣-مفاتيح الغيب للرازي .[8]

٨٤-المنتخب لعبد بن حميد .[9]

٨٥-موطأ الإمام مالك .[10]

٨٦-ميزان الاعتدال للذهبي .[11]

---

(١) انظر : (ص : ٢٩٩) .

(٢) انظر : (ص : ٢٢٣ ، ٣١١ ، ٣٦٧) .

(٣) انظر : (ص : ٣١٨) .

(٤) انظر : (ص : ٣٢١) .

(٥) انظر : (ص : ٣٠٠ ، ٣١٨) .

(٦) انظر : (ص : ٣١١) .

(٧) انظر : (ص : ٦١٦) .

(٨) انظر : (ص : ٤٣٧) .

(٩) انظر : (ص : ٣٢١) .

(١٠) انظر : (ص : ٣٧٤) .

(١١) انظر : (ص : ٥٢٦) .

٨٧-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للمؤلف .[١]

٨٨-النهجة المرضية في شرح البهجة الوردية لولي الدين أبي زرعة العراقي.[٢]

٨٩-النهر الماد من البحر لأبي حيان .[٣]

٩٠-الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي .[٤]

٩١-وفيات الأعيان لابن خلكان .[٥]

المبحث التاسع : أهم المآخذ على الكتاب :

إنَّ ما ذكرته في قيمة ومزايا ومحاسن الكتاب وأهميته العلمية ،لا يمنع من إبداء بعض الملحوظات والمآخذ التي وجدتها من خلال عملي فيه ، والتي تُعَدُّ من قبيل الاجتهاد ، وهي عُرضة للخطأ والصواب ، وإن كنت لست أهلاً لذلك ، ولست فارساً من فرسان هذا الميدان الذي له أهله ورجاله ، ولكن هي متطلبات البحث العلمي ، والله المستعان وعليه التكلان .

وإن من أهم تلك الملحوظات والمآخذ ما يلي :

١- وجود مجموعة من المآخذ العلمية والمنهجية عند نقله عن العلماء ومن ذلك:

أ - خطأه في العزو أحياناً ، وذلك عند نقله من كتاب معيَّن ، فيذكر أنَّ الكلام موجود في باب كذا أو في مبحث كذا ، وعند البحث أجد أنَّ الكلام يوجد

(١) انظر : (ص : ٥٤٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٨) .

(٢) انظر : (ص : ٢٠٠) .

(٣) انظر : (ص : ٤٤٣ ، ٦٠٠ ، ٦١٤) .

(٤) انظر : (ص : ٥١٨) .

(٥) انظر : (ص : ٤٥٩ ، ٧١٣) .

في مبحث آخر .[1]

ب- عدم فصله بين كلام مَن ينقل عنهم ، وكلامه في بعض الأحيان ، مما يسبب لبساً للقارئ .[2]

جـ- التقديم والتأخير أحياناً في بعض كلام مَن ينقل عنهم ، ومن ذلك ما نقله عن الشافعي في « **الرسالة** » .[3]

د- وجود بعض الاختلاف الجوهري أحياناً قليلة بين نقله ، وبين ما هو موجود في تلك الكتب .[4]

هـ- اختلاط النقول فيما بينها في بعض الأحيان .[5]

و- الإطالة والإسهاب في النقل ، حتى إن القارئ في بعض الأحيان يظنُّ ويشعر أن النقل انتهى وأصبح الكلام للبقاعي ، وذلك بسبب طوله ، ومن ذلك كلام ابن النقيب في خاتمة الكتاب .

ز- كثرة النقل والإسهاب في ذلك ، فينقل - رحمه الله - عدة نقول المراد منها واحد ، وإن كانت لا تخلو من فائدة .[6]

٢- وجود مجموعة من المآخذ والأخطاء العلمية والمنهجية عند من ينقل عنهم ومن ذلك :

أ- ذكر تعريف الأشاعرة لكلام الله ضمن كلام محب الدين ابن الشحنة

---

(١) انظر : (ص : ٣٤٤ ، ٤٨٢) .

(٢) انظر : (ص : ٢٠١ ، ٣٤٦) .

(٣) انظر : (ص : ٥١١ - ٥١٢) .

(٤) انظر : (ص : ٣٢٣ ، ٦٣٠) .

(٥) انظر : (ص : ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٦٠٢ ، ٦١٣ - ٦١٦) .

(٦) انظر : الفصلين الخامس والسادس .

وإقراره لذلك .[1]

ب- عزو القاضي عياض لحديث عائشة رضي الله عنها : « **لم يكن النبي ﷺ فاحشاً** ... » لـ « **الصحيح** » ، مع أن الحديث ليس في « **الصحيح** » .[2]

جـ- عزو شيخه الكافيجي لحديث ابن عمرو : « **بَلِّغُوا عني ولو آية** .. » لـ « **الصحيحين** » مع أن الحديث في البخاري فقط .[3]

د- تصحيف ناسخ تفسير ابن النقيب لاسم إسحاق بن أبي إسرائيل ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، عند نقله من « **سنن الدارقطني** » .[4]

هـ- ذكر بعض الأحاديث الضعيفة في تلك النقول دون تنبيه على ذلك ، ومن ذلك : حديث « **رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر** » ضمن كلام البيضاوي .[5]

و- نقله كلام الحافظ ابن حجر لحديث : « **لا تسألوا أهل الكتاب** ... » من طريق أحمد والبزار ، وذِكْرُ الحافظ أن في إسناده جابر الجعفي ، وهذا ليس بصحيح .[6]

٣- قوله إنَّ أحاديث الآحاد تفيد الظن .[7]

---

(١) انظر : (ص : ٢٣٢) .

(٢) انظر : (ص : ٣٧٠ - ٣٧١) .

(٣) انظر : (ص : ٢٤٥) .

(٤) انظر : (ص : ٦٨٧ ، ٦٨٩- ٦٩٠) .

(٥) انظر : (ص : ٥٧٤) .

(٦) انظر : (ص : ٤٩٥) .

(٧) انظر : (ص : ٢٠٦ - ٢٠٨) .

٤- مبالغته أحياناً في الرد على خصومه ، وإلزامهم بما لا يلزم .[١]

٥- تأييده لما ذكره ابن خلكان عن الكمال ابن يونس ، وإقرائه التوراة والإنجيل لأهل الكتاب .[٢]

٦- وجود بعض الصعوبة في فهم بعض كلامه أو بعض كلام من ينقل عنهم أحياناً .[٣]

٧-التكلف الواضح عند تفسيره لسورة الكوثر .[٤]

٨- ثناؤه على الحرالي الذي ذمَّه بعض أهل العلم ومنهم الإمام الذهبي رحمه الله .[٥]

---

(١) انظر : (ص : ٢١٥ ، ٤٧٠ ، ٥٣١) .

(٢) انظر : (ص : ٤٥٩ - ٤٦٤) .

(٣) انظر : (ص : ٤٣٠ ، ٥٠٣) .

(٤) انظر : (ص : ٧٠١ - ٧٠٧) .

(٥) انظر : (ص : ٥١٨ - ٥٣٠) .

المبحث العاشر : التعريف بنسخ الكتاب الخطية :

المطلب الأول : نسخ الكتاب وأماكن وجودها :

الذي استطعت العثور عليه من نسخ هذا الكتاب بعد بحث وعناء هو نسختين خطيتين :

الأولى : نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم (٣٣) توحيد و (٤٩) تفسير .

والثانية : نسخة مكتبة الأسكوريال بمدريد - عاصمة أسبانيا - ذات الرقم (١٥٣٩/٤٠) وتوجد مصورتها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة-قسم المخطوطات ضمن فهارس العقيدة برقم ميكروفيلمي (١/٣٧٠١) ورقم عام (٧٧٠) .

المطلب الثاني : وصف النسخ الخطية :

النسخة الأولى : نسخة دار الكتب المصرية ، ورمزها (م) .

١- خطها : كتبت بخط نسخ مشرقي جيد .

٢- عدد أوراقها :

لا يوجد على هذه النسخة ترقيم للأوراق ، لكن ذكر مفهرسو دار الكتب أنها تقع في ٥٩ ورقة ، وكُتب على ورقة الغلاف من قبل أحد المـلاّك أنها تقع في ٦١ ورقة ، وبعد نظر وتدقيق وتأمل تبيَّن لي أنها تقع في ٥٧ ورقة ، وكل ورقة (أ - ب) مع كثير من الإلحاقات التي كتبت على الهامش في بعض الأوراق .

٣- مسطرتها : تقع هذه النسخة في (٢٥) سطراً ، وتتراوح كلمات كل سطر ما بين (١١ - ١٥) كلمة تقريباً

٤- اسم الناسخ : أبو اللطف محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي الخطيب ، وهو تلميذ المؤلف .

٥- تاريخ النسخ : الرابع من شهر رمضان المبارك من عام ٨٧٣ هـ .

٦- ورقة الغلاف : كتب على ورقة الغلاف اسم الكتاب ومؤلفه ، ودعاء كتب بجواره : « هو دعاء الخضر عليه السلام » ، وثلاث تملكات : أحدها باسم ولي النعم الحاج إبراهيم بن علي ، والثاني باسم : مريم بنت علي ، والثالث باسم : شرف الدين ابن شيخ الإسلام ، كما كتب من قِبل أحد الملاك عدد أوراقها .

٧- أول المخطوط : « بسم الله الرحمن الرحيم ،

رب وفّقني فلا أعدل عن سنن الساعين في خير سنن

الحمد لله الذي جعل الأفراد محسودين في كل عصر بين العباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المضل الهاد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المختار للإرشاد ... » .

٨- آخره : « ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[2] » ثم ذُكر تاريخ النسخ واسم الناسخ.

٩- ملحوظات :

أ- تعتبر هذه النسخة هي الأصل الذي اعتمدت عليه ، وذلك لأسباب عدة :

أحدها : أنها كتبت في حياة المؤلف ، من قِبل أحد تلامذته .

ثانيها : مقابلتها على نسخة المؤلف نفسه وبحضوره .

ثالثها : ما أضافه المؤلف عليها من إلحاقات كثيرة بخطه .

رابعها : لأنها تُعَدُّ نسخة كاملة ، وإن كانت لا تخلو من بعض النقص الذي لا يؤثر في جوهر الكتاب البتة .[3]

---

(١) سورة التوبة - الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الشعراء - الآية : ٢٢٧ .

(٣) أشرت إلى اماكن النقص بين طيات الكتاب ، وذكرت في بعض الأحيان علة عدم وجوده في هذه ==

خامسها : ما اشتملت عليه من حسن الخط وقلة الأخطاء .

ب- أضاف المؤلف - رحمه الله - كثيراً من الإلحاقات على هوامش هذه النسخة بخطٍ دقيقٍ جداً مما سبب لي كثيراً من التعب والعناء كيما أتمكّن من وضع كل إلحاق في مكانه كما أراده المؤلف - رحمه الله - . (١)

جـ- يلاحظ على بعض الإلحاقات التي أضافها المؤلف وجود إشارة اللحق وعدم وجود اللحق نفسه . (٢)

د- من المفترض أن تقع هذه النسخة في أكثر من (٥٧) ورقة ، وذلك لكثرة الإلحاقات في هوامشها ، والتي تقدر في بعض الأحيان بأكثر من سبعين سطراً . (٣)

هـ- يوجد على هذه النسخة بعض الهوامش المفسرة لبعض الكلمات ، كما يوجد عليها بعض البلاغات . (٤)

النسخة الثانية : نسخة مكتبة الأسكوريال ، ورمزها (س)

١- خطها : كتبت بخط نسخ مشرقي حسن .

٢- عدد أوراقها : تقع في (٩٢) ورقة ، وكل ورقة (أ - ب) .

٣- مسطرتها : بلغت أسطرها (٢١) سطراً ، تتراوح كلمات كل سطر ما بين (١٠ - ١٤) كلمة تقريباً .

٤- اسم الناسخ : لا يوجد اسم للناسخ البتة .

==

النسخة.

(١) انظر النماذج المرفقة من النسخة .

(٢) أشرت إلى هذا بين طيات الكتاب في موضعه .

(٣) انظر على سبيل المثال : (ق ٢٠ ب) ، (ق ٢٢ ب) ، (ق ٢٦ ب) .

(٤) أشرت لها عند ذكرها في الحاشية .

٥- تاريخ النسخ : لا يوجد أيضاً عليها تاريخ للنسخ ، ولكن كتب في أوصافها من قبل مفهرسيها أنها كتبت في القرن العاشر .

٦- ورقة الغلاف : كتب على ورقة الغلاف اسم الكتاب ، واسم مؤلفه ، واسم كتابٍ آخر هو : « **ألفاظ الكفر** » لشمس الدين محمد المعروف بالرشيدي ، كما كتب تملك بخط مغربي باسم: أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير الموحدين.

٧- أول المخطوط : « بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل ، قال الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الحافظ الرحلة المحقق المدقق ، ذو التآليف الحميدة والتصانيف المفيدة ، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي ﷺ وأرضاه ، وجعل الجنة متقلَّبه ومثواه : الحمد لله الذي جعل الأفراد محسودين » .

٨- آخره : « ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [1] ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [2] ، والله أعلم .

٩- ملحوظات :

أ- لم أعتبر هذه النسخة أصلاً ، ولكن جعلتها مساعدة للأصل عند الغموض ، ولاسيما عند كثرة الالحاقات في الأصل ، ويعود سبب عدم جعلي لها أصلاً للأسباب التالية :

أولها : تأخُّرُ كتابتها عن النسخة المصرية .

ثانيها : وُجُود بعض النقص في بعض المواطن فيها . [3]

---

(١) سوۃر التوبة – الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الشعراء – الآية : ٢٢٧ .

(٣) أشرت إلى ذلك في موضعه .

ثالثها : عدم وجود أي معلومات عن الناسخ واسمه وتاريخ نسخه لها .

رابعها : كثرة الأخطاء الإملائية فيها مع كثرة التصحيفات التي تؤدِّي في بعض الأحيان لتغيير المعنى تماماً .[1]

ب- وُجِد على هوامش هذه النسخة قليلٌ من الإلحاقات .

ج- وُجِد في هذه النسخة تقديم وتأخير لبعض صفحاتها ، وأوراقها ويرجع ذلك لخطأ في تصوير الميكروفيلم نفسه .[2]

---

(١) انظر ذلك عند ذكر الفوارق بين النسختين .

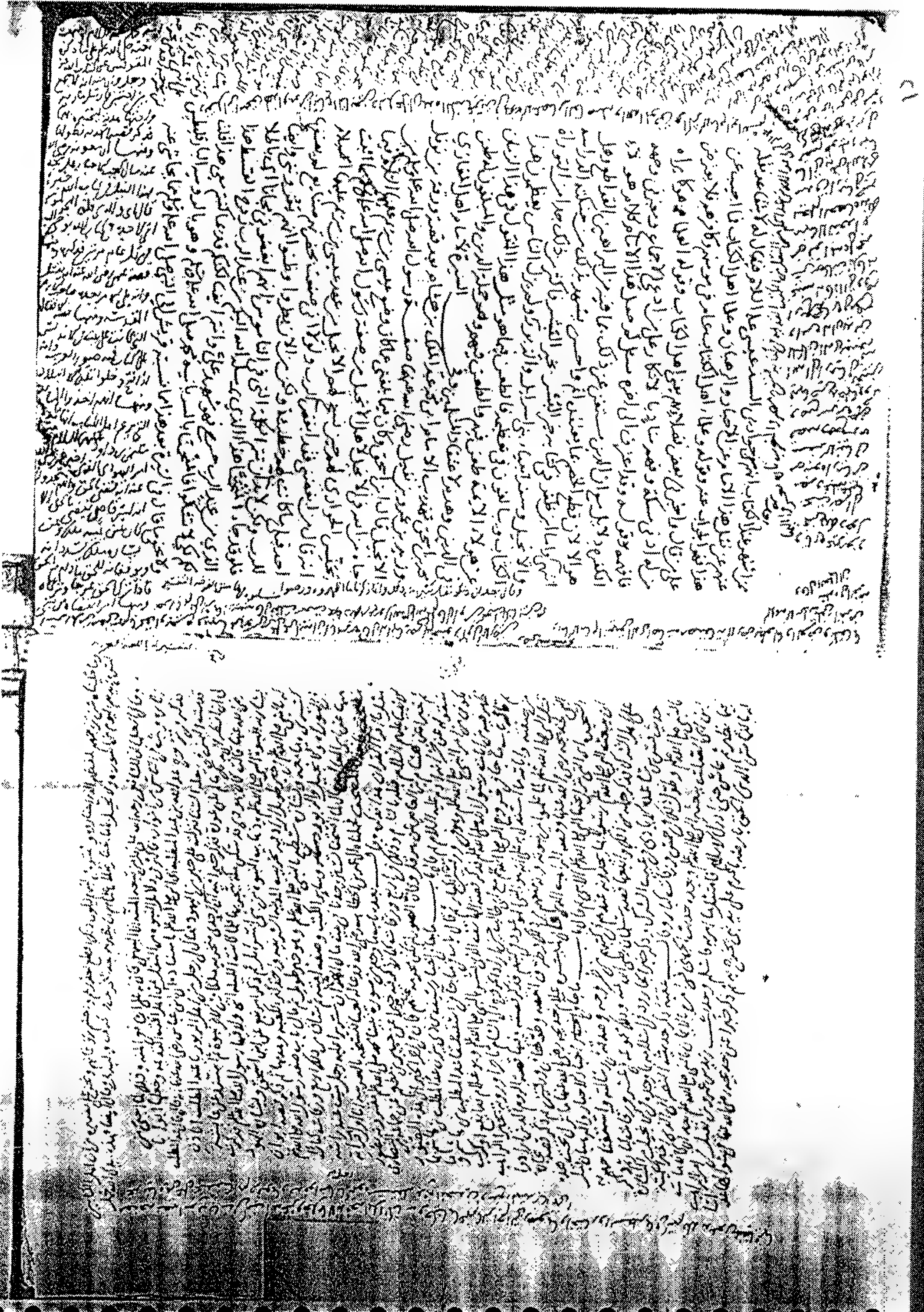
(٢) أشرت إلى هذا التقديم والتأخير في حينه .

المبحث الثالث : نماذج من النسخ الخطية :

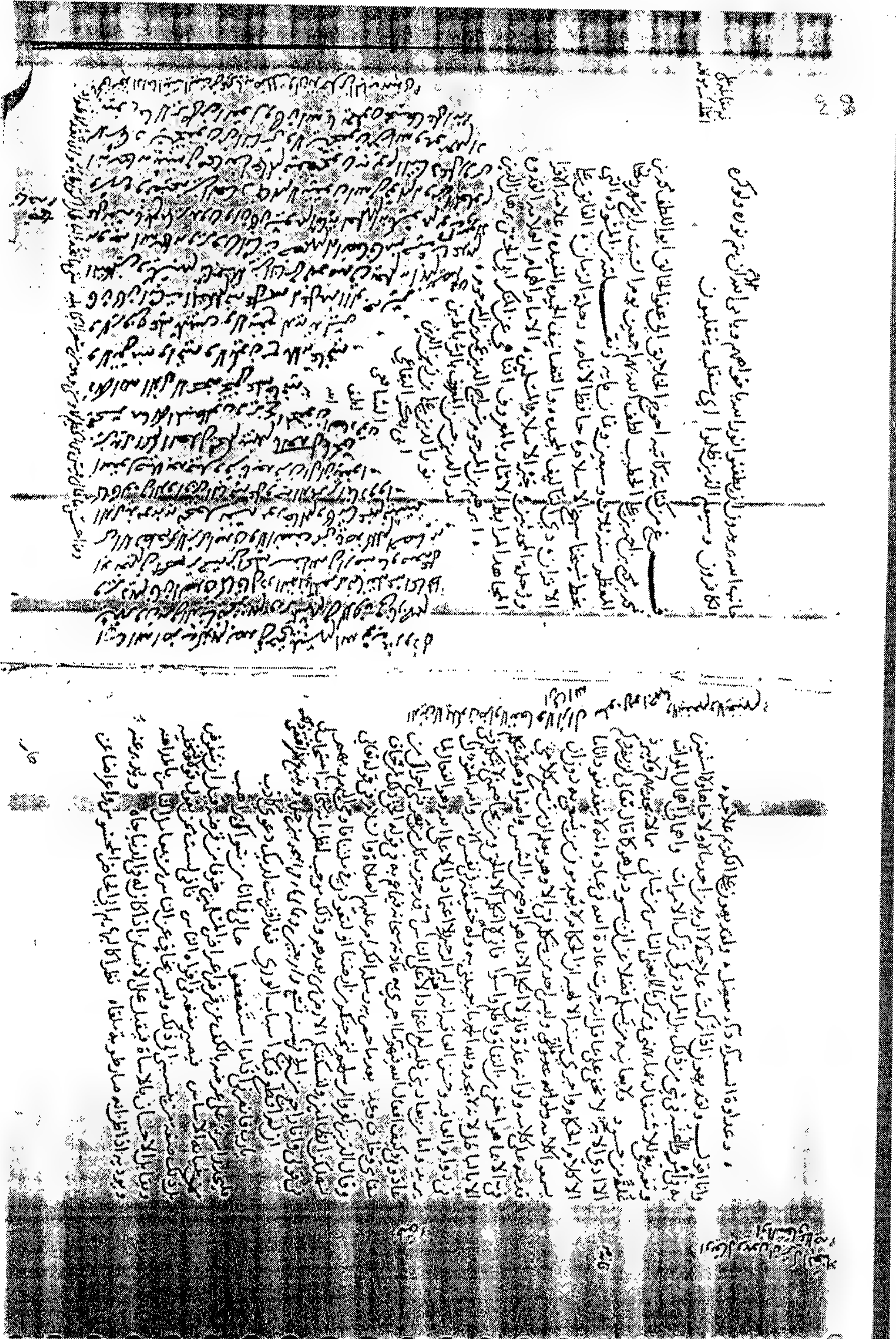
النسخة الأولى : نسخة دار الكتب المصرية (الأصل)

ورقة الغلاف

أول ورقة من المخطوط



ورقة من وسط المخطوط



آخر ورقة من المخطوط

النسخة الثانية : نسخة مكتبة الأسكوريال

ورقة الغلاف

أول ورقة من المخطوط

ورقة من وسط المخطوط

آخر ورقة من المخطوط

القسم الثاني
النص المحقق

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة

للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي
ابن أبي بكر البقاعي الشافعي
(ت ٨٨٥ هـ)

دراسة وتحقيق الطالب
سامي بن علي بن محمد القليطي العمري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إشراف الدكتور
أحمد بن عبد الرحيم السايح
الأستاذ بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

العام الجامعي : ١٤١٩ هـ

[٢ أ / م]

[٢أ/ س]

/ بسم الله الرحمن الرحيم (١)

(رَبِّ وفقني فلا أعدِلَ عن سَنَنِ(٢) الساعين في خَيْر سَنَنْ (٣)) (٤)

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي جعل الأفراد محسودين في كل عصر بين العباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المضلُّ الهاد ، وأشهد أن سيدنا محمداً (٥) عبده المختار للإرشاد ، فكل ما قاله أو فعله في إشقاء أو(٦) إسعاد ، أو أقرَّ عليه أو همَّ به في غاية الرشاد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي السَّداد ، والقول القويم ، والفعل المستقيم ، والفضل البين (٧) والاستعداد ، وسلم تسليماً (٨) دائم التوالي والتواصل والاستمداد .

اسم الكتاب وسبب تأليفه

وبعد : فهذا كتاب سميته « **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة** » ، أُحوِجتُ إلىتصنيفه ، وقد كان الزمان غنيًّا عنه ، بعد مَا مرَّت دهور وهي(٩) خالية

---

(١) في (س) زيادة من الناسخ بعد البسملة وهي : « وهو حسبي ونعم الوكيل ، قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ... إلى قوله : وجعل الجنة متقلبه ومثواه » .

(٢) السَّنَنُ هو : الطريق . انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة (سنن) (١٣ / ٢٢٦) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي فصل السين ، باب النون (٤ / ٢٣٧) .

(٣) هذا البيت لا يعرف قائله ويورد في كتب النحو بلا نسبة.
انظر: شرح قطر الندى لابن هشام (ص : ٧٥) ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢ / ٢٧٣) وهمع الهوامع للسيوطي (٢ / ١١) ، والدرر اللوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي (٢ / ٨) ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني (٣ / ٣٠٢) ، ومعجم شواهد العربية لعبد السلام هارون (٢ / ٣٧٨) ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية لأميل بديع (٢ / ٩٥٧) .

(٤) ما بين القوسين ليس في : (س) .

(٥) قوله : « محمداً » ساقط من (س).

(٦) في (س) : « و » .

(٧) في (س) : « المبين » .

(٨) قوله : « تسليماً » ساقط من (س) .

(٩) في (س) : « وهو » .

منه [١] ، وما صنع لأجله [٢] قد صُنِع مثلُه في كتب الأئمة وسلف الأمة ، أحوجني إليه من قعدت به الرتبة السَّنِيَّة ، والهمَّة العليَّة [٣] ، فصار يعلي نفسه بالغضِّ من الأفاضل ، والرفع من الأراذل والأسافل ، فصنعت هذا الكتاب لحزم ما زوَّره من الحساب ، وقرره[٤] من التِكْذَاب ، وقدره [٥] من فظيع الارتكاب ، فهو في الواقع إثبات الحقائق ، وإزهاق الشَّقاشِق [٦] من الحاسد الساعي في تنقيص كتاب « **المناسبات** » للبقاعي .[٧]

وهو كتاب أصله ثابت وفرعه في السماء ، ودوحة [٨] عنصرها الزكاء ، والطهارة والنَّماء ، لم يُخف محاسنَه عن الطاعن إلا تكاثف ظلمات الجهل والعمى ،

---

(١) يفهم من كلام المصنف – رحمه الله – أنه أول من صنف تصنيفاً مستقلاً في حكم النقل من الكتب السماوية القديمة .

(٢) في (س) زيادة : « قد صنع لأجله » ، والسياق لا يستقيم معها .

(٣) في (س) : « العليا » .

(٤) في (س) : « وقرن » .

(٥) في (س) : « وقرن » .

(٦) الشقاشق : جمع شَقْشَقَة ، وهي اللحمة الحمراء التي يخرجها البعير من فمه إذا هاج ، ومنه قول علي ﷺ : « إن كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان » ، وذلك لما يدخل فيها من الكذب .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، فصل الشين مع القاف (٢ / ٤٨٩ – ٤٩٠) ، ولسان العرب لابن منظور مادة (شقق) (١٠ / ١٨٥) .

(٧) وهو كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) .

(٨) الدوحة : هي الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت.
انظر : مختار الصحاح للرازي مادة (دوح) (ص : ٢١٤) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة (دوح) (٢/٤٣٦).

وتزايد أُوامِ [1] الظمأ إلى / مجالسَة أرباب القلوب والعلماء ، لينكشف عنهم غطاء [٢ب/س]
الجهل ، فيعلموا أنه لكل مكرمةٍ أهلٌ .

وذلك أني لما صنفت الكتاب المذكور وهو المسمى : « **نظم الدرر من تناسب الآي والسور** » الحاوي لروح التفسير ، ولباب التأويل [2] حيث ظفِر غيره بالجسم

---

(١) في الحاشية : « الأوام كغراب ، حر العطش » .
و « الأُوام : بالضم العطش ، وقيل : حره ، وقيل: شدة العطش » .
انظر : لسان العرب لابن منظور مادة (أوم) (١٢ / ٣٨) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي فصل الهمزة ، باب الميم (٤/٧٧).

(٢) لفظ (التأويل) إذا أطلق يراد به ثلاثة معان :
الأول : التأويل بمعنى المرجع والمصير ، والحقيقة التي يؤول إليها الكلام وهي الموجودة في الخارج ، وهذا غالب استعمال القرآن ، فتأويل ما فيه من أخبار المعاد هو ما أخبر الله تعالى به فيه ، مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ، ومنه قوله تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ يَأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [سورة يوسف - الآية ١٠٠] .
الثاني : التأويل بمعنى التفسير ، وهو اصطلاح جمهور المفسرين ، كقول ابن جرير وغيره من المفسرين : « واختلف علماء التأويل » . وهو المقصود هنا بقول المصنف - رحمه الله - .
الثالث : التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين والأصوليين : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك .
قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - في تقريب التدمرية (ص : ٨٦ - ٨٧) عن هذا المعنى : « وهذا اصطلاح كثير من المتأخرين الذين تكلموا في الفقه وأصوله وهوالذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وهل هو محمود ، أو مذموم ؟ وهل هو حق ، أو باطل ؟
والتحقيق : أنه إن دل عليه دليل صحيح فهو حق محمود يعمل به ، ويكون من المعنى الأول للتأويل وهو التفسير ؛ لأن تفسير الكلام : تأويله إلى ما أراده المتكلم به سواء كان على ظاهره أم على خلاف ظاهره ، ما دمنا نعلم أنه مراد المتكلم . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل - الآية ١] ، فإن الله تعالى يخوف عباده بإتيان أمره المستقبل وليس يخبرهم بأمر
==

و لم يَحْظَ بغير القِشر ، فحلَّ كتابي محل الشمس في الحَمَل [(١)] ، وبلغ النهاية من نيل الأماني والأمل ، حسدني عليه من هوت به أهواؤه ، وأعضلت به أدواؤه [(٢)] ، فبسطوا ألسنتهم فيه بما زاده علوّاً وشرفاً ، ورقَّاه رتباً ، وأسكنه عَلاَلِيَّ[(٣)] وغُرَفاً ، فلم يجدوا طعناً مُخيلاً [(٤)] ، ولا شيئاً مُميلاً عنه أو مُحيلاً ، سوى التبشيع بين

==

أتي وانقضى ، بدليل قوله : ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل – الآية ٩٨] ، فإن ظاهر اللفظ إذا فرغت من القراءة والمراد إذا أردت أن تقرأ ؛ لأن النبي ﷺ كان يستعيذ إذا أراد أن يقرأ لا إذا فرغ من القراءة . وإن لم يدل عليه دليل صحيح كان باطلاً مذموماً ، وجديراً بأن يسمى تحريفاً لا تأويلاً . مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [سورة طه – الآية ٥] ، فإن ظاهره أن الله تعالى علا على العرش علواً خاصاً يليق بالله عز وجل ، وهذا هو المراد ، فتأويله إلى أن معناه استولى وملك ، تأويل باطل مذموم ، وتحريف للكلم عن مواضعه ، لأنه ليس عليه دليل صحيح » .

انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١ / ١٤) ، والتدمرية لابن تيمية (ص : ٩١ – ٩٢) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥ / ٣٥ – ٣٦) ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (١ / ١٧٧ – ١٧٨) ، والتعريفات للجرجاني (ص : ٧٢) ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي بن حسن (٢/٥٣٦، ٥٤٣) .

(١) الحمل : هو أول برج من بروج السماء .

انظر : مختار الصحاح للرازي مادة (حمل) (ص : ١٥٦) ، ولسان العرب لابن منظور مادة (حمل) (١١ / ١٨١) .

(٢) أدواؤه : مفرده داء وهو المرض . انظر : لسان العرب لابن منظور مادة (دوأ) (١ / ٧٩) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل الدال باب الهمزة (١ / ١٥) .

(٣) العلالي : جمع عُلِّيَّة وعِلِّيَّة – بالضم والكسر – وهي الغرفة أو البيت العالي المنفصل عن الأرض .

انظر : لسان العرب لابن منظور مادة (علا) (١٥ / ٨٦) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل العين باب الياء (٤ / ٣٦٦) .

(٤) أي مشكلاً ، من أخيل الشيء إذا اشتبه وأشكل .

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة (خيل) (ص : ١٩٦) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة

==

الرعـــــاع [1] والتخجيــــــــل بالاستشـــــــهاد بــــــــالتوراة [2] ،

==

(خيل) (١١ / ٢٢٧) .

(١) في (س) : « الرقاع » .

(٢) التوراة : هي في الأصل أحد الكتب السماوية التي أنزلها الله - تبارك وتعالى - على نبيه موسى عليه السلام لبني إسرائيل .

وهي كلمة عبرية ، يقصد بها « الشريعة » وتسمى الناموس ، أو ناموس موسى ، كما تسمى أيضاً باليونانية : « البانتاتيك» ، وهي عبارة عن خمسة أسفار :

الأول : سفر التكوين : ويقع في خمسين إصحاحاً ، وسمي بذلك لاشتماله على خلق العالم ، وقصة آدم وذريته ، ونوح وإبراهيم وذريتهما ، واستقرار بني إسرائيل بمصر ، وموت يوسف - عليه السلام - .

الثاني : سفر الخروج : ويقع في أربعين إصحاحاً ، وسمي بذلك لاشتماله على قصة موسى ، وخروج بني إسرائيل من مصر إلى سيناء ، وما جرى لهم في أرض التيه ، ويشمل هذا السفر أيضاً الوصايا العشر ، والكثير من الأحكام والتشريعات .

الثالث : سفر اللاويين : ويقع في سبعة وعشرين إصحاحاً ، وسمي بذلك نسبة إلى لاوي أحد أولاد يعقوب - عليه السلام- وفي هذا السفر أنواع القرابين وما يفعل بها ، وذكر الطقوس الكهنوتية وذكر بعض المحرمات من الطيور .

الرابع : سفر العدد : ويقع في ستة وثلاثين إصحاحاً ، وسمي بذلك لما فيه من إحصائيات عن بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم ، كما فيه بعض الأحكام والتشريعات .

الخامس : سفر التثنية : ويقع في أربعة وثلاثين إصحاحاً ، وسمي بذلك لما فيه من تكرار التعاليم والتشريعات والوصايا مرة أخرى على بني إسرائيل .

ثم إن التوراة تعتبر جزءاً رئيساً من أجزاء العهد القديم - كما تسميه النصارى - والذي يشمل تسعة وثلاثين سفراً مقسمة إلى أربعة أقسام هي : -

القسم الأول : التوراة وهي خمسة أسفار - كما تقدم - .

الثاني : الأسفار التاريخية : وهي إثنا عشر سفراً ، تعرضت لتاريخ بني إسرائيل منذ دخولهم فلسطين في فترة السبي البابلي ، وهي : سفر يوشع ، والقضاة ، وراعوث ، وصموئيل الأول والثاني ، والملوك الأول والثاني ، وأخبار الأيام الأول والثاني ، وعزرا ، ونحميا ، واستير .

==

والزبــــــور [1] والإنجيـــــــل [2] ، فــــــأكثروا في ذلــــــك

==

الثالث : أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية : وعددها خمسة – وهـي – : سفر أيوب ، ومزامير داود ، وأمثال سليمان ، والجامعة من كلام سليمان ، ونشيد الأناشيد لسليمان .

الرابع: أسفار الأنبياء: وعددها سبعة عشر سفراً، ومن هؤلاء الأنبياء : إشعياء ، وإرمياء ، ودانيال.

انظر: الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد (ص:١٣-١٦) ، وقاموس الكتـاب المقدس (ص: ٢٣٥ ، ٦٤٤ ، ٦٠٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٨ -٨٠٩) ، والقاموس الموجز للكتاب المقدس (ص : ١٣٥) .

(١) الزبور : هو أحد الكتب السماوية التي أنزلهـا ا لله تبارك وتعالى على داود -عليه السلام - لبني إسرائيل، وهو ليس مستقلاً بحلال أو حرام ، بل هو تابع في التشريع للتوراة ، وهو عبارة عن أذكار وأوراد، وأناشيد تتضمن التسبيح والتمجيد ، والتحميد والثناء والتضرع لله تبارك وتعالى .

وتسمى عند أهل الكتاب « المزامير » . وعددها -عندهم -: مائة وخمسين مزموراً ، وليس كلها لداود – عليه السلام – فالبعض منها منسوب لقورح ، ومنها لآساف ، ومنها لسليمان ، ومنها لبني قورح ، ومنها لإيثان ، ومنها لموسى ، والبعض غير منسوب لأحد .

انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥ / ٢٣٧ ، ٣٥١) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٤٣٠ - ٤٣٣) .

(٢) الإنجيل : في الأصل هو أحد الكتب السماوية المنزلة على نبي ا لله عيسى – عليه السلام – لبني إسرائيل ، وهو كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني (أونجليون) ، ومعناه : (الخبر الطيب) ، أو (البشارة) .

وهو من الكتب التي لعبت فيه أيدي التحريف حتى أصبح – عند النصارى – أربعة أناجيل معتمدة ، تم اعتمادها في مجمع نيقية سنة (٣٢٥ م) وهي :

إنجيل متى : ويقع في ثمانية وعشرين إصحاحاً ، وإنجيل مرقس : ويقع في ستة عشر إصحاحاً ، وإنجيل لوقا: ويقع في أربعة وعشرين إصحاحاً، وإنجيل يوحنا : ويقع في واحد وعشرين إصحاحاً.

وأما عن محتويات هذه الأناجيل فيمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات هي : القصص، والعقائد ، والشريعة ، والأخلاق ، والزواج .

وتوجد هناك أناجيل كثيرة غير معتمدة ، وغير معترف بها ، ومنها : إنجيل برنابا ، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل توما ، وإنجيل المصريين .

وتعتبر الأناجيل الأربعة المعتمدة جزءاً رئيساً من العهد الجديد – كما تسميه النصارى – والذي يشمل سبعة وعشرين سفراً هي : الأناجيل الأربعة ، وسفر أعمال الرسل للوقا ، وسفر رؤيا يوحنا ، ورسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة ، والرسائل الكاثوليكية السبع التي هي رسالة

==

وأطـالوا[1] ، وزلزلوا غاية الـزلزال[2] وأمـالوا، وادَّعَوا أنهم ظـفروا بالإجـمـاع[3] / على[4] حُرمة النـقل منها والامتـناع[5] ، (ومضى[6] عليهم في ذلك زمـان بعد زمان ، ومرَّ عليه فلان وفلان ، وكل من يتكلم بذلك يُمقَتُ ويـهان ، إلى أن كان الذي تولّى كبر هذا التشنيع هذا الأوان ، البـدرُ ابـنُ القطـان[7] ، شـخص مشـهور

[٢ب/م]

ذكر أبرز خصومه وصفاته

==

ليعقوب ، ورسالتان لبطرس ، وثلاث ليوحنا ، وواحدة ليهوذا .

انظر : الأسفار المقدسة لعلي عبدالواحد (ص : ٨٥ - ٨٩ ، ١١٣-١٢٠) ، وقـاموس الكتـاب المقدس (ص : ١٢٠ - ١٢٢ ، ٦٤٤) .

(١) في (س) : « وطالوا » .

(٢) في (س) : « الزلازل » .

(٣) الإجماع في اللغة : العزم ، يقال : جمع فلان رأيه على كذا إذا صمم عزمه عليه ، ومنه قولـه تعـالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [سورة يونس - الآية ٧١] .

ويطلق أيضاً على : الاتفاق ، فيقال : أجمعت الجماعة على كذا أي اتفقوا .

أما في الشرع : فهو اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ على أمر من أمور الدين .

انظر : روضة الناظر لابن قدامة المقدسي (١ / ٣٣١) ، والإحكـام في أصـول الأحكـام للآمـدي (١ / ١٩٥ - ١٩٦) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل الجيم باب العين (٣ / ١٥) .

(٤) قوله : « على» مكرر في (م) ، وهو خطأ من الناسخ.

(٥) انظر : (ص : ٢٦٢ ، ٤٨٩) من هذا الكتاب .

(٦) من قوله : « ومضى عليهـم في ذلـك » إلى قوله في (ص : ٢١٧) : « والله أعلـم بـالصواب» . ساقط من (س) .

(٧) هو : محمد بن محمد بن علي بن محمد الكناني المصري الشافعي المعروف بابن القطان. ولد بمصر سنة (٨١٤ هـ) ، وأخذ عن أبيه وابن حجـر والكـافيجي، وولي قضـاء طرابلـس ولكـن مـا لبث أن عزل ، وذكر السخاوي أنه لم يكن من المكثرين بالاشتغال بـالطلب، ولم يعـرف أنـه أتقـن علماً من العلوم ، وأنه كثيراً ما يركن للبطالة والراحة والإقبال على ما يهمُّه من الأكـل والشـرب ، وأنه ممن اشتهر بين الناس بلعب الشطرنج بل إنه قسم أيامه بين رفاقه للعب معهم ، كما عرف عنه أنه إذا استعار كتاباً لا يردُّه إلا بمشقة كبيرة ، وأنه كان لا يرى فائدة في علم الأسـانيد والحديـث ،

==

بالفضائح، والشنائع والقبائح ، أكثر عُشَرَائِه النصارى والقبط[1] ومن والاهم على ما هو معروف من أعمالهم، ومشهور من خبيث أفعالهم وأقوالهم ، حتى إن من الشائع عنه أنه رفع الماء في ليلة يرفعه فيها النصارى لما يرفعونه له [2]، فلامه بعض المسلمين،

==

كما أنه كان من أكبر المناضلين عن ابن عربي الطائي صاحب « وحدة الوجود » ، كما عرف عنه كثرة اللحن في القراءة ، توفي بمصر سنة (٨٧٩ هـ) .

انظر: إظهار العصر لأسرار أهل العصر للبقاعي (١ / ١٠٥) ، والضوء اللامع للسخاوي (٩ / ٢٤٨ -٢٥٢) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٩١) .

(١) القبط: كلمة يونانية الأصل ، وهم من ولد حام ، ومن سلالة قدماء المصريين ، وقيل إن القبط أصله جبيل بمصر ، والأقباط هم نصارى مصر ، ولهم كنيسة تسمى بالكنيسة القبطية يمتد أصلها إلى أوائل ظهور المسيحية ، وذلك أثناء نشر القديس مرقس للمسيحية في أفريقيا ، وكانت تسمى (الكرازة المرقسية) ، وفي القرن الخامس الميلادي انشقت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية بسبب الخلاف على طبيعة المسيح ، ويتولاها الآن بابوات الأقباط الأرثوذكس ، ويبلغ عدد الأقباط الآن بمصر نحو مليونين ونصف المليون تقريباً .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة (قبط) (٧ / ٣٧٣) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠٨/١) ، والأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد (ص: ٨٤) ، والموسوعة العربية الميسرة (ص: ١٣٦٩) .

(٢) هذه الليلة هي ليلة السادس من كانون الثاني (يناير) وهي ليلة عيد الغطاس، وفيها يتذكر النصارى تعميد المسيح على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن ، ولا يزال مسيحيو الشرق وبعض زوار الأراضي المقدسة إلى اليوم يستحمون في ذلك الموقع تبركاً ، ويحملون معهم قوارير من مائه إلى بيوتهم، وللأسف الشديد وُجد أن بعض ضعاف الإيمان من أبناء المسلمين قد شارك النصارى في الاحتفال بهذا العيد وغيره من الأعياد ، وما ذلك إلا دليل على ضعف الولاء والبراء عند بعض المسلمين وتساهلهم في أمور دينهم ، قال الإمام العلامة ابن القيم - رحمه الله - في « أحكام أهل الذمة » (٢ / ٧٢٢ - ٧٢٣) عن أعياد الكفار وحكم حضورها من قِبَل المسلمين وتهنئتهم بها: « وكما أنه لا يجوز لهم إظهاره فلا يجوز للمسلمين ممالاتهم عليه ولا مساعدتهم ولا الحضور معهم باتفاق أهل العلم الذين هم أهله ، وقد صرح به الفقهاء من أتباع الأئمة الأربعة في كتبهم ، فقال

==

فقال : « إنه لا يضرنا التبرك [1] بأمرٍ قالوا : إن عيسى – عليه السلام – فعله » . وأن شخصاً من عشرائه حَلَّفتهُ زوجته أن لا يشرب الخمر بأيمان منهـا الطـلاق ، ثـم

==

أبو القاسم هبة الله بـن الحسـين بـن منصـور الطـبري الفقيـه الشـافعي : " ولا يجـوز للمسـلمين أن يحضورا أعيادهم لأنهم على منكر وزور ، وإذا خالط أهل المعروف أهل المنكر بغير الإنكـار عليهـم كانوا كالراضين به المؤثرين له " ، فنخشى من نزول سخط الله على جماعتهم فيعـم الجميـع، نعـوذ با لله من سخطه » .

وقال أيضاً في (١ / ٢٠٥ – ٢٠٦) : « ولكن ليحذر الوقوع فيما يقع فيـه الجهـال مـن الألفـاظ التي تدل على رضاه بدينه ، كما يقول أحدهم : متعك الله بدينك، أو نيَّحك فيه ، أو يقـول لـه : أعزك الله أو أكرمك ، إلا أن يقول : أكرمـك الله بالإسـلام ، وأعـزك بـه ونحـو ذلـك ، فهـذا في التهنئة بالأمور المشتركة ، وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحـرام بالاتفـاق ، مثـل أن يهنئهـم بأعيادهم وصومهم ، فيقول : عيد مبارك عليك ، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه ، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات ، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليـب ، بـل ذلـك أعظـم إثمـاً عنـد الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس ، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه ، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ، ولا يدري قبح ما فعل ، فمن هنأ عبـداً بمعصيـة أو بدعـة أو كفـر فقـد تعرض لمقت الله وسخطه » .

انظر : اقتضاء الصـراط المسـتقيم لابـن تيميـة (١ / ٤٢٦ – ٤٦١) ، وقـاموس الكتـاب المقـدس (ص : ٦٣٧ – ٦٣٨) ، وأعيادنا وإيماننا لموريس أديب (ص : ٣٥ – ٤١ ، ١٤١ ، ١٥٤) .

(١) التبرك : مصدر تبرك يتبرك تبركاً وهو طلب البركة الـتي هـي النمـاء والزيـادة ، والتبرك بالشـيء : طلب البركة بواسطته ، وهو قسمان: مشروع ، وممنوع .

فمن الأول : التبرك بذكر الله وقراءة القرآن والعمل بذلك .

ومن الثاني: التبرك بقبور وآثار الصالحين من المسلمين.

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١ / ١٢٠) ، ولسـان العـرب لابـن منظـور ، مـادة (بـرك) (١٠ / ٣٩٥) ، والقـاموس المحيـط للفيروزآبـادي ، فصـل البـاء ، بـاب الكـاف (٣ / ٢٩٣) ، والتبرك أنواعه وأحكامه لناصر الجديع (ص: ٣٠ ، ٣٩ ، ٢٠١ – ٣٠٩ ، ٣١٥ – ٤١٦) .

بدا له ، فشكا إليه ذلك ، فحكم له بعدم وقوع الطلاق لأنه حلف وهو سكران ، وهذا قول مرجوح ، بل منكر في مذهب الشافعي[1] [2] .

ومنها : أن شخصاً من المغنّين ترتب على غنائه فساد غير مرة ، فمنعه السلطان منه وحلفه بأيمان منها : الطلاق ونفاه ، فشفع فيه بعض الأكابر من عشرائه حتى رده السلطان ، ثم أرادوا عوده إلى حاله ، فاعتل بالأيمان ، فحكم بأنه لا شيء عليه لأنه كان مكرهاً . واستشهد عليه شخص بقضية من القضايا القرآنية ، فأجاب بأنها

---

(١) قال الشافعي – رحمه الله – في « الأم » (٥ / ٢٣٥) : « من شرب خمراً أونبيذاً فأسكره فطلق لزمه الطلاق » . وقال الشيرازي – رحمه الله- في « المهذب » (٢ / ٩٩) : « المنصوص في السكران أنه يصح طلاقه » .

وهذه المسألة مختلف فيها بين أهل العلم – رحمهم الله – إلى قولين:

القول الأول : أن طلاق السكران يقع . وبه قال كل من أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي في أحد قوليه ، وهو المنصوص عليه كما تقدم ، وأحمد في رواية ، وهو مذهب سعيد بن المسيب ، وعطاء ومجاهد ، والحسن وغيرهم من الأئمة رحمهم الله .

القول الثاني : أن طلاق السكران لا يقع ، وهو أحد قولي الشافعي ، واختاره المزني من أصحابه ، وأحمد في رواية ، واختاره الطحاوي ، والكرخي من الحنفية ، وهو قول عثمان بن عفان –رضي الله عنه – ، ومذهب عمر بن عبد العزيز ، والقاسم، والليث، وإسحاق ، وغيرهم من الأئمة رحم الله الجميع .

انظر : الأم للشافعي (٥ / ٢٣٥) ، والمهذب للشيرازي (٢ / ٣٢٥) ، وبداية المجتهد لابن رشد (٢ / ٩٦) ، وبدائع الصنائع لأبي بكر بن مسعود الكاساني (٣ / ٩٩) ، والمغني لابن قدامة (١٠ / ٣٤٦) ، وشرح الزرقاني على مختصر خليل (٤ / ٨٥) .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي المكي الإمام عالم العصر ، وفقيه الملة ، صنف التصانيف ودوّن العلوم ، ومن أهمِّ كتبه : الرسالة ، والأم ، والمسند ، ولد بغزة سنة (١٥٠ هـ) وتوفي رحمه الله بمصر سنة (٢٠٤ هـ).

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٥ – ٩٩) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ١١ – ١٤) ، والأعلام للزركلي (٦ / ٢٦) .

مسألة الحكم لأيتام أهل الذمة ببقائهم على الكفر

مهملة [1] - يعني أنها غير مسورة [2] ، فهي في قوة الجزئية - [3] .

وحَكَم لأيتام أهل الذمة[4] ببقائهم على الكفر [5] ، وهي مسألة لا ذكر لها عند

---

(1) القضية المهملة : هي ما كان موضوعها كلياً وغير مسورة ، أو ما كان الحكم فيها على الأفراد مع إهمال بيان كمية الأفراد نحو العالم حادث ، والإنسان في خسر .
انظر : التقريب لحد المنطق والمدخل إليه لابن حزم (ص : ٨٥) ، وخلاصة المنطق لعبد الهادي الفضلي (ص : ٥٢) ، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (١ / ٦٧٧) ، ومذكرة في المنطق لشيخنا الفاضل الدكتور بركات دويدار (ص : ٢٣) .

(2) السور في المنطق : هو اللفظ الدال على بيان كمية الأفراد ، وسمي بذلك لدلالته على الإحاطة والحصر ، وهو مأخوذ من سور المدينة المحيط بها كلها أو بعضها ، وهو إما كلي ، وإما جزئي فالكلي مثل : كل وكلما ، والجزئي مثل : بعض وليس بعض .
انظر : تسهيل المنطق لعبد الكريم مراد الأثري (ص : ٣٨) ، ومذكرة في المنطق للدكتور بركات دويدار (ص : ٢٤) ، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (١ / ٦٧٦) .

(3) القضية الجزئية : هي ما كان موضوعها كلياً ومسورة بالسور الجزئي ، أو ما كان الحكم فيها على بعض الأفراد ، وهي إما موجبة أو سالبة ، فالموجبة مثل : بعض الناس كاتب . والسالبة مثل : ليس بعض الناس بكاتب .
انظر : التقريب لحد المنطق والمدخل إليه لابن حزم (ص : ٨٤) ، وخلاصة المنطق لعبد الهادي الفضلي (ص : ٥٣) ، ومذكرة في المنطق للدكتور بركات دويدار (ص : ٢٣) ، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (١ / ٢٦) .

(4) الذمة : هي العهد والأمان الذي يعطيه الحاكم أو نائبه أهل الكتاب بإقرارهم على دينهم ، وذلك بشرطين:
الأول : بذل الجزية . والثاني : الالتزام بأحكام الإسلام وقبول ما يحكم به عليهم من أداء حق أو ترك محرم .
انظر : المهذب للشيرازي (٢ / ٣٢٥)، والمغني لابن قدامة (١٣ / ٢٠٧) ، والتعريفات للجرجاني (ص : ١٤٣) ، ومنار السبيل لابن ضويان (١ / ٢٩٧) ، وفقه السنة لسيد سابق (٣ / ٤٥) .

(5) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٩ / ٢٥٠) .

الشافعية ولا تتمشى على قواعدهم ، بل نقل الشيخ شهاب الدين بن النقيب [1] في « **شرح التنبيه** » فيمن انتقل من الكفار من دينٍ يقر أهله عليه إلى دينٍ هو كذلك ..... [2] فيما يقبل منه ؟ قولان :

أحدهما : الإسلام فقط ، وهو الأصح لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [3] ، ولأنه أقر ببطلان المنتقل عنه وكان مقراً ببطلان الأول ، والثاني الإسلام ؛ لأنه الحق ، أو الدين الذي كان عليه لأنه كان عليه ، فعلى هذا لا نأمره بما كان عليه ، بل نقول : لا يقبل منك إلا الإسلام ، فإن عاد إلى دينه الأول قبل .

وعن ابن أبي هريرة [4] : أنه يجوز أن يدعى إلى أحدهما ، ويكون ذلك إخباراً عن حكم الله ، كما ندعو الحربي إلى الجزية [5] ، ولا يقال : إنه أُمر بالمقام على الكفر،

---

(1) هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن لؤلؤ بن عبدالله المصري الشافعي، المعروف بابن النقيب، عالم بالفقه ، والقراءات ، والتفسير ، والأصول ، والنحو ، ومن آثاره: مختصر الكفاية ، ونكت المنهاج وتهذيب التنبيه ، ولد بالقاهرة سنة (٧٠٢ هـ) ، وتوفي بها سنة (٧٦٩ هـ) .

انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٥١٤ – ٥١٥)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ٢٣٢ – ٢٣٣) ، وحسن المحاضرة للسيوطي (١ / ٤٣٤) .

(2) توجد هنا كلمة غير واضحة ، لعلها : « أي مثله » أو « مثله » .

(3) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(4) هو أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي الشافعي ، إمام وفقيه من فقهاء الشافعية ، انتهت إليه رئاسة المذهب ، من آثاره : شرح مختصر المزني في فروع الفقه الشافعي، توفي ببغداد سنة (٣٤٥ هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥ / ٤٣٠)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٥١٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٥٤٩) .

(5) الجزية : من الجزاء وهي المال الذي يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب.

انظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم (١ / ١) ، وفقه السنة لسيد سابق (٣ / ٤٧) ، والموسوعة ==

فقد أفاد هذا أن الصحيح إذا فرَّعنا على الضعيف أنَّا لا نأمره بما نقرّه عليه من دينه الأول ، بل نأمره بغيره ونخبِرُه أنه لا يُقْبَل منه إلاَّ الإسلام ، ومن قال : إنا قد نخيِّره في الدعوة ، قال : إن ذلك إخبار لا أمر ، فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز أمره بذلك ، فكيف بالحكم ؟ ! » .[1]

مسألة إفتاء أهل الذمة بجواز إعادة كنائسهم

ونقل الشيخ ولي الدين العراقي[2] منهم في « **شرح البهجة نظم الحاوي** » عن الشيخ أبي حامد[3] : الإجماع على أنه لا يجوز إفتاء أهل الذمة بجواز إعادة

==

العربية الميسرة (ص : ٦٣٢) .

قال ابن قدامة -رحمه الله - في المغني - مختصراً - (١٣ / ٣١) : « الكفار ثلاثة أقسام : قسم أهل كتاب ، وهم اليهود والنصارى ، ومن اتخذ التوراة ، أو الانجيل كتاباً ، كالسامرة والفرنج ونحوهم ، فهؤلاء تقبل منهم الجزية ، ويقرون على دينهم إذا بذلوها ، وقسم له شبهة كتاب ، وهم المجوس ، فحكمهم حكم أهل الكتاب في قبول الجزية منهم ، وإقرارهم بها .

وقسم لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب ، وهو من عدا هذين القسمين ، من عبدة الأوثان ، ومن عبد ما استحسن ، وسائر الكفار ، فلا تقبل منهم الجزية ، ولا يقبل منهم سوى الإسلام » .

وانظر في هذا أيضاً : بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٦٨) .

(١) انظر معنى كلام ابن النقيب هذا في كتابه : النكت على المنهاج (ق ٦٢ / ب - ٦٣ / أ)، وانظر أيضاً نفس الكتاب (ق ١٣ / ب) .

(٢) هو : ولي الدين ، أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن الكردي المهراني القاهري العراقي الشافعي ، إمام فقيه ، أصولي ، محدث ، أديب ، صاحب تصانيف كثيرة ، منها : شرح جمع الجوامع للسبكي ، وشرح البهجة الوردية نظم الحاوي الصغير والمسمى : النهجة المرضية ، وأخبار المدلسين ، ولد بالقاهرة سنة (٧٦٢ هـ) ، وتوفي بها سنة (٨٢٦ هـ) .

انظر: الضوء اللامع للسخاوي (١/٣٣٦-٣٤٤)، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٧٢ -٧٤) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ١٦٨) .

(٣) هو : أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني الإمام الفقيه ، شيخ الشافعية في عصره بلا نزاع، اشتغل بالتدريس في بغداد، وله عدة آثار ، منها : التعليقة الكبرى ، وتعاليق على مختصر المزني، وكتاب في أصول الفقه ، ولد سنة (٣٤٤ هـ) ، وتوفي ببغداد سنة (٤٠٦ هـ) .

==

الكنيسة [(١)] إذا تهدَّمت بنقضها [(٢)] ، غاية أمرنا أنهم إن أعادوها به تركناهم ، وأما أن نفتيهم فلا » . [(٣)]

هذا في محل الكفر ، فكيف بالكفر نفسه ؟ ! فكيف بالرضى به ؟! فكيف بالإذن فيه ؟ ! فكيف بالأمر به ؟ ! فكيف بالإلزام به ؟ ! فكيف بأن يكون ذلك الإلزام بالحكم الذي معناه إكراه المحكوم عليه على التزام المحكوم به بحيث لا يقدر على الانفكاك عنه ؟ ! .

==

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧ / ١٩٣ - ١٩٧) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٥٧ - ٥٩) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١ / ١٧٥ - ١٧٧) .

(١) الكنيسة هي : المكان الذي تقام فيه الطقوس الدينية عند النصارى ، حيث يقولون : إنها جسد المسيح وعروسه . وتسمى البيعة بالكسر وجمعها بِيَع .
انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل الباء باب العين (٣ / ٨) ، ومختار الصحاح للرازي (ص : ٧١، ٥٨٠) ، والموسوعة العربية الميسرة (ص : ١٤٨٧) ، والقاموس الموجز للكتاب المقدس (ص : ٥٧٠) .

(٢) مسألة ترميم الكنائس الموجودة في ديار المسلمين ، وإعادة ما انهدم منها ، من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم - رحمهم الله - وكان خلافهم إلى ثلاثة أقوال هي :
القول الأول : جواز الترميم وإعادة ما انهدم منها ، وهو مذهب أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي وأحمد في رواية .
القول الثاني : جواز الترميم وعدم جواز إعادة ما انهدم . وهو مذهب بعض الشافعية ، وبعض الحنابلة .
القول الثالث: المنع مطلقاً وهو مذهب بعض المالكية ، وبعض الشافعية ، ومنهم : الاصطخري .
انظر : المغني لابن قدامة (١٣ / ٢٤١) ، وروضة الطالبين للنووي (٧ / ٥١٠) ، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢ / ٦٩٨ - ٧٠٣) ، وفتح القدير لابن الهمام (٥ / ٢٩٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٤/ ٢٥٤) ، وشرح الزرقاني على مختصر خليل (٣ / ١٤٥) .

(٣) النهجة المرضية في شرح البهجة الوردية (ق ٣١٣ / ب) .

هذا ما لا يقوله مسلم ، فضلاً عن شافعي ، بل هو كفر مضاعف ست مرات[1]، ومن فعل ذلك كان أقرب إلى الاتهام على دين الإسلام / لأن عِشْرة النصارى والحكم لأيتامهم يوجب الظن بأنه لا يريد أحداً يردُّ عليهم بما لا محيص لهم عنه ، ولا مهرب منه ، فلما تفاقم لممالاة بعض الأكابر له أمره ، وأعضل سرَّه وجهره ، ودلَّس على الشيخ أمين الدين الأقصرائي الحنفي [2] حتى كتب له على فتوى أنهى فيها ما أراد مما ليس في كتابي ، ثم ذهب إليه وأراه خطه ، وكان المشار إليه ممن كتب على كتابي بتحسين ما فعلته فيه من النقل من الكتب القديمة [3] لما قام في التشنيع بمثل ذلك أبو العباس القدسي [4] بممالاة ذلك الكبير أيضاً ، فخاف أن يكون بين كتابتيه تناقض وخشي عاقبة ذلك ، فأرسل إليَّ يسألني أن أَتَلافَى القضية ، فذهبت إليه وكان مرجع الناس إذ ذاك بالقاهرة ، فأريته ما كتبه لي وأعلمته أنه لا

[٣ أ / م]

ذكر تدليس ابن القطان على الشيخ أمين الدين الأقصرائي وما نتج عنه

---

(١) يقصد أن كلَّ واحدة من هذه الست مكفرة لوحدها فكيف بها مجتمعة .

(٢) هو : أبو زكريا يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأمين الأقصرائي القاهري الحنفي ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في وقته ، وكان صاحب علم وتواضع ، ولد بالقاهرة سنة (٧٩٧ هـ) ، ومات بها بعد رجوعه من الحج سنة (٨٨٠ هـ) وقيل سنة (٨٧٩ هـ) .
والأقصرائي نسبة إلى أقصراء ، إحدى مدن الروم وليس للأقصر المدينة المصرية الموجودة بصعيد مصر .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٢٣٧) ، والضوء اللامع للسخاوي (١٠/ ٢٤٠) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ١٧٨) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٩٠) .

(٣) انظر: الفصل الأول (ص : ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٤) هو : أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن داود الشهاب الكناني الجدلي المقدسي الشافعي الواعظ ، المعروف بأبي العباس القدسي ، أخذ الفقه والفرائض والعربية والحساب والعروض عن كثير من علماء عصره ، وكان له مجازفات ومبالغات فيما يقوله في مجلس الوعظ ، ولد سنة (٨٠٩ هـ) وقيل سنة (٨١٥ هـ) ، وتوفي سنة (٨٧٠ هـ).
انظر: إظهار العصر للبقاعي (٢٩٣/١)، والضوء اللامع للسخاوي (٣٦٣/١)، (٢ / ١٦٢).

يناقض ما كتب لهم ؛ لأن ما صوَّروه تشنيعات لا حقائق لها ، ولا ثبات عند المكاشفة بوجه، وكان اجتماعي به آخر يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، وقرأت عليه تفسيري لسورة الكوثر [(١)] ، فقال : « والله لا يقدر أحد من أهل هذا الزمان أن يقول مثل هذا » ، فقلت : « فكيف يرد عليّ من لا يقدر أن يقاربني إن ادَّعى أحد منهم مساواتي في هذا ؟ فليفسر سورة من هذه السور المقاربة للكوثر، فإن قارب ما فعلته رضيت بأن يرد عليَّ ، وإلا فهو أقل من أن أخاطبه أو يؤثّر فيّ كلامه » [(٢)] .

مناظرة المؤلف مع خصمه ابن القطان

ثم إني ذهبت بُكرة يوم الجمعة رابع عشرة إلى العلامة محيي الدين الكافيجي الحنفي [(٣)] لأريه ما كان كتبه لي [(٤)] عند قيام أبي العباس على كتابي ، وأشكره على أمر سمعته عنه ، وهو أنه نهاهم عن التشنيع عليه ، وأعلمهم أنهم إن فعلوا كان عليهم ، فلما اجتمعت به إذا هو أصلب القائمين معي ، فقال : « لا أحتاج إلى رؤية خطي ، أنا ثابت معك ولو أدَّى الحال إلى ما عساه يؤدي إليه » ، فبينا نحن كذلك ؛ إذا ابن القطان قد جاء وكان تلميذه [(٥)] ، فلما جلس عاتبته ، فإذا هو ليِّن جداً قد

---

(١) انظر: خاتمة الكتاب (ص: ٦٩٥ - ٧٠٨) ، وكذا نظم الدرر للمؤلف (٨ / ٥٤٧ - ٥٥٢).

(٢) يدل هذا الكلام على ثقة المؤلف بنفسه واعتزازه بها .

(٣) هو : أبو عبدالله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي المعروف بالكافيجي وذلك لكثرة اشتغاله بكافية ابن الحاجب ، كان من كبار العلماء بالمعقولات وكان صاحب ديانة وفضل، من آثاره : السعادة في شرح كلمتي الشهادة ، والتيسير في قواعد التفسير ، وشرح قواعد الإعراب ولد سنة (٧٨٨ هـ) وتوفي سنة (٨٧٩ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٧/ ٢٥٩) ، وبغية الوعاة للسيوطي (١ / ١١٧) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٤٨٨) .

(٤) انظر الفصل الأول (ص : ٢٤٠ - ٢٥٣) .

(٥) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٩ / ٢٤٩) .

ضرس [1] مما سمع أني نسبته إليه مع علمه بصدقي وثباتي فيما أقوم فيه ، وعلمه بكذبه في كل ما نسبني إليه ، غير نقلي من الكتب القديمة على وجه لا اعتراض عليّ فيه [2] .

ثم قلت : « تنسبني إلى الكفر ؟ » وكانوا قد شنعوا عليّ بأني أريد إشهار التوراة وإخفاء / القرآن ، فبادر إلى الإنكار والحلف على أنه ما وقع منه ذلك ولا شيء منه، ثم قال : « ولكن أنت نسبتني إلى إحلال الخمر » ، فقلت : « دع الخمر وأخبرني كيف حكمت بالكفر ؟ » فقال : « إنما حكمت لأطفال أهل الذمة بإرثهم من آبائهم » [3] . [٣ ب / م]

فقلت : « فهل منع حكمك الحنبلي [4] أن يحكم بإسلامهم ؟ » قال : « نعم » [5] . فقلت : « فهذا هوالحكم بالكفر المضاعف ، وهذا لا يقوله مسلم ،

---

(١) يقال : أضرسه أمر كذا : أقلقه . انظر: لسان العرب لابن منظور ، مادة (ضرس) (٦ / ١١٨).

(٢) كما سيأتي بيان ذلك – إن شاء الله – بين طيات الكتاب .

(٣) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (ص : ١٠٩) ، وروضة الطالبين للنووي (٧ / ٥٢٦) ، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢ / ٤٩٤) .

(٤) نسبة إلى الإمام المبجل أبي عبدا لله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي ، الإمام الحافظ الثقة الحجة ، أمير المؤمنين في الحديث ، ناصر السنة وقامع البدعة ، صاحب المسند والزهد والمسائل ، ولد ببغداد سنة (١٦٤ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – بها سنة (٢٤١ هـ) .
انظر: الجرح والتعديل للرازي (١/٢٩٢-٢٩٣) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/٦٣ -٦٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١ / ١٧٧ -٣٥٨) .

(٥) مسألة هل يحكم بإسلام من مات أبواه أو أحدهما من أبناء أهل الذمة أم لا ؟ من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم – رحمهم الله تعالى – وكان اختلافهم إلى ثلاثة أقوال ذكرها العلامة الإمام ابن القيم – رحمه الله– في كتاب أحكام أهل الذمة (٢ / ٤٩٢) وملخصها ما يلي :
القول الأول : لا يحكم بإسلامه ، وهو قول جمهور أهل العلم .
القول الثاني : يحكم بإسلامه ، سواء مات الأبوان أو أحدهما في دار الحرب أو في دار الإسلام .
==

وليس هو مذهب الشافعي » ، فقال الكافيجي : « ولا مذهبنا »[1] .

فقلت : « أنا مستندي في النقل من الكتب القديمة أئمة أهل الإسلام من الصحابة إلى عصرنا ، وأما هو فلا يقدر أن يأتي على قوله هذا بمستند في كتاب من كتب الشافعية ، اذكر مستندك إلى أي كتاب استندت ؟ » .

فلم يقدر أن يأتي ببنت شفه[2] ، فكُسِف بدره ، وكُشِف أمره ، ووُضِع قدره، وخُسِف صدره ، وقُصِم ظهره ، فقلت : « كيف تفعل ما لا سند لك فيه ، وتنكر

==

وهو قول في مذهب أحمد.

القول الثالث : يحكم بإسلام من مات أبواه في دار الإسلام لأنهم على الفطرة . وهو المنصوص عليه عند أحمد ، وهو اختيار عامة أصحابه .

وانظر أيضاً : المغني لابن قدامة (١٣ / ١١٢) ، وشفاء العليل لابن القيم (ص : ٥٧٠) .

تنبيه :

يفهم من كلام المؤلف – رحمه الله – أن الحنابلة لا يورثون أطفال أهل الذمة من آبائهم لأنهم حكموا بإسلامهم ، والعمدة عندهم أن المسلم لا يرث من الكافر والعكس .

أقول: نعم مذهب الحنابلة ينص على أن المسلم لا يرث من الكافر والعكس ، كما ذكر ذلك ابن المنذر في الإقناع (١ / ٢٨٨) ، وابن قدامة في المغني (٩ / ١٥٤) .

لكن ظن المصنف – رحمه الله – أن مذهب الحنابلة ينص على أن أطفال أهل الذمة لا يرثون من آبائهم فيه نظر ، حيث إنهم قالوا بالتوريث ، والتوريث هذا لا يدخل في باب هل يرث المسلم من الكافر أم لا ، بل هو من باب آخر.،يتبين ذلك بما حكاه ابن القيم –رحمه الله– في « أحكام أهل الذمة » (٢ / ٤٩٤) عنهم عند جوابهم عمَّن قال لهم : هل تورثونه من الميت منهما ؟ بقولهم : نعم . نورثه ، لأن إسلامه إنما يثبت بموت أبيه الذي استحق به الميراث ، فلم يتقدم الإسلام المانع عن الميراث على سبب استحقاقه ، فيجب أن يكون الإسلام المعلق بالموت لا يمنع الميراث » .

(١) يقصد : أمر أبناء أهل الذمة ببقائهم على الكفر .

(٢) أي لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة شفة (١٣ / ٥٠٧) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الشين ، باب الهاء (٤ / ٢٨٦) .

عليّ ما سلفي فيه من الأئمة : الصحابة ومن تبعهم إلى زماننا ؟ ! ومن أعظمهم القاضي عياض [١] في « **الشفاء** » ، تكرر منه النقل عن التوراة والإنجيل والزبور [٢] .

المقصود بفاعل قال في قوله : قال في التوراة

وبلغني أنكم تقولون عني : إنه يقول : قال في التوراة كذا ، مَن يعني بفاعل قال؟ تريدون أنه إن قيل لكم : الله . قلتم : من أين علمت ذلك ؟ وما علمتم أنه يكفي في مثل هذا الظن ، كما في الأحاديث القدسية [٣] التي نقلت بالآحاد [٤] ،

---

(١) هو : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسي السبتي المالكي ، الإمام العلامة الحافظ القاضي صاحب التصانيف ، ومنها : الشفا في شرف المصطفى ، وترتيب المدارك، ومشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار ، ولد سنة (٤٧٦ هـ) ، وتوفي بمراكش المغرب سنة (٥٤٤ هـ).

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ٤٨٣ - ٤٨٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠ / ٢١٢- ٢١٨) ، والديباج المذهب لابن فرحون (٢ / ٤٦ - ٥١) .

(٢) سيأتي قريباً - إن شاء الله - ذكر شيء من ذلك . انظر مثال ذلك (ص : ٣٨١ - ٣٨٦) .

(٣) الحديث القدسي : هو ما نقل إلينا عن النبي ﷺ مع إسناده إياه لربه عز وجل .

انظر : التعريفات للجرجاني (ص : ١١٣) ، وشرح قصب السكر نظم نخبة الفكر لعبدالكريم مراد (ص : ٢١) ، وأصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب (ص : ٢٨) ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص : ٢٥) .

(٤) يفهم من قول المصنف - رحمه الله - أن أخبار الآحاد دائماً تفيد الظن ، وهذا فيه نظر ، فإن هذا المذهب هو مذهب بعض المتكلمين وبعض الأصوليين كالجويني والغزالي والبغدادي والرازي وغيرهم. قال الجويني في « البرهان » (١ / ٥٩٩) : « أطلق الفقهاء القول بأن خبر الواحد لا يوجب العلم ويوجب العمل، وهذا تساهل منهم والمقطوع به : أنه لا يوجب العلم ولا العمل » .

وقال الغزالي في « المستصفى » (١ / ٩٣) : « خبر الواحد لا يفيد العلم... وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم ، فلعلهم ارادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل، إذ يسمى الظن علماً » .

وقال الرازي في أساس التقديس (ص : ١٢٧) : « إن أخبار الآحاد مظنونة ، فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى » .

==

وقال البغدادي في « أصول الدين » (ص : ١٢) : « أما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل دون العلم » .

هذه أقوال بعض الأصوليين والمتكلمين في هذه المسألة ، أما عامة السلف ، وفقهاء الأمة ، وجمهور المحدثين ، والأصوليين ، وأكثر المتكلمين على أن أخبار الآحاد إذا احتفت بالقرائن المعتبرة فإنها تفيد العلم اليقيني لا الظني ، ومن هذه القرائن : تلقي الأمة لها بالقبول ، أو تلقي علماء الشأن لها بالقبول ، أو رواية البخاري ومسلم لها ، أو رواية الثقة عن الثقة .

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – في « الأم » (٧ / ١٧٧) : « إذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ » .

وقال الإمام ابن حزم – رحمه الله – في « الإحكام في أصول الأحكام » (١ / ١٠٧) : « قال أبو سليمان والحسين بن علي الكرابيسي ، والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهم : إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل معاً، وبهذا نقول » .

وذكر أبو عمرو بن الصلاح – رحمه الله – في « مقدمته » (ص : ١٤-١٥) : « إن ما اتفق عليه البخاري ومسلم من الحديث مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظري واقع به ، خلافاً لقول من نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فيما نقله عنه تلميذه ابن القيم – كما في « مختصر الصواعق » للموصلي (٢ / ٤٨١ – ٤٨٢) : « وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به ، أو تصديقاً له ... فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين » .

وقال ابن القيم – رحمه الله – كما في « مختصر الصواعق » للموصلي (٢ / ٥٠٩) : « لم تزل الصحابة ، والتابعون ، وتابعوهم ، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر ، والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته » .

هذه بعض أقوال علماء السنة في هذه المسألة ، وكما لا يخفى على كل ذي لبٍ أن النبي ﷺ كان يرسل الرسل والدعاة آحاداً إلى أطراف البلاد وإلىملوك الفرس والروم وغيرهم ، ليبلغوا دعوة الله عز وجل ، فلو كان ما يخبر به هؤلاء الصحابة الثقات لا يفيد العلم اليقيني ، لما أرسلهم رسول الله ﷺ ، ولكان ذلك من العبث الذي يتنزه صاحب الشريعة عنه .

ونقل بعضها بإسناد ضعيف ، ثم يقال فيها : قال الله كذا ، بل وسائر الأحاديث التي نقلت عن النبي ﷺ كذلك ، لا سيما الأحاديث الضعيفة ، بل شُدِّد في النقل عن النبي ﷺ ، ورخص في النقل عن بني إسرائيل ، كما سيأتي في الفصول عن نص الشافعي [1] .

وجوابي عن ذلك : أن فاعل قال ؛ مترجم الكتاب الذي أنقل منه . وعلى تقدير أن أقول : هو الله، يلزمني فيه ما يلزم القاضي عياض ، فمهما أجبتم عنه ، فهو جوابي » [2] .

==

انظر : لوامع الأنوار البهية للسفاريني (ص : ١٧ - ٢٠) ، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان (ص : ٣٨ - ٤٥) ، وأحاديث الصحيحين بين الظن واليقين لحافظ الزاهدي ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي (١ / ١١٥ - ١٥٩) .

(١) انظر (ص : ٥٠٨ - ٥٠٩) .

(٢) القول بأن فاعل قال : هو الله تبارك وتعالى في قول القائل : قال في التوراة أو في الإنجيل بعد تحريفهما ، فيه نظر. فإنه مما لا ينبغي أن يُنْسَبَ إلى الله تبارك وتعالى شيءٌ مشكوكٌ في صحته ، فإن العلماء - رحمهم الله - نصوا على أن الأحاديث الضعيفة عن النبي ﷺ إن رويت فتروى بصيغ التمريض مثل: رُوي أو نُقِل أو حُكي ، كي لا يُنْسَبَ إلى النبي ﷺ شيءٌ في صحته نظر .

قال الإمام النووي - رحمه الله - في « المجموع شرح لمهذب » (١ / ٦٣) : « قال العلماء المحققون من أهل الحديث وغيرهم : إذا كان الحديث ضعيفاً لا يقال فيه : قال رسول الله ﷺ ، أو فعل ، أو أمر ، أو نهى ، أو حكم ، وما أشبه ذلك من صيغ الجزم ، وكذا لا يقال فيه : روى أبو هريرة ، أو قال : أو ذكر ... وما أشبهه ، وكذا لا يقال ذلك في التابعين ومن بعدهم فيما كان ضعيفاً ، فلا يقال في شيء من ذلك بصيغة الجزم ، وإنما يقال في هذا كله : رُوي عنه ، أو نُقل عنه ، أو حُكي عنه ... أو : يذكر أو يحكى.. أو يروى ، وما أشبه ذلك من صيغ التمريض وليست من صيغ الجزم . قالوا : فصيغ الجزم موضوعة للصحيح أوالحسن ، وصيغ التمريض لما سواهما ، وذلك أن صيغة الجزم تقتضي صحته عن المضاف إليه ، فلا ينبغي أن يطلق إلا فيما صح ، وإلا فيكون الإنسان في معنى الكاذب عليه » .

==

فقال : « لست كالقاضي عياض » . فقلت : « فحينئذ تريد أن تخصني بحكم لا يكون لمن فعل فعلي . وقيل : إنكم تنكرون نقلي عن بعض الكفرة ، وقد نقل الأئمة عنهم هذا النقل في البخاري [1] عن هرقل [2] ، وابن الناطور[3] ، وغيرهما [4] .

==

كما أن النبي ﷺ حذر من أن تنسب إليه الأحاديث الموضوعة والمكذوبة فقال : « **من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحدُ الكاذبين** » . رواه مسلم في مقدمة « صحيحه » (١ / ٢٣) من حديث المغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب رضي الله عنهما .

وقال أيضاً : « **من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** » . رواه البخاري في صحيحه - كتاب العلم (١ / ٢٠٢ رقم ١١٠) من حديث أبي هريرة ﷺ .

فإن كان هذا في حق النبي ﷺ فما كان في حق الله تبارك وتعالى من باب أولى ، فإن المسلمين قد أجمعوا على أن الكتب السماوية السابقة قد حُرِّفت وأدخل فيها ما ليس منها وأن فيها حق وباطل، لذا لا ينبغي أن يقال عند الرواية منها : « قال الله كذا » ، بل يقال : جاء في التوراة ، أو روي في الإنجيل ، أو قال في التوراة ، ويقصد بفاعل قال : مترجمها أو ناسخها ، كما نص على ذلك المصنف - رحمه الله - . والله أعلم .

انظر : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (١ / ٢٥١ - ٢٥٢) .

(١) هو : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم البخاري الإمام الحافظ ، أمير المؤمنين في الحديث صاحب الجامع الصحيح ، و التاريخ ، والأدب المفرد ، مناقبه وفضائله كثيرة جداً ، ولد سنة (١٩٤ هـ) ، ومات -رحمه الله- بالقرب من سمرقند سنة (٢٥٦ هـ).
انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢ / ٤ -٣٣) ، وتهذيب الكمال للمزي (٢٤ / ٤٣٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٢ / ٣٩١ - ٤٧١) .

(٢) هرقل : هو ملك الروم ، وهذا اسمه ، وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، ولقبه قيصر ، كما يلقب ملك الفرس كسرى . انظر : فتح الباري لابن حجر (١ / ٣٣) .

(٣) ابن الناطور : هو اسم أعجمي معناه بالعربية حارس البستان ، وهو بالطاء المهملة ، وقيل : بالظاء المعجمة . انظر : فتح الباري لابن حجر (١ / ٤٠) .

(٤) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي (١ / ٣١ -رقم ٦) ، والحديث أخرجه مسلم أيضاً في
==

وفي السير وغيرها عن الأحبار والرهبان والكهان والشياطين، وفي التفاسير ما لا يحصى من ذلك [1] ؛ فإن كنت ممن يقبل الحق ، فمثل هذا لا خفاء معه / وإلا فإنْ شنَّعتَ عليَّ أني أكتب من التوراة والإنجيل ، شنَّعتُ عليك بأنك تحكم بالكفر وما معه مما نقل إليك عني أني قلته عنك ، والله المستعان » .

[٤ أ / م]

رد المؤلف على قول القائل : « إن الله لا يغفر عقوق الأستاذين »

فأصلح بيننا الكافيجي ، وكان من أحسن ما وقع في ذلك المجلس أن كلَّمه شخص من تلاميذي يَدَّعي هو أنه تلميذه أيضاً بما لم يعجبه ، فاشتاط غضباً ، وقال: « في بعض كتب الله المنزلة : إن الله لا يغفر عقوق الأستاذين » ، فقال له : « أذكِّرك بهذا » فبهت شيئاً ، ثم قال : « إن صح هذا » .

فكان من أعجب الأمور أن شخصاً ينكر على آخر استشهاده من الكتب القديمة على صحة دين الإسلام بما يعلم أنه فيها، ويستشهد هو منها في مجلس المخاصمة بما لم يره في شيء منها، ولا علم له به في كتاب، ولا هو متمسك من عُري الصواب بوثيق من الأسباب، بل هو منابذ لدين الإسلام، فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2] وهذا يقول: لا يغفر بعض ما دون ذلك[3].

صحيحه دون قصة ابن الناطور - كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (٣ / ١١١٧ - رقم ١٧٧٣) كلاهما من طريق أبي سفيان رضي الله عنهما .

(١) انظر ما سيذكره المؤلف - رحمه الله - بين طيات فصول الكتاب .

(٢) سورة النساء - الآية : ٤٨ و ١١٦ .

(٣) قال الإمام الطحاوي - رحمه الله - حاكياً معتقد أهل السنة والجماعة في ذلك كما في « شرح الطحاوية » لابن أبي العز (٢ / ٥٢٤) : « وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون ، إذا ماتوا وهم موحدون ،وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه ، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم، بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء - الآية : ٤٨ ، ١١٦] وإن شاء عذبهم في النار بعدله ،ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته » .

وكان الأدباء من أصحابي قد صنَّفوا في أمر هذا الحسود أشياء سموها أسماء عجيبة رمته بكل مصيبة منها : « **قطع اللسن بتاريخ ابن أبي الحسن** » .

ومنها : « **بث الأسرار المحكية من أخبار درب القطبية** » .

ومنها : « **تجاوب المغاني بتاريخ القسطلاني** » .

ومنها : « **حل العَويص في حكم القبض من الرخيص** » .

ومنها : « **القول المبين في أخبار حنينة سعد الدين** » .

ومنها : « **تحذير المعتدين وتقرير المفسدين بالتزوير على أولاد ابن نجم الدين**».

ذكر صفات خصمٍ آخر من خصومه

وكل واحد من هذه الأسماء له أسرار ، تحتها أغوار [(١)] وأي أغوار ، يتحدث بها السُّمَّار في المحاضر والأسفار ، إذا فُسِّرت أنتن لها الجوّ المعطار ، وأظلم لسوادها ضياء النهار ، وكانت في عدة أسفار ، فيا لها من أخبار ، ولما عجز ابن القطان عن المقاومة في هذه المخاصمة بمحاكمة وغير محاكمة ، فبرد من حدَّته، ووهن في صدمته ، فرجع من قومته إلى قعدته ، بل نومته ، أقام شخصاً يقال له: ابن البارد[(٢)]، يجادل عنه [ويجالد] [(٣)] ، وهو عامي لا بصر له بعلم من العلوم ، ولا معرفة برسم

==

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى (١١ / ٦٦٣) : « الشرك لا يغفره الله. وما دون الشرك أمره إلى الله ، إن شاء عاقب عليه ، وإن شاء عفا عنه » .

(١) الغور : هو القعر من كل شيء .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة غور (ص : ٤٨٤) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل الغين ، باب الراء (٢ / ١٠٥) .

(٢) لقب ابن البارد أطلق على عدة أشخاص منهم السخاوي كما مضى ذكر ذلك أثناء ترجمته (ص : ١٢٢) .

(٣) في (م) : « تجالد » ، والصواب ما أثبته وهو كما في (س) ، ويقال : تجالد القوم بالسيوف واجتلدوا أي تضاربوا وتدافعوا .
انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة جلد (٣ / ١٢٥) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الجيم ، باب الدال (١ / ٢٨٤) .

من الرسوم، ولا صنعة له في غير الكذب [1] ، فقال شخص من أصحابنا في قضية له مذكورة ، شائعة بين معارفه ومشهورة ، سماها بعض الأدباء الظرفاء النجباء : « **إبراز المعاني من تاريخ العمراني** » .

دع عنك أهل العلم في أفكارهم		واجعل حديثك في أبي عمران

[٤ ب/ م] وما بعده من البيت الثاني ، المترجم بالغوراني، فكف ذلك من غربه [2] / وأوهن من كِذبه ، على أن الأمر فيه كما قيل :

فلو أني بليت بهاشمي		خؤولته بَنُو عبد المدان

لهان عليّ ما ألقى ولكن		تعالوا فانظروا بمن ابتلاني [3]

ولما انقشر [4] به الأمر سمعه الشاميُّون ، وهم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) إن كان قصد المؤلف بهذا الوصف السخاوي الذي لقب بابن البارد ، فإن هذا الوصف ليس بصحيح ، وقد جانب الحق والصواب ، فإن الرجل قد اشتهر بالعلم وسعة الاطلاع عند كل من ترجم له .

انظر : مصادر ترجمته (ص : ١٢٢) .

(٢) أي من حدَّته ، يقال : كُفَّ من غَرْبتك أي من حدتك .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة غرب (١ / ٦٤٠) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الغين ، باب الباء (١ / ١٠٩) .

(٣) القائل هو : داود بن علي الظاهري . ومناسبة ذلك : أن محمد بن جرير الطبري كان يختلف إلى داود بن علي مدة ، ثم تخلف عنه ، وعقد لنفسه مجلساً ، فعلم بذلك داود فأنشأ فيه :

**فلو أني بليت بهاشمي		خؤولته بنو عبد المدان**

**صبرت على أذيته لي ولكن		تعالي فانظري بمن ابتلاني**

انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨ / ٣٧٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي(١٣ / ١٠٠).

(٤) انقشر من قشر الشيء يقشره قشراً ، ومعناه نزع الجلد ونزع الثوب ، والمقصود هنا اتضاح الأمر وانكشافه وبيانه .

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة قشر (ص: ٥٣٥) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة قشر (٥/ ٩٣- ٩٤) .

المنكر والغيرة لله، فكتب فقيه الشاميين أقضى القضاة بدر الدين محمد[1] بن العلامة تقي الدين أبي بكر[2] بن قاضي شهبة الشافعي :

رأي العلامة ابن قاضي شهبة في مسألة الحكم لأيتام أهل الذمة ببقائهم على الكفر

« الحمد لله الهادي للحق ، الحكم الصادر على الوجه المذكور[3] غير صحيح ، لا يعبأ به ولا يلتفت إليه[4] ولا يسع أحداً من الحكام تنفيذه ، ولا التعويل عليه لتضمنه قبائح تؤذن بعدم مبالاته بأمر الدين ، وانتظامه - إن شاء الله تعالى - في سلك الخاملين ، فإنه وإن كان مذهب الشافعي ﷺ أنه لا يحكم بإسلام أولاد الذمة بموت آبائهم[5] ، فإنه لا يلزم من عدم الحكم بإسلامهم الحكم باتباعهم لآبائهم ، بل بينهما واسطة ، وهي الإعراض عنهم وتقريرهم على ما كانوا من تبعية آبائهم ، وإنما امتنع الحكم بالتبعية لآبائهم وبعدم الحكم بإسلامهم لانتفاء

---

(١) هو : بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد الأسدي الدمشقي الشافعي العلامة الفقيه المؤرخ ، المعروف بابن قاضي شهبة ، من آثاره : إرشاد المحتاج إلى توجيه المنهاج ، وبداية المحتاج في شرح المنهاج ، والدر الثمين في مناقب نور الدين ، ولد بدمشق سنة (٧٩٨ هـ) ، وتوفي بها سنة (٨٧٤ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٧ / ١٥٥ - ١٥٦) ، والأعلام للزركلي (٦ / ٥٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٤٨، ١٦٤) .

(٢) هو : تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الدمشقي الشافعي الإمام الفقيه المؤرخ المفسر، المعروف بابن قاضي شهبة أيضاً ، كان من أكابر أهل عصره وكان صاحب تصانيف منها: طبقات الشافعية ، وشرح منهاج الطالبين للنووي ، وطبقات النحاة واللغويين ، ولد بدمشق سنة (٧٧٩ هـ) ، وتوفي بها سنة (٨٥١ هـ) .
انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١٥ / ٥٢٣)، والضوء اللامع للسخاوي (١١ / ٢١)، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٣٩٢) .

(٣) انظر : (ص : ١٩٨) .

(٤) في الهامش : « يتلوه في الفرجة ولا يسع أحداً » .

(٥) انظر : (ص : ٢٠٤ - ٢٠٥) .

مقدمات إنشاء الحكم

مقدمات إنشاء الحكم [1] بذلك ، إذ الحكم يستدعي حاكماً ومحكوماً به ، وله وعليه ، ودعوى ملزمة للجواب ، واجتماع هذه متعذر لعدم تصوُّر مدَّعٍ ، ومدَّعٍ عليه ، ومحكوم عليه ، وليس هذا في شيء من حقوق الله التي تسمع بينة الحسبة [2] فيها ، بل الصادر منه الحكم على الوجه المذكور مع انتفاء بعض أركان الحكم ، ومقدماته يحتاج إلى من يحتسب عليه ، فإن الظاهر من حال هذا الحاكم أن معظم قصده التوصل إلى منع الحكم بإسلام أطفال من مات أبواه ، وهو قصد فاسد ، إذ يرجع حقيقة أمره إلى سد باب الإسلام عن الأيتام بالحكم بإسلامهم بتبعية الدار وإنقاذهم من عذاب النار ، وهو قصد فاسد لا يصدر إلاَّ من مرتكب للهوى أو مُكبٍّ على حب الرشا [3] .

وقوله : « قصدت أن يكون كافراً ، قصدٌ قبيحٌ يقرب من الكفر ، بل هو أولى بالتكفير ممن صرح أئمتنا بتكفيره [4] ، وهو من طلب منه كافر تلقينه كلمتي

(١) والتي تسمى : أركان الحكم ، أو أركان القضاء ، وهي ستة: ١- القاضي . ٢- المقضي به . ٣- المقضي له . ٤- المقضي فيه . ٥-المقضي عليه . ٦- كيفية القضاء .
انظر : تبصرة الحكام لابن فرحون (١ / ١٧) .

(٢) تطلق الحسبة على وظيفة المحافظة على النظام العام ، والفصل الفوري في المنازعات ، مما لا يدخل في اختصاص القاضي الذي يحكم في المظالم.
وهي : أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله .
انظر : الأحكام السلطانية للماوردي (ص : ٢٤٠) ، وتبصرة الحكام لابن فرحون (١ / ١٣)، والموسوعة العربية الميسرة (ص : ٧١٧) ، والقاموس الإسلامي لأحمد عطية (٢ / ٧٧) .

(٣) الرشا جمع رشوة وهي : ما يعطى لإبطال حق وإحقاق باطل ، أو ما يعطى للتملق ، ولعل المقصود بها هنا : المحاباة والملاينة .
انظر: لسان العرب لابن منظور ، مادة رَشا (٣٢٢/١٤)، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الراء ، باب الياء (٤ / ٣٣٤) .

(٤) مسائل الأحكام من التكفير والتبديع والتفسيق من المسائل التي جعل لها العلماء -رحمهم الله تعالى-
==

الشهادة ، فقال له : اصبر قليلاً ، فإنه يكفر بذلك ، فإنه صريح برضاه على بقائه على الكفر وأمره ببقائه عليه في ذلك الوقت ، وإذا كفر هذا بذلك ، فقول القائل : « قصدت بالحكم أن يكون كافراً ، ومنع التوصل إلى الحكم بإسلامه ممن يراه أولى بذلك »[1] ، وقد ارتكب بهذا اللفظ محذوراً كبيراً ، فينبغي له المبادرة إلى التوبة من العود إلى مثله ، والإتيان بالشهادتين ، فإنه قد أوقع نفسه في ورطة عظيمة بقوله ما لا يجوز قوله ، والحكم بما لا يسوغ حكمه ، وقد شنَّع قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي[2] - رحمه الله تعالى - على من عبَّر من الفقهاء بجواز إبقاء الكنائس للكفار وجواز ترميمها إياهم حيث تبقى لهم ويقرون عليها ، وقال[3] : « إن المراد بإبقائها عدم منعهم من ذلك لا جوازه ، فإن الجواز حكم شرعي ، ولم يرد الشرع بجواز بناء الكنائس ولا ترميمها ولا إبقائها » .

الفرق بين الإذن ببقاء الكنائس في ديار المسلمين والحكم بجواز البناء والترميم

قال : « يفرق بين الإذن لهم وعدم التعرض إليهم ، فإن إبقاء الكنائس وترميمها

==

ضوابط وأسساً لا بد للمسلم أن يسير على غرارها ، وإلا لعمت الفوضى وانتشر البلاء ، وتطوّل على العلماء ، وسفكت الدماء - والله المستعان - ومن هذه الأسس ما ذكر المصنف - رحمه الله - في خاتمة كتابه هذا (ص : ٥٢٧ - ٥٣٠) فانظره فإنه مهم .

(١) أرى - والله أعلم - أن هذا فيه نوع مبالغة .

(٢) هو : تقي الدين أبو الحسن علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي المفسر الفقيه الأصولي اللغوي النحوي ، برز في كثير من العلوم ، وكان صاحب تصانيف حيث بلغت نحو مائة وخمسين تصنيفاً منها : الإبهاج في شرح المنهاج ، والمواهب الصمدية في المواريث الصفدية ، وكشف الدسائس في ترميم الكنائس ، ولد بسبك من أعمال المنوفية بمصر سنة (٦٨٣ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٧٥٦ هـ).

انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٧٥ - ٧٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٣٠٨ - ٣١٠) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٤٦١) .

(٣) لعل الأولى أن يقال : « فقال » .

من جملة المعاصي التي يقرون عليها كشرب الخمر ونحوه ، ولا يقال : إن ذلك جائز لهم ، ولا ينبغي لولي الأمر أن يأذن لهم في ذلك ، كما يأذن في الأشياء المباحة في الشرع ، وإنما يعرض عنهم ولا ينكر عليهم [(١)] ، كما أنهم يقرون على التوراة والإنجيل ، ولو اشتروها أو استأجروا من كتبها لهم ، لم يحكم بصحته ، ولا يحل لقاضٍ ولا لغيره من الحكام أن يقول لهم : افعلوا ذلك ولا أن يعينهم عليه، ولا يحل لأحد من المسلمين أن يعمل لهم فيه ، ولو استأجروه له وترافعوا إلينا ، حكمنا ببطلان الإجارة » . انتهى [(٢)] .

فإذا امتنع على الحاكم الإذن لهم في عمل ذلك لكونه معصية ، فلأن يمنع عليه الحكم بما يتضمن أكبر المعاصي ، وهو البقاء على الكفر والتصريح بأنه قصد أن يكون كافراً أولى بالامتناع وأحرى ، لا سيما عند فقد مقدمات الحكم من الأركان والشروط ، وإذا حرم على المسلمين العمل لهم في ذلك ، لزم التحريم على الكُتّاب والشهود كتابة مثل هذا الحكم الباطل من باب أولى ، لا سيما كتابة ما اعتاده الوراقون في كتبهم من قولهم – بعد تقدم دعوى شرعية ، واعتبار ما يجب اعتباره شرعاً – حكماً صحيحاً شرعياً معتبراً مرضياً ، مع العلم بأنه لم يوجد شيء من ذلك من قول الزور ، وإذا تقرر عليها صحة الحكم بما قررناه ، فالصادر لغواً يمنع من يرى الحكم بإسلام الأطفال المذكورين أن يحكم بذلك بعد استيفاء شرائط

---

(١) تقدم الكلام عن أقوال العلماء في المسألة (ص : ٢٠٠ -٢٠١) ومعنى قولهم – رحمهم الله – يجوز ليس المراد منه حث النصارى على ذلك، وإفتائهم به ، وإنما المراد أنهم إن أرادوا فعل ذلك فلهم ذلك ، ولا ينكر عليهم ، وإنما يعرض عنهم ، ولعل الباب في ذلك واسع ولا مشاحة في الاصطلاح. والله أعلم .

(٢) انظر مسألة في منع ترميم الكنائس للسبكي ضمن كتاب فتاوى السبكي (٢ / ٣٦٩ – ٤١٧) ، والنهجة المرضية لولي الدين العراقي (ق ٣١٣ / ب) .

الحكم المعتبرة شرعاً . والله أعلم بالصواب ») .[1]

منهج المؤلف في الكتاب

فلما طال الأمر أحببت أن أذكر ما يشهد بحسن صنيعي في ردي على الأخصام[2] في بطلان أديانهم واستشهادي عل صحة دين الإسلام بما يعتقدونه من كتبهم ، فتقوم الحجة عليهم به في هذا الكتاب[3] ، وكنت أولاً كتبته على وجه دون هذا ، فكتب عليه صاحبي العلامة نور الدين علي بن محمد المحلي الشافعي[4] حواشي نافعة مهمة ، فأحببت أن أذكرها في هذا التصنيف معزوة إليه ، فسترها في

---

(١) هنا نهاية ما كتبه ابن قاضي شهبة ، كما هو نهاية السقط المشار إليه آنفاً (ص : ١٩٤) .

(٢) أي من الكفار من اليهود والنصارى .

(٣) هذا المسلك مسلك حميد في الإسلام في الرد على الأخصام ، فقد قال تعالى مرغباً أهل الكتاب بالإيمان بمحمد ﷺ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأعراف – الآية : ١٥٦ – ١٥٧] .
ولقد سلك هذا المسلك أيضاً أئمة الإسلام –كما سيأتي ذكر شيء من أفعالهم – قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه « الجواب الصحيح » (١ / ١٠٤) : « ونحن – ولله الحمد والمنة – نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية : من القرآن ، أو من الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية ، فلا حجة لهم في شيء منها ، بل الكتب كلها مع القرآن ، والعقل حجة عليهم لا لهم ، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ، ومن المعقول ، فهو نفسه حجة عليهم ، ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية».
وانظر للفائدة : الحوار مع أهل الكتاب لخالد القاسم (ص : ٢٠٢ – ٢٠٥) .

(٤) هو : نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي المحلي القاهري الشافعي ، المعروف بابن قُرَيبة – بقاف مضمومة ثم راء بعدها تحتانية ثم موحدة ، أخذ العلم على كثير من علماء عصره ، وصحب البقاعي كثيراً ، وأوصى له البقاعي بجميع كتبه بعد موته ، وكان من أشد الناس مع البقاعي على ابن عربي وابن الفارض ، وقد نال منه وحطّ عليه السخاوي كثيراً في الضوء اللامع .
انظر : الضوء اللامع (٦ / ١٨ – ١٩) ، وبدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٢٠) .

مواضعها - إن شاء الله تعالى - ، ورتبته في مقدمة وثمانية فصول وخاتمة .

المقدمة : في بيان أن من شنّع عليّ إنما تشنيعه لحظ [1] نفس ، وغرض شيطاني .

والفصول : في حسن صنيعي في الكتاب ، وما فيه من حكمة وصواب .

الفصل الأول : في كلام مشايخ العصر في كتابي تقريظاً وإفتاءً .

[الفصل] [2] الثاني: في حكم النقل من الكتب القديمة لقصد التأييد لدين / [٣ أ / س] الإسلام .

[الفصل] [3] الثالث : في أدلة ذلك .

[الفصل] [4] الرابع : في شواهده ومؤيداته .

[الفصل] [5] الخامس : في كلام الأئمة على الأدلة وعلى ما يتراءى أنه يخالفها.

[الفصل] [6] السادس : في ذكر بعض من نقل منها من الأئمة وأعيان الأمة وذكر بعض ما نقلوه .

[الفصل] [7] السابع : في أنها هل هي مبدلة وما المبدل منها ؟

[الفصل] [8] الثامن : في أن حكم النقل عن بني إسرائيل الجواز وإن لم يثبت ذلك المنقول ، وكذا ما نقل عن غيرهم من الكفار لأن المقصود به الاستئناس بخلاف

---

(١) في (س) : « بحظ » .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

ما نستدل[1] به في شرعنا ، فإنه العمدة في الاحتجاج للدين ، فلا بد من ثبوته .

الخاتمة : فيما يعرف بجلالة كتابي وذلك أمران :

الأول : السلامة من الأمور الشنيعة التي وقع فيها غيري من المفسرين ونزهت كتابي عنها .

الثاني : في ذكر شيء مما يدل على تحليه بالكمال وهو قسمان :

الأول : في تفسير آيات حار [2] في توجيهها العلماء .

الثاني : إيراد تفسير سورة الكوثر لتدل على بقيته [3] .

---

(١) في (س) : « يستدل » .

(٢) في (س) : « جار » .

(٣) في (س) : « تعينه » .

المقدمة : في بيان أنَّ من شنَّع عليَّ إنما تشنيعه لغرض نفساني وباعث شيطاني .

الأسباب التي دفعت خصومه للنيل منه

وذلك أن كل [(١)] من أخذ في التشنيع على هذا الكتاب لم يشتهر أحد منهم عند الناس بديانة ، ولا [(٢)] / أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر في وقت من الأوقات، ولا عفة ولا أمانة [(٣)] ، وليس له من التمكن في الفضائل ما يفهم به مقاصد الكتاب[(٤)] ، ومن المعلوم أنه لا يتمكن أحد من إنكار ما لم يتقنه [(٥)] فهماً ويُحِطْ به علماً .

[٥ أ / م]

أولها : الحسد

ومن الدليل أيضاً على أن الحامل للقائمين عليَّ إنما هو الحسد : أنه لم يقم [(٦)] عليّ فيه إلا شافعي [من أهل مصر] [(٧)] ولو كان / في الكتاب ما يُنكَر ، لساواهم أحد من أهل المذاهب ، ولو كان ما يقوله [(٨)] الشافعية في ذمِّه والتشنيع عليه حقاً ما استكتبه العلامة قاضي الشافعية بمكة المشرفة برهان الدين ابن ظهيرة [(٩)] المشهور

[٣ ب/س]

---

(١) قوله : « كل » : ساقط من (س) .

(٢) قوله : « ديانة ولا » ساقط من (س).

(٣) قوله : « ولا عفة ولا أمانة » : ساقط من (س) .

(٤) هذا الأمر ليس على إطلاقه ، بل كان منهم السخاوي الذي عرف بالعلم وسعة الاطلاع ولا سيما في الحديث وعلومه . انظر ترجمته (ص : ١٢٢) .

(٥) في (س) : « تيقنه » .

(٦) في (س) : « يفهم » .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٨) في (س) زيادة : « ما يقول من » . وهو خطأ من الناسخ .

(٩) هو : برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن حسين بن علي بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي الشافعي ، عالم الحجاز وقاضي مكة المكرمة ، اشتهر بالعلم والفضل ولد بمكة سنة (٨٢٥ هـ) ، وتوفي بها سنة (٨٩١ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ٨٨ - ٩٩) ، ونظم العقيان للسيوطي (ص : ١٧) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٥٢٥) .

بالعلم والديانة ، وكان كلما وصل إليه منه شيء يرسل إلى المستكتب له بالقاهرة ، وهو الإمام زين الدين عبدالقادر بن شعبان [(١)] أحد فضلاء الشافعية أيضاً ، وصلحائهم ، يحثه على إكماله ويمدح الكتاب [(٢)] ، وقد صار عنده الآن في سنة ثلاث وسبعين منه إلى آخر الكهف .

ثانيها : موقفه من بدعة قول القائل بعد أذان الصبح : يادائم المعروف

وأخبرني الشيخ زين الدين المشار إليه أنه ما أرسل إليه كتاباً قط إلا حثَّه [(٣)] على الإكمال ، ومدح الكتاب بما يقيم عذره في ذلك ، فتبين حينئذ أنه إنما بهم داء الحَسَد ، إن نهيت عن بدعة [(٤)] أمروا بها وادَّعوا أنها حسنة [(٥)] وأفتوا بها ، وتعاونوا

---

(١) هو : زين الدين عبدالقادر بن علي بن شعبان القاهري الزيات الشافعي ، المعروف بابن شعبان اشتهر بعلمي الفرائض والحساب ، ومن أبرز آثاره : شرح الحاوي لابن الهائم في الحساب ، وشرح منظومة المغربي في الحساب ، ولد سنة (٨٢٠ هـ)، وتوفي سنة (٨٩٢ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٤ / ٢٧٧) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٨٦٦) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ١٩١) .

(٢) انظر : الفصل الأول (ص : ٢٦٤ -٢٦٨) فإنه ذكر - رحمه الله - تفصيل هذا الكلام .

(٣) في (س) : « ختمه » .

(٤) البدعة في اللغة : من الابتداع ،وهو الشيء المخترع لا على مثال سابق ، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة الأحقاف - الآية : ٩] ، وقوله : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ [سورة الحديد - الآية : ٢٧] ، وقوله : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة البقرة - الآية : ١١٧] .
أما في الاصطلاح الشرعي فهي : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه .
انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة بدع (٨/٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/١٠٧-١٠٨) والاعتصام للشاطبي (١/ ٣٧)، والسنن والمبتدعات لمحمد عبد السلام الشقيري (ص: ١٥) .

(٥) تقسيم البدع إلى حسنة وقبيحة ، تقسيم لا أصل له في الشرع ، وكيف يكون له أصل وهو ينافي صريح القرآن ، وصحيح السنة ، وما كان عليه سلف الأمة ؟! فقد قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة - الآية : ٣] ، وقال ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية ﷺ : « **كل بدعة ضلالة** » ، رواه أحمد في المسند ==

على تصنيفٍ في ذلك [1] لرد تصنيفي [2] فيه ، كما فعلوا لما نهيت عن قول بعض المؤذنين عقب أذان الصبح مُتَّصِلاً بالأذان بصوت الأذان : يا دائم المعروف ، يا كثير الخير إلخ .

وإن بَيَّنْتُ [3] ما تصادق به القرآن مع الكتب القديمة مُستَنًّا في ذلك بما شرعه

(٤/١٢٦)، وأبوداود في السنن -كتاب السنة -باب لزوم السنة (٥ / ١٣ - ١٥ رقم٤٦٠٧).

قال ابن حجر - رحمه الله - في « فتح الباري » (١٣ / ٢٥٤) : « قوله : " **كل بدعة ضلالة** " قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها ، أما منطوقها : فكأن يقال : حكم كذا بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، فلاتكون من الشرع لأن الشرع كله هدى ، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة ، صحت المقدمتان ،وأنتجتا المطلوب » .

وأخرج ابن بطة العكبري في « الإبانة » (١ / ٣٣٩) عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال : « كل بدعة ضلالة ، وإن رآها الناس حسنة » .

ولقد استدل من قال بأنه يوجد في الدين بدعة حسنة وبدعة قبيحة بعدة استدلالات لا يستقيم لهم منها شيء . والمجال لا يحتمل أن أذكر هذه الاستدلالات وأجيب عنها بجواب علماء الأئمة - رحمهم الله - ومن أراد أن ينظرها للفائدة فليرجع إلى: الاعتصام للشاطبي (١ / ١٤١ - ١٤٥) ، البدعة وأثرها السيء في الأمة لسليم الهلالي (ص:٧- ٤٣)، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار لصالح السحيمي (ص : ٢٠٢ - ٢١٥) ، وحقيقة البدعة وأحكامها لسعيدالغامدي (٢ / ١٣٨ - ١٤٥) ، واللمع في الرد على محسني البدع لعبد القيوم السحيباني ، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم الرحيلي (١ / ١١٢ - ١١٧) .

(١) وهو كتاب: القول المألوف في الرد على منكر المعروف للسخاوي، كمايوجد رد آخر على البقاعي - رحمه الله - حول هذه المسألة للشهاب أحمد بن موسى بن أحمد القاهري الشافعي المتبولي .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٠٦) ، (٢ / ٢٢٨) ، (٨ / ١٨) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٣٦٤) ، وهدية العارفين للبغدادي (٦ / ٢٢١) .

(٢) وهو كتاب: القول المعروف في الرد على منكري المعروف. انظر (ص: ٩٣) من القسم الدراسي.

(٣) في (س) : « يُثبت » .

ا لله وفعله رسوله [1] ﷺ واقتدى به فيه الأئمة [2] ، شنّعوا به وملأوا الدنيا من التنفير بذلك عني وعن الكتاب ، وتعاضدوا على تصنيف [3] في ذلك ، أخذوا فيه من كلام العلماء ما هو معلَّلٌ بعلة يدور الحكم معها أو مقيد في موضع [4] آخر ، غير فاهمين لإهمال القيد أو العلة لمقاصدهم [5] ، أو معاندين لمصادرهم ومواردهم ، كما فعلوا في التصنيف الأول ، كلُّ ذلك طلباً للترفُّع [6] بالغض ممَّن هو عنهم بمعزلٍ ، فلا يفيدهم ذلك - إن شاء ا لله - إلاَّ ضدُّ مقصودهم ، كما قال الشافعي -رحمه ا لله-: « / من طلب الرئاسة في غير حينها ، لم يزل في ذلك ما بقي » . [7]

ثالثها : استشهاده بالكتب القديمة لبيان مصادقتها للقرآن والرد على أهلها منها

[٤ أ / س]

وروى الإمام أحمد في « **المسند** » [8] ، وأبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالحكم [9]

---

(١) في (س) : « رسول ا لله » .

(٢) في (س) : « أئمة » .

(٣) يشير المصنف - رحمه ا لله- إلى كتاب السخاوي المسمى : الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل .
انظر: الضوء اللامع للسخاوي (١/١٠٦)، (٨/١٨) ،وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/١٠٧)، وهدية العارفين للبغدادي (٦ / ٢١٩) ، وموقف البقاعي مع خصومه (ص : ١٢٥) .

(٤) في (س) : « مواضع » .

(٥) في (س) : « بمقاصدهم » .

(٦) في (س) : « للرفع » .

(٧) ذكره بدر الدين ابن جماعة في « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » (ص : ٤٥) وعزاه لأبي حنيفة - رحمه ا لله - .

(٨) مسند الإمام أحمد (٥ / ٣٤٠) .

(٩) هو : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدا لله بن عبدالحكم المصري المالكي المحدث المؤرخ الفقيه صاحب فتوح مصر وأخبارها ، توفي سنة (٢٥٧ هـ) .
انظر : تهذيب الكمال للمزي (١٧ / ٢١٣) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٦ / ١٨٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٩٦) .

في « **فتوح مصر** » [(١)] ، عن سهل بن سعد[(٢)] ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **اللهم لا يدركني زمان ولا أدركه لا يتبع فيه العليم ولا يستحى فيه من الحليم** [(٣)] ، **قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم السنة العرب**» [(٤)] .

والدليل على قصدهم العناد : أنهم كثير ، ولا يقدرون أن يخرجوا ما صنّفوه [(٥)] ولا ينظره أحد من غير من يتحققون أنه معهم ، وأما ما أكتبه أنا فمع الناس لا يُتحاشى من إظهاره لأحد من الناس ، فيا لله العجب [(٦)] من حق معه الكثرة والقوة يغلبه باطل لا كثرة له ولا قوة ، وكانوا كلّما طُلِبَ منهم الاجتماع مع أحدٍ من جماعتي للكلام معهم في بيان الحق في ذلك ، حادوا ومالوا عن ذلك وماروا [(٧)] ،

---

(١) فتوح مصر (ص : ٢٧٥ - ٢٧٦) .

(٢) هو : أبو العباس وقيل: أُبو يحيى سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعدي من مشاهير أصحاب رسول الله ﷺ كان اسمه حزناً فغيَّره رسول الله ﷺ فسماه : سهلاً، وله عن رسول الله ﷺ مائة وثمانية وثمانون حديثاً ، وكانت وفاته ﷺ بالمدينة سنة (٨٨ هـ) . وقيل : (٩١ هـ) ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين -.

انظر: أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٥٠) ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤ / ٢٧٧ -٢٧٩)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٢٧٥) .

(٣) في (س): « الحكيم » .

(٤) الحديث أخرجه أيضاً أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣ / ٥٢٧) ، من طريق سهل ابن سعد ﷺ مرفوعاً .

والحاكم في مستدركه (٥١٠/٤) من طريق أبي هريرة ﷺ مرفوعاً. وحكم عليه الألباني -حفظه الله- بضعف الإسناد في ضعيف الجامع الصغير (ص:١٧٣) ، والسلسلة الضعيفة (٥٥١/٣) .

(٥) في (س) : « صنعوه » .

(٦) في (م) : « للعجب » ، والتصويب من (س) .

(٧) من المُوْر، وهو التردد والتحرك والمجيء والذهاب ، والمماراة هي المعارضة.

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة مور (ص : ٦٣٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة مور (٥ / ١٨٦) .

فعلم كل ذي عقل أنهم على باطل ، لا يستندون / في قولهم ذلك إلى عقل ولا نقل، [٥ ب / م]
بل لا يقول [(١)] بقولهم إلا متهمٌ على دين الإسلام ، متعصِّبٌ لبعض طوائف الكفار ، فإن الذي أذكره عنهم [(٢)] إما لبيان مصادقته للقرآن ، ويلزم من كثير منه الرد عليهم فيه [(٣)] إما لبيان سوء أفهامهم [(٤)] أو بيان تبديلهم له ، كما سيأتي ذلك مستوفى في [(٥)] آخر الفصل الخامس إن شاء الله تعالى [(٦)] .

رابعها : موقفه من ابن الفارض

وأقطع من ذلك كله وأوضح [(٧)] في بيان الاتهام والغرض الفاسد [(٨)] ؛ أنهم أدّاهم الهوى إلى معارضتي في أمر أوجب لهم التعصب لمن فضل التوراة والإنجيل على القرآن أو سواهما به ، مُروقاً من الدين وخُرقاً لسياج [(٩)] سنّة سيِّد الأولين [(١٠)] والآخرين ، وذلك حين يقول [(١١)] :

وإن نار بالتنزيل محراب مسجد   فما بار[(١٢)] بالإنجيل هيكل بيعة

(١) في (س) : « لا يقولون » .
(٢) أي مَنْ أنقل عنهم من اليهود والنصارى .
(٣) قوله : « فيه » : ساقط من (س) .
(٤) في (س) : « إفتائهم » .
(٥) قوله : « في » : ساقط من (س) .
(٦) انظر : (ص : ٣٦١ - ٣٦٣) .
(٧) في (س) : « واضح » .
(٨) قوله : « الفاسد » : ساقط من (س).
(٩) في (س) : « وفرق السياج » .
(١٠) في (س): « المسلمين » .
(١١) يقصد ابن الفارض ، والذي تقدمت ترجمته (ص : ١٠٤ - ١٠٥) .
(١٢) في (س) : « نار » .

[٤ ب/ س]

/ وأسفار توراة الكليم لقومه يُناجي بها الأحبار في كل ليلة [1]

في قضية مهولة ، وقصة طويلة ، أذكرها - إن شاء الله [تعالى] [2] - في تصنيف مستقل [3] أسميه : « **تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض** » [4] ، ورضوا لأنفسهم لأجل الهوى بأن يوسموا بميسم الاتحاد [5] الذي لا يُغسل عاره ، ولا تطفأ ناره على مر الآباد . والله الموفق [وإليه المرجع والمعاد] [6] .

---

(١) هذه الأبيات جزء من أبيات لابن الفارض كما في ديوانه (ص:٩٠)، يدعو فيها دعوة صريحة لوحدة الأديان ، والتي وللأسف الشديد بدأنا نسمع من ينعق بالدعوة لها هذه الأيام، والله المستعان . انظر : (ص : ١٠٩ - ١١٠) من القسم الدراسي .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من « س » .

(٣) قوله : « مستقل » : ساقط من (س) .

(٤) انظر : (ص : ٨٢) من القسم الدراسي .

(٥) في (س) : « بميسم الإلحاد » .

والاتحاد هو : امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً.

وهو عقيدة وحدة الوجود ، التي هي من أبرز عقائد غلاة الصوفية والشيعة، وهذه العقيدة مستمدة من كتب الهنود الدينية ،وأفكارهم الفلسفية .

ويختلف المتصوفة في تصويرها إلى فريقين:

فريق يرى أن الله روحٌ ويرى العالم جسماً لذلك الروح ، فالله هو كل شيء .

وفريق يرى جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله فكل شيء هو الله .

يقول ابن الفارض :

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذا تحلت تجلت

وما زلت إياها وإياي لم تـــزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

انظر: ديوان ابن الفارض (ص: ٤٧ -٥١) ، وأديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (ص:٧٠ -٧٣)، والتعريفات للجرجاني (ص : ٢٢) ، والمؤامرة على الإسلام لأنور الجندي (ص: ٤٩ - ٥٠)، والتصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق لزكي مبارك (١ / ١٥٢) ، والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر (ص : ٦٤) ، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح (١ / ٤٦٢).

(٦) ما بين المعوفتين زيادة من (س) .

الفصل الأول : في كلام مشايخ الإسلام من أهل العصر في الكتاب مدحاً وإفتاءً.

تقريظ العلامة المناوي

كتب عليه قاضي القضاة شيخ الإسلام شرف الدين يحيى بن محمد المناوي الشافعي [(١)] أعلا ا لله درجته ، ورفع منزلته ، ومات – رحمه ا لله – قبل فتنة ابن الفارض [(٢)] بعد الخطبة ، وبعد : « فقد وقفت من هذا التأليف الحسن المستجاد [(٣)] ،

---

(١) هو : شرف الدين أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبدالسلام الحدادي المناوي القاهري الشافعي الفقيه الأصولي المحدث، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها ، من آثاره : شرح مختصر المزني ، وحاشية على شرح البهجة الوردية ، وحاشية على الروض الأنف، ولد سنة (٧٩٨ هـ) ، وقيل سنة (٨٠٠ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٧١ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١٠ / ٢٥٤ – ٢٥٧) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٦٣) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٤ / ١١٥) .

(٢) وهي فتنة اشتد ثورانها سنة (٨٧٥ هـ) ، حول ابن الفارض ، ولقد وقف الناس فيها بين مؤيد ومتوقف ومعارض ، فكان من أكبر المناضلين عنه البدر ابن القطان والشهاب المتبولي. ومن أكبر المعارضين والمضللين والمكفرين له بسبب تائيته المشهورة : الإمام البقاعي ، وابن الشحنة ، وولده عبدالبر ، ونور الدين المحلي رحمهم ا لله، ولقد صنفت أثناء هذه الفتنة التصانيف الكثيرة من قبل المؤيد والمعارض ، ومن هذه التصانيف : تنبيه الغبي إلىتكفير ابن عربي ، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد ، وتدمير المعارض في تكفير ابن الفارض، والفارض لتكفير ابن الفارض ، وهذه كلها للبقاعي – رحمه ا لله – ، وتنبيه الغبي بتبرئة ابن العربي للسيوطي ، والمدد الفائض في الذب عن ابن الفارض للشهاب المتبولي ، وألف بعضهم كتاباً سماه : درياق الأفاعي في الرد على البقاعي.
انظر : تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد للبقاعي ونظم الدرر للبقاعي (٨ / ٦٢١) ، والضوء اللامع للسخاوي (٢ / ٢٢٨) ، وإنباء الهصر بأبناء العصر للصيرفي (ص : ٢٥٦ – ٢٥٧) ، وبدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٢٠-٤٢٢)، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٢٢) ، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق (٤ / ٢٢٦) ، و (ص : ١٢٤ – ١٢٥) من القسم الدراسي من هذا الكتاب .

(٣) في (س) : « المستجاذ » .

على ما أعرب عن أن مؤلفه إمام [١] علامة في فنون العلم وأنه قد أحسن وأجاد، وأظهر من مجموع حسن مجموعاً حسناً في غاية من الصواب، ولا يقال قد استوضح في بعض المناسبات بما جاء من التوراة والإنجيل، لأنه اقتدى في ذلك بأئمة الإسلام أهل الأصول والتأصيل، كالسيّد عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – [٢] في صفة سيِّد الأنام، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام [٣]، وبعده الأئمة الأعلام، فتعين [٤] القول بالجواز [٥] على من اتضح ذلك لديه، والمنع على من اشتبه ذلك عليه [٦]، فحق لهذا التأليف أن يُتلقى بالقبول، ولا يُصْغَى فيه لقول حاسدٍ ولا عذول [٧]، والله تعالى يُبْقِي مؤلِّفَه منهلاً للواردين، ويُدِيم النفعَ به وبعلومه

بيان اقتداء المؤلف بأئمة الإسلام فيما صنع

---

(١) قوله: « إمام »: ساقط من (س).

(٢) هو: أبو محمد وأبو عبد الرحمن عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، قيل: إن اسمه كان العاص فغيره رسول الله ﷺ لعبدالله، أسلم قبل أبيه وهاجر معه قبل الفتح، وقد كان أحد فضلاء الصحابة وعلمائهم، وهو ممن قرأ الكتب القديمة، وأخباره وأحاديثه كثيرة، له عن النبي ﷺ سبعمائة حديث وكانت وفاته ﷺ سنة (٦٣ هـ)، وقيل: (٦٥ هـ). وقيل غير ذلك.
انظر: أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص: ٤٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ٧٩ – ٩٤)، والإصابة لابن حجر (٦ / ١٧٦ – ١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق (٤ / ٣٤٢ رقم ٢١٢٥)، وفي كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [سورة الأحزاب – الآية: ٤٥] (٨ / ٥٨٥ رقم ٤٨٣٨)، وفيه أنه سئل – رضي الله عنهما – عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: « يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل... » الحديث وسيأتي بإذن الله ذكره كاملاً في الفصل السادس (ص: ٣٦٤ –٣٦٦).

(٤) في (س): « فيقين ».

(٥) في (س): « بالجواب ».

(٦) في (س): « عليه ذلك ».

(٧) العذل: هو اللّوم، والعذول هو اللائم.

==

للمسلمين ، في تاسع عشر شعبان عام ثمانية وستين وثمانمائة » .

وكتب قاضي القضاة شيخ الإسلام / محب الدين محمد [1] بن قاضي القضاة [٥ أ / س] شيخ الإسلام محب الدين محمد [2] بن الشحنة الحلبي الحنفي [وثبت على نصر السنة في فتنة أهل الإلحاد [3] ، فأيد الله به الدين] [4] ، أسبغ الله عليه ظلاله ، وزكى

تقريظ ابن الشحنة الحنفي

انظر: مختار الصحاح للرازي ، مادة عدل (ص : ٤٢١) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة عذل (١١ / ٤٣٧) .

(١) « محمد » : ساقط من (س) .
وهو: أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب بن غازي بن أيوب شحنة حلب ، المشهور بالمحب ابن الشحنة ، الفقيه الأصولي المحدث المؤرخ ، كان من أشد الناس على ابن عربي وابن الفارض ، له عدة تصانيف منها : طبقات الحنفية ، ونزهة النواظر في روض المناظر في التاريخ ، وتنوير المنار في أصول الفقه، ولد سنة (٨٠٤ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٩٠هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٩/ ٢٩٥ - ٣٠٥) ، وبدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٢٠) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٦٨٨ - ٦٨٩) .

(٢) هو : أبو الوليد محمد بن محمد الحلبي الحنفي الفقيه الأصولي ، اشتهر بالفضائل وحب الحديث وأهله، تولى قضاء الشام والقاهرة، وله آثار عدة منها : اختصار تاريخ المؤيد ، ونهاية النهاية في شرح الهداية ، والرحلة القسرية بالديار المصرية . ولد بحلب سنة (٧٤٩ هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٨١٥ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١٠ / ٣- ٦) ، والبدر الطالع للشوكاني (٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٦٨٩) .

(٣) الإلحاد : هو العدول وهو الميل عن القصد ، ومنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط ، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل . قال ابن السكيت : « الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه » .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة لحد (ص : ٥٩٣) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة لحد (٣ / ٣٨٨ - ٣٨٩) وبدائع الفوائد لابن القيم (١ / ١٦٩) .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) . وهو في (س) ، علماً بأنه قد تم وضع إشارة اللحق بعد قوله « الحنفي » ولكن لم يذكر شيئاً في الحاشية .

أعماله، مشيراً إلى أسماء الكتاب[1] الثلاثة : « **نظم الدرر من تناسب الآي والسور** » ، و « **فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن** » ، و « **ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان** » [2] :

« الحمد لله ذي الحِكَم المتناسبة الدُرر ، والنعم المتراكبة الدِّرر [3]، نحمده على ما فتح به من الفيض الرحماني ، ونشكره على ما أبدى من التناسب الترجماني ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة حق محقَّقَة للإيمان ، وقول صدق جاء به الدليل والبرهان ، وشهادة عبد أخلص لله [4] نيته ما استطاع ، وأصفى طويَّته [5]، فكشف له عن مخبَّات [الخدور] [6] القناع[7]، ونشهد أن سيد

(١) في (س) : « الكتب » .

(٢) قال البقاعي - رحمه الله - في مقدمة كتابه نظم الدرر (١ / ٥) : « وسميته نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . ويناسب أن يسمى : فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن. وأنسب الأسماء له : ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان » .

(٣) الدِّرر : بالكسر : كثرة اللبن وسيلانه ، ومنه سماء مدرارٌ ، أي : تدِر بالمطر . والمعنى : كثرة وسيلان نعم الله - تبارك وتعالى - .

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة درر (ص : ٢٠٢) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة درر (٤ / ٢٧٩) .

(٤) قوله : « لله» : ليس في (س) .

(٥) الطوية هي الضمير . انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة طوى (ص : ٤٠١) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة طوي (١٥ / ٢٠) .

(٦) في (م) : « الخذور » ، والصواب ما أثبته وهو كما في (س) .

والخدور : جمع خدر وهو الستر وكل ما واراك من بيت ونحوه .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة خدر (٤ / ٢٣٠) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الخاء ، باب الراء (٢ / ١٨) .

(٧) هذه العبارة فيها نظر .

[٦ أ / م] البشر [1] محمداً عبده ورسوله الذي / شرَّف به الأقطار والبقاع ، وخصَّه بنهاية الأوج [2] وغاية الارتفاع ، صلى الله عليه وعلى آله الجائزين عن اللحاق بسماع حديثه وشريف رؤيته ، الحائزين قصب السباق ، بعزيز [3] خدمته ، وكريم صحبته، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فقد وقف العبد الفقير ، الضعيف الحقير ، على هذا المصنف العديم النظير ، المشتمل من الورد الصافي على العذب النمير [4] ، فوجد مؤلِّفه قد جَلَّى [5] فيه مِن أبكار أفكاره [6] المقصوراتِ في الخيام علىالأكفاء الكرام ، من ذوي العقول والأفهام ، كُلَّ خريدةٍ [7] بعيدةِ [8] المرام ، على مَن قعد عن طلب المعالي ونام ، وسلك مسلكاً قَلَّ من سلكه من الفحول قبله ، وبحث بصائب [9] فكره عن تحرير ما أورد نقله ، واستدل بقوة علمه، وجودة فهمه ، بأدلَّةٍ / برهانُها قاطع ، وضياؤها [٥ ب/س]

---

(١) في (س) : « النبيين » .

(٢) الأوج : هو ضد الهبوط ، وهو العلو ، وأبعد نقطة في مدار القمر عن الأرض .
انظر : القاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الهمزة ، باب الجيم (١ / ١٧٧) ، والمعجم الوسيط (١ / ٣٣).

(٣) في (س) : « لعزيز » .

(٤) أي : الماء العذب الناجع .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة نمر (ص : ٦٨٠) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة نمر (٥ / ٢٣٦) .

(٥) في (س) : « جلا » .

(٦) في (س) : « أفكار » .

(٧) الخريدة : هي البكر من النساء والتي لم تمسس قط، وقيل: هي الحيِّة ، الطويلة السكوت الخافضة الصوت . انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة خرد (٣ / ١٦٢) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الخاء ، باب الدال (١/٢٩١).

(٨) في (س) : « تفيد » .

(٩) في (س) : « بصائر » .

ساطع ، مقتدياً بما وقع في الكتاب المبين ، من قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1] .

الاستدلال بغير المبدَّل من الكتب القديمة من أقوى الأدلة القاطعة في الرد على الخصوم

ولا ريب أن الاستدلال بغير المبدل منها من أقوى الأدلة القاطعة ، وأعظم البراهين الساطعة ، لا سيما إذا قص الله أو [2] رسوله ذلك علينا مبيناً من غير إنكار على أنه شرع لنبينا ، وأي استدلال [3] أميز وآمز من كلام الله جل وعز [4]، وقد صرَّح أصحابنا أنَّ كلام الله القديم المصون عن التحريف والتبديل ، إن عُبِّر بالعربية فهو قرآن ، وإن عُبِّر بالعبرانية فتوراة ، وإن عُبِّر بالسريانية فإنجيل ، وأنَّ كلامه لا يختلف وإنما تختلف [5] العبارات [6] ، وتتفاوت الأعمال بالنية ، وإنما الأعمال

(١) سورة آل عمران – الآية : ٩٣ .

(٢) في (س) : « و » .

(٣) في (س) : « الاستدلال » ,

(٤) في (س) : « عز وجل » .

(٥) في (س) : « يختلف » .

(٦) هذا المذهب ليس بمذهب السلف الصالح – رحمهم الله تعالى – في كلام الله ، بل هو عين مذهب الكلابية والأشاعرة ، حيث ينصّ مذهبهم على أن كلام الله معنى قديم قائم بالنفس لازم لذاته ، وأن الله لا يتكلم بمشيئته وإرادته ، ولا يتكلم بحرف وصوت ، وأن الحروف والأصوات حكاية أو عبارة عنه ، وأن كلامه معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعَّض هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عُبِّر بالعربية كان قرآناً ، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية كان توراة ، وإن عُبِّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً .
أما مذهب السلف الصالح وأهل الحديث في كلام الله تعالى فينص على : أنه صفة قائمة بذاته ، وأنه غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود، وأنه سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وبما شاء ، وأن كلامه باعتبار أصله صفة ذاتية قديمة ، وباعتبار أفراد الكلام وآحاده صفة فعل تتعلق بها مشيئته ، وأن كلامه يسمع ويتلى وأنه بحرف وصوت ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الفتاوى الكبرى (١ / ٣٠٤) : « ومن ادَّعى أن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد ، وإنما اختلفت العبارات الدالة عليه ، فقول معلوم الفساد بالاضطرار عقلاً وشرعاً » .
وقال أيضاً – بعد أن حكى مذهب الكلابية والأشعرية هذا – في درء تعارض العقل والنقل
==

بالنيات [1] ، وهذا السيِّد عمر بن الخطاب العظيم الشأن رضي الله عنه كان يأتي اليهود ويسمع من التوراة ، فيتعجب كيف تصدِّق [2] ما في القرآن ، كما رواه الطبراني [3]

==

(١١٢/٤): « ولا ريب أن جمهور العقلاء من الأولين والآخرين، القائلين بأن القرآن غير مخلوق ، والقائلين بأنه مخلوق ، يقولون : إن فساد هذا القول معلوم بالضرورة » .

وقال ابن القيم – رحمه الله – عن هذا القول في « بدائع الفوائد » (٢ / ١١٥ – ١١٦) : « هذا قول يقوم على بطلانه تسعون برهاناً لا تندفع ، ذكرها شيخ الإسلام في الأجوبة المصرية ، وكيف تكون معاني التوراة والإنجيل هي نفس معاني القرآن وأنت تجدها إذا عُرِّبت لا تدانيه ولا تقاربه ؟ فضلاً عن أن تكون هي إياه ، وكيف يقال إن الله تعالى أنزل هذا القرآن على داود وسليمان وعيسى بعينه بغير هذه العبارات ؟ أم كيف يقال : إن معاني كتب الله كلها معنى واحد يختلف التعبير عنها دون المعنى المعبر عنه ؟ وهل هذا إلا دعوى يشهد الحس ببطلانها ؟ أم كيف يقال : إن التوراة إذا عُبِّر عنها بالعربية صارت قرآناً مع تميز القرآن عن سائر الكلام بمعانيه وألفاظه تميزاً ظاهراً لا يرتاب فيه أحد ؟ » .

وانظر أيضاً: أصول الدين للبغدادي (ص: ١٠٧ – ١٠٨)، ورسالة في الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص : ١٢ ، ١٠٥ – ١٠٦) ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص:٣٠)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة (ص:٧٠) ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٧٢/١-١٧٣) ، ومختصر الصواعق للموصلي (٢ / ٤٢٩) ، والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية لأحمد بن حجر آل بو طامي (٢٣٤/١)، وكبرى اليقينيات لمحمد سعيد رمضان البوطي (ص: ١٢٤) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٣ / ١٢٨٩ – ١٢٩٥).

(١) يشير لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور الذي رواه البخاري في أول صحيحه – كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١ / ٩ رقم ١) ، ومسلم في صحيحه – كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : **إنما الأعمال بالنية** (٣ / ١٢٠٤ رقم ١٩٠٧) .

(٢) في (س) : يصدق .

(٣) هو : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني الشامي الإمام الحافظ الحجة ، أحد أئمة الحديث المتقنين ، وصاحب المعاجم الثلاثة ، ودلائل النبوة ، ولد بعكا سنة (٢٦٠ هـ) ، وتوفي – رحمه الله –بأصبهان سنة (٣٦٠ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٢ / ٤٠٧) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦ / ١١٩ – ١٣٠) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٣٧٢ – ٣٧٣) .

من طريق الشعبي [1] في غير ما مكان [2] .

بيان معنى حديث النهي عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم

وإنما ورد النهي عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فيما يتطرق إليه احتمال أحد الأمرين ، لا ما ورد في شرعنا ما يقضي بأحدهما ، فيرفع [3] الخلاف من البين، وقد استدل المصنف على صنيعه [4] من الكتاب والسنة بأدلة كان المبتَكِرَ [5] لها ، والسابق إليها ، فلم أر التعرض لذكرها ومزاحمته عليها ، فالله تعالى يبقيه لإبداء الفوائد ، [ويجزيه] [6] من ألطافه الخفية على / أجمل العوائد بمنه وكرمه . [٦ ب /م]

قال ذلك مرتجلاً ومشقه [7] عجلاً فقيرُ لُطفِ الله الخفيّ ، محمد بن الشحنة الحنفي[8] ، ستر الله زلله ، ورحمه وغفر له ، وكتب بتاريخ سابع عشرين شعبان المذكور » .

وكتب قاضي القضاة شيخ الإسلام الشريف حسام الدين / محمد بن أبي بكر [٦ أ /س]

---

(١) هو : أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الهمداني الشعبي ، علامة عصره وإمام وقته، الثقة التابعي الفاضل المشهور ، ولد في إمرة عمر بن الخطاب ﷺ وكانت وفاته – رحمه الله – سنة (١٠٣ هـ) ، وقيل (١٠٤ هـ) ، وقيل (١٠٧ هـ) . وقيل غير ذلك .
انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢٢٧/١٢) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١٢/٣)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص: ٢٨٧) .

(٢) انظر (ص : ٤٩٥ – ٤٩٩) من هذا الكتاب .

(٣) في (س) : « فيرتفع » .

(٤) في (س) : « صيغة » .

(٥) في (س) : « المتكبر » .

(٦) في (م) : « ويجريه » . والصواب ما أثبته ، وهو كما في (س) .

(٧) المشق : هو سرعة الكتابة .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة مشق (ص : ٦٢٥) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة مشق (٣٤٥/١٠) .

(٨) قوله : « الحنفي » : ساقط من (س) .

تقريظ القاضي ابن حُريز

ابن الشيخ الطهطاي الحسيني [1] المالكي الشهير بابن حُريز [2]، - ومات رحمه الله قبل فتنة أهل الاتحاد [3] - أعلا الله مناره، ورفع مقداره بعد الخطبة: «وبعد: فقد وقفت على جزءٍ من الكتاب الموسوم[4] بـ «**نظم الدرر من تناسب الآي والسور**» جمع الشيخ الإمام العلامة الرُّحلة الحافظ: برهان الدين البقاعي، شرف الله به البقاع، ونشر من فوائده وفرائده ما تَلَذُّ به الخواطر وتتشنّف [5] به الأسماع، فرأيته فريداً في بابه، غريباً في إعرابه، بما أتى عن عجمه وأعرابه، قد غاص في بحار العلوم، فاستخرج منها فرائد الدرر، وسبر محاسنها فجمع منها أحاسن [6] الغرر، وتتبع [7] شوارد الملح، فجمع منها ما شتّ، وأرسل خيله في حلبتها، فحازت قصب السبق، فتصرَّف فيها كيف شاء، فوهن عند ذلك عضد حاسده وفيه فتّ، أعاد الله من بركاته، ونفعنا بصالح دعواته. وكتب في الخامس من شهر رمضان

---

(١) في (س): «الحسني».

(٢) هو: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن محمد بن حريز الحسيني - أو الحسني - المغربي الطهطاوي المنفلوطي المصري المالكي، ويعرف بابن حُريز، كان صاحب علم وفصاحة، وكان قاضي المالكية في الديار المصرية، ولد بمنفلوط سنة (٨٠٤ هـ)، وتوفي بمصر سنة (٨٧٣ هـ).
انظر: الضوء اللامع للسخاوي (٧ / ١٩١ - ١٩٣)، بدائع الزهور لابن إياس (ص: ٤٠٨).

(٣) في (س): «الإلحاد».

(٤) في (س): «المرسوم».

(٥) في (س): «وتنشف».
وقوله: «تتشنف»، من الشَّنْف، وهو قرط المرأة الذي يلبس في أعلى الأذن، وقال بعضهم: الشَّنْفُ: ما عُلِّق في أعلى الأذن والقرط ما عُلِّق في أسفل الأذن.
انظر: مختار الصحاح للرازي، مادة شنف (ص: ٣٤٨)، ولسان العرب لابن منظور، مادة شنف (٩ / ١٨٣).

(٦) في (س): «أحاس».

(٧) في (س): «وتبع».

المعظم قدره عام ثمانية [1] وستين » .

تقريظ القاضي ناصر الدين أحمد الكناني الحنبلي

وكتب قاضي القضاة [ناصر الدين] [2] شيخ [مشايخ] [3] الإسلام عز الدين أحمد [4] بن قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم [5] بن قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله [6] بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل ، المصري الحنبلي ، أدام الله نعمته ، وفسح مدته وثبت على نصر السُّنَّة في فتنة أهل الاتحاد [7] ، وكان من خير الأنصار والأعضاد : « وبعد : فقد وقفت من هذا التأليف العجيب ، والتصنيف

---

(١) في (س) : « ثمان » .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٤) هو : أبو البركات أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن نصر الله بن أحمد الكناني العسقلاني الحنبلي ، الإمام المحقق المدقق المتفنن ، قاضي الديار المصرية ، ومرجع الحنابلة فيها ، له آثار وتصانيف عدة منها : مختصر المحرر ، وتوضيح الألفية وشرحها ، ومنظومات متعددة في الفقه والأصول والنحو والتصريف وغيرها ، ولد بالصالحية من القاهرة سنة (٨٠٠ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٧٦ هـ) . انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١ / ٢٠٥ - ٢٠٧) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٧٩) ، والسحب الوابلة لمحمد ابن عبدالله النجدي (١ / ٨٥ - ٩٣) .

(٥) هو : برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر الله الكناني العسقلاني الحنبلي ، الإمام العالم قاضي الديار المصرية ، كان صاحب عفة ونزاهة وتثبت ، ولد في رجب أو شعبان سنة (٧٦٨ هـ) بالقاهرة وتوفي بها سنة (٨٠٢ هـ) .
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٤ / ١٤٨) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٧٩) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٢٧ - ٢٨) .

(٦) هو : ناصر الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمد بن محمد الكناني العسقلاني الحنبلي الإمام العلامة قاضي الحنابلة بنابلس، كان ديناً عفيفاً مهيباً، ولد سنة (٧١٨ هـ)، وتوفي بالقاهرة سنة (٧٩٥هـ).
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٣ / ١٨٩ - ١٩٠) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ١٧٩) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٨٥ - ٥٨٦) .

(٧) في (س) : « الإلحاد » .

الغريب على ما ذكّرني بما أعلمه من غزارة علم مصنفه ، وكثرة فضائله ، وحسن إدراكه ، وجودة ذكائه ، ولا يعيب حسنه ما استشهد به من الكتب القديمة ، ففي القرآن والسنة ، ونقل / العلماء قديماً وحديثاً ما يشهد بحسن فعله ، لكن لكل حسن عائب ، ونعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف ، والله تعالى يديم لجامعه البقاء ، ويطيل له في العلو والارتقاء . وكتب في عاشر شهر رمضان سنة ثمان وستين » .

[٦ب / س]

وكتب شيخ الإسلام بركة الأنام الشيخ أمين الدين يحيى بن محمد الأقصرائي الحنفي شيخ الديار المصرية غير منازع ، أدام الله شمول الإسلام/ والمسلمين ببركاته[1] ، وأعاد علينا جميعاً من صالح دعواته ، لكنه مال على أهل السنّة [2] في فتنة ابن الفارض وأغنى [3] الله – وله الحمد – عنه ، وما ضرَّ إلا نفسه :

[٧أ / م]

تقريظ العلامة أمين الدين الأقصرائي

« وبعد : فقد شرفت بوقوفي على مواضع من المؤلف البديع المتوَّج بـ « **نظم الدرر من تناسب الآي والسور** » ، تصنيف سيدنا ومولانا الإمام العلامة ، الحبر

---

(١) قوله : « ببركاته » : ساقط من (س) .

(٢) قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في منهاج السنة النبوية (٢ / ٢٢١) : « لفظ " أهل السنة " يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة ، وقد يراد به أهل الحديث والسنَّة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول : إن القرآن غير مخلوق ، وإن الله يُرى في الآخرة ، ويثبت القدر ، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة » .

ولقد تسمى أهل السنة أيضاً بتسميات شرعية مستمدة من الكتاب والسنة تميزهم عن غيرهم ، وذلك بعد انتشار البدع وتعدد الفرق بين المسلمين ، ومن هذه التسميات : الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، وأهل السنة والجماعة ، وأهل الحديث والأثر ، والسلفيون .

انظر : الموافقات للشاطبي (٤ / ٣ – ٤) ، وحكم الانتماء لبكر أبو زيد (ص : ٣١ – ٤٠) ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (١ / ٢٨ – ٤٠) ، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم الرحيلي (١ / ٤٤ – ٦٤) .

(٣) في (س) : « وأعني » .

الفهامة ، المدقق المحقق ، ذي التآليف الرفيعة في الأنواع ، فتوحاً من رب الأرباب ، المستغني عن الإطناب في الألقاب ، خالصة المتقدمين ، ونخبة الأئمة المتأخرين ، زاده الله علماً وعملاً ، دلتني [(١)] على علو درجته في أنواع العلوم وأصنافها ، وبراعته فيها وكفايته لطلابها وأُلاّفها ، وإذا كانت العلوم منحاً إلهية ، وعطايا [(٢)] ربانية ، فلا يبعد أن يفتح الله على بعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين ، ومن [(٣)] نظر في مؤلَّفه بعين الإنصاف ،وترك الاعتساف ، علم مقدار ما حازه من قصبات السبق في مضمار التحقيق [والتدقيق] [(٤)] ، وما نقله من كلام المخالف وأدلته ، لفوائد كثيرة منها : لردها والإلزام بها ، وتبيين ما انغلق عليهم منها [(٥)] ، ولعدم فهمهم لها لقصور نظرهم ، وسوء اعتبارهم لما يتعلق/ بذلك ، وربما يظهر من ذلك مطابقتها للشريعة المطهرة ، من أعظم الدلائل على براعته في العلوم ، وقد وقع ذكر دلائلهم لما ذكر في الكتاب والسنة الشريفة ، ولم تزل الكتب الكلامية [(٦)] مشحونة بدلائل المخالفين المعاندين لما ذكر من الأمور وغير ذلك من العلوم ، ولا ينكر ذلك إلا معاند غير ناظر لطريق الصواب ، والله يجعل ما قاساه في تأليفه خالصاً لوجهه موجباً للفوز لديه إنه البر الجواد ، المتفضل على جميع العباد . وكتب سادس عشر [(٧)] شهر رمضان سنة ثمان وستين وثمانمائة » .

أهم فوائد النقل من كتب المخالفين المعاندين

[٧ أ / س]

---

(١) في (س) : « دلني » .

(٢) في (س) : « وعطا » .

(٣) في (س) : « وممن » .

(٤) في (م) : « التوفيق » . والصواب ما أثبته وهو كما في (س) .

(٥) في (س) : « فيها » .

(٦) انظر : (ص : ٢٤٩ - ٢٥٠) .

(٧) قوله : « عشر » : ساقطة من (س) .

تقريظ العلامة السيرامي

وكتب الإمام العلامة الشيخ [1] عضد الدين عبد الرحمن [2] بن الإمام العلامة نادرة زمانه الشيخ يحيى [3] بن الإمام العلامة سيف الدين سيف [4] السيرامي ، ثم المصري [5] الحنفي شيخ البرقوقية [6] بارك الله في حياته

---

(١) قوله : « الشيخ » : ساقطة من (س) .

(٢) هو : عبدالرحمن بن يحي بن يوسف – وقيل : سيف – بن محمد بن عيسى عضد الدين السيرامي القاهري الحنفي ، أحد أعيان الحنفية وشيخ البرقوقية ، له حاشية على البيضاوي ، وقيل إنها ليست له بل لأبيه وهوالذي بيضها ، ولد بالقاهرة سنة (٨١٣ هـ) ، وتوفي بها سنة (٨٨٠ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٤ / ١٥٨-١٥٩) ، وإيضاح المكنون للبغدادي (٣ / ١٤١)، وهدية العارفين للبغدادي (٥ / ٥٣٣) .

(٣) هو : نظام الدين يحي بن يوسف ، وقيل : سيف ، بن محمد بن عيسى السيرامي القاهري الحنفي شيخ شيوخ البرقوقية ، اشتهر في كثير من العلوم والفنون ، وله تصنيف في تعقب ابن عربي في « الفتوحات » و « الفصوص » مع بيان بطلان ما كان عليه ، وكان مولده بتبريز قبل الثمانين وسبعمائة ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٣٣ هـ) .
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٨ / ٢٢٤) ، والضوء اللامع للسخاوي (١٠ / ٢٦٦ – ٢٦٧) وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٣٠٠ – ٣٠١) .

(٤) هو : سيف الدين يوسف ، وقيل : سيف بن محمد بن عيسى السيرامي الحنفي ، نزيل القاهرة وشيخ البرقوقية والظاهرية والشيخونية ، كان صاحب دين وعبادة ، ولد بتبريز ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨١٠ هـ) .
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٦ / ٧٥ – ٧٦) ، والضوء اللامع للسخاوي (١ / ٣٢٧) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ١٣١ – ١٣٢) .

(٥) قوله : « المصري » : ساقط من (س) .

(٦) البرقوقية : ويقال لها : الظاهرية ، وهي المدرسة التي أنشأها السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص ، بين القصرين في القاهرة ، ولقد شرع في بنائها في رجب سنة (٧٨٦ هـ) وانتهى البناء منها في رجب سنة (٧٨٨ هـ) ، وقد رتب بها الدروس للمذاهب الأربعة ، ودرساً للتفسير ودرساً للحديث ، ودرساً للقراءات .
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٢ / ١٦١) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١١ / ٢٢١)،
==

للإسلام[1]، وأدام كونه ملاذاً للخاص والعام، وكان في فتنة ابن الفارض ساكتاً[2] :

« وبعد : فقد وقفت على مواضع من المؤلَّف الذي فاز - كمؤلِّفه - [3] بالقدح المعلى في رتب الكمال ، واشتهر كمصنفه [4] بالتفوُّق على الأكفاء والأمثال ، وإنه لأرفع قدراً من أن يفتقر إلى تعريف ، / أو [5] أن يتوقَّف ظهور مزيته [6] على تكلُّف إطراء وتوصيف ، فلا زال عَلَمُ مصنِّفه مرفوعاً أبداً ، وبناء [7] فضله منصوباً بخفض العدا [8] ، بتاريخ سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وستين وثمانمائة » .

[٧ ب / م]

تقريظ العلامة محي الدين الكافيجي ، وفيه خمسة أمور

وكتب الإمام [العالم] [9] العلامة محيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي شدّ الله به أزر الدين ، وأدام كونه ملاذاً للمسلمين ، ثم كان كالأمين في فتنة ابن الفارض [10] :

« الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وبعث رسوله أفضل الرسل

(١٢ / ١١٣)، وحسن المحاضرة للسيوطي (٢/٢٧١)، وبدائع الزهور لابن إياس (ص: ٢٢٨) .

(١) في (س) : « الإسلام » .

(٢) في (س) : « ساكناً » .

(٣) في (س) : « لمؤلفه » .

(٤) في (س) : « لمصنفه » .

(٥) في (س) : « و » .

(٦) في (س) : « مرتبه » .

(٧) في (س) : (وثناء » .

(٨) في (س) : « الأعداء » .

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(١٠) قال السخاوي في الضوء اللامع (٧ / ٢٦) أثناء ترجمة الكافيجي : « وهو ممن يميل إلى ابن عربي وربما ناضل عنه ، ومع ذلك فلما أبديت عنده شيئاً من كلماته انزعج وقال : هذا كفر صراح لكن حتى يثبت عنه » .

وذكر ابن إياس في بدائعه (ص : ٤٢٠) أنه - أي الكافيجي - ممن تعصب لابن عربي .

والأصفياء صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجباء الأتقياء . وبعد : فأقول هذه مقالة منوطة / بأمور مقصودة ها هنا :

[٧ ب / س]

الأمر الأول : أن تأليف الكتب من الأمور المشروعة

الأمر الأول : أن تأليف الكتب مشروع لقول الله تعالى : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [(١)] ، ولقول النبي ﷺ : « **ما رآه المسلمون حسناً ، فهو عند الله حسن** » [(٢)] .

ولدلائل أخر [(٣)] محرَّرة في موضعها .

الأمر الثاني : بيان حكم نقل الأقوال والأخبار المشتملة على العبرة والعظة

الأمر الثاني : أن نقل الأقوال والأخبار المشتملة على العبرة والعظة جائز [(٤)] شرعاً ، سواء كانت الأقوال معلومة الصدق [أم] لا [(٥)] .

أما نقل الأقوال المعلومة الصدق ، فلا غنى عنها لغاية ماسّ الحاجة إلى معرفتها .

---

(١) سورة الكهف - الآية : ٤٦ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٣٧٩) ، والطيالسي في مسنده (ص : ٣٣) ، والحاكم في المستدرك (٣ / ٧٨ - ٧٩) ، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٣٧٥) ، والبيهقي في الاعتقاد (ص : ١٦٢) ، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ٤٢٢- ٤٢٣) ، من طريق عبدالله بن مسعود ﷺ.
والحديث لا يصح مرفوعاً ، بل هو من كلام ابن مسعود ﷺ كما نص على ذلك جمع من أهل التحقيق والتدقيق منهم : ابن القيم في الفروسية (ص : ١٦٧) ، والزيلعي في نصب الراية (١٣٣/٤) ، والسخاوي في المقاصد الحسنة (ص : ٣٦٨) ، والعجلوني في كشف الخفاء نقلاً عن ابن عبدالهادي (٢ / ١٨٨) ، والألباني في السلسلة الضعيفة (٢ / ١٧) .
والمقصود بالمسلمين في الحديث هم أهل الإجماع ، كما نص على ذلك سلطان العلماء العز بن عبدالسلام - رحمه الله - في فتاويه (ص : ١٩) .

(٣) في (س) : « ولدلالة أخرى » .

(٤) في (س) : « جائزة » .

(٥) في (م) و (س) كتب (أو لا) ، والصواب ما أثبته وذلك لمجيء (أم) بعد (سواء) كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة - الآية : ٦].

وأما نقل الأقوال [غير] (1) المعلومة الصدق ، فليزداد ظهور الأقوال المعلومة الصدق ، المخالفة إياها في موجبها ومقتضاها بسبب الاطلاع على بطلانها ، إما في الحال ، وإما في الاستقبال .

ولما تقرر في العلوم أن الأشياء تتبين بالأضداد ، وللاحتراز (2) بذلك عن الوقوع في الورطة والفساد ، ونظير ذلك معرفة السموم وسائر الأمور الضارة ، قال الشاعر:

عرفتُ الشـــرَّ لا للشَّــر لكن لتوقيه

ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه (3)

ولأجل هذا ، قال العلماء المحققون : جلب جميع (4) المنافع ليس بواجب بالاتفاق ، ودفع المفاسد واجب بالاتفاق (5) ، ومصداقه عموم حاسّة اللمس جميع أعماق البدن سوى الكبد من بين الحواس دون غيرها من الحواس على ما فُصِّل (6)

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) ، وهو في (س) . علماً بأنه قد تم وضع إشارة اللحق بعد قوله: الأقوال . دون ذكر لشيء في الحاشية .

تنبيه : كتب في (س) كلمة : « لغير » . والصواب ما أثبته ، لأن كلمة غير لا تدخل على الألف واللام .

(2) في (س) : « والإحتراز » .

(3) القائل هو : أبو فراس الحمداني . انظر: ديوانه (ص : ٣٥٢) .

(4) قوله : « جميع » : ساقط من (س) .

(5) ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة - الآية : ٢٨٦] ، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الاعتصام - باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (١٣ / ٢٤٨ رقم ٧٢٨٨)، ومسلم في كتاب الفضائل - باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه (٤ / ١٤٦٠ رقم ١٣٣٧) عن أبي هريرة ؓ : « **إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم** » .

انظر : قوعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (ص : ٦ ، ٩ ، ٤١ - ٤٧ ، ١٩٩) ، والوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية لمحمد البورنو (ص : ٢٠٨) .

(6) في (س) : « فضل » .

في موضعه . ألا ترى أن العلماء من الفقهاء وغيرهم ينقلون في مصنفاتهم المذاهب المختلفة ، والآراء المناقض بعضها لبعض ، سواء كانت حقة أو باطلة ، يشهد بذلك من يطالعها ويفهمها .

[٨ أ / م] [٨ ب/ س]

الأمر الثالث : بيان جواز النقل من التوراة والإنجيل إذا كان هناك غرض معتبر

الأمر الثالث : أن نقل شيء من التوراة / والإنجيل وغيرهما، يجوز في التأليفات في هذا الزمان ، لغرض من الأغراض / المعتبرة كالاعتبار والاتعاظ ، وإن لم يجز الاستدلال بها على الأحكام والأصول ، على ما نص به العلماء في الكتب [١] ، ونظير ذلك خبر المستور [٢] الذي لم يظهر قبوله ولا رده ، فيجوز العمل به وإن لم يجب به [٣] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣ / ٣٦٦ - ٣٦٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١ / ٥) ، وفتح الباري لابن حجر (٦ / ٤٩٨ - ٤٩٩) .

(٢) ذكر ابن الصلاح - رحمه الله - في مقدمته (ص : ١٤٠ - مع التقييد والإيضاح -) والنووي - رحمه الله - في مقدمة شرحه لمسلم (١ / ٢٨) : « أن المستور هو مجهول العدالة في الباطن والعدل في الظاهر » .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن المرتبة السابعة في كتابه التقريب (ص : ٢٣) : « من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ مستور أو مجهول الحال » .

وقال السخاوي - رحمه الله - كما في توضيح الأفكار للصنعاني (١ / ١٦٢) : « المستور الذي لم ينقل فيه جرح ولا تعديل ، وكذا إذا نقلا ولم يترجَّح أحدهما » .

(٣) مسألة العمل برواية المستور وقبولها والاحتجاج بها اختلف فيها أهل العلم - رحمهم الله - إلى أربعة أقوال :

القول الأول : قبولها والعمل بها والاحتجاج بها . وهو قول بعض الشافعية ، وقال به ابن الصلاح أيضاً ، وعزاه النووي كما في مقدمة شرحه لمسلم (١ / ٢٨) لأكثر المحققين .

القول الثاني : عدم قبولها أو الاحتجاج بها . وبه قال الذهلي .

القول الثالث : الاحتجاج بروايته إذا لم يأت بما ينكر عليه . وهو قول الذهبي.

القول الرابع : التوقف . وهو اختيار إمام الحرمين الجويني وبه قال الحافظ ابن حجر .

انظر : الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص : ٥٦) ، والبرهان في أصول الفقه للجويني

==

وقريب من هذا قول الحنفيين[1] : شريعة من قبلنا هي شريعتنا ابتداء، إذا حكيت لنا بلا إنكار عليها [2]، قال الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[3] الآية .

(١/٦١٥)، ومقدمة ابن الصلاح (ص:١٤١ مع التقييد والإيضاح)، وشرح مسلم للنووي(١/٢٨) وميزان الاعتدال للذهبي (٤/٣٤٦)، والبحر المحيط للزركشي (٤/٢٨٠-٢٨٣)، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر (ص:٥٢) ، ومناهج المحدثين لمرتضى الزين أحمد (ص : ٣٤٠ - ٣٤٣).

(١) نسبة إلى الإمام الزاهد والتابعي العابد ، فقيه الملة ، وعالم العراق أبي حنيفة النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي ، المولود في حياة صغار التابعين سنة (٨٠ هـ) ، وقد رأى أنس بن مالك ، وروى عن عطاء ، توفي - رحمه الله - سنة (١٥٠ هـ) وقيل (١٥١ هـ) وقيل (١٥٣ هـ) .
انظر : الجرح والتعديل للرازي (٨ / ٤٤٩) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٥ / ٤١٥ - ٤٢٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٣٩٠ - ٤٠٣) .

(٢) وإلى هذا القول ذهب ايضاً مالك والشافعي في أحد قوليه ، وأحمد في رواية ، وفي المسألة ايضاً ثلاثة أقوال أخر غير هذا القول وهي :
١- قول من قال : إن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا ، وبه قال : الشافعي في أحد قوليه ، وهوقول أكثر الشافعية ، وأحمد في رواية ، وبعض الأحناف ، وبعض المالكية .
٢- قول من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ سواء ثبت عن طريق القرآن أو السنة ، أو ثبت بنقل أهل الكتاب أو برواية المسلمين عما في أيديهم من الكتب ، وهذا القول حكاه السرخسي .
٣- قول من قال : بالوقف في تعبد النبي ﷺ بشرع من قبلنا ، وبه قال الجويني وابن القشيري والنووي .
انظر : العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (٣ / ٧٥٣) ، وأصول السرخسي (٢ / ٩٩ -١٠٠) والمستصفى للغزالي (١ / ٢٥١) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١ / ٢٤) ، وروضة الناظر لابن قدامة (١ / ٤٠٠) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩ / ٧) ، والقواعد لأبي عبدا الله المقري (٢ / ٤٣٦) ، والبحر المحيط للزركشي (٦ / ٤٠ - ٤٤) ، وفتح الباري لابن حجر (٨ / ٢٩٥) ، والدليل المختلف فيه لأنور شعيب العبد السلام (ص : ٢٧٨ ، ٣١٩ - ٣٤٣).

(٣) سورة المائدة - الآية : ٤٥ .

والحاصل أن نقل سِفر من أسفار التوراة والإنجيل وغيرهما على ما ذكرنا جائز [1] شرعاً ، لا شبهة قادحة فيه ، وإن كانت منقدحة في الأوهام [2] ، ومعلوم عندك أن الاعتبار لها بالإجماع على ما حُرِّر في أصول الفقه ، فكيف وقد روي في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » [3] .

الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإباحة الدالَّة على حرمة أو جواز النقل من التوراة والإنجيل

وقال أهل التحقيق من المحدثين في بيان هذا الحديث : المراد منه ها هنا هو التحديث عنهم بالقصص والحكايات ، لأن ذلك عبرة وعظة لأولي الألباب .

وأما النهي الوارد [4] عن كتابة التوراة والإنجيل ، ففيما عدا القصص والأخبار ، فحصل الجمع والتوفيق بينهما على ما تسمع وترى . هذا و [قد] [5] قيل : كان النهي عنها قبل اشتهار شأن القرآن ، حذراً من الإلتباس والاشتباه ، ولأجل هذا نهى عن كتابة الحديث قبل اشتهاره ، فلما اشتهر شأنه أي اشتهار رُخِّص فيها ، وكذا الأمر الذي نحن بصدده [6] .

---

(١) في (س) : « جائزاً » .

(٢) في (س) : « الأفهام » .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٦ / ٤٩٦ رقم ٣٤٦١) عن عبدالله بن عمرو بن العاص .
والحديث لم يخرجه مسلم كما هو مذكور هنا ، وإنما الذي في مسلم : عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولاحرج » . صحيح مسلم ، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (١٨١٧/٤ رقم ٣٠٠٤).

(٤) قوله : « الوارد » : ساقط من (س) .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٦) انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (١٨/ ١٢٩ - ١٣٠) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ٣٦٦ - ٣٦٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١ / ٥) ، وفتح الباري لابن حجر ==

وقال البيضاوي [1] في تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا[2] ﴾ [3] : « مثّل في الإنجيل غل الصدر [4] بالنخالة ، (والقلوب القاسية بالحصاة، ومخاطبة السفهاء بإثارة الزنابير » . [5]

ومثل هذا) [6] وقع كثيراً في سائر كتب التفاسير كـ : « **الكشاف** » للزمخشري[7] و « **التفسير الكبير** » للإمام [8] الرازي [9] ، وفي كتب الحديث ، كـ :

== (١ / ٢٠٨) ، (٦ / ٤٩٨) ، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧ / ٤٣٢) .

(١) هو : أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي ، عالم بالتفسير والحديث والفقه والعربية والمنطق والأصول وغيرها من العلوم ، له عدة آثار منها : مختصر الكشاف ومنهاج الوصول إلى علم الأصول ،وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وكانت وفاته – رحمه الله – بتبريز سنة (٦٨٥ هـ) ، وقيل : سنة (٦٩١ هـ) .
انظر: طبقات الشافعية للأسنوي (٢٨٣/١) ، وبغية الوعاة للسيوطي (٥٠/٢) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢٦٦/٢).

(٢) قوله : « ما » ليس في (س) .

(٣) سورة البقرة – الآية : ٢٦ .

(٤) في (س) : « على الصدور » .

(٥) تفسير البيضاوي (١ / ٣٩) ، وانظر : (ص : ٤٢٧) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (س) .

(٧) هو: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي اللغوي النحوي، إمام من أئمة المعتزلة وأحد دعاتها، ومن آثاره الكشاف الذي ملأه بالاعتزال ، والمفصل ، وأساس البلاغة، ولد بزمخشر من أعمال خوارزم سنة (٤٦٧ هـ)، وتوفي في الجرجانية من أعمال خوارزم سنة (٥٣٨ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٥ / ١٦٨ – ١٧١) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠ / ١٥١ – ١٥٦) ، والأعلام للزركلي (٧ / ١٧٨) .

(٨) في (س) : « الإمام » .

(٩) هو : فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني الشافعي من كبار ==

« **صحيح البخاري** » وغيره أيضاً .

وفي / كتب الكلام كـ : « **الصحائف** »[1] و « **المواقف** »[2] وغيرهما[3] ، وفي [٨ ب/ س] كتب أصول الفقه كالبزدوي[4] وغيره أيضاً ، يشهد بذلك كله من يطالعها ،

==

المتكلمين والأصوليين والمفسرين ، زخرت مؤلفاته بانحرافات كثيرة عن السنة ، ولكنه والحمد لله مات على طريقة حميدة – بإذن الله – قال في آخر عمره : « لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه – الآية : ٥] ، و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [سورة فاطر – الآية : ١٠] ، وأقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى – الآية : ١١] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي » . وله عدة آثار منها : التفسير الكبير المسمى : مفاتيح الغيب ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكام والمتكلمين ، وأساس التقديس ، وكان مولده سنة (٥٤٤ هـ) ، وتوفي سنة (٦٠٦ هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٥٠٠ – ٥٠١) ، والوافي بالوفيات للصفدي (٤ / ٢٤٨ -٢٥٩) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٦ / ١٩٧ -١٩٨) .

(١) وهو كتاب « الصحائف الإلهية » أو « الصحائف في علم الكلام » لمحمد بن أشرف الحسيني السمرقندي المتوفى سنة (٦٠٠ هـ) .

انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٣٩) ،(٢ / ١٠٧٥) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ١٣٦) .

(٢) وهو « كتاب المواقف في علم الكلام » لعبدالرحمن بن أحمد الإيجي الشافعي المتكلم المتوفى سنة (٧٥٣ هـ) ، وقيل سنة (٧٥٦ هـ) .

انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٢٣٨) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٢٩٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٧٦) .

(٣) في (س) : « وغيرها » .

(٤) في (س) : « البردوي » .

وهو : فخر الإسلام أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي ، الفقيه الأصولي المحدث المفسر ، أحد علماء الحنفية له عدة تصانيف منها : كنز الوصول إلى معرفة الأصول

==

ويتأمل فيها ، ولقد ذكر في علم التاريخ أن القصص والأخبار العجيبة الغريبة كقصة عوج بن عنق [1] وغيرها [2] يجوز [3] كتابتها وحكايتها ، وإن كانت غير معلومة / [٨ ب/ م] الحال لتضمنها عبرة وعظة ومصالح لقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [4] .

ولما اشتهر عند الناس أن ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه ، فإن العلم بالبعض خير من الجهل بالكل . قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [5] . ومن ها هنا نشأ قول من قال :

فكل إنسان سوى ما استدركوا — يؤخذ من كلامه ويترك [6]

وكشف الأستار في التفسير ، والمبسوط في أحد عشر مجلداً ، ولد سنة (٤٠٠ هـ) ، وتوفي بسمرقند سنة (٤٨٢ هـ) . والبزدوي نسبة لبَزْدَة وهي قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف .
انظر : الأنساب للسمعاني (٢ / ١٨٨) ، ومعجم البدان لياقوت الحموي (١ / ٤٠٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٦٠٢) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٥٠١) .

(١) هو : عوج بن عنق ، وقيل : عناق أحد جبابرة الأرض في عهد نبي الله نوح عليه السلام ، ذكرت عنه كتب التفسير كثيراً من العجائب والغرائب ، والتي كثيرٌ منها لا يصدق ويخالف للمعقول والمنقول ، وقيل في وصفه : إنه كان طويل القامة جداً ، حتى إنه كان يستطيع أن يأخذ السمك من قعر البحار ويشويه في حرارة الشمس ، ولقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية وجه مخالفة ما نقل عن عوج هذا للمعقول والمنقول فانظره للفائدة .
انظر : العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥ / ١٥١٩ - ١٥٢٣) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١ / ١٠٧)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١ / ٤١) .

(٢) في (س) : « وغيرهما » .

(٣) في (س) : (تجوز) .

(٤) سورة يوسف - الآية : ١١١ .

(٥) سورة طه - الآية : ١١٤ .

(٦) لم أقف عليه .

الأمر الرابع : بيان أن نقل القصص والأخبار من التوراة وغيرها شاع شيوعاً لا خفاء فيه فحلَّ محل الإجماع السكوتي

الأمر الرابع : أن نقل القصص والأخبار من التوراة وغيرها ، قد شاع بين الناس شيوعاً لا خفاء فيه ، فقد حلَّ محلَّ الإجماع السكوتي [1] ، ولهذا وقع كثيراً في كتب السلف بلا إنكار عليه ، كما وقع في هذا العصر في هـذا التأليف المسمى بـ « **نظم الدرر من تناسب الآي والسور** » على ما حرَّرنا فيما مرَّ .

فإن قلت : فكيف تقبل هـذه الدعوى منك هـا هنا ، وقد ذكر في بعض كتب علم الكلام [2] أن الكتب السماوية قد

---

(١) في (س) : « السكوني » .
والإجماع السكوتي هو : أن يقول بعض المجتهدين أو أحدهم قولاً في الدين فينتشر ولا ينقل عن غيره من المجتهدين إنكاراً لذلك القول .
انظر : روضة الناظر لابن قدامة (١ / ٣٨٧) ، ونزهة الخاطر العاطر لعبدالقادر الدومي (١ / ٣٨٦) ، والواضح في أصول الفقه لمحمد الأشقر (ص : ١١٤) .

(٢) عرّف ابن خلدون في مقدمته (٢ / ٥٥٧) ، علم الكلام فقال : « هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة » ، وعرفه الجرجاني في التعريفات (ص : ٢٠١) فقال : « علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام » .
يلاحظ على هذين التعريفين أن علم الكلام ممدوح لا مذموم ، في حين نجد أن السلف –رحمهم الله –وكذا من رجع إلى عقيدة السلف من المتكلمين قد ذموا هذا العلم وبالغوا في النهي عن الاشتغال به ، والتشنيع على أهله ،فكيف يتفق هذا الأمر مع هذا التعريف ؟! والذي يظهر – والعلم عند الله – أن هناك وهماً والتباساً سببه الخطأ البين الذي وقع فيه الكثير من الناس ومنهم الكافيجي هنا ، وهو إطلاق اسم علم الكلام على علم التوحيد وعلم أصول الدين ، ولعل الأقرب أن يقال في تعريف علم الكلام : إنه محاولة إثبات العقائد بالطرق الجدلية ، التي يسمونها عقلاً عوضاً عن الأدلة السمعية النقلية .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى (١١ / ٣٣٦) : « وإن الجدال بالعقل في علم العقائد يسمى كلاماً » .
وقد اختلف أهل العلم في سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم ، فقال الشهرستاني في الملل والنحل
==

بيان معنى نسخ الكتب السماوية السابقة

نسخت [1] تلاوتها وكتابتها ؟

قلت : لا استبعاد ها هنا [2] على ما ذكرنا فيما قبل من التفصيل والتحرير [3] ، فيحمل [4] ما ذكرنا ها هنا على نسخ كتابة التوراة الدالة على الأحكام المناقضة لأحكام شريعتنا ، [لا] [5] على نسخ كتابة التوراة [الخالية] [6] عن الدلالة عليها [7] ، فحصل الجمع بينهما على ما ترى ، وأنت تعلم (أن العمدة والمدار في

==

(١ / ٣٠) مبيناً سبب ذلك : « إما لأن أظهر مسألة تكلّموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام فسمي النوع باسمها ، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق ، والمنطق والكلام مترادفان » .

وقال شارح الطحاوية (١ / ٢٤٢) : « وإنما سمي هؤلاء أهل الكلام ، لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً ،وإنما أتوا بزيادة كلام لا يفيد » .

انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١ / ١٧ - ١٨) ، والفتوى الحموية لابن تيمية (ص : ٧ -٨) ومقدمات في الاعتقاد لناصر القفاري (ص : ٥٨ - ٨٧) ، فإن جل الكلام السابق أفدته منه ، وتحذير الأنام من علم الكلام لعبد الرحمن الشبل (ص : ٢ - ٣، ٢٥ -٢٨).

(١) النسخ في اللغة عبارة عن : التبديل والرفع والإزالة .
وفي الاصطلاح : « رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر » .
انظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣ / ١٠٢ - ١٠٧) ، والمستصفى للغزالي (١ / ١٠٧) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة نسخ (ص : ٦٥٦) ، والتعريفات للجرجاني (ص : ٣٠٩) ، ومناهل العرفان للزرقاني (٢ / ١٧٦) .

(٢) في (س) : « لا ستعبادها هنا » .

(٣) في (س) هكذا : « والتجرير » .

(٤) في (س) : زيادة « على » ، والسياق لا يستقيم بوجودها.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) ، وهو في (س).

(٦) في (م) : الحالية ،والصواب ما أثبته وهو كما في (س) .

(٧) انظر : بذل المجهود في افحام اليهود للحكيم السَّمَوْءَل (ص : ١٩ - ٣٠) ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ٣٠) ، وهذا القرآن لصلاح الخالدي (ص : ١٩٢) .

أمثال هذا ، إنما هو قول الفقهاء المحققين لا قول المتكلمين لما تقرر أن صاحب البيت أدرى / بما فيه ، كما تعلم) [1] أن نسخ الوجوب لا يستلزم نسخ الجواز كصوم عاشوراء ، فإنه جائز شرعاً وإن نسخ وجوبه ، وتعلم أيضاً أن المثبت أولى من النافي . [2]

[٩ أ / س]

الأمر الخامس: بيان عظم كتاب « نظم الدرر » ومؤلفه

الأمر الخامس : أن هذا الكتاب : كتاب « **نظم الدرر** » ، هو [3] كتاب عظيم الشأن ، ساطع البيان ، ومؤسس بحسن ترتيب ، وجودة نظام على أحسن جواهر القواعد ، مرصَّع بأنواع فرائد الفوائد والعوائد [4] ، وأنه بحر لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، وموصوف بما تراه دائرة الضبط والبيان وعطية من عطايا الجواد الرحمن . شعر :

كتاب في سرائره سرور ... مُناجيه منْ الأحزان ناج
وكم معنىً بديع تحت لفظٍ ... هناك تزاوجا كل ازدواج [5]

ولقد تأمل العبدالفقير فيه [6] حق التأمل كما ينبغي في مواضع كثيرة [منه] [7] فوجده ممتلئاً بأجناس درر نفيسة ، منظومة متناسبة غالية ، ومتموجاً [8] بأصناف فصوص لامعة / غالية ، ومناسباً صدره عجزه ، ومقروناً بلطائف دقائق المعاني

[٩ أ / م]

---

(١) ما بين القوسين مكرر في (س) .

(٢) انظر : الاستدلال عند الأصوليين لعلي بن عبدالعزيز العميريني (ص : ٢١٣ - ٢٢٠) .

(٣) في (س) : « أن هذا الكتاب المسمى بنظم الدرر هو » .

(٤) العوائد : جمع عائدة وهي المنفعة .
انظر: لسان العرب لابن منظور ، مادة عود (٣ / ٣١٦) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل العين ، باب الدال (١ / ٣١٩) .

(٥) لم أقف على قائله ، ولعله من كلام المقرظ .

(٦) قوله : « فيه » : ساقط من (س) .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٨) في (س) : « ومتوجاً » .

والفحوى مع رعاية السباق والسياق [(١)] ، ولأجل هذا صار مثلاً مشهوراً في البلدان والآفاق ، ما عام أحد من الفضلاء والعلماء [(٢)] في بحره سوى العالم العلامة ، والبحر الفهامة ، الفائق على الأقران ، أفصح من سحبان في البيان [(٣)] ، الألمعي العظامي العصامي بديع الزمان ، وقّاد الذهن ، نقّاد [(٤)] الطبع ، الأصمعي ، منحة الرحمن ، الرُّحلة في الرواية ، العمدة في الدراية ، إمام الهدى ، نور التقى ، شمس الضحى ، زين الورى ، فلك العُلى ، وهو المستحق للمدحة بالوصف الجميل ، وعلى جهة التعظيم / والتبجيل ، [وأنشدت فيه] [(٥)] :

[٩ ب/ س]

وليس يزيد [(٦)] الشمس نوراً وبهجة [(٧)] إطالة ذي وصف [(٨)] وإكثار مادح

وأنشدت [(٩)] فيه :

وإني لا أستطيع كنه صفاته ولو أن أعضائي جميعاً تكلّمُ [(١٠)]

---

(١) قوله : « والسياق » : ساقط من (س) .

(٢) قوله : « العلماء » : ساقطة من (س) .

(٣) سحبان هذا هو : ابن زفر بن إياس الوائلي الباهلي ، كان من خطباء وشعراء العرب ، ويضرب به المثل في البيان والبلاغة ، وكان يقال : « أخطب من سحبان ، وأفصح من سحبان » وكان عندما يخطب لا يعيد حرفاً ولا يتلعثم ولا يتوقف ، ولقد اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام حيث أسلم في زمن النبي ﷺ ولكنه لم يجتمع به ، وأقام في دمشق أيام معاوية ﷺ ، وتوفي - رحمه الله تعالى- سنة (٥٥ هـ) .

انظر : مجمع الأمثال للميداني (١ / ٢٤٩) ، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري (١٠٢/١) والإصابة لابن حجر (٥ / ٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٨ / ٧٤) .

(٤) في (س) : (تقاد) .

(٥) ما بين المعقوفتين غير موجود في (م) ، وهو في (س) ، مع ملاحظة أن كلمة « وأنشدت » كتبت في (س) : « وأنشد » . وما أثبته هو الصواب وذلك لمراعاة السياق .

(٦) في (س) : « تزيد » .

(٧) في (س) : « وطلعة » .

(٨) في (س) : « مدح » .

(٩) في (س) : « وأنشد » .

(١٠) في (س) : « تعلم » .

وأقول : لا شك أن قول من قال :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله		إن الزمان بمثله لبخيل [(١)]

لصادق في حقه حقاً ، وكذلك [(٢)] قول من قال :

ويأمن لديه أن كل امرءٍ [(٣)] له		نظير وإن حاز الفضائل هل له [(٤)]

ونسبة جميع ما ذكرته في تعداد [(٥)] مناقبه ومحاسنه وفضائله إلى ما لم يذكر من سائر كمالاته الجمّة ، أقل من نسبة قطرة إلى قطرات البحر [(٦)] المحيط .

فانظر إلى نظري إليك فإنه		عنوان ما أخفيت في أحشائي [(٧)]

يعني بذلك كلّه :الشيخ الإمام الهمام ، شرف السلف ، خير الخلف ، المدرس المؤلّف ، المفتي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم الشهير بالبقاعي خوّله الله تعالى بالأبقيين : الذكر الجميل في الأولى ، والأجر الجزيل في الأخرى . ولولا الخوف من سآمة الخواطر بالإسهاب لأوردنا ها هنا أساليب عجيبة ، ومعاني نفيسة غريبة .

وكتب يوم السبت العشرين[(٨)] من شهر [(٩)] رمضان سنة ثمان وستين » .

---

(١) القائل هو : أبو تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفي سنة (٢٣١ هـ) ، ويرثي فيه نسيبه محمد بن حميد الطوسي الطائي ويقال : قحطبة أخوه .
انظر : ديوان أبي تمام (٢ / ٢٣٦ - مع شرح التبريزي) ، وأبو تمام حياته وشعره لمحمد محمود (ص : ١٤٧)
وللمتنبي بيتاً يشبه البيت المذكور وهو كما في ديوانه (٣ / ٢٣٦ - مع شرح العكبري)
أعدى الزمان سخاؤه فسخا به		ولقد يكون به الزمان بخيلا.

(٢) في (س) : « ولذلك » .

(٣) في (س) : « أمر » .

(٤) لم أقف على قائله .

(٥) في (س) : « تعدد » .

(٦) في (س): « الشجر » .

(٧) لم أقف على قائله .

(٨) في (س) : « لعشرين » .

(٩) قوله : « شهر » : ساقط من (س » .

[١٠ أ / س] تقريظ العلامة تقي الدين محمد الشمني

وكتب الإمام العلامة الصالح تقي الدين محمد [1] بن الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد [2] الشمني الحنفي / أدام الله النفع للمسلمين بعلومه ، والهَنَا للعالمين بالورود في بحور فهومه ، وأعلا مناره ، وجعل النجاح والفلاح [3] في الدارين داره [4] ، بعد الخطبة البديعة - ومات رحمه الله قبل الفتنة - :

[٩ ب/ م]

« وبعد : / فقد وقفت على هذا المصنَّف المعظَّم ، والجوهر المنظَّم ، فإذا هو من الحُسْن في غاية ، ومن التحقيق والتدقيق في نهاية ، لم تكتحل عين بمثاله ، ولا نسج ناسج على منواله ، وكيف لا ومؤلفه قد حوى الفنون النقلية والعقلية ، والعلوم الشرعية الأصلية والفرعية ، عالم عامل ، [سالك] [5] كامل ، حافظ ضابط ، مجاهد مرابط ، نفع الله به ذوي الحاجات والطلاب ، وفتح لنا وله من الخير [6] الأبواب ، ونفعنا بدعواته ، وأعاد علينا من بركاته ، والحمد لله وكفى ، وسلام

---

(١) هو : تقي الدين محمد ، وقيل : أحمد ابن كمال الدين محمد بن محمد بن حسن بن علي الشمني - بضم المعجمة والميم ، وتشديد النون - وهي محلة في المغرب- الإسكندري القاهري المغربي الحنفي العلامة الفسر والمحدث الأصولي المتكلم النحوي ، صاحب التصانيف ومنها : الكلام على مغني ابن هشام ، ومزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ، ولد سنة (٨٠١ هـ) ، وتوفي سنة (٨٧٢ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٢ / ١٧٤ - ١٧٨) ، وبغية الوعاة للسيوطي (١ / ٣٧٥) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٦٤) .

(٢) هو : كمال الدين محمد بن محمد بن حسن الشُمُني الإسكندري المالكي ، اشتغل بالعلم ومهر في الحديث ، وله عدة تصانيف فيه منها : شرح على نخبة الفكر ، وكذا نظم لها ، وكان مولده في أوائل سنة (٧٦٦ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٢١ هـ) .
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٧ / ٣٣٩) ، والضوء اللامع للسخاوي (٩ / ٧٤ - ٧٥) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٢٢١) .

(٣) في (س) : « والعلاج » .

(٤) في (س) : « دثاره » .

(٥) في (م) و (س) : « مسلك » والصواب ما أثبته لمناسبته للسياق ، ولأنه هو المذكور أيضاً في مصاعد النظر للمؤلف (١ / ١٢٨) .

(٦) في (س) : « الخيرات » .

على عباده الذين اصطفى ، وكتب في خامس عشرين شهر رمضان سنة ثمان وستين وثمانمائة » .

تقريظ الشيخ تقي الدين الحصني

وكتب العلامة الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن شادي الحصني [1] الشافعي [2] ، بارك الله في حياته للمسلمين ، وأدام كونه ملاذاً للطالبين ، بعد الخطبة البليغة – ثم مال مع أنصار ابن الفارض– :

« وبعد : فقد وقفت على المجلد الرابع لـ « **المناسبات** » ، فرأيته مشتملاً على بدائع الآيا ت، محتوياً على فنون من الحجج والبينات ، وهو مع وجازة لفظه حاو لمنتخب كل [3] مديد وبسيط، جامع لخلاصة كل وجيز ووسيط ، مطلع على زبدة مطالب هي نتائج أنظار [4] المتقدمين ، مظهر لنخب مباحث هي أبكار أفكار المتأخرين ، فهو بحر محيط بغرر درر الدقائق ، وكنز [5] أودع فيه / [١٠ب/ س] نقود الحقائق ، ألفاظه معادن جواهر المطالب الشرعية ، [وحروفه] [6] أكمام [7] أزاهير النكات

---

(١) في (س) : « الحسني » .

(٢) هو : أبو بكر بن محمد بن شادي – وقيل شاذي – التقي الحصني الشافعي ، نزيل القاهرة ، أحد علماء عصره ، وممن درس في الأزهر ، والمدرسة الملكية والبدرية ، وأحد أنصار ابن الفارض في الفتنة ، ولد سنة (٨١٥ هـ) ، وتوفي سنة (٨٨١ هـ) .
انظر: الضوء اللامع للسخاوي(١١/ ٧٦ –٧٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٩٥).

(٣) في (س) : « لكل منتخب لكل » . وهو خطأ.

(٤) في (س) : « أفكار » .

(٥) في (س) : « وكفن » .

(٦) في (م) و (س) : « وحروف » . والصواب ما أثبته وذلك لمراعاة السياق ، ولأنه المذكور في مصاعد النظر للمؤلف (١ / ١٢٩) .

(٧) من الكُمّة ، وهي كل ظرف غطيت به شيئاً وألبسته إياه فصار له كالغلاف ، ومن ذلك أكمام الزرع أي غُلُفها التي يخرج منها ، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ [سورة الرحمن – الآية : ١١] .

==

اللفظية ، ففي كل لفظ منه [1] روض من المنى ، وفي كل سطر منه [2] عِقد من الدر ، فلله درّ مؤلفه قد أبرز ذخائر العلوم والمعارف ، واقتلد الأناسي من عيون اللطائف ، وسلك منهاجاً بديعاً في كشف أسرار التحقيق ، واستولى على الأمد الأقصى من رفع منار التدقيق ، أظهر غرائب مناسبات ما مستها أيدي الأفكار ، وعجائب نكات ما فتق رتقها [3] أذهان أولي الأبصار ، فجزاه الله أفضل الجزاء ، وجعل له في الدارين أطيب [4] الثناء . وكتب في عاشر شوال سنة ثمان وستين وثمانمائة » .

[[5] وكتب العلامة المفتي المحقق نجم الدين محمد بن قاضي عجلون الشافعي [6] قد

==

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة كمم (١٢ / ٥٢٦) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الكاف باب اللام (٤ / ١٧٣) .

(١) في (س) : « فيه » .

(٢) في (س) : « فيه » .

(٣) في (س) : « ريقها » .
والرتق : ضد الفتق ، وهو إلمامه وإصلاحه .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة رتق (ص : ٢٣٢) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة رتق (١٠ / ١١٤) .

(٤) في (س) : « طيب » .

(٥) من قوله : « وكتب العلامة المفتي » ، إلى قوله في (ص : ٢٦٤) : « مصلياً على سيدنا محمد وصحبه وسلم » . غير موجود في (م) ، وهو في (س) .
ولعل سبب عدم وجود هذا الكلام في نسخة (م) يكمن في أنها كتبت سنة (٨٧٣ هـ) ، كما هو ظاهر في آخرها ، ووصل هذا الكلام وهذا التقريض كما هو ظاهر في أوله سنة (٨٨٠ هـ) ، فأضافه المؤلف حينئذ .

(٦) هو : نجم الدين محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الزرعي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي عجلون – وعجلون هذه من أعمال دمشق – أكثر من المشايخ وبرع في كثير من الفنون

==

تقريظ ابن قاضي عجلون

حوى من تفسيري مجلدين مـن أولـه ، فرآهمـا العلامـة قـاضي القضـاة جمـال الديـن يوسف [1] ابن العلامة قاضي القضاة شهاب الدين أحمد [2] الباعوني الشافعي قـاضي دمشق ، فزاد إعجابه بأمره ، وكتب مما استخفّه مـن الطـرب مـا أحضـره إليّ ولـده الفاضل بهاء الدين [3] بعد موت أبيه عند انتقالي إلى دمشق سنة ثمانين . وصـورة مـا كتبه :

« أما بعد حَمْدِ اللهِ الذي أظهر لسان ما خفي من وجـوه إعجـاز كتابـه العزيـز برهاناً مبيناً وأعجز فصحاء الأعصار وبلغاء الأقطار لتناسبه وتناسقه عن الإتيـان بآيـة

==

وولي إفتاء دار العدل بالقاهرة ، ولد بدمشق سنة (٨٣١ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٧٦ هـ).
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٨ / ٩٦ - ٩٧) ، ونظـم العقيـان للسيوطي (ص : ١٥٠) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٨٠) .

(١) هو : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بـن نـاصر بـن خليفـة البـاعوني المقدسـي ، الصـالحي الدمشقي الشافعي ويعرف بابن الباعوني - نسبة إلى باعون قرية صغيرة من قـرى حـوران بـالقرب من عجلون - أحد قضاة الشافعية بدمشق ، ولد سنة (٨٠٥ هـ) ، وتوفي سنة ٨٨٠ هـ) .
انظر : الضوء اللامـع للسـخاوي (١٠ / ٢٩٨) ، والنجـوم الزاهـرة لابـن تغـري بـردي (١٤ / ١٢٤) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٤٩٤) .

(٢) هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد الباعوني قاضي الديار المصرية ، اشتهر في كثير من العلوم حتى أصبح ممن يشار إليه بالبنان ، ولد بالقاهرة سنة (٧٥٢ هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٨١٦ هـ) .
انظـر : إنبـاء الغمـر لابـن حجـر (٧ / ١٢٤) ، والضـوء اللامـع للسـخاوي (٢ / ٢٣١) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ١٧٥) .

(٣) هو : بهاء الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني الدمشقي ، الأديب الناظم المؤرخ ، له عدة آثار منها : الإشارة الوفية إلى الخصائص الأشرفية في التاريخ ،وبهجـة الخلـد في نصح الولـد ، واللحمة الأشرفية والبهجة السنية ، ولد بدمشق سنة (٨٥٧ هـ) ، وتوفي بها سنة (٩١٠ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١٠ / ٨٩) ، وشـذرات الذهـب لابـن العمـاد (١٠ / ٧٠) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٧٧٨) .

من مثله يقيناً ، وأثَارَ هِمَمَ علماء كل عصر لاستنباط علومه التي لا تتناهى ، وأرشدها إلى بيان ما خفي من لطائفه بحسب ما منحها من الاستعداد وآتاها ، وجعل الاهتمام بكشف غوامضه إلى رضاه من أعظم الوسائل ، وهنأ [1] للأجير من أهل نهايته اقتناص ما لم تَحُمْ عليه أفكار الأوائل ، ليعلم أن الفضل بيد الله/ يؤتيه [١١ أ/ س] من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وتبلو السيئة الكل ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، والصلاة والسلام الأعمّين الأشملين الأكملين على سيدنا ومولانا محمد الذي شرّف بوطيء قدميه البقاع ، وشَنَّفَ بدرر كَلِمِهِ الأسماع، وبعثه للعالمين بشيراً ونذيراً وأيّده بالمعجزات [2] التي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وعلى آله وصحبه الذين وفّقهم لفهم كتابه ، وفقّههم في استنباط أحكام خطابه ، وأرشدهم إلى فهم حقائقه ، وكشف غوامضه ودقائقه ، صلاة دائمة ما رُقِمت الفوائد في الطروس [3] واقتُطفت ثمرات العوائد مما أودعه

---

(١) الهنأ : ومنه الهَنِيءُ ، والمَهنأ ، وهو ما أتاك بلا مشقة .
انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة هنأ (١ / ١٨٤) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الهاء ، باب الألف (١ / ٣٤) .

(٢) المعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو ضد القدرة ، والمعجز اسم فاعل أعجز ، وهو الله تبارك وتعالى .
والمعجزة في الإصطلاح الشرعي هي : الأمر الخارق للعادة الخارج عن سنن الله في خلقه ، والذي يظهره الله على يد مدعي النبوة ، على وفق مراده ، تصديقاً له في دعواه ، وتأييداً له في رسالته .
انظر : أصول الدين للبغدادي (ص : ١٧٠) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة عجز (ص : ٤١٤) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة عجز (٥ / ٣٦٩) ، والتعريفات للجرجاني (ص : ٢٨٢) ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان (ص : ١٥٧) ، وعلم التوحيد لعبدالعزيز الربيعة (ص : ١١٥) ، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي (٢ / ١٠١) .

(٣) هي الصحف .

==

الإلهام [1] في رياض الأفهام من العروس [ونُظِمَتْ] [2] درر تناسب الايات والسور، فأزرت بجواهر عقد العروس، فقد وقف العبد الضعيف على مواضع من الجزء الأول من هذا التأليف الشريف المرسوم بـ « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**» ، الزاهرة نجومه ، الباهرة علومه ، المشرقة أضواؤه المغدقة أنواؤه ، البديع أسلوبه ، البعيد على من رام إدراك شأوه مطلوبُه ، فسّر منه في رياض مدهشة ، وورد من علومه مناهل للقلوب منعشة ، واقتبس منه فوائد لا سبيل إلى اقتباسها من سواه ، واقتنص منه فرائد شهدت لمؤلفه أنه جمع الفضل وحواه ، وأحسن الانتقاء والاختيار ، وحاز قصب السبق في هذا المضمار ، فلله درّه من عالم نَوَّرَ الله بصره وبصيرته ، وقدّس سِرَّهُ وسِيرته ، وفَجَّرَ ينابيع الحكمة من قلبه ، وأجرى على لسانه وقلمه منائح فضل ربه ، لقد أبرز من كتابه هذا روضاً أنقاً [3] لم يُوطأ بخف ولا حافر ، وبحراً مديداً عجائبه وافٍ / وبسيط غرائبه وافر ، وبدراً نور كماله في ظُلَمِ المشكلات سافر ، وجلّى عرائسَ فوائدَ كأنهن الياقوت والمرجان ، وأبكارَ معانٍ لم يطمثهن إنسٌ قبله ولا جان ، وبيّن وجوه مناسبات كانت العقول عن إدراكها بمعزل ، ونَزَّل فَهْمَهُ الصائب بمكّة ظُهورِها ، إذا نزلَت الأفهامُ من بَيْداءِ [4] حقائقها

وصف كتاب « نظم الدرر »

[١١ب/ س]

==

انظر : مختار الصحاح ، مادة طرس (ص : ٣٩٠) ، ولسان العرب ، مادة طرس (٦ / ١٢١).

(١) الإلهام : هو ما يلقى في الروع من علم ، وقيل : ما وقع في النفس من أمرٍ يبعث على الفعل أو الترك ، وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند المتصوفة .
انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة لهم (١٢ / ٥٥٥) ، والتعريفات للجرجاني (ص : ٥١).

(٢) في (س) : « ونضمْت درر » . والصواب ما أثبته .

(٣) أي حسنٌ معجبٌ ، تقول : أنقت به أي أعجبت به وبحسنه .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة أنق (ص : ٢٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة أنق (١٠ / ٩ - ١٠) .

(٤) البيداء في الأصل هي : الفلاة ، والمفازة .

==

بعد منزل ، فلا نسي ا لله [1] له هذا الفضل الجليل ، والقصد الجميل ، وجازاه على [مكابدة] [2] تحريره وتقريره بالثواب الجزيل ، والقصد الجميل ، وجازاه وأناله [3] من سعادة الدارين ما يؤمله ويرجوه ، وبيّض وجهه يوم العرض حين يفوز أهل التقى ببياض الوجوه ، لقد سلك في تصنيفه وترصيفه مسلكاً حسناً ، وقلّد أهل العصر بترتيبه وتهذيبه متساوياً ، استجلب صالح أدعيتهم وأدعية من بعدهم سراً وعلناً ، وقرَّب إلى أفهامهم غوامض بعيدة المنال ، على نكتٍ لم تخطر منهم ببال ، وفتح لهم أبواب معارف كانت قد تكاثفت عليها الأقفال ، ولقد أخذ وا لله بِجَامِعِ قلبي حين تأمَّلت منه ما تأمَّلتُ ، وتأسَّفت لعدم تمكُّني من استيعاب مطالعته [وتأمله] [4] ، وودِدت لو اتَّخذته سميراً مدة حياتي ، واستغرقت في مطالعته جميع أوقاتي ، وماذا عسى أن أمدح به مُصَنِّفَه بعد إبرازه مثل هذا الكتاب المدهش للعقول والألباب ، وترجمة السادة العلماء الأعلام ، أئمة العصر ومشايخ الإسلام –

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة بيد (ص : ٧٠) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة بيد (٣ / ٩٧) .

(١) إن ا لله تبارك وتعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه ، كما قال تعالى : ﴿ فِى كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [سورة طه – الآية : ٥٢] ، وأما قوله : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [سورة الأعراف – الآية : ٥١] ، وقوله : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة – الآية : ٦٧] وما يماثلها من آيات فهذا كله من باب المقابلة ومعاملتهم من باب من نسيهم .

انظر : تفسير ابن كثير (٢ / ٢٢٨) .

(٢) في (س) : « مكايدة » . والصواب ما أثبته .

(٣) أي : بلّغه .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة أني (١٤ / ٤٨) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الهمزة ، باب الواو والياء (٤ / ٣٠١) .

(٤) في (س) : « تأملت » ، ولعل الصواب ما أثبت . .

نوَّر الله ظلمة الإشكال بنور علومهم ، ورسم حقائق الأشياء في مرآئي فهموهم ، وأطر دعائم الإسلام بطول حياتهم ، وأعاد على الوجود من بركاتهم - بما دلَّ على أنه علاَّمة زمانه ، وفريد أقرانه ، وأنَّ كتابه هذا نخبة الأفكار ، ونزهة الأبصار ، ويتيمة / هذا العصر ، بل وغيره من الأعصار ، والالتفات حينئذٍ إلى من عاب هذا التأليف الجليل بما اشتمل عليه من الاستطراد إلى حكاية بعض كلمات التوراة والإنجيل ، فإنَّ قَصْدَ مُؤَلِّفِه بحمد الله في ذلك جميل ، وكان المعترض - سامَحَهُ الله وَعفا عنه ونوَّر قلبه بنزع الحسد منه - اغترَّ بما ذكره العلاَّمة الزركشي[1] - تغمَّده الله برحمته - من نقل الإجماع على عدم جواز الاشتغال بكتابتهما ونظرهما[2] مستدلاً بغضبه ﷺ من سيِّدنا عمر رضي الله عنه حين رأى معه صحيفة فيها شيءٌ من التوراة ، وقال : « **لو كان موسى حيَّاً ما وسعه إلا اتّباعي** »[3] .

[١٢ أ/ س]

قول الزركشي والرد عليه في دعواه الإجماع على عدم جواز النقل من الكتب السماوية السابقة

وفيما ادَّعاه من نقل الإجماع على هذا الحكم ، والاستدلال له نظرٌ ظاهرٌ أوضحه شيخ الإسلام ابن حجر[4] - تغمَّده الله برحمته - أتمَّ إيضاح ، حاصله :

---

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي ، الفقيه الأصولي ، المحدِّث الأديب، صاحب التصانيف والآثار والتي منها: البرهان في علوم القرآن ، والتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، والبحر المحيط، ولد سنة (٧٤٥ هـ)، وتوفي -رحمه الله- بالقاهرة سنة (٧٩٤هـ). انظر : الدرر الكامنة لابن حجر (٣ / ٣٩٧) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١٢ / ١٣٤) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٧٢) .

(٢) انظر : فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٥٢٥) .

(٣) انظر تخريج الحديث (ص : ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٤٩٥ - ٤٩٩) .

(٤) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي المشهور بابن حجر ، الإمام الحافظ ، فريد عصره ، وحافظ زمانه ، صاحب التصانيف والآثار والتي ربت على مائة وخمسين مصنفاً ، من أجلّها : فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري ، وتهذيب ==

أنه كيف يدَّعي الإجماع على التحريم والحكم في المسألة مبنيٌّ على أنَّ التبديل حصل في اللفظ والمعنى ، أو في المعنى فقط كما جنح إليه البخاري (١) - رحمه الله - وهل حصل في كلها أو في بعضها (٢) ؟ وفي ذلك كله خلافٌ مشهورٌ ، لا يستقيم معه دعوى الإجماع ، ثم الحديث المستدلُّ به قد ورد من طرقٍ كثيرة ، كلها ضعيفة ، لكن مجموعها يدلُّ على أن لها أصلاً (٣) ، وإن صحَّ فهو معارض بالأدلة المقتضية للجواز ، قال : « والذي يظهر أنَّ كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم (٤) ، إذ لا حجة في لفظ الغضب على التحريم ، فإنه ﷺ قد يغضب للمكروه ، ومن فِعْلِ خِلافِ الأولى ، إذا صدر ممن لا يليق به ذلك ، كغضبِ ﷺ من تطويل معاذ (٥) ﷺ صلاة

لا حجة في لفظ الغضب على التحريم

==

التهذيب ، وتقريبه ، ولد بمصر سنة (٧٧٣ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - بها سنة (٨٥٢ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٢ / ٣٦ - ٤٠) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٣٩٥ - ٣٩٩) ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٨٧ - ٩٢) .

(١) انظر : صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [سورة البروج - الآية ٢٢] (فتح الباري ١٣ / ٥٢٢) .

(٢) سيأتي الكلام عن ذلك - بإذن الله تعالى - في بداية الفصل السابع (ص : ٤٧٨ - ٤٨٣) .

(٣) انظر : (ص : ٤٩٥ - ٤٩٩) .

(٤) المكروه : ما هو راجح الترك ، فإن كان إلى الحرام أقرب تكون كراهته تحريمية ، وإن كان إلى الحل أقرب تكون كراهته تنزيهية ، ولا يعاقب على فعله .
انظر: النبذ في أصول الفقه لابن حزم (ص: ٨٠)، وروضة الناظر لابن قدامة (١/١٢٣-١٢٤)، والتعريفات للجرجاني (ص : ٢٩٣) ، والواضح في أصول الفقه لمحمد الأشقر (ص : ٢٧) .

(٥) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أحد نجباء الصحابة وفقهائهم ، ومبعوث رسول الله ﷺ إلى اليمن ، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها ، وروى عن النبي ﷺ مائة وخمسة وخمسين حديثاً ، وتوفي ﷺ بطاعون عمواس في الأردن سنة (١٧ هـ) ، وقيل غير ذلك ، وكان عمره (٣٨) سنة .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٥٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٤٤٣) ،

==

لا يجوز لمن لم ترسخ قدمه النظر في الكتب القديمة

الصبح بالقراءة [1] ، ثم قال : « والأولى التفرقة بين من لم يتمكّن ويصير من الراسخين في الإيمان ، فلا يجوز له النظر في شيءٍ من ذلك بخلاف الراسخ ، فيجوز له ذلك سيما عند الاحتياج / إليه » . [2] انتهى ملخصاً من معنى كلامه .

[١٢ب/ س]

الجمع بين حديث عمر بن الخطاب المستدل به للمنع وحديث عبد الله بن عمرو المقتضي للجواز

وأنت إذا تأمّلت حديث سيدنا عمر المسْتَدَلّ به للمنع ، وحديثَ عبد الله بن [عمرو] [3] المقتضي للجواز ، ظهر لك إمكان الجمع بينهما : بأن حديث عمر ﷺ محمولٌ على اشتمال الصحيفة المنصوب بسببها على شيءٍ من أحكام تلك الشريعة ، فيحتمل أن يكون غضبُه ﷺ لأحد أمرين : إما لأن التبديل إنما حصل غالباً في الأحكام بخلاف القصص ونحوه ، وإمَّا لأن تلك الشريعة قد نسخت بشريعته ﷺ ، فلا يليقُ الاشتغال بالمنسوخ عن الناسخ ، وهذا الاحتمال أقرب ويدلُّ عليه قوله ﷺ حالة الغضب : « **لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي** » [4] وذلك أن شريعته منسوخة بشريعة نبيِّنا ﷺ .

وأما حديث عبد الله بن [عمرو] [5] رضي الله عنهما ، ففيه أنَّ الذي كان

والإصابة لابن حجر (٩ / ٢١٩) .

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى (٢ / ١٩٢ رقم ٧٠١) ، وباب من شكا إمامه إذا طول (٢ / ٢٠٠ رقم ٧٠٥) ، وكتاب الأدب- باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً (١٠ / ٥١٥ رقم ٦١٦٠). ومسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب القراءة في العشاء (١ / ٢٨٤ رقم ٤٦٥) كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٥٢٣ - ٥٢٦) .

(٣) في (س) : « عمر » والصواب ما أثبته لأنه ﷺ هو صاحب الحديث المشار إليه الذي تقدم تخريجه (ص : ٢٤٥) .

(٤) انظر تخريجه : (ص : ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٤٩٥ - ٤٩٩) .

(٥) في (س) : « عمر » ، والصواب ما أثبته كما تقدم .

يقصده ما يتعلّق بصفاته ﷺ الشاهدة بنبوّته ، ليستدلَّ بذلك على أهل الكتاب ، ويقطع به حجّتهم الدّاحضة ، ويظهر مكابرتهم في الأمور الواضحة ، وبهذا يتّضح أن باب الاعتراض على هذا التأليف الشريف مسدودٌ ، وكلام من زعم خلاف ذلك مردودٌ، وا لله المسئول أن يُطهِّر من الغلِّ والحسد قلوبنا ، ويبلِّغنا من توفيقه مطلوبنا ، ويجعل هذا التأليف المبارك خالصاً لوجهه الكريم ، ويجعل جائزة مؤلفه على تنقيحه وتوضيحه جنّات النعيم ، ويختم لنا وله بخيرٍ في عافية ، إنه هو التواب الرحيم .

قال ذلك وكتب فقير عفو ا لله عز وجل يوسف بن أحمد الباعُوني الشافعي ، غفر ا لله زلَله ، وأصلح خلَلَهُ ، وختم بالحُسنى عمله ، في ثامن شهر ا لله المحرم الحرام سنة اثنين وسبعين وثمانمائة ، حامداً لله على نواله ، مصلّياً على سيِّدنا / محمدٍ وصحبه وسلَّم »] [(١)] .

[١٣/أ/ س]

وأدل من ذلك على عظمة هذا الكتاب ، وما هو عليه من كثرة الفوائد ، والتعدد في الصواب : ما كتبه عالم الحجاز وصالحه ، الإمام [العالم] [(٢)] العلاَّمة المفنن القدوة / برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي قاضي الشافعية بمكة المشرفة وناظر الحرم بها يحثُّ على إكمال انتساخه له بعد أن أرسل إلى القاهرة إلى صديقه العلامة الصالح زين الدين عبد القادر بن شعبان ، أحد مشايخ الشافعية بها ليستكتبه له ، وصرف على ما وصل إليه منه إلى [(٣)] الآن أكثر من خمسة وعشرين ديناراً ، ولما استكتب له منه الجزء الأول وأرسله [(٤)] إليه كان شديد الحثّ على طلب إكماله، أخبرني أنه ما أرسل إليه بعد ذلك كتاباً إلا وفيه الحثّ

[١٠/أ/ م]

ما كتبه العلامة برهان الدين بن ظهيرة في « نظم الدرر»

(١) هنا نهاية الزيادة من (س) .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٣) قوله « إلى » ساقط من (س) .

(٤) في (س) : « وأرسل » .

الشديد على الاستعجال بالإكمال [(١)] ، فمن ذلك أنه قال :

« العبد يطلب كذا وكذا ، والاجتهاد على إكمال كتاب سيِّدنا الإمام العلامة المحقِّق برهان الدين البقاعي ، أدام الله على المسلمين ظِلَّه ، فإن المملوك بالأشواق إليه إلى [(٢)] الغاية ، وكلَّما طالع فيه [(٣)] ازداد شوقاً إلى إكماله ، فإنَّ هذا كتاب يتجدَّد عندي محاسنه كلما طالعت فيه قليلاً ، ولا يعلم مقداره إلا القليلُ من الناس ، لما اشتمل عليه من مزيد العلم والتحقيق ، ولقد أتعب نفسه فيه جزاه الله خيراً ، ويحقُّ لمثله أن يتبجَّح بمثله ، وأن هذا الكتاب لذِكرٌ له في الدنيا والآخرة إن شاء الله، ولقد والله وقع عندي الموقع إلى الغاية وهو في ازدياد [(٤)] مقامٍ عندي ، ولا أقول هذا على وجه المداهنة [(٥)] وإرضاء خاطره ، لا والله بل هو الحق الذي لا ريب فيه ، ويجب على كلِّ ذي لبٍّ اعتقاده ، اللهم افسح في مدَّة مؤلِّفه آمين ، وسَطَّرتُ والخواطرُ في غاية الشغل بما يلقاه المملوك من التعب والنصب ، والاشتغال بأمور الناس المختلفة عقولهم وبما / [(٦)] يرتكب الحساد [(٧)] من الاختلاق والله المستعان » . [١٣ب/ س]

---

(١) في (س) : « بالكمال » .

(٢) في (س) : « في » .

(٣) قوله : « فيه » ساقط من (س) .

(٤) في (س) : « ازياد » .

(٥) المداهنة : هي أن ترى منكراً وتقدر على دفعه ولم تدفعه ، حفظاً لجانب مرتكبه ، أو جانب غيره ، أو لقلة مبالاة في الدين.
انظر : التعريفات للجرجاني (ص : ٢٦٥) .

(٦) في (س) وقع هنا تقديمٌ وتأخيرٌ في الميكروفيلم المصوَّر عليه المخطوط ، حيث أنه من المفترض أن يكون الكلام هنا في ورقة (١٣ / ب) ولكنه انتقل إلى (١٦ / ب) حتى (١٩ / أ) ثم وقع تقديمٌ وتأخيرٌ آخر أبينه في حينه بإذن الله تعالى ، وقد قمت بوضع كل ورقة في مكانها الصحيح مع تغيير أرقامها السابقة .

(٧) في (س) : « الحاسد » .

ولما جهَّز له الجزء الثاني وهو إلى آخر سورة النحل في قطع كامل الشامي ، أرسل [1] في ربيع الآخر سنة ثلاثٍ وسبعين كتاباً في / أمر مهم جداً بحيث أن الكتاب نحو مائة سطر ، لم يذكر فيه شيئاً من احتياجه سوى الأمر [2] المذكور لشدَّة اهتمامه به [3] ، ثم حثَّ على إكمال الكتاب بقوله : « الله ، الله في كتاب « **المناسبات** » فإنه الكتاب الذي يُثَابَرُ [4] على تحصيله ، ويُرحَل إليه وإلى مؤلِّفِه ، أبقاه الله للمسلمين ، وهل ينكر ضوء الشمس إلا أعمى البصر والبصيرة ؟ » .

[١٠ب/ م]

ولما وصل إليه الجزء الثالث وهو إلى آخر الصافات كتب :

« ووصل الجزء الثالث من « **المناسبات** » الذي هو من الأعمال الصالحات ، وكان المملوك له متشوفاً [5] ، وإليه متلفتاً ، إذ هو الماء العِدُّ [6] ، وواسطة العِقد ، ونخبة الدهور ، والمعوَّل عليه في مشكلات الأمور ، فكم فيه من آيات بيِّنات ، وجواهر باديات وخفيات ، لقد مارسته ولامسته فوجدتُه حسن اللمس ، ورأيت غداً فيه أفضل من اليوم ، ويومي فيه أفضل من الأمس ، وما أحسن الاقتداء بمن قال : وجَّهت وجهي لله بعد انتقاله عن الكوكب [7] إلى الشمس [8] ، دقائقه معيار

---

(١) في (س) : « أرسله » .

(٢) في (س) : « الأمن » .

(٣) قوله « به » ساقطٌ من (س) .

(٤) في (س) : « يتاير » .

(٥) في (س) : « متشوقاً » .

(٦) الماء العِدّ : هو الماء الذي له مادة لا انقطاع لها مثل : ماء العين وماء البئر ، وقيل : هو ماء الأرض الغزير ، وقيل : هو ما نبع من الأرض ، وقيل : الماء القديم الذي لا ينْتزِح .
انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة عدد (٣ / ٢٨٥) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل العين ، باب الدال (١ / ٣١٢ - ٣١٣) .

(٧) في (س) : « الكواكب » .

(٨) والمقصود به خليل الله إبراهيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الأفكار ، ومضماره لا تسلم فيه الجياد [1] من العثار [2] ، مَن وقف عليه حقَّ الوقوف ، واستعمل الإنصاف [3] والمعروف ، علم قوة تَصَرُّفِ مصنِّفه ، وحُسْن إيراده المعاني ، وعَدَم تكلُّفه ، فلذلك اختلفت المقامات لديه والأفهام ، فلا سبيل إلى أن يقال لما فيه : رمية من غير رام [4] ، خصوصياته كعدد الرمل إكثاراً ، والقطر إدراراً ، يحق لكل أحدٍ إشاعة ذكره ، والتنويه بشأنه وأمره ، جزى الله مؤلِّفه خيراً وأجزل له أجرا .

وأما حال الحسَّاد ممن يبغي [5] في تصرفه الفساد [6] الماضين والباقين ، فقد بنوا تصرُّفهم على أقبح الأمور/ واستعملوا القبيح في طرقهم وغرَّهم [7] بالله الغرور ، [١٤ أ / س] وارتكبوا من الأمور المزرية [8] بهم ما هو عند الله عظيم ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ

---

(١) في (س) : « الجهاد » .

(٢) في (س) : « العتار » .

(٣) في (س) : « الإصناف » .

(٤) وهو مثلٌ من أمثال العرب مشهور ، وأول من قاله هو الحكم بن عبد يغوث المنقري الذي كان أرمى أهل زمانه في الجاهلية ، وذلك أنه نذر في يومٍ من الأيام أن يصيد مهاة فلم يتمكن من ذلك بعد عدة محاولات ، فهمَّ أن يقتل نفسه مكانها ، فقال له ابنه مطعم : احملني أرفدك ، فقال له : ما أحمل من رَعْشٍ ، وهِلٍ ، جبان ، فشِل ، فما زال به حتى حمله ، فمرت مهاة ، فأخطأها الحكم أيضاً ، ثم رمى الابن فأصابها ، فقال أبوه : ربَّ رميةٍ من غير رامٍ .
انظر : الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص :٥١) ، وجمهرة الأمثال للعسكري (١/٣٩٩) ، ومجمع الأمثال للميداني (١ / ٢٩٩) .

(٥) في (س) : « يسعى » .

(٦) في (س) : « لفساد » .

(٧) قوله : « وغرهم » ساقط من (س) .

(٨) في (س) : « المزية » .

أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (١) وهو الجدير (٢) بقوله :

لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف (٣)
وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مولع (٤)

وبقوله :

وإذا أتتك مذمَّتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني فاضل (٥)

ولا عجب أن يوزن الواحد بالورى ، ولهذا قيل : كل الصيد في جوف الفَرَاء (٦) ، والله تعالى يبقيه لإيضاح المشكلات ، ودفع الشبهات المعضلات » .

ما قاله الشيخ شهاب الدين الأشمومي في « نظم الدرر»

وقال (٧) الشيخ شهاب الدين أحمد الأشمومي الدمياطي الشافعي (٨) :

---

(١) سورة الملك - الآية : ٢٢ .

(٢) في (س) : « الحرير » .

(٣) في (س) : « يمن موسف » .

(٤) القائل هو : أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح فيه أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري .
انظر : ديوان أبي تمام (١ / ٤٠٠ مع شرح التبريزي) .

(٥) في (س) : « كامل » ، والبيت للمتنبي ، كما هو في ديوانه (٣ / ٢٦٠) .

(٦) يضرب هذا المثل لمن يُفضَّل على أقرانه ، والفراء هو حمار الوحش ، وجمعه فراء وأفراء .
وأصل هذا المثل : أن ثلاثة نفر خرجوا للاصطياد ، فاصطاد الأول أرنباً ، والثاني ظبياً ، والثالث فراء ، فاستبشر الأول والثاني بما صادا ، وتطاولا على الثالث ، فقال لهما : كل الصيد في جوف الفراء ، أي أن هذا الذي رُزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما جميعاً ، وهو اكبر الصيد ، فهو إذاً بمنزلة كل الصيد .
انظر : مجمع الأمثال للميداني (٢/ ١٣٦) ، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢/٢٢٤) ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ / ٤٢٢) .

(٧) جاءت كلمة « قال » في (س) بعد الاسم وقبل الشعر ، وهو خطأ .

(٨) هو : شهاب الدين أحمد بن علي بن حسين بن علي بن يوسف الأشمومي ، وقيل : الأشموني ، الدمياطي تولى قضاء دمياط فترة من الزمن ، وأخذ عن البقاعي واختص به ، وكان له شعرٌ حسنٌ ،
==

عليه من الله العظيم جلاله وبــرهانه سيفٌ من الله مسلول
أبان به إعجاز نظم كتابه فراح دم الشاني به وهو مطلول /

[١١ أ / م]

ذكر كذب خصومه للنيل منه

وكان في سنة ثلاث وسبعين المذكورة قد قام شخصٌ من الجهلة السفهاء ممن كان قرأ عليَّ ، فلم يفتح عليه بشيءٍ من فهمٍ في شيءٍ من العلم ، فكان عريقاً في الجهل ، والجاهلون لأهل العلم أعداء [١] ، لا سيما ورآني أُفَضِّلُ عليه من يعتقد لكبر سنِّه أنه دونه في علمه ، كما هو دأب من يغلط في نفسه من أهل كثافة الطباع ، من السفلة الرعاع ، فكان يشنِّع عليَّ بأني نقلت في الكتاب المذكور من التوراة والإنجيل على وجهٍ ذِكرُه منكَر ، لا يفعله مسلم ، في صورة استفتاء صوَّره وكذبه واختلقه وزوَّره [٢] ، فكان الناس يتعجَّبون من ذلك ولا سيما من كان رافقني [٣] في الطلب ، فكان يحلف أن الأمر على ما ذكر ، فيُفتى له على ما يقتضيه السؤال [٤] ، والحال في أمره على [٥] ما قلت غير مرة : إنه متى رفع الكذب لم يبق له كلامٌ يقوله [٦] فيَّ [٧] ، وزال ما بيني وبينه بحذافيره .

توفي بحلب سنة (٨٩٠ هـ) .

انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٢ / ١٨) و (١١ / ١٨٤) .

(١) قوله : « والجاهلون لأهل العلم أعداء » شطر من بيت لعلي بن أبي طالب ﷺ، والبيت بتمامه هو:

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

انظر : ديوان علي بن أبي طالب (ص : ٧) .

(٢) في (س) : « وزوه » .

(٣) في (س) : « وافقني » .

(٤) انظر : (ص : ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٥) قوله : « على » ساقط من (س) .

(٦) في (س) : « بقوله » .

(٧) قوله : « فيَّ » ساقط من (س) .

[١٤ب/س]

سؤال وجواب حول مسألة الكتاب

ولم يزل أمره على ما ذكرت إلى أن قدَّر الله أن العلامة / فخر الدين المقسي [١] سأل شخصاً من تلامذتي يقرأ عليه عن ذلك على وجهٍ منكر [٢] ، فغضب ذلك التلميذ وهو العلامة نور الدين المحلي ، ورمى إليه محفظته وحلف أنه لا يُخرِج ما فيها من كتابي إلا هو ، فأخرج ما فيها وكان من آل عمران ، وكان فيه موضعٌ من التوراة ، فطالع ذلك الكراس ، فعظم خجله وأرسل إليَّ يعتذر وقال :

« أشتهي أن أجبُر [٣] ما كتبت بشيءٍ أكتبه أبين فيه حقيقة الحال ، وأضبط على هذا المختلق ما قاله ليُدعى عليه به » . فأرسلت إليه سؤالاً صورته : في شخصٍ صنَّف كتاباً في مدح الإسلام وأهله ، وذمِّ الباطل وأهله ، استشهدَ فيه على صحة دين الإسلام والبشارات بالنبي عليه الصلاة [٤] والسلام بأشياء من الكتب القديمة ، وبيَّن ضلالهم وردَّ عليهم بما يعتقدونه من كتبهم اقتداءً بالأئمة [٥] الأعلام من أهل السير والمحدثين والمفسرين والفقهاء [٦] والأصوليين كالبخاري ، ومسلم [٧] ، وابن

---

(١) هو : فخر الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان بن موسى الحسيني القاهري المقسي الشافعي ، المعروف بابن المقسي ، أخذ عن كثير من علماء عصره ، وتولى القضاء ، ولد سنة (٨١٨ هـ) ، وتوفي سنة (٨٧٧ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٥ / ١٣١) ، وبدائع الزهور لابن إياس (ص : ٤٤٢) .

(٢) في (س) : « مبكر » .

(٣) في (س) : « أشتهي أصير » .

(٤) قوله : « الصلاة » وحرف العطف بعدها ساقط من (س) .

(٥) في (س) : « أئمة » .

(٦) قوله : « الفقهاء » ساقطٌ من (س) .

(٧) هو : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري النيسابوري ، الإمام الحافظ الحجة المحدِّث ، أمير المؤمنين في الحديث ، صاحب الصحيح ، والكنى والأسماء ، وأوهام المحدِّثين ، وطبقات التابعين ، ولد سنة (٢٠٦ هـ) ، وقيل سنة (٢٠٤ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - بنيسابور سنة (٢٦١ هـ) .

==

إسحاق [1] ، والواقدي [2] ، وابن سيد الناس [3] ، والبغوي [4] / والقاضي [١١ ب/م]

==

انظر : الجرح والتعديل للرازي (٨ / ١٨٢ - ١٨٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٢ / ٥٥٧ - ٥٨٠) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٨٥١) .

(١) هو : أبو بكر ، وقيل : أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي - مولاهم - ، أحد أئمة السير والتاريخ ، عارف بأنساب العرب ، وراوية لإشعارهم ، صاحب السيرة النبوية ، ولد سنة (٨٠ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - ببغداد سنة (١٥٠ هـ) وقيل (١٥١ هـ) ، وقيل (١٥٢ هـ) وقيل غير ذلك .

انظر : الجرح والتعديل للرازي (٧ / ١٩١ - ١٩٤) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ٢٧٦ - ٢٧٧) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ٣٣ - ٥٥) .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي المدني القاضي المؤرخ الأديب المفسِّر ، وعاءٌ من أوعية العلم ، سمع من صغار التابعين ، وكان متروك الحديث ، له آثار وتصانيف منها : المغازي ، وتاريخ الفقهاء ، وتفسير القرآن ، ولد سنة (١٣٠ هـ) ، وتوفي ببغداد سنة (٢٠٧ هـ) وقيل (٢٠٩ هـ) .

انظر : الجرح والتعديل للرازي (٨ / ٢٠ - ٢١) ، التقريب لابن حجر (٤٩٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٥٦٨) .

(٣) هو أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى اليعمري الأندلسي الإشبيلي المصري الشافعي ، المحدِّث الحافظ المؤرخ الفقيه النحوي ، صاحب التصانيف والآثار والتي منها : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، والمقامات العلية في الكرامات الجليلة ، وبشرى اللبيب بذكرى الحبيب ، ولد سنة (٦٧١ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٧٣٤ هـ).

انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٥١٠ - ٥١١) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ١٨٩) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٦٧٣ - ٦٧٤) .

(٤) هو : محي السنّة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي الإمام الفقيه الحافظ المجتهد ، صاحب : معالم التنزيل ، ومصابيح السنّة ، والجمع بين الصحيحين، توفي - رحمه الله- بمرو الروذ - من مدن خراسان - سنة (٥١٦ هـ) .

انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٢٠٥) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٤٥٦) ،

==

عياض [1]، والغزالي [2]، والرازي، والأصفهاني[3]، والبيضاوي [4] ، وأبي حيان [5] وأهل الأصول والملل والنحل في حكاية [6] الأقوال الباطلة عن جميع الفرق وبيان فسادها ، وهذا المصنّف ممن اشتهر بالعلم والخير ، وكتب على عدة من تصانيفه بالثناء الجميل العلماءُ الكبارُ جيلاً بعد جيل ، فانتدب له شخصٌ يشنّع عليه ويؤذيه

ومعجم المؤلفين للعمر رضا كحالة (١ / ٦٤٤) .

(١) في (س) : « فياض » .

(٢) هو : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي الأصولي المتكلم الصوفي، برع في الفقه ، وعلم الكلام والمنطق والجدل ، وله مصنفات عديدة منها : إحياء علوم الدين ، ومحك النظر ، وتهافت الفلاسفة ، ولد بطوس سنة (٤٥٠ هـ) ، وتوفي بها سنة (٥٠٥ هـ) . انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ٢١٦ - ٢١٩) ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦ / ١٩١ - ٢٨٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩ / ٣٢٢ - ٣٤٦) .

(٣) هو : شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر الأصفهاني - ويقال : الأصبهاني - الشافعي العلامة المفسِّر ، اشتغل بكثير من العلوم ، ومنها التفسير ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، له عدة آثار منها : الحقائق الربانية في تفسير الآيات القرآنية ، وشرح كافية ابن الحاجب، وناظر العين في المنطق ، ولد بأصفهان سنة (٦٧٤ هـ) ، وتوفي بمصر سنة (٧٤٩ هـ) . انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ٢٢٤) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٢٨١) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٨١٤) .

(٤) قوله : « البيضاوي » ساقط من (س) .

(٥) هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، إمام في التفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والتأريخ ، أتقن كثيراً من اللغات ، وله آثارٌ وتصانيف منها : البحر المحيط في التفسير ، وتحفة الأديب بما في القرآن من الغريب ، وشرح كتاب سيبويه ، ولد سنة (٦٥٤ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٧٤٥ هـ) . انظر : شذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٢٥١) ، والبدر الطالع للشوكاني (٢ / ٢٨٨ - ٢٩١) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٧٨٤ - ٧٨٥) .

(٦) في (س) : « حكايات » .

بسبب ذلك وينسبه إلى الوقوع في محرَّم ، ويسعى في أذاه بالقول والفعل ، فماذا يجب على هذا المشنّع على هذا المصنّف أَفْتِنَا مُثاباً [١] ؟ أيّد [٢] الله بك الدِّين، وأعز بك الإسلام والمسلمين ، وأدام كونك ملجأً للعالمين » .

فكتب [٣] عليه ما نصُّه : « الحمد لله الهادي للصواب ، قد عرفت المصنِّف وما صنَّفه ، وهو حقيقٌ بالثناء الجميل ، ومن الله / - إن شاء الله - بالفضل الجزيل ، [١٥ أ /س] وكيف لا ولم يزل خادماً للسنَّة النبوية ، دائباً [٤] فيها بهمَّته العليَّة ، ولقد وقفت على بعض مصنَّفه ، وفيه ما ذكر من الاستدلال بأشياء من الكتب القديمة المعربة [٥] بلسان العرب ، المفروغ من نقلها وتعريبها [٦] ، الواصلة للأئمة المتقدمين المتقنين [٧] مع تحريرها وتهذيبها ، ولا عيب على [٨] من اقتدى بأئمة السلف ، بل له الرتبة العليا وغاية الشرف ، فطريقته [٩] طريقة العلماء العاملين ، والأئمة المهديِّين ، ولم أر فيه ما شنَّع به عليه من نقل التوراة وتفسيرها ، على ما هي عليه من العلم [بتبديلها] [١٠] ومن نسب إليه ذلك معتمداً على ما رأيته فقد اعتدى بافترائه ،

---

(١) في (س) : « مضابا » .

(٢) في (س) : « أبّدَ » .

(٣) في (س) : « وكتب » .

(٤) في (س) هكذا : « دابيا » .

(٥) في (س) : « العربية » .

(٦) في (س) : « وتعريتها » .

(٧) قوله : « المتقنين » ساقطٌ من (س) .

(٨) قوله : « على » ساقطٌ من (س) .

(٩) في (س) : « فطريقة » .

(١٠) في (م) : « بتبذيلها » ، وفي (س) : « تبديلها » ، والمثبت هو الصواب .

ووقع [١] في نسبة العلماء لما تنزَّه [٢] رتبتهم عنه اتباعاً لغيِّ هوائِه ، فيستحق التعزير البليغ ، والزجر الشنيع على ما يليق به ، على ما يراه الحاكم زاجراً له ولأمثاله عن الوقوع في حقِّ العلماء ، فجزى الله أئمة المسلمين خيراً ، ومن حذا حذوهم وانتصر لإقامة الشريعة [٣] وأيَّد أهلها ، وأنار مذاهبها وسبلها ، واتَّبع في ذلك الحق المبين ، وأعرض عن الجاهلين ، والله يحبُّ المحسنين ، ولا يُصْلِح عمل المفسدين ، والله أعلم . وكتبه عثمان بن عبد الله الحسيني [٤] الشافعي » .

فأشار في آخره كما ترى إلى الكف عن المفتري ومن مالأه على ذلك ، وأوصى الشيخ نور الدين بذلك وقال : « هذا أجمل وأشرف » ، ثم مال بعض الميل في فتنة ابن الفارض .

[١٢ أ /م] تقريظ شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجوجري

وكتب العلامة شمس الدين محمد بن عبد المنعم / الجوجري الشافعي [٥] - ومال بعد ذلك مع أنصار ابن الفارض - : « الحمد لله رب العالمين ، وبه التوفيق والهداية للصواب ، قد علمت المصنِّف المشار إليه ، أقبل الله بوجهه الكريم عليه ، ولا شك أنه ممن مدح الإسلام وأهله ، وذمَّ الباطل وأهله ، فهو قائمٌ بما يجب القيام به في

---

(١) في (س) : « ووضع » .

(٢) في (س) : « نزه » .

(٣) في (س) : « إقامة للشريعة » .

(٤) في (س) : « للحسنى » .

(٥) هو : شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم الجَوْجَري ثم القاهري الشافعي الفقيه النحوي ، شيخ القاهرة ، يُعرف بين أهل بلده بابن نبيه الدين ، وفي غير بلده بالجَوجَري ، له عدة آثار وتصانيف منها : تسهيل المسالك في شرح عمدة السالك ، وشرحٌ على الإرشاد ، وآخر على شذور الذهب ، ولد سنة (٨٢١ هـ) بجوجر وهي بلدة صغيرة من جهة دمياط ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٨٩ هـ) .

انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٨ / ١٢٣ - ١٢٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٥٢٢) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٤٦٧) .

الحالين ، ومتحلٍّ في فعله [1] ذلك بأجل الصِّفتين ، ومَن هذا شأنه لجديرٌ بأن تُشيَّد [2] مقالته ولا تُذم / بل تُحمد [3] حالته ، ويتقرَّب إلى الله تعالى [4] بإكرامه [١٥ ب/س] وتعظيم شأنه بحسب الطاقة واحترامه ، ولقد فاز من أثنى عليه من العلماء بسبب ذلك بالأجر الجزيل ، كما استحقَّ جزماً [5] من انتصب لأذاه [6] والتشنيع [7] عليه بما لا يحل التوبيخَ والتنكيلَ ، وما أحقَّه وأحقَّهم بأن ينشد على وجه التمثيل :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداءٌ له وخصوم

كضرائر الحسناء قُلْنَ لِوجْهِهَا حسداً وبُغضاً إنَّه لَدَميم [8]

على أني قد نظرت في بعض ما أُلِّف ، واطلعت على شيءٍ مما صنَّف وهو كتاب « **نظم الدرر** » (وهو كاسمه قد نظم الدرر) [9] بل الجواهر ، وأتى فيه مؤلِّفه أدام الله النفع بعلومه بما يشنِّف الأسماع ، ويروق الخواطر ، فإنه بحرٌ [10] قد زخر بالعلوم ، وأظهر من المعارف ما خفي على غيره من سرِّها [11] المكنون ، وأحْيَا

---

(١) في (س) : « فعل » .

(٢) في (س) : « يسُدّ » .

(٣) في (س) : « يحمد » .

(٤) قوله : « تعالى » ليس في (س) .

(٥) في (س) : « حزماً » .

(٦) في (س) : « لادائه » .

(٧) في (س) : « والشنيع » .

(٨) في (س) : « لذميم » .
والبيتان لأبي الأسود الدؤلي ، انظر : ديوانه (ص : ١٦٥) .

(٩) ما بين القوسين ساقطٌ من (س) .

(١٠) في (س) : « بجر » .

(١١) في (س) : « سره » .

فَنِّيْ [1] الفصاحة والبلاغة فأعيذه بالحيِّ القيوم ، و[2]كيف لا وقد ظهر برهانه ، واتضح غاية الاتضاح [3] تبيانه ، وأشرقت منه على الآفاق شمس العرفان ، وقام بما يجب القيام به من واجب حقِّ القرآن ، فلو سمع به ابن الجوزي [4] لسار إلى لقائه ولو [5] فقد زاد المسير [6] ، أو الزمخشري لقال : هذا هو الشافي لا كشَّافي وإن كان له القدر الخطير ، أو الرازي لأثبت له الفخر وقام لمحاسنه كأبيه [7] خطيباً ، أو الطيبي [8] لقال : طوبى لمؤلِّف هذا الكلام الطيِّب وطاب مَن نَشِقَ

---

(1) في (س) : « ميتي » .

(2) حرف الواو ساقطٌ من (س) .

(3) في (س) : « الإيضاح » .

(4) في (س) : « الجوري » بدلاً من « ابن الجوزي » وهو خطأ .
وهو : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي ، علاَّمة عصره ، وواعظ زمانه ، اشتهر في كثيرٍ من العلوم ولا سيما التفسير والحديث والتاريخ والوعظ، له عدة تصانيف منها: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، وزاد المسير، وصيد الخاطر، ولد ببغداد سنة (٥٠٨ هـ) وقيل (٥٠٩ هـ) وقيل غير ذلك، وتوفي -رحمه الله- بها سنة (٥٩٧ هـ).
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٣٦٥ - ٣٨٤) ، والعبر للذهبي (٣ / ١١٨) ، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص : ٥٠) .

(5) في (س) : « وقد » .

(6) في (س) : « الميسر » .

(7) في (س) : « كاتبه » .
والمقصود بقوله : « كأبيه » هو والد الفخر الرازي ضياء الدين أبو القاسم عمر بن الحسين بن الحسن القرشي البكري الرازي ، خطيب الري ، وأحد كبار علماء الشافعية في عصره ، له مصنفٌ في علم الكلام اسمه : غاية المرام ، توفي سنة (٥٥٩ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٥٠١) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١ / ٣٤٧) ، وهدية العارفين للبغدادي (١ / ٧٨٤) .

(8) في (س) : « الكلبي » ، وهو خطأ .
والطيبي هو : شرف الدين الحسين - وقيل : الحسن - بن محمد بن عبد الله الطيبي ، عالم مشارك في كثير من العلوم ، وكان - رحمه الله - شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة ، وله عدة آثار وتصانيف منها : الكاشف عن حقائق السنن النبوية ، والبيان في المعاني والبيان ، والخلاصة في أصول الحديث ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٤٣ هـ) .
انظر : شذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٢٣٩) ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٢٢٩) ،
==

مِنْ [1] عَرْفِهِ[2] طيباً، أو الواحدي [3] لقال : هذا هو الواحد الذي اجتمعت فيه[4] المحاسن وأتى من وجيز لفظه ببسيط [5] المعاني ، فورد العلماء من بحر علومه ماءً غير آسن [6] ، أو ابن عادل [7] لم يعدل به تفسيراً ، و لم يعدل إلى غيره إذ لا يجد له

==

ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٦٣٩) .

(١) قوله : « من » ساقط من (س) .

(٢) العَرْف هو : الريح طيبة كانت أو منتنة .

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة عرف (ص : ٤٢٦) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة عرف (٩ / ٢٤٠) .

(٣) هو : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي الإمام المفسر اللغوي النحوي الفقيه الأخباري ، صاحب أسباب النزول والبسيط والوسيط والوجيز ، توفي -رحمه الله- بنيسابور سنة (٤٦٨ هـ) .

انظر : طبقات الشافعية للسبكي (٥ / ٢٤٠) ، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص : ٦٦) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٤٠٠) .

(٤) في (س) : « في » .

(٥) في (س) : « بيسْطُ » .

(٦) الآسن من الماء مثل الآجن ، وهو الماء الذي لا يشربه أحدٌ من نتنه ، وقيل : هو الماء الذي تغير غير أنه مشروب .

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة أسن(ص : ١٧) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة أسن (١٣ / ١٦) .

(٧) هو : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، صاحب التفسير الكبير المسمى : اللباب في علوم الكتاب ، وهو كتاب مشحونٌ بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير ، انتهى من تأليفه سنة (٨٧٩ هـ) ، وهو مخطوط في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (٨٤ / ٩٦ ، ١٤٤ ، ٢٦١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧٢٣ ، ٨٩٣ ، ٩٠٢ ، ١١٣٨) ، وله أيضاً : حاشية على المحرر في الفقه ، توفي - رحمه الله - بعد سنة (٨٨٠ هـ) .

انظر : طبقات المفسيرين للأدنه وي (ص : ٤١٨ - ٤١٩) ، وهدية العارفين للبغدادي (١ /

==

نظيراً ، فماله في المناسبة مناسب [1] ، وليس له في التفسير مُدانٍ ولا مُقارب ، أدام الله النفع بعلوم مؤلّفه وبركاته ، وبارك للمسلمين في حياته » / . [2]

[١٣ أ /م]

[١٦ أ /س]

بعض كتب أهل البدع المنابذة للسنة والتحذير منها

هذا قول مشايخ الإسلام / وأئمة الدين من أهل عصرنا في خصوص هذا الكتاب الذي يعلم قطعاً أن مطلق النزاع فيه مع السكوت عن « **الكشاف** » [3] ، و « **رسائل إخوان الصفا** » [4] .

---

٧٩٤) ، والأعلام للزركلي (٥ / ٥٨) .

(١) في (س) : « تناسب » .

(٢) هنا آخر كلام الجَوجَري .

(٣) وهو كتاب « الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » الذي ملأه مؤلفه الزمخشري بالاعتزاليات .

قال الشيخ : محمد عليان في مقدمة الكشاف (ص : ي) عنه : « قد حجب الراغبين فيه عن مدارسته ، وحرمهم من كثرة ممارسته ما اشتمل عليه من تأويل الآيات الواردة في المسائل التوحيدية بمذهب المعتزلة دون مذهب أهل السنّة » .

وقال قبله ابن خلكان كما في وفيات الأعيان (٥ / ١٧٠) : « وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به ، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب ، وأول ما صنف كتاب « الكشاف » كتب استفتاح الخطبة : « الحمد لله الذي خلق القرآن » ، فيقال إنه قيل له : متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ، ولا يرغب أحدٌ فيه ، فغيَّره بقوله : « الحمد لله الذي جعل القرآن » ، وجعل عندهم بمعنى خلق ، والبحث في ذلك يطول ، ورأيت في كثير من النسخ : « الحمد لله الذي أنزل القرآن » وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنِّف » .

(٤) أُلّفت « رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفا » في القرن الرابع الهجري في دولة بني بويه ببغداد ، وهي عبارة عن اثنتين وخمسين رسالة مقسمة إلى أربعة أقسام : الرياضيات ، والطبيعيات ، والعقليات ، والإلهيات ، ولقد نسبت زوراً وبهتاناً لجعفر الصادق – رحمه الله – ، وقد تم طبع هذه الرسائل أول مرة بمصر سنة (١٨٨٧ م) ، ثم جدد طبعها : طه حسين سنة (١٩٢٩ م) تقريباً .

و « الفلاحــــــــــة » لابـــــــــن وحشـــــــــــية [1] ،

==

وتعدُّ هذه الرسائل إحدى ثمار الحركة الرافضية الباطنية ، التي مزجت الفلسفة اليونانية ، والعقيدة الباطنية ، لتخرج للناس مذهباً جديداً يمزج إلاهيات اليونان ، ونظريات أفلاطون ، وأرسطو ، وأفلوطين ، وغيرهم بالعقيدة الإسلامية في خليط مضطرب فاسد .

ولقد قام أئمة الإسلام - رحمهم الله - بالتحذير من هذه الرسائل أيما تحذير ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى (٤ / ٧٩) : « كتاب " رسائل إخوان الصفا " الذي صنفه جماعة في دولة بني بويه ببغداد ، وكانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنّفة ، جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين وبين الحنيفية ، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة ، وفيه من الكفر والجهل الشي الكثير ، ومع هذا فإن طائفة من الناس - من بعض أكابر قضاة النواحي - يزعم أنه من كلام جعفر الصادق ، وهذا قول زنديق وتشنيع جاهل » .

وقال أيضاً في نفس الكتاب (٣٥ / ١٨٣) : « وهذه الرسائل وضعت في دولة بني بويه في أثناء المئة الرابعة ، في أوائل دولة بني عبيد الذين بنوا القاهرة ، وضعها جماعة وزعموا أنهم جمعوا بها بين الشريعة والفلسفة فضلُّوا وأضلُّوا » .

وقال الإمام الذهبي - رحمه الله - عنها في سير أعلام النبلاء (١٩ / ٣٢٨ - ٣٢٩) : « هي داءٌ عضال ، وجَرَبٌ مُرْدٍ ، وسُمٌّ قاتل » ، ثم قال بعد ذلك : « فالحذار الحذار من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شُبَهِ الأوائل ، وإلا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية ، وليدمن الاستغاثة بالله » .

وانظر في الكلام عن هذه الرسائل: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/١٣٢-١٣٦) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩ / ٣٣٤ ، ٣٤١ ، ٤٩٥) ، وكتب حذر منها العلماء لمشهور بن حسن آل سلمان (١ / ٦٧ - ٧٦) فإن جلَّ ما كتبته أفدته من هذا الكتاب القيِّم ، والفريد في بابه .

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا الكسداني الكلداني ، من أهل قُسِّين، والمعروف بابن وحشية ، كان شعوبياً يفاخر بانتسابه إلى الأنباط ، أو إلى قدماء الآراميين ، وكان يعمل بالسحر والطلاسم ، واشتغل بعلم الفلاحة والكيمياء والسموم ، وله من الكتب الشيء الكثير في السحر وغيره ، فمن مؤلفاته : كتاب السحر الكبير ، والسحر الصغير ، والإشارة في السحر ، وأسرار الكواكب والسر والطلسمات ، والفلاحة الكبير والصغير ، والطبيعة وغيرها من الكتب ، هلك سنة (٢٩٦ هـ) .

==

و « **الفصوص** » [١] لابن عربي [٢] وأمثالها مع ما فيها مما هو معلوم المنابذة لعقائد أهل السنَّة ، وهي مما يُجَاهَر ببيعه في الأسواق من غير نكير ، بمجرد هوىً وحظ نفس لا سيما إن كان الإنكار ممن لم يشتهر قط بأمرٍ بمعروف ولا نهيٍ عن منكر [٣] ، فكيف إذا كان ممن يتكرَّر منه حضورُ المناكر ، لا سيما إن كان يوافق النصارى في بعض فَعَلاتِهم لما يفعلونه لأجله ، ويحكم لأيتام اهل الكتاب ببقائهم على الكفر مريداً به منع الحنبلي من الحكم بإسلامهم ، فكيف إن كان مشهوراً بِعِشْرَةِ القبط ، ونُقِل عنه أنه قال في القرآن قولاً تُنَزَّه [٤] الأقلامُ عن كَتْبِهِ [٥] ، وسأل صاحب [٦] هذا الكتاب الذي يتكلم هو فيه مَن يريد القيام عليه بسببه [٧] في الكفِّ عنه ، إلى غير ذلك من أمورٍ إن تمادى ظهرت وانتشرت بين الورى ، واشتهرت وكانت عنها أمورٌ وأيَّ أمور .

وأما بعض تفصيل ما أجمله مشايخ العصر المشار إليهم أحسن الله إليهم من أقوال مَن تقدَّمهم من أئمة الإسلام الذين هم القدوة ، وفيهم لكل مسلمٍ أسوة ، فسيأتي في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى .

انظر : الفهرست لابن النديم (٤٣٣ ، ٥٠٤) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٢ / ١٢٨٩ ، ١٤٣٩) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٢١٢) .

(١) قوله : « والفصوص » ساقطٌ من (س) .

(٢) انظر : القسم الدراسي (ص : ١٠٣ - ١٠٤) .

(٣) يقصد البدر بن القطان .

(٤) في (س) : « مقصر » .

(٥) جميع هذا الكلام تقدم ذكره فانظره في (ص : ١٩٤ - ١٩٨) .

(٦) في (س) : « صاحبه » .

(٧) في (س) : « تشبيه » .

الفصل الثاني : في حكم النقل من الكتب القديمة لتأييد دين الإسلام وإبطال مذاهب أهل الضلال :

تعريف السنة

لا شك أن سنّة النبي ﷺ هي أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وهمومه [1] ، إذا تقرر ذلك عُلِمَ أن الاستدلال على أهل الكتاب بما في التوراة والإنجيل والزبور في صحة

---

(١) السنة في اللغة هي : الطريقة والسيرة حسنة كانت أم سيئة .

قال ﷺ : « **من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء** » . رواه مسلم في كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ... (٢ / ٥٨٣ - ٥٨٤ رقم ١٠١٧) ، وكتاب العلم - باب من سن سنة حسنة أو سيئة ... (٤ / ١٦٣٥ رقم ١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله ﷺ .

أما في الاصطلاح الشرعي : فإن معناها يختلف باختلاف نوع العلم الذي يُشتغل به .

فهي عند المحدِّثين : ما أُثر عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خُلقية أو خِلقية ، أو سيرة ، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها .

وعند الأصوليين : هي ما نقل عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعل أو تقرير ، وزاد الشافعية : أو همومه ، أي ما همَّ به ﷺ .

وعند الفقهاء هي : ما ثبت عن النبي ﷺ من حكمٍ هو دون الفرض والواجب .

وتطلق السنّة أيضاً في مقابلة البدعة ، فيقال : فلانٌ على سنّة إذا عمل على وفق ما كان عليه النبي ﷺ كما يقال : فلانٌ على بدعة إذا عمل خلاف ذلك .

كما تطلق السنة ويراد بها عمل الصحابة ولا سيما عند الاتفاق ، وكذا عمل الشيخين أبي بكر وعمر ، أو عمل الخلفاء الأربعة رضي الله عن الجميع .

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٤٠٩) ، والأحكام للآمدي (١ / ١٦٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة سنن (١٣ / ٢٢٥) ، وتقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي (ص : ٢٧٥) ، والتعريفات للجرجاني (ص : ١٦١) ، وفتح الباري لابن حجر (١٣ / ٢٤٥) ، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٢ / ١٦٦) ، وإرشاد الفحول للشوكاني (١ / ١٨٥) ، والسنة ومكانتها في التشريع لمصطفى السباعي (ص : ٤٧) ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن حسن (١ / ٨١ - ٨٤) .

دين الإسلام ، والرد عليهم في اعتقاداتهم الباطلة سنّةٌ جليلة أمر ا لله تعالى بها ، فقال تعالى لأشرف خلقه ﷺ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]، وفعلها رسول[2] / ا لله ﷺ امتثالاً لهذا الأمر الشريف ، فأتاهم في بيت مِدْرَاسِهم [3] وسألهم عن شريعة الرجم للزاني ، فأنكروا أن يكون في توراتهم ، فأمرهم بالإتيان بها ، فأتوا بها ، فنزع وسادة كانت تحته ووضعها عليها وقال [4] : « **آمنت بك وبمن أنزلك** » مع أنه يعلم أن فيها المبدَّل إذ ذاك [5] لشهادة ا لله سبحانه في غير آية مما أنزل عليه أنهم حرَّفوا وكتبوا بأيديهم ما ليس من عند ا لله وقالوا : إنّه من عند ا لله . [6]

[١٦ ب/س]

الرد على أهل الكتاب من كتبهم سنة عظيمة أمر ا لله بها وفعلها رسوله ﷺ

وقال رسول ا لله ﷺ : « **ائتوني بأعلمكم** » فأتوه به ، فأمره بقراءتها ، فشرع يقرأ ما قبل [7] آية الرجم وما بعدها ، فأمره عبد ا لله بن سلام [8] ﷺ برفع يده ،

---

(١) سورة آل عمران – الآية : ٩٣ .

(٢) في (س) وقع هنا تقديم وتأخير في الميكروفيلم المصور عليه المخطوط حيث أنه من المفترض أن يكون الكلام هنا في ورقة (١٦ ب) ولكنه انتقل إلى (١٣ ب) وحتى نهاية (١٦ أ) ، ثم وقع تقديم وتأخير آخر أبيِّنه في حينه – بإذن ا لله تبارك وتعالى – ، وقد قمت بوضع كل ورقة في مكانها الصحيح ، مع تغيير أرقامها السابقة .

(٣) بيت المدراس : هو موضع الدرس والقراءة ، والمدراس هو صاحب دراسة كتبهم .
انظر :جامع الأصول لابن الأثير (٣/٥٤٥)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ١١٣),

(٤) في (س) : « وقالت » .

(٥) قوله : « إذ ذاك » كتب في (س) : « إدراك » .

(٦) قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة – الآية : ٧٩] .
وقال تعالى : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [سورة النساء – الآية : ٤٦] .
وقال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة – الآية ٧٥] .

(٧) في (س) : « قيل » .

(٨) هو : أبو يوسف – وقيل : أبو الحارث – عبد ا لله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، حليف الأنصار ، من بني قينقاع ، ومن ذرية يوسف عليه الصلاة والسلام ، كان أحد أحبار وعلماء ==

[١٣ ب /م]

فإذا آية / الرجم ، فحينئذٍ لم يسعهم [(١)] إلا الاعتراف [(٢)] .

الأحسن في باب النظر الرد على الإنسان بما يعتقد صحته

فافتضحوا حينئذٍ ، وعلم ما هم عليه مـن الضلال علماً جلياً لكل أحد [(٣)] ، وعلم من هذا أن الأحسن في باب النظر أن يُرَدَّ على الإنسان بما يعتقد[(٤)] صحَّته[(٥)] . وسيأتي كلام الإمام أبي هاشم محمد بن ظفر [(٦)] في الفصل السادس بمثل

==

اليهود ، أسلم ﷺ بعد هجرة النبي ﷺ للمدينة ، وكان اسمه آنذاك : حصين ، فغيَّره رسول الله ﷺ إلى : عبد الله ، وروى عن النبي ﷺ خمسةً وعشرين حديثاً ، وقد كان يصغي له بعض الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – إذا حدَّث عن بعض ما جاء في التوراة ، توفي ﷺ بالمدينة سنة (٤٣ هـ) .

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ١١٠) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٦ / ٢٢٨) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٤١٣) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ١٠٨) .

(١) في (س) : « يسمعهم » .

(٢) سيأتي – بإذن الله – في الفصل الثالث تخريج هذا الحديث ، حيث إن المصنِّف – رحمه الله – استرسل في تخريجه هناك .

(٣) قال الخطابي – رحمه الله – في أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري عند شرحه لهذا الحديث (٣ / ١٨٢٨) : « وإنما احتج عليهم بالتوراة استظهاراً بالحجة ، وإحياءً لحكم الله الذي كانوا يكتمونه ويحرمون القول فيه » .

(٤) في (س) : « يعتقده » .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في نقض المنطق (ص : ٩١) : « إن الله بيَّن في كتابه مخاطبة أهل الكتاب وإقامة الحجَّة عليهم بما بيَّنه من أعلام رسالة محمد ﷺ ، وبما في كتبهم من ذلك ، وما حرَّفوه وبدَّلوه من دينهم ، وصدَّق بما جاءت به الرسل قبله ، حتى إذا سمع ذلك الكتابي العالم المنصف وجد ذلك كله من أبين الحجة وأقوم البرهان » .

(٦) هو : أبو هاشم – وقيل أبو عبد الله – ، وقيل : أبو جعفر – محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي الصقلي الأديب النحوي اللغوي المفسر الفقيه الفرضي ، صاحب التصانيف والآثار ، ومنها : ينبوع الحياة في التفسير ، والقواعد والبيان في النحو ، وخير البُشَر بخير البَشَر ، والمطول في شرح المقامات ، توفي – رحمه الله – سنة (٥٦٥ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ٣٩٥) ، وبغية الوعاة للسيوطي (١ / ١٤٢) ،

==

هذا [1] بل لا شك عند من له أدنى ممارسة [للعلم] [2] أنَّ من المقرَّر عند حملة الشريعة من أهل الفقه والأصول أنه إنما يسوغ الرد على المخالف بالمتفق عليه ، أي أن [3] يكون ملتزماً له أو يقوم الدليل العقلي عليه ، ولأجل ذلك أرشد سبحانه إليه، فإنه لو استدل عليهم بكتابنا ما افتضحوا عند [4] غير المسلمين مثل هذه الفضيحة العامة عند كلِّ ذي عقل ، واقتدى بالنبي ﷺ في ذلك الصحابة - رضي الله عنهم - لاعتقادهم أن ذلك سنَّة ، فاحتجوا عليهم بكتابهم فيما يؤيِّد ديننا ويبيِّن ضلالهم [5]، واقتدى بهم في [6] ذلك التابعون لهم بإحسانٍ إلى عصرنا . [7]

==

ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٤٥٦) ,

(١) انظر : (ص : ٤٠٧) .

(٢) في (م) : « بالعلم » ، ولعل الأولى ما أثبته وهو كما في (س) .

(٣) في (س) : « بأن » .

(٤) في (س) : « عنه » .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في نقض المنطق (ص : ٩٢) : « ولما كانت الحاجة لا تنفع إلا مع العدل ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [سورة العنكبوت - الآية : ٤٦] فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن ، وإذا حصل من مسلمة أهل الكتاب الذين علموا ما عندهم بلغتهم وترجموا لنا بالعربية انتفع بذلك في مناظرتهم ومخاطبتهم ، كما كان عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وكعب الأحبار وغيرهم يحدِّثون بما عندهم من العلم ، وحينئذٍ يستشهد بما عندهم على موافقة ما جاء به الرسول ويكون حجة عليهم من وجهٍ ، وعلى غيرهم من وجهٍ آخر » .

(٦) قوله : « في » ساقطٌ من (س) .

(٧) قال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - في فتاويه (١ / ١٣٦ - ١٣٧) : « من يطالع كتب الملل بقصد الاستعانة على تأييد الحق ورد شبهات المعترضين ونحوه ، وهو مستعدٌّ لذلك فهو عابد لله تعالى بهذه المطالعة ، وإذا احتيج إلى ذلك كان فرضاً لازماً ، وما زال علماء الإسلام في القديم والحديث يطلعون على كتب الملل ومقالاتهم ، ويردُّون عليهم بما يستخرجونه منها من الدلائل

==

تحذير السلف من مجادلة أهل الأهواء

وأما من كان يتكلم بهواه فليس له دواءٌ إلا الزجر بالفعل إنْ كان ثَمَّ قُدْرَة [(١)] أو السكوت ؛ فإنهم [(٢)] ممن حذَّر منهم السلف .

[١٧ أ /س]

قال الشيخ محي الدين النووي[(٣)]/ في آخر باب في[(٤)] فضيلة الاشتغال بالعلم من[(٥)] مقدمة « **شرح المهذب** » : « وقال البخاري في أول كتاب الفرائض من « **صحيحه** » : قال عقبة بن عامرٍ [(٦)] ﷺ : تعلموا قَبل الظانِّين . قال البخاري : يعني

==

الإلزامية ، وناهيك بمثل ابن حزم وابن تيمية في الغابرين ، وبرحمت الله الهندي صاحب « إظهار الحق » في المتأخرين ، أرأيت لو لم يقرأ هذا الرجل كتب اليهود والنصارى هل كان يقدر على ما قدر عليه من إلزامهم وقهرهم في المناظرة ، ومن تأليف كتابه الذي أحبط أعمال دعاتهم في الهند ، بل وغير الهند ؟ أرأيت لو لم يفعل ذلك هو ولا غيره ؟ أما كان يأثم هو وجميع أهل العلم وهم يرون عوام المسلمين تأخذهم الشبهات من كلِّ ناحية ، ولا يدفعونها عنهم ؟ » .

(١) قوله : « ثَمَّ قُدْرَة » ساقطٌ من (س) .

(٢) في (س) : « فإنه » .

(٣) هو : محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن النووي الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ الفقيه المحدِّث ، محرِّر المذهب الشافعي ، وصاحب التصانيف والآثار والتي من أجلِّها : شرحه على صحيح الإمام مسلم ، وروضة الطالبين ، ورياض الصالحين ، توفي - رحمه الله - بنوى - وهي من أعمال حوران بالقرب من دمشق - سنة (٦٧٦ هـ) .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٣٠٦) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ /٤٧٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (٧ / ٦١٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٤ / ٩٨) .

(٤) قوله : « في » ساقط من (س) .

(٥) في (س) : « في » .

(٦) هو أبو حماد - وقيل : أبو عمرو ، وقيل : أبو عامر ، وقيل : أبو الأسد - عقبة بن عامر بن عيسى ابن عمرو بن عدي الجهني الإمام المقري ، صاحب رسول الله ﷺ ، وبريد عمر بن الخطاب ﷺ لفتح دمشق ، أسلم بعد الهجرة النبوية الشريفة ، وروى عن النبي ﷺ خمسة وخمسين حديثاً ، توفي ﷺ بمصر سنة (٥٨ هـ) .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٧٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٤٦٧) ،
==

الذين يتكلمون بالظن [(١)] ، ومعناه تعلموا العلم من أهله المحقِّقين الورعين قبل ذهابهم ومجيء قومٍ يتكلمون في العلم بميل [(٢)] نفوسهم وظنونهم التي ليس لها مستندٌ [(٣)] شرعي » [(٤)] .

والإصابة لابن حجر (٧ / ٢١) .

(١) صحيح البخاري - كتاب الفرائض - باب تعليم الفرائض (١٢ / ٤) .
قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢ / ٤) : « وهذا الأثر لم أظفر به موصولاً ، وقوله : « قبل الظانّين » فيه إشعارٌ بأن أهل ذلك العصر كانوا يقفون عند النصوص ولا يتجاوزونها ، وإن نُقِل عن بعضهم الفتوى بالرأي فهو قليلٌ بالنسبة ، وفيه إنذارٌ بوقوع ما حصل من كثرة القائلين بالرأي » .

(٢) في (س) : « يميل » .

(٣) في (س) : « مسند » .

(٤) المجموع شرح المهذب (١ / ٤١ - ٤٢) .
ومصداق كلام النووي هذا ما أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم (١ / ٩٤ رقم ١٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلُّوا** ».

الفصل الثالث : في الدلائل الدَّالَّة على أن النقل من الكتب القديمة لذلك المقصد سنَّة عظيمة وطريقة مستقيمة .

الحث على التأمل في الدليل الشرعي ووجوب العمل به

ولا أشك أنَّه [١] ليس أحدٌ من أهل الزمان يرى ذلك إلا بادر إلى إنكاره والاستهانة [٢] به واستصغاره ، لكونه لم ير لي سلفاً في التصريح به من أئمة الإسلام، وإن كان مأخوذاً من كلامهم ، وإنكاره ما لم ينظر أوَّله وآخره ، ويعرف مخالفته للكتاب والسنَّة وأقوال الأئمة غِشٌّ للدين وأهله ، وظلمٌ عظيمٌ لقائله يتعلَّق لأجله بمن ظلمه يوم الجمع الأعظم لُيلقِي أحدهما صاحبه في نار جهنَّم ، بل الواجب على كلِّ من وهبه الله علماً ورآه أن ينعم التأمُّل فيه وفي أدلَّته ، فإن رآه [٣] قويماً وجب عليه اتِّباعه ، وعدَّه فخراً لِصَاحبه عملاً بما أرشد إليه ما قال النووي في ترجمة الإمام الشافعي من « **تهذيب الأسماء واللغات** » : « قال محمد - يعني ابن عبد الحكم [٤]-: ليس فلانٌ عندنا بفقيه ؛ لأنه يجمع أقوال الناس ويختار بعضها ، قيل : فمن الفقيه ؟ قال : الذي يستَنْبطُ أصلاً من كتابٍ أو سنَّةٍ لم يسبق إليه ، ثم يشعِّب من ذلك الأصل مائة شعبة . قيل : فمن يقوى على هذا ؟ قال : محمد بن

---

(١) في (س) : « ولا شك أن » .

(٢) في (س) : « والإستها » .

(٣) في (س) : « يراه » .

(٤) في (س) : « ابن الحكم » .

وهو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصري الفقيه الإمام الثقة ، أحد فطاحلة علماء الديار المصرية في وقته ، صحب الشافعي طويلاً ، وله عدة مصنفات منها : أحكام القرآن ، والرد على فقهاء العراق ، وأدب القضاة ، ولد سنة (١٨٢ هـ) - وقيل (١٥٠ هـ) - وكانت وفاته بمصر سنة (٢٦٨ هـ) وقيل (٢٦٩ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ١٩٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٢ / ٤٩٧) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٣٦) .

أدلة المصنّف في دعواه هي : الكتاب والسنة وأقوال الأئمة

إدريس [(١)] » .

إذا تقرَّر هذا فالدليل على ما ادَّعيته الكتابُ والسنَّة وأقوال الأئمة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [(٢)] . وروى الشيخان : البخاري في مواضع [(٣)] ، ومسلم [(٤)] ، وأبو داود [(٥)] - وهذا لفظه [(٦)] - والدارمي [(٧)] ،

حديث رجم اليهوديين

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ٦٢) .

(٢) سورة آل عمران - الآية : ٩٣ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام (١٢ / ١٦٦ رقم ٦٨٤١) ، وباب الرجم في البلاط (١٢ / ١٢٨ رقم ٦٨١٩) .
وكتاب الجنائز - باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد (٣ / ١٩٩ رقم ١٣٢٩) .
وكتاب المناقب- باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة - الاية : ١٤٦] (٦ / ٦٣١ رقم ٣٦٣٥) .
وكتاب التفسير في تفسير سورة آل عمران - باب قول الله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران - الآية : ٩٣] (٨ / ٢٢٤ رقم ٤٥٥٦) .
وفي كتاب الاعتصام بالسنة - باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ... (١٣ / ٣٠٤ رقم ٧٣٣٢) .
وكتاب التوحيد - باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله العربية وغيرها ... (١٣ / ٥١٦ رقم ٧٥٤٣) .

(٤) صحيح مسلم- كتاب الحدود- باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى (٣/١٠٧٠ رقم ١٦٩٩).

(٥) هو : أبو داود سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي ، الإمام العالم الحافظ الثقة ، صاحب التصانيف والآثار ومنها : السنن ، والناسخ والمنسوخ ، والقدر ، ولد سنة (٢٠٢ هـ) وتوفي - رحمه الله - بالبصرة سنة (٢٧٥ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٢٠٣ - ٢٢١) ، والتقريب لابن حجر (٢٥٠) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٢٦٥) .

(٦) سنن أبي داود - كتاب الحدود - باب في رجم اليهوديين (٤ / ٥٩٣ رقم ٤٤٤٦) .

(٧) سنن الدارمي - كتاب الحدود - باب في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين (٢ / ٦٢٠ رقم ٢٢٣٥) .
والدارمي هو : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الله التميمي الدارمي السمرقندي ، الإمام الحافظ الثقة الثبت ، صاحب المسند المسمى بسنن الدارمي ، والثلاثيات ،
==

والترمذي[1] / في الحدود [2]، والنسائي[3] في الرجم[4] ، عن ابن عمر [5] – رضـي [١٧ب /س]

==

ولد سنة (١٨١ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – سنة (٢٥٥ هـ) .

انظر : الجرح والتعديل للرازي (٥ / ٩٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٢ / ٢٢٤ – ٢٣٢) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٥ / ٢٥٨ – ٢٥٩) .

(١) هو : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السُّلَمي الضرير الترمذي ، الإمام الحافظ ، والفقيه المحدِّث ، تتلمذ وحدَّث عن البخاري ، كما أن البخاري روى عنه ، له العديد من الآثار والمصنفات منها : السنن الذي يسمى بالجامع الصحيح ، والشمائل ، والعلل ، ولد سنة (٢١٠ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – بترمذ سنة (٢٧٩ هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٢٧٠ – ٢٧٧) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٩ / ٣٤٤ – ٣٤٥) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٥٧٣) .

(٢) سنن الترمذي – كتاب الحدود – باب ما جاء في رجم أهل الكتاب (٤ / ٣٤ رقم ١٤٣٦) ، وقال : « هذا حديث حسنٌ صحيح » .

(٣) هو : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني النسائي ، القاضي ، أحد الأئمة المبرزين ، والحفاظ المتقنين ، صاحب التصانيف والآثار ومنها : السنن الكبرى ، والصغرى ، والخصائص في فضل علي بن أبي طالب ﷺ وأهل البيت ، ولد بنسا سنة (٢١٥ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – بجرجان سنة (٣٠٣ هـ) وقيل (٣٠٥ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٧٧ – ٧٨) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٤ / ١٢٥ – ١٣٥) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ١٥١) .

(٤) سنن النسائي الكبرى – كتاب الرجم – باب إقامة الحد على أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه (٤ / ٢٩٣ – ٢٩٤ رقم ٧٢١٣ ، ٧٢١٤ ، ٧٢١٥ ، ٧٢١٦ ، ٧٢١٧) .

(٥) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي المكي المدني ، أحد علماء الصحابة الكرام الذين يشار لهم بالبنان ، أسلم ﷺ وهو صغير ، وهاجر ولم يحتلم ، شهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ عدا أُحداً حيث استصغر يومها ، وروى عن النبي ﷺ ألفاً وستمائة وثلاثين حديثاً ، توفي ﷺ بمكة سنة (٧٤ هـ) ، وقيل (٧٣ هـ) وكان عمره آنذاك خمساً وثمانين سنة .

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٣٨) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ٢٠٣ – ٢٣٩) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ١٦٧ – ١٧٣) .

ا لله عنهما - أنه قال : إن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ فذكروا أن رجلاً منهم وامرأة زنيا [1] فقال لهم رسول ا لله ﷺ : « **ما تجدون في التوراة في شأن الزنا ؟** » ، فقالوا : نفضحهم [2] ويُجلدون [3] - .

وفي رواية [4] فقال : « **لا تجدون في التوراة الرجم ؟** » ، فقالوا : لا نجد فيها شيئاً ، فقال عبد ا لله بن سلام ﷺ :/ كذبتم فأْتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، [١٤ أ /م] فأَتَوا بالتوراة فنشروها [5]، فجعل أحدهم - وفي رواية [6] : مِدْرَاسها [7] الذي يدرسها منهم - يده على آية الرجم ، فجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد ا لله بن سلام : ارفع يدك ، فرفعها [8] ، فقال : ما هذه ؟ فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما [9] رسول ا لله ﷺ ، فرُجِما ، قال عبد ا لله بن عمر - رضي ا لله عنهما - : « فرأيت الرجل يجنأ [10] على المرأة

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢ / ١٦٧) أن اسم المرأة بُسرة ، وأن الرجل لم يسمّ ، وهما من أشراف يهود خيبر .

(٢) في (س) : « يفضحهم » .

(٣) في (س) : « ويخلدون » .

(٤) وهي رواية البخاري التي في التفسير (٨ / ٢٢٤ رقم ٤٥٥٦) .

(٥) في (س) : « فسدوها » .
والنشر خلاف الطي ، ومنه قوله تعالى في سورة المدثر - الآية : ٥٢ : ﴿ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴾ .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة نشر (ص : ٦٥٩ - ٦٦٠) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة نشر (٥ / ٢٠٨) .

(٦) وهي رواية البخاري التي في التفسير (٨ / ٢٢٤ رقم ٤٥٥٦) .

(٧) في (س) : « مدارسها » .

(٨) في (س) : « فوضعها » .

(٩) في (س) : « بها » .

(١٠) في (س) : « يحنا » .
وقوله : « يجنأ » أي انكب عليها بنفسه .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١ / ٣٠٢) ، وجامع الأصول لابن الأثير (٣ /
==

يقيها [1] الحجارة » .

وفي لفظٍ للبخاري [2] في التفسير [3] : أن النبي ﷺ قال : « **لا تجدون في التوراة الرجم ؟** » فقالوا : لا نجد فيها شيئاً ، فقال لهم [4] عبد الله بن سلام [رضي الله عنه] [5] : كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . وفي لفظٍ له في التوحيد [6] : أن النبي ﷺ هو الذي قال : « **فأتوا بالتوراة ، فاتلوها إن كنتم صادقين** » .

ولأبي داود ، عن ابن عمر أيضاً [7] – رضي الله عنهما – قال : أتى نفرٌ من اليهود، فدعوا رسول الله ﷺ إلى القُف [8] ، فأتاهم في بيت المدراس [9] ، فقالوا : يا أبا القاسم إن رجلاً منّا زنى بامرأة ، فاحكم ، فوضعوا لرسول الله ﷺ وسادة ، فجلس عليها ، ثم قال : « **ائتوني بالتوراة** » فأتي بها ، فنزع الوسادة من تحته ووضع

= ٥٤٤) ، ولقد ذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عشرة أوجه لضبط هذه الكلمة ، فانظرها في الفتح (١٢ / ١٦٩) .

(١) في (س) هكذا : « يعتها » .

(٢) في (س) : « البخاري » .

(٣) صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب قول الله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران – الآية : ٩٣] (٨ / ٢٢٤ رقم ٤٥٥٦) .

(٤) قوله : « لهم » مكرر في (س) .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٦) صحيح البخاري – كتاب التوحيد – با ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله العربية وغيرها ... (١٣ / ٥١٦ رقم ٧٥٤٣) .

(٧) قوله : « أيضاً » ساقطٌ من (س) .

(٨) القُفّ : اسم وادٍ من أودية المدينة .

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٩١/٤)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٣٨٣/٤).

(٩) في (س) هكذا : « المقدارس » .

التوراة عليها ، ثم قال : « آمنت بك وبمن أنزلك »[1] ، ثم قال / : « **ائتوني بأعلمكم** » ، فأتي بفتى شاب [2] ، فذكر قصة الرجم بنحو [3] الذي قبله ، وسكت عليه أبو داود[4] ، والحافظ المنذري[5] في « **مختصر السنن** »[6] وسنده[7] حسن . [١٨ أ /س]

وسيأتي في الفصل السابع تتمة لهذا نافعة . [8]

ولمسلمٍ [9] ، وأبي داود - وهذا لفظه [10] - ، والنسائي [11] ، وابن ماجه[12]،

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١٢ / ١٧٢) : « والمراد أصل التوراة » .

(٢) هو : عبد الله بن صوريا الأعور ، أحد أحبار اليهود ، وأحد أعلم من بالحجاز بالتوراة ، وهو من بني ثعلبة بن الفطيون .
انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٥١٤) ، وتاريخ الطبري (٣ / ٢٣٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٣ / ٢٣٥) ، (٦ / ١٨٤) .

(٣) في (س) : « نحو » .

(٤) سنن أبي داود - كتاب الحدود - باب في رجم اليهوديين (٤ / ٥٩٧ رقم ٤٤٤٩) .

(٥) هو : أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري الشامي المصري الشافعي ، إمام من أئمة الإسلام ، وعالم بالحديث والعربية ومن الحفاظ المؤرخين ، له مصنفات عديدة منها : الترغيب والترهيب ، ومختصر صحيح مسلم ، ومختصر سنن أبي داود ، ولد سنة (٥٨١ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٦٥٦ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣ / ٣١٩ - ٣٢٤) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٨ / ٢٥٩) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧ / ٦٨) .

(٦) مختصر سنن أبي داود - كتاب الحدود - باب في رجم اليهوديين (٦ / ٢٦٢ رقم ٤٢٨٤) .

(٧) في (س) هكذا : « وشده » .

(٨) انظر : (ص : ٤٩٥ - ٥٠٠) .

(٩) صحيح مسلم- كتاب الحدود- باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى (٣/١٠٧١ رقم ١٧٠٠).

(١٠) سنن أبي داود - كتاب الحدود - باب في رجم اليهوديين (٤ / ٥٩٦ رقم ٤٤٤٨) ، وبنحوه أيضاً (٤ / ٥٩٥ رقم ٤٤٤٧) .

(١١) سنن النسائي الكبرى - كتاب الرجم - باب إقامة الإمام الحد على أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه (٤ / ٢٩٤ رقم ٧٢١٨) .

(١٢) سنن ابن ماجه - كتاب الحدود - باب رجم اليهودي واليهودية (٢ / ٨٥٥ رقم ٢٥٥٨) .
وابن ماجه هو : أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي مولاهم القزويني ، الإمام الحافظ الحجة الثبت ، صاحب السنن والتأريخ والتفسير ، ولد سنة (٢٠٩ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٢٧٣ هـ) .

==

سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ... ﴾

عن البراء [1] بن عازب [2] -رضي ا لله عنهما- قال: مُرَّ [على] [3] رسول ا لله ﷺ بيهوديٍّ مُحَمَّم [4] ، فدعاهم فقال : « **هكذا تجدون حد الزاني ؟** » فقالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم ، فقال : « **نشدتك با لله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حدَّ الزاني [5] في كتابكم ؟** » فقال : اللهم لا ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجد حدَّ الزاني في كتابنا الرجم ، ولكنه [6] كثر في أشرافنا ، فكنَّا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدَّ ، فقلنا : تعالوا فنجتمع [7] على شيءٍ نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ٢٧٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٢٧٧ - ٢٨١) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٢٨٢) .

(١) في (س) : « البر » .

(٢) هو : أبو عمارة - وقيل : أبو عمرو - البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ، شهد أُحداً وما بعدها مع رسول ا لله ﷺ ، ولم يشهد بدراً لصغر سنه ، قاتل ﷺ مع علي بن أبي طالب في الجمل وصفّين والنهروان ، وروى عن النبي ﷺ ثلاثمائة وخمسة أحاديث ، وتوفي - رضي ا لله تعالى عنه - سنة (٧٢ هـ) .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٤٦) ، والاستيعاب لابن عبد البر (١ / ٢٨٨ - ٢٩١) ، والإصابة لابن حجر (١ / ٢٣٤ - ٢٣٥) .

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في (م) و (س) ، وأضفتها من سنن أبي داود وصحيح مسلم ، والسياق لا يستقيم بدونها .

(٤) من الحممة وهي الفحمة ، وجمعها حُمَم ، والمقصود أنه مسوَّد الوجه .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١ / ٤٤٤) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة : حمم (ص : ١٥٧) .

(٥) في (س) : « الزنا » .

(٦) في (س) : « ولكن » .

(٧) في (س) : « نجتمع » .

والجلد وتركنا الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه** » ، فأمر به فرُجم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ [1] إلى قوله : ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ [2] إلى قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [3] في اليهود ، إلى قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ / اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [4] في اليهود ، إلى قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [5] قال: هي في الكفار كلُّها ، يعني هذه الآية . [١٤ ب/م]

وروى الدارقطني [6] في آخر النذور من « **السنن** » عن جابر [7] ﷺ قال : أُتي النبي ﷺ بيهوديٍّ ويهوديَّةٍ قد زنيا ، فقال لليهود [8] : « **ما يمنعكم أن تقيموا عليهما [9] الحدَّ ؟** » ، فقالوا : كنَّا نفعل إذ [10] كان الملك لنا ، فلما أن ذهب

---

(١) سورة المائدة – الآية : ٤١ .

(٢) سورة المائدة – الآية : ٤١ .

(٣) سورة المائدة – الآية : ٤٤ .

(٤) سورة المائدة – الآية : ٤٥ .

(٥) سورة المائدة – الآية : ٤٧ .

(٦) هو: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني، الإمام الحافظ المقرئ المحدِّث، صاحب السنن ، والعلل ، والأفراد ، ولد سنة (٣٠٦ هـ) ، وتوفي -رحمه الله- سنة (٣٨٥ هـ).
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ٢٩٧ - ٢٩٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦ / ٤٤٩ - ٤٦١) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٣٩٣ - ٣٩٤) .

(٧) هو : أبو عبد الله و أبو عبد الرحمن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي السلمي، فقيه المدينة في زمانه، ومن أهل بيعة الرضوان، وآخر من شهد العقبة الثانية موتاً، روى عن النبي ﷺ ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً، توفي ﷺ سنة (٧٨ هـ)، وقيل : (٧٧ هـ).
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٤١) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ١٨٩ - ١٩٤) ، والإصابة لابن حجر (٢ / ٤٥) .

(٨) في (س) : « لليهودي » .

(٩) في (س) : « عليها » .

(١٠) في (س) : « إذا » .

ملكنا ، فلا نجترئ على الفعل ، فقال لهم : « **ائتوني بأعلم رجلين فيكم** » ، فأتوه بابني صوريا ، فقال لهما : « **أنتما أعلم من وراكما ؟** » ، قالا : يقولون / قال : « **فأنشدكما بالله الذي أنزل التوراة على موسى كيف تجدون حدَّهما في التوراة ؟** ». [١٨ب /س]

فقالا [١] : الرجل مع المرأة رِيْبة [٢] وفيه عقوبة ، والرجل على بطن المرأة رِيْبة [٣] وفيه عقوبة ، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يدخل الميل في المكحلة رجم .

قال : « **ائتوني بالشهود** » ، فشهدوا [٤] أربعة ، فرجمهما النبي ﷺ . [٥]

وقال أسامة بن مرشد[٦] في « **أخبار البدريين** » في ترجمة سعد بن معاذٍ[٧] رضي الله عنه :

---

(١) في (س) : « فقال » .

(٢) في المطبوع من السنن : « زنية » والصواب ما ذكر في النسخة التي اعتمد عليها المؤلف رحمه الله.

(٣) نفس التعليق السابق .

(٤) في (س) : « فشهد » .

(٥) أخرجه الدارقطني في سننه – كتاب النذور (٤ / ١٧٠ رقم ٣٢) .
والحديث أخرجه أيضاً مسلم – مختصراً – في كتاب الحدود – باب رجم اليهود ، أهل الذمة في الزنى (٣ / ١٠٧٢ رقم ١٧٠١) .
وأبو داود بنحوه في كتاب الحدود – باب في رجم اليهوديين (٤ / ٦٠٠ رقم ٤٤٥٢) وكذا مختصراً (٤ / ٦٠١ رقم ٤٤٥٢) .
وابن ماجه – مختصراً – في سننه – كتاب الأحكام – باب شهادة أهل الكتاب بعضهم على بعض (٢ / ٧٩٤ رقم ٢٣٧٤) .

(٦) هو أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنْقِذ الكناني الكلبي الشيرازي ، رمي بالتشيع ، وأخذ عن ابن عساكر ، وهو صاحب كتاب التاريخ البدري ، ولد سنة (٤٨٨ هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٥٨٤ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ١٩٥ – ١٩٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ١٦٥ – ١٦٧) ، والوافي بالوفيات للصفدي (٨ / ٣٧٨) .

(٧) هو : أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري ، سيد الأوس ، أسلم بالمدينة بين العقبتين على يد مصعب بن عمير – رضي الله عنهما–، وممن شهد
==

سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ .. ﴾

« روى [1] ابن إسحاق قال : سأل سعد بن معاذ ، ومعاذ بن جبل ، وخارجة بن زيد [2] نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبوا أن يخبروهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ [3] فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [4] » . انتهى . [5]

فمن منع من إظهار ما يصادق القرآن من الكتب القديمة فقد منع من [6] الاقتداء بهؤلاء الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم ، ودخل في حَيِّز الظالمين ، وعرَّض نفسه لهذه اللعنة العامة .

وروى الواحدي في « **أسباب النزول** » عن عُمر ﷺ قال : كنت آتي اليهود عند

بدراً ، رمي يوم الخندق بسهمٍ ، واستشهد بعدها بعد أن حكم في بني قريظة ، ودفن ﷺ بالبقيع وهو ابن سبعٍ وثلاثين سنة .

انظر : الطبقات لابن سعد (٣ / ٤٢٠) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٤ / ١٦٣ - ١٦٧) ، والإصابة لابن حجر (٤ / ١٧١ - ١٧٢) .

(١) في (س) : « رُوي » .

(٢) هو : خارجة بن زيد بن أبي زهير بن امرئ القيس بن مالك الأغر الأنصاري الخزرجي ، شهد العقبة وبدراً ، وقتل يوم أحدٍ ﷺ شهيداً ، ودفن هو وابن عمه سعد بن الربيع في قبرٍ واحد ، وكان صهراً لأبي بكر الصديق ، حيث كانت ابنته حبيبة تحت أبي بكر ، ولقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق عند الهجرة .

انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ١٢٥) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٣ / ١٤٧ - ١٤٩) ، والإصابة لابن حجر (٣ / ٤٨) .

(٣) في (م) وقع في الآية خطأ ، حيث سقط قوله : ﴿ للناس ﴾ ، وهو مثبت في (س) .

(٤) سورة البقرة - الآية : ١٥٩ .

(٥) لم أقف على كتاب ابن مرشد هذا ، والخبر ذكره ابن هشام في السيرة (١/٥٥١)، وابن جرير في تفسيره (٢/٥٦) ، والسيوطي في لباب النقول (ص: ٣٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) قوله : « من » ساقطٌ من (س) .

سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ... ﴾

دراستهم التوراة ، فأعجبُ من موافقة القرآن التوراة ، وموافقة التوراة القرآن ، فقالوا : يا عمر ، ما أحدٌ أحبَّ إلينا منك ، قلت : ولم ؟ قالوا : لأنك تأتينا وتغشانا ، قلت : إنما أجيءُ لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً ، وموافقة التوراة القرآن، وموافقة القرآن التوراة، فبينا أنا عندهم ذات يومٍ إذ مرَّ رسول الله ﷺ خلف ظهري ، فقالوا : إنَّ هذا صاحبك ، فقم إليه ، فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ قد دخل خوخة [1] من المدينة ، فأقبلت عليهم ، فقلت : أنشدكم الله وما أنزل عليكم من كتابٍ ، أتعلمون أنه رسول الله ؟ قال سيِّدهم : قد نشدكم بالله ، فأخبروه / [١٩ أ /س] فقالوا : أنت سيِّدنا فأخبره ، فقال سيِّدهم : نعلم أنه رسول الله ، قلت : فإني أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ، ثم لم تتَّبعوه ؟ فقالوا : إنَّ لنا عدوًّا من الملائكة وسِلماً من الملائكة ، فقلت : من عدوّكم ؟ ومن سِلمكم ؟ قالوا : عدوُّنا جبريل ، قلت : ومن سِلمكم ؟ قال : ميكائيل [2] ، قلت : فإني أشهد ما يَحِلُّ

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٢ / ٨٦) : الخوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين يُنْصَبُ عليها بابٌ » .

(٢) ذكر في أسباب هذه المعاداة لجبريل وهذه المحبة لميكائيل عليهما السلام من قبل اليهود عدة أسباب منها :

أولها : اعتقادهم أن جبريل خان الأمانة بنقله النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم .

ثانيها : اعتقادهم أيضاً أن جبريل هو الذي يطلع ويتجسس على أسرارهم .

ثالثها : قولهم : إن جبريل هو الذي منع الرجل الذي بعثه أحد أنبيائهم لقتل بختنصر قبل أن يسفك دماءهم ، ويخرب بيت المقدس .

رابعها : أن جبريل هو الذي كان ينزل بالعذاب والقتل والحرب عليهم ، بينما ميكائيل كان ينزل بالرحمة والقطر والنبات .

خامسها : شدة مخالفتهم ومعاداتهم النبي ﷺ وعدم إيمانهم به وذلك بأن جبريل عليه السلام هو الواسطة التي كانت بينه وبين ربه عز وجل في نزول القرآن الذي به نسخت شريعتهم ، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . [سورة البقرة – الآية : ٩٧]

==

لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل ، وما يَحِلُّ لميكائيل أن يسالم عدو جبريل ، وإنهما جميعاً ومن معهما أعداء لمن عادوا ، وسِلم لمن سالموا ، ثم قمنا ، فاستقبلني - يعني رسول الله ﷺ - فقال : « **يا ابن الخطاب ، ألا أقرئك آيات** » ، فقرأ : / ﴿ قُلْ[1] [١٥ أ / م] مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ[2] ﴾ حتى بلغ : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾[3] .

قلت : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود ، فإذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر، فقال عمر ﷺ : فلقد رأيتني في دين الله أشد من حجر »[4] .

==

قلت : قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح (٨ / ١٦٥) ذاكراً بعضاً من هذه الأسباب ومرجحاً السبب الرئيس في هذه المعاداة : « قيل سبب عداوة اليهود لجبريل أنه أُمر باستمرار النبوة فيهم فنقلها إلى غيرهم ، وقيل لكونه يطلع على أسرارهم ، قلت : وأصح منها ما سيأتي بعد قليل لكونه الذي ينزل عليهم بالعذاب » .

انظر : تفسير ابن كثير (١ / ١٣٣ - ١٣٧) ، وفتح الباري لابن حجر (٨ / ١٦٥ -١٦٦)، والروح القدس جبريل في اليهودية والنصرانية والإسلام لعمر وفيق الداعوق (ص : ١٥ ، ٢٣ ، ٢٧) ، وسفر إشعياء ، الإصحاح الثالث والستين ، الفقرات (٨ - ١١) .

(١) قوله : « قل » غير موجود في (م) و (س) ، وأضفته من المصحف .

(٢) في (م) وقع في الآية خطأ حيث قيل : ﴿ قبلك ﴾ بدلاً من ﴿ قلبك ﴾ والصواب ما أثبته ، وهو كما في (س) .

(٣) الآيات بكاملها هي : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة البقرة - الآيات : ٩٧ - ٩٩] .

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٢ رقم ٤٠) من طريق الشعبي ، عن عمر ، وإسناده منقطعٌ لأن الشعبي لم يدرك عمر . وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنَّفه - كتاب المغازي - باب ما رأى النبي ﷺ قبل النبوة (١٤ / ٢٨٥) ، وابن جرير في تفسيره (١ / ٤٧٨ - ٤٨٠)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣ / ٣٠٢) والسيوطي في لباب النقول (ص : ٢٢ -٢٣) وقال : إسناده صحيح إلى الشعبي ولكنه لم يدرك عمر .

وأخرجه ابن جرير من طريق السدي عن عمر ، ومن طريق قتادة عن عمر ، وهما أيضاً منقطعان .

وروى هذا الحديث أيضاً : إسحاق بن راهويه [1] في « **مسنده** » ، عن الشعبي ، عن عمر رضي الله عنه . قال شيخنا الشهاب البوصيري [2] : « وهو [3] مرسلٌ صحيح الإسناد » . [4]

وكذا من الأدلّة الظاهرة أيضاً : حديث عبد الله بن عمرو [5] – رضي الله [عنهما] – [6] في « **الصحيح** » : « **حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** » [7] ، وحديثه أن النبي ﷺ بشَّره أنه يقرأ التوراة والقرآن – كما سيأتي في الفصل السادس إن شاء الله تعالى – فكان يحفظهما . [8]

---

(١) هو : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه ، الإمام الكبير ، وشيخ المشرق ، وسيد الحفاظ ، وأمير المؤمنين في الحديث ، صاحب المسند ، المولود سنة (١٦١ هـ) والمتوفى سنة (٢٣٨ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ١٩٩ – ٢٠٠) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١ / ٣٥٨ – ٣٨٣) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ١٩١) .

(٢) هو : شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان الكناني ، الإمام المحدِّث ، صاحب زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة ، وزوائد سنن البيهقي الكبرى على الكتب الستة ، وإتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة ، ولد سنة (٧٦٢ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – سنة (٨٤٠ هـ) .
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٨ / ٤٣١ – ٤٣٢) ، والضوء اللامع للسخاوي (١/ ٢٥١)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ١١٠) .

(٣) أي : حديث إسحاق .

(٤) مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري (٨ / ٣٥٠) .

(٥) في (س) : « عمر » ، وهو خطأ .

(٦) في (م) : « عنه » ، والمثبت من (س) .

(٧) تقدم تخريجه (ص : ٢٤٥) .

(٨) انظر الحديث وتخريجه وكلام المصنّف عليه في الفصل السادس (ص : ٣٦٧ – ٣٦٩) .

معنى عبارة ابن عبد البر في شأن عبد الله بن عمرو

وعبارة ابن عبد البر [1] حافظ [2] المغرب في « **الاستيعاب** » تعطي [3] أنه كان يحفظ جميع الكتب السماوية . [4]

وروى أبو بكر بن أبي شيبة [5] ، عن الفَلَتَان بن عاصم [الجرمي] [6] [ﷺ] [7] قال : كنا قعوداً عند النبي ﷺ ، فشخص بصره إلى رجلٍ في المسجد ،

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، صاحب التمهيد ، والاستذكار ، والاستيعاب ، ولد سنة (٣٦٨ هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٣ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٧ / ٦٦ - ٧٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ١٥٣ - ١٦٣) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٤٣١) .

(٢) في (س) هكذا : « ابن عبد البري في حافظ » .

(٣) في (س) : « يعطي » .

(٤) عبارة ابن عبد البر - رحمه الله - في الاستيعاب (٦ / ٣٣٩) هي : « وكان فاضلاً حافظاً عالماً ، قرأ الكتاب » .

والذي يظهر لي - والعلم عند الله تعالى- أن عبارة ابن عبد البر لا تعطي أنه كان يحفظ جميع الكتب السماوية، وهذا لا يعني أن الحديث لا يدل على أنه - ﷺ - كان يحفظ الكتب السماوية.

(٥) هو : أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي ، الإمام الحافظ الثقة الثبت ، صاحب المصنَّف ، شيخ البخاري ومسلم ، ولد سنة (١٥٩ هـ) ، وتوفي سنة (٢٣٥ هـ) .

انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠ / ٦٦) ، والعبر للذهبي (١ / ٣٣١) ، والتقريب لابن حجر (٣٢٠) .

(٦) هو الفَلَتَان بن عاصم الجرمي - وليس الحربي كما جاء في (م) و (س) - ، ويقال في نسبه أيضاً : المنقري ، والأول - أعني : الجرمي - أصح ، وكان له صحبة ﷺ ، ويعد من الكوفيين ، ولقد روى عن النبي ﷺ ستة أحاديث .

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٢٠٠) ، وأسد الغابة لابن الأثير (٤ / ٣٦٨) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٩ / ١٣٤) .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

فقال له رسول الله ﷺ : « **أتشهد أني رسول الله ؟** » ، قال : لا ، قال : « **أتقرأ التوراة ؟** » قال : نعم ، قال : « **والإنجيل ؟** » ، قال : نعم ، قال : « **والقرآن ؟** » ، قال : والذي نفسي بيده /[1] لو أشاءُ [لقرأتُه] [2] ، قال : ثم ناشده : « **هل تجدني نبيًّا في التوراة والإنجيل ...**» الحديث . [3]

[١٩ ب/س]

وفي « **السيرة** » في أحوال ما بعد الهجرة قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله ﷺ إلى يهود [4] خيبر فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت [5] ، عن

---

(١) هنا نهاية التقديمات والتأخيرات التي طرأت على ميكروفيلم (س) بسبب الخطأ في التصوير من أصل المخطوط ، فورقة (١٩ أ) جعلت في الميكروفيلم في (١٦ أ) ، وورقة (١٩ ب) جعلت في مكانها الصحيح .

(٢) في (س) : « لقرأت » والصواب ما أثبته ، وذلك لمناسبته للسياق ، وهو الموجود أيضاً في نص الحديث .

(٣) لم أقف عليه عند ابن أبي شيبة ، ولكن قد عزاه لأبي بكر بن أبي شيبة كلٌّ من : البوصيري في مختصر إتحاف السادة المهرة – كتاب علامات النبوة – باب فيما كان عند أهل الكتاب من أمر نبوته ﷺ (٩ / ٦٨ رقم ٧١٠١) ، وابن حجر في المطالب العالية – كتاب المناقب – باب شهادة أهل الكتاب بصدقه (٤ / ٣٠ رقم ٣٨٨١) .

والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه – كتاب التاريخ – باب ذكر عناد بعض أهل الكتاب رسول الله ﷺ (١٤ / ٥٤١ رقم ٦٥٨٠ مع الإحسان) ، والطبراني في الكبير (١٨ / ٣٣٢ – ٣٣٣ رقم ٨٥٤ – ٨٥٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة – باب ما جاء في اليهودي الذي اعترف بصفة النبي ﷺ في التوراة (٦ / ٢٧٣) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٤٢) وقال : « رواه الطبراني ورجاله ثقات من أحد الطريقين » ، وكذا في (١٠ / ٤٠٧) وقال : « ورجاله ثقات » ، والحديث حسنه محقق الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : شعيب الأرناؤوط (١٤ / ٥٤٢) .

(٤) في (س) : « يهودي » .

(٥) هو : أبو سعيد – وقيل : أبو ثابت – زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي ، أحد كتاب الوحي ، وشيخ المقرئين والفرضيين ، تعلم لغة يهود بأمر من النبي ﷺ ، وشهد جميع

==

عكرمة [1] - أو عن سعيد بن جبير [2] - ، عن ابن عباسٍ [3] رضي الله عنهما :

« **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى ألا إن الله قد قال لكم : يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم :** ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

المشاهد مع النبي ﷺ عدا بدراً لصغر سنه ، قتل والده يوم بُعاث قبل الهجرة بخمس سنين ، وكانت وفاته - رضي الله تعالى عنه - سنة (٤٢ هـ) وقيل (٤٣ هـ) وقيل غير ذلك .

انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٤ / ٤١ - ٤٥) ، والإصابة لابن حجر (٤ / ٤١ - ٤٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٤٢٦ - ٤٤١) .

(١) هو : أبو عبد الله عكرمة القرشي مولاهم المدني البربري الأصل ، مولى ابن عباس رضي الله عنهما ، العلامة الإمام المفسر ، أحد سادات التابعين ، وأحد فقهاء مكة المكرمة ، توفي - رحمه الله - بالمدينة سنة (١٠٥ هـ) وقيل (١٠٦ هـ) وقيل غير ذلك .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ٢٦٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥ / ١٢-٣٦)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٤٣) .

(٢) هو : أبو عبد الله وأبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي ، الإمام الحافظ المقرئ المفسِّر ، أحد أئمة التابعين ، أخذ عن ابن عباس وعائشة وابن عمر وغيرهم ، قتله الحجاج بن يوسف سنة (٩٢ هـ) رحمه الله رحمة واسعة .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٢ / ٣٧١) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٣٢١ - ٣٤٣) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٣٨) .

(٣) هو : أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، الإمام البحر ، حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، دعا له رسول الله ﷺ بالفقه في الدين وعلم التأويل ، ولد ﷺ وبنو هاشم في شعب أبي طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ، روى عن النبي ﷺ ألفاً وستمائة وستين حديثاً ، توفي ﷺ بالطائف سنة (٦٨ هـ) ، وصلى عليه الإمام العابد محمد بن الحنفية رحمه الله .

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٤٠) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٦ / ٢٥٨ - ٢٧١) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ١٣٠ - ١٤٠) .

التَّوْرَاةِ﴾ (1) إلى آخر السورة » . (2)

وفي أصل « **سيرة ابن إسحاق** » : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله (3) بن عباس(4) ، عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما - قال: كتب رسول الله ﷺ إلى يهود : « **منْ مُحمد رسول الله أخي موسى وصاحبه ، بعثه الله عز وجل (5) بما بعثه به ، إني نشدتكم (6) بالله وما أنزل الله على موسى يوم طور سيناء (7)** ،

---

(1) سورة الفتح - الآية (٢٩) .

وتمام الآية : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

(2) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٥٤٤) .

وإسناد الحديث فيه مجهول وهو مولى آل زيد وهو محمد بن أبي محمد الأنصاري المدني الذي تفرد ابن إسحاق بالرواية عنه ، قال الذهبي عنه : « لا يُعرف » ، وقال الحافظ ابن حجر : « مجهول ، من السادسة » .

انظر : ميزان الاعتدال للذهبي (٥ / ١٥١) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٩ / ٣٨٤) ، والتقريب لابن حجر أيضاً (٥٠٥) .

(3) لفظ الجلالة ليس في (س) .

(4) هو : أبو عبد الله حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي المدني ، روى عن ربيعة بن عباد وعكرمة ، وهو ضعيف ، تركه أحمد وقال : « له أشياء منكرة » ، وقال ابن معين : « ضعيف » ، وقال النسائي : « متروك » ، وقال الجوزجاني : « لا يشتغل بحديثه » ، توفي سنة (١٤٠ هـ) ، وقيل (١٤١ هـ) .

انظر : التاريخ الكبير للبخاري (٢ / ٣٨٨) ، وتهذيب الكمال للمزي (٦ / ٣٨٣) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢ / ٢٩٦) .

(5) قوله : « عز وجل » ليس في (س) .

(6) في (س) : « أنشدتكم » .

(7) الطور هو الجبل الذي فيه شجر ، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً ، وطور سيناء جبل بمصر ، وهو الذي كلّم الله عليه كليمه ونبيّه موسى عليه السلام ، ولقد أنزل الله التوراة عليه هنالك بعد أن أنجاه وقومه من فرعون وحزبه ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا

==

وفلق لكم البحر فأنجاكم وأهلك عدوّكم ، وأطعمكم المنّ [١] والسلوى [٢] ، وظلّل عليكم الغمام ، هل تجدون في كتابكم [٣] أني رسول الله إليكم وإلى الناس كافة ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فاتقوا الله وأسلموا ، وإن لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم » . [٤]

وفي « **تفسير البغوي** » لقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [٥] : « قال [٦] سعيد بن جبير : جاء رجلٌ من اليهود يقال له : مالك بن الضيف [٧]

آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف - الآيات : ١٤٣ - ١٤٤] .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ٤٧ - ٤٨) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٢٥٦) ، (٣ / ١٧٠) ، (٤ / ٢٥٦) .

(١) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (١ / ٩٩) : « عبارات المفسرين متقاربة في شرح المنّ فمنهم من فسره بالطعام ، ومنهم من فسره بالشراب ، والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتنّ الله به عليهم من طعامٍ وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد ، فالمنُّ المشهور إن أكل وحده كان طعاماً وحلاوة ، وإن مزج مع الماء صار شراباً طيباً ، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر » .

(٢) السلوى هو : طائر أكبر من العصفور يشبه طائر السمان .
انظر : تفسير ابن كثير (١ / ١٠٠) ، وفتح القدير للشوكاني (١ / ٨٧ - ٨٨) .

(٣) في (س) : « التوراة » .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى - كتاب الشهادات - باب كيف يحلف أهل الذمة والمستأمنون (١٠ / ١٨٠) من طريق ابن إسحاق ، عن الحسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .
وحسين بن عبد الله متكلّمٌ فيه كما تقدَّم .

(٥) سورة الأنعام - الآية : ٩١ .

(٦) في (س) : « وقال » .

(٧) هو: مالك بن الضيف -ويقال: ابن الصيف- أحد أحبار اليهود وعلمائهم، من بني قينقاع، وممن كان يعادي رسول الله ﷺ، وهو القائل: والله ما أخذ له- أي محمد- علينا من ميثاق فأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. [سورة البقرة-الآية: ١٠٠].
انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٥١٤ ، ٥٤٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٣ / ٢٣٥) ، وتفسير ابن كثير (١ / ١٣٨) .

[يخاصم] [1] النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : « **أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى ، أما** [2] **تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين** » ، وكان حبراً سميناً ، فغضب وقال : والله ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ (وفي القصة : أن مالك بن الضيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا : أليس أن الله أنزل التوراة على موسى ، فلم قلت : ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ ؟) [3] فقال [4] مالك بن الضيف : [أغضبني] [5] محمد/ فقلت ذلك ، فقالوا له : وأنت إذا [6] [٢٠ أ /س] غضبت تقول على الله غير الحق ، فنزعوه من الحبرية ، وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف [7] . [8]

---

(١) في (م): « إلى » ، والصواب ما أثبته، وهو كما في (س)، وكما في تفسير البغوي (٢ / ١١٤).

(٢) في (س) : « ما » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (س) .

(٤) في (س) : « قال » .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو في (س) ، وكذا هو في تفسير البغوي .

(٦) قوله : « إذا » ساقطٌ من (س) .

(٧) هو : كعب بن الأشرف، أحد علماء وأحبار يهود ، كان حاقداً على الإسلام والمسلمين ، أمر النبي ﷺ بقتله ، فقتله محمد بن مسلمة ﷺ ، ولم يكن في الأصل من يهود بل كان من قبيلة طي ، وكانت أمه من بني النضير ، فتهوَّد بسببها .
انظر : صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب قتل كعب بن الأشرف (٧ / ٣٣٦) ، والسيرة النبوية لابن هشام (١ / ٥١٤) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٣ / ٢٣٥) .

(٨) تفسير البغوي (٣ / ١٦٦ - ١٦٧) .
والحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١ / ٥٢١ - ٥٢٢) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢٢٣) ، وذكره ابن هشام في السيرة (١ / ٥٤٧) مختصراً ، وقال السخاوي كما في المقاصد الحسنة (ص : ١٤٠) : « وما علمته في المرفوع » ، ونقل كلام السخاوي أيضاً تلميذه عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني في تمييز الطيب من الخبيث (ص : ٥٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣١٤) ، وعزاه لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
وانظر أيضاً : كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني (١ / ٢٤٨ - ٢٤٩) .

[١٥ ب/ م]
قصة إسلام عبد الله بن سلام

وفي « **تلخيص ابن هشام** [(١)] **للسيرة** » في قصة إسلام عبد الله / بن سلام ﷺ المخرجة في « **الصحيح** » [(٢)] أنه سأل النبي ﷺ أن يخفيه في بيتٍ ويسأل يهود عنه قبل أن يعلموا بإسلامه ، فلما سألهم ومدحوه خرج عليهم ، فقال لهم : يا معشر يهود ، اتَّقوا الله واقبلوا ما جاءَكُم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته » .[(٣)]

---

(١) هو : أبو محمد عبد الملك بن هشام الذهلي السدوسي - وقيل : الحميري - المعافري البصري ، العلامة النحوي الأخباري ، أحد علماء السير والتاريخ ، نزيل مصر ، وصاحب تهذيب السيرة النبوية لابن إسحاق ، والقصائد الحميرية ، توفي - رحمه الله - سنة (٢١٨ هـ) .
انظر : إنباه الرواة للقفطي (٢ / ٢١١ - ٢١٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٤٢٨ - ٤٢٩) ، وبغية الوعاة للسيوطي (٢ / ١١٥) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب خلق آدم وذريته (٦ / ٣٦٢ رقم ٣٣٢٩) ، وكتاب التفسير - باب قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ [سورة البقرة - الاية : ٩٧] (٨ / ١٦٥ رقم ٤٤٨٠) ، وكتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٧ / ٢٤٩ رقم ٣٩١١) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

(٣) السيرة النبوية - لابن هشام (١ / ٥١٧) .
جاء في كتب العهد القديم في شأن صفته ﷺ العديد من النصوص ، والتي منها ما جاء في سفر التثنية - الإصحاح الثامن عشر - الفقرات من (١٧ - ١٩) : « قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا ، أُقيمُ لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأَجعلُ كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أنَّ الإنسان الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أُطالبُه » .
وما جاء في سفر التثنية - الإصحاح الثالث والثلاثين - الفقرات من (١ - ٢) : « وهذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الربُّ من سيناء وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نارُ شريعةٍ لهم » .
وما جاء في سفر التكوين - الإصحاح السادس عشر - الفقرات من (٧ - ١٢) : « فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شُوَر ، وقال : يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين ؟ فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي ، فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها ، وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعدُّ من
==

النبي ﷺ غنيٌّ عن الاستشهاد بأهل الكتاب وبكتبهم بماله من المعجزات الباهرات

وقد كان [النبي] (١) ﷺ غنياً عن الاستشهاد بهم وبكتابهم بما له من المعجزات الباهرات التي أوجبت الإيمان به على كلِّ أحد (٢) ، ولم تدعْ لأحد عُذراً ، لولا شُرع مثل ذلك ، والتنبيه على عظيم جدواه (٣) ؛ لأنه أقطع في ردِّ الخصوم ، وقد تضمَّن (٤) هذا الفصل من الدليل على حُسن صنيعي في تأييد الإسلام والردِّ على الأخصام من كتبهم : قول الله ، والحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فكيف يعدل عنه أحد لا سيما إذا انتمى للشافعي . ومن المعلوم (٥) الشائع أن الشافعي –

==

الكثرة ، وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل ؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه يكون إنساناً وحشياً ، يده على كل واحد ، ويد كل واحدٍ عليه » .

وسيأتي بإذن الله مزيد إيضاح لهذا الأمر في الفصل السادس .

وانظر في ذلك للفائدة : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (ص : ٣١٦ – ٣٢٣) ، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني (ص : ٢٧ – ٣٢) ، وإظهار الحق لرحمت الله الهندي (٤ / ١١١٦ – ١١٦٩) ، وبشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص العهدين لمحمد أحمد ملكاوي (ص : ٢٠١ – ٢٢٧) ، وموقف اليهود من الرسالة والرسول ﷺ لسعد المرصفي (ص : ١٩ – ٣١) .

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٢) إن الإيمان بالمعجزات وحجيتها واجبٌ لا ينكره إلا مغالط خاظعٌ للهوى أو الجهل ، ولو لم تكن المعجزات حجة توجب الإيمان بالرسل لما عاتب الله المشركين وعنَّفهم ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالآيات كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [سورة الأنعام– الآية : ٤] ، وقوله : ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ [سورة الأنعام – الآية : ٥] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [سورة القمر – الآية : ٢] .

انظر في هذا الكلام: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي (ص:٥٤٥-٥٤٦) .

(٣) في (س) هكذا : « حذواه » .

(٤) في (س) : « يضمن » .

(٥) في (س) زيادة : « أن » ، وهو خطأ .

رحمه الله – قال : « إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي » (١) ، وتنوَّعت عباراته في ذلك ، هذا إذا خالف مذهبه ، فكيف إذا وافق المنقول عنه وعن أصحابه وعمل العلماء من أئمة مذهبه وغيرهم قديماً وحديثاً ، كما هو مشاهد لا تستطاع مكابرته ، وسيأتي بيان ذلك – إن شاء الله تعالى – (٢) والله الموفّق .

بيان وجوب الإذعان للسنة والأخذ بها

ومتى ثبت عن النبي ﷺ شيءٌ وجب على كلِّ أحد الإذعان له ، والأخذ به على حسب ما دلَّ عليه ، ومن توقَّف في ذلك خيف عليه المروق من الدين . (٣)

---

(١) ذكره النووي عنه في المجموع (١ / ١٠٤) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠ / ٣٥) ، والشعراني في الميزان (١ / ٦٠) ، والفلاني في إيقاظ الهمم (ص :١٠٧) .
وأخرج أبو نعيم في الحلية (٩ / ١٠٧) بإسناده ما يشبه هذا القول عنه – رحمه الله – ، حيث ذكر أنه قال – أي الشافعي – : « إذا صحَّ الحديث عن رسول الله ﷺ وقلت قولاً فأنا راجعٌ عن قولي وقائلٌ بذلك » .
وللإمام تقي الدين السبكي رسالة تناول فيها كلمة الشافعي هذه بالشرح والبيان ، وما يجب أن تحمل عليه وتُقيَّد به سماها : « معنى قول المطَّلبي : إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي » ، وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية – الرسالة السادسة (٣ / ٩٨ – ١١٤) .
وانظر في ذلك أيضاً : تعليق الشيخ الألباني – حفظه الله – على كلام الشافعي هذا في كتابه «صفة صلاة النبي ﷺ » (ص : ١٨ – ١٩) .
وقد نُقل عن الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – مثل كلام الشافعي هذا ، كما ذكر ابن عابدين في حاشيته (١ / ٦٧ – ٦٨) ، والفلاني في إيقاظ الهمم (ص : ٦٢) .

(٢) انظر : الفصلين الخامس والسادس .

(٣) إن وجوب التمسك بالكتاب والسنَّة ، والإذعان لهما ، والأخذ بهما ، والتحاكم إليهما عند النزاع وتحكيمهما في كل صغير وكبير ، والرضا بذلك ، والانقياد إليه أصل الدين ورأسه وعموده .
قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء – الآية : ٦٥] .
وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء – الآية : ١١٥] .
==

قال الإمام شهاب الدين السهروردي [1] في آخر « **العوارف** » : « وقد دخلت الفتنة على قومٍ كلما قيل : إن رسول الله ﷺ فعل كذا ، يقولون : كان رسول الله ﷺ مشرِّعاً [2] ، وهذا إذا قالوه على / معنى أنه لا يلزمهم التأسِّي به جهلٌ محضٌ ، فإن الرخصة الوقوف على حدِّ قوله ، والعزيمة التأسِّي بفعله ، وقول [3] رسول الله [٢٠ب/ س]

==

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف الصالح - رحم الله الجميع - كما في مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٨) : « وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنّة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، أنه لا يقبل من أحدٍ قط أن يعارض القرآن لا برأيه ، ولا بذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده ، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البيِّنات أن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

(١) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد القرشي التيمي البكري السهروردي الشافعي ، أحد علماء عصره ، اشتهر بالوعظ والتفسير وكان من كبار الصوفية ، وله عدة مؤلفات منها : عوارف المعارف ، وجذب القلوب إلى مواصلة المحبوب ، وبقية البيان في تفسير القرآن ، ولد في سهرورد سنة (٥٣٩ هـ) وهي قرية قريبة من زنجان بالجبال ، وقريبة من أذربيجان وقزوين ، وتوفي ببغداد سنة (٦٣٢ هـ) . وهو غير السهروردي الزنديق المقتول .

انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي(٣ / ١٥٢ ، ٢٨٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢ / ٣٧٣ - ٣٧٨) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٦٣) ، والأعلام للزركلي (٥ / ٦٢) .

(٢) قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - حفظه الله - في معجم المناهي اللفظية (ص : ٥٠٨ - ٥٠٩) : « لا يقال لبشرٍ : شارعٌ ولا مشرِّع ، وفي نصوص الكتاب والسنّة إسناد التشريع إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الشورى - الآية : ١٣] » ... إلى أن قال : « فإن قصر إسناد ذلك إلى الله سبحانه وتعالى أخذ في كتب علماء الشريعة على اختلاف فنونهم صفة التقعيد فلا نرى إطلاقه على بشر حسب التتبع، ولا يلزم من الجواز اللغوي الجواز الاصطلاحي » .

(٣) في (س) : « وقوله » .

ﷺ لأرباب الرخص ، وفعله لأرباب العزائم ، ثم إنَّ المنتهي يحاكي حال رسول الله ﷺ في دعاء الخلق إلى [1] الحق ، فكل ما كان يعتمده رسول الله ﷺ ينبغي أن يعتمده ، فكان قيام رسول الله ﷺ وصيامه الزائد [2] لا يخلو إما [أنه] [3] كان ليُقتدَى به ، وإما [أنه] [4] كان لمزيد كان يجده بذلك ، فإن كان ليُقتدى به ، فالمنتهي أيضاً مقتدي ينبغي أن يأتي بمثل ذلك ، والصحيح الحق أن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء ، بل كان يجد بذلك زيادة ، وهو ما ذكرنا [5] من تهذيب الجبلّة [6] ، قال الله تعالى خطاباً له : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[7] [8].

(١) في (س) : « أي » .

(٢) في (س) : « الزاهد » .

(٣) في (م) و (س) : « أن » ، والتصويب من العوارف

(٤) نفس التعليق السابق .

(٥) في (س) : « ذكرناه » .

(٦) في (س) : « الحيلة » .

(٧) سورة الحجر – الآية : ٩٩ .

(٨) عوارف المعارف (ص : ٢٦١) ، مطبوع في آخر الجزء الخامس من إحياء علوم الدين للغزالي .

الفصل الرابع : في الشواهد لحسن الاستدلال بها ، والمؤيِّدات الدَّالة على أن ذلك يَسُر النبي ﷺ ، ومن حال دون ما يسر النبي ﷺ كان منابذاً له ، مارقاً من دينه ، عدواً لأهل شرعه ﷺ.

حديث المسيح الدجال

روى [1] أحمد في « **المسند** » [2] ، ومسلم في « **الصحيح** » [3] ، وأبو داود في « **السنن** » [4] ، والترمذي في « **الجامع** » [5] ، وابن ماجه في « **السنن** » [6] ، والطبراني في « **المعجم** » [7] ، وأبو عمرو الداني [8] في كتاب « **الفتن** » [9] عن

---

(١) في (س) : « وروى » .

(٢) مسند الإمام أحمد (٦ / ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٤١٢ – ٤١٣ ، ٤١٦ – ٤١٧ ، ٤١٨) .

(٣) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب قصة الجساسة (٤ / ١٧٨٨ رقم ٢٩٤٢).

(٤) سنن أبي داود – كتاب الملاحم – بابٌ في خبر الجساسة (٤ / ٥٠٠ رقم ٤٣٢٦) ، وبنحوه في (٤ / ٤٩٩ رقم ٤٣٢٥) و (٤ / ٥٠١ رقم ٤٣٢٧) .

(٥) سنن الترمذي – كتاب الفتن (٤ / ٤٥٢ رقم ٢٢٥٣) .

(٦) سنن ابن ماجه – كتاب الفتن – باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (٢ / ١٣٥٤ رقم ٤٠٧٤) .

(٧) المعجم الكبير للطبراني (٢٤ / ٣٧١ – ٣٧٢ رقم ٩٢٢ ، ٩٢٣) ، و(٢٤ / ٣٧٤ رقم ٩٢٦) و (٢٤ / ٣٨٥ – ٤٠٥ رقم ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣) .

(٨) هو : أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم الأندلسي القرطبي الداني – نسبة لمدينة دانية الأندلسية – الحافظ الإمام المقرئ ، صاحب المصنفات التي بلغت مائة وعشرين مصنفاً منها : التيسير ، وطبقات القراء ، والسنن الواردة في الفتن ، ولد سنة (٣٧١ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – بدانية سنة (٤٤٤ هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٧٧ – ٨٣) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٤٢٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٣٦٠) .

(٩) السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني – باب ما جاء في الدجال (٦ / ١١٤٥ رقم ٦٢٥) ،
==

فاطمة بنت قيس [(١)] - وكانت من المهاجرات الأول - رضي الله عنها .

وأبو داود [(٢)] ، وأبو يعلى [(٣)] ، عن جابر ﷺ دخل حديث أحدهما في الآخر .

قالت فاطمة رضي الله عنها : سمعت نداء منادي رسول الله ﷺ ينادي : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد في نسوة من الأنصار ، فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، فصليت مع رسول الله ﷺ ، فكنت في النساء اللاتي تلي ، وفي رواية [(٤)] : يلين ظهور القوم ، وفي رواية [(٥)] : / فكنت في الصف المقدم من النساء ، وهو يلي المؤخر من الرجال ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته صعد المنبر ، وكان لا يصعد عليه إلا يوم الجمعة ، فاشتدَّ ذلك على الناس ، فمن بين قائمٍ وجالس ، فأشار إليهم

[٢١ أ/ س]

(٦ / ١١٤٨ رقم ٦٢٦) و (٦ / ١١٥٣ رقم ٦٢٧) .

(١) هي فاطمة بنت قيس بن خالد بن وهب القرشية الفهرية أخت الصحاك بن قيس ، كانت من المهاجرات الأول ، وكانت ذات عقلٍ وجمال ، تزوجت بعد طلاقها من أبي بكر بن حفص المخزومي بأسامة بن زيد ، وفي بيتها اجتمع أهل الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب ﷺ ، روت عن النبي ﷺ أربعة وثلاثين حديثاً .

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٩٩) ، والكاشف للذهبي (٣ / ٤٣٢) ، والإصابة لابن حجر (١٣ / ٨٥) .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الملاحم - باب في خبر الجساسة (٤ / ٥٠٢ رقم ٤٣٢٨) .

(٣) مسند أبي يعلى (٤ / ١١٩ رقم ٤٠٠ : ٢١٦٤) ، و (٤ / ١٢٩ رقم ٤١٤ : ٢١٧٨) و (٤ / ١٤٢ رقم ٤٣٦ : ٢٢٠٠) .

وهو : أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصلي ، الإمام الحافظ الثقة الثبت ، صاحب المسند والمعجم ، والمولود سنة (٢١٠ هـ) ، والمتوفى سنة (٣٠٧ هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤ / ١٧٤ - ١٨٢) ، والوافي بالوفيات للصفدي (٧ / ٢٤١) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٣٠٩) .

(٤) السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني - باب ما جاء في الدجال (٦ / ١١٤٨ رقم ٦٢٦) .

(٥) صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب قصة الجساسة (٤ / ١٧٩١ رقم ٢٩٤٢).

بيده أن اقعدوا ، « **فإني وا لله ما قمت مقامي** [1] **لأمرٍ ينقصكم لرغبة ولا لرهبة** » .

وفي رواية [2] : جلس على المنبر وهو يضحك فقال : « **ليلزم** [3] **كلُّ إنسانٍ مصلاّه** » ، ثم قال : « **أتدرون لم جمعتكم ؟** » قالوا : ا لله ورسوله أعلم ، قال : « **إني وا لله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأنَّ تميماً الداريَّ** [4] **كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدَّثني حديثاً وافق الذي كنت** [5] **أحدِّثكم عن مسيح** [6] » . وفي رواية [7] : « **المسيح الدجال** » . [8] /

[١٦ أ/ م]

---

(١) في (س) : « مقام » .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب قصة الجساسة (٤ / ١٧٨٩ رقم ٢٩٤٢).

(٣) في (س) : « يلزم » .

(٤) هو : أبو رقية تميم بن أوس بن حارثة بن سود - وقيل : سواد - الداري ، كان نصرانياً فأسلم ، وذلك سنة تسع من الهجرة ، كان ﷺ عابد أهل فلسطين ، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان ﷺ ، روى عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً، وكانت وفاته ﷺ بالشام سنة (٤٠ هـ) .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ١٢٦) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٤٤٢ - ٤٤٨) ، والإصابة لابن حجر (١ / ٣٠٤) .

(٥) في (س) : « كتب » .

(٦) في (س) : « مسيخ » .

(٧) لم أقف على رواية « المسيح الدجال » إنما الذي وقفت عليه رواية « مسيح الدجال » ، وهي عند كلٍّ من مسلم (٤ / ١٧٨٩ رقم ٢٩٤٢) ، والطبراني (٢٤ / ٣٨٩ رقم ٩٥٨) ، وأبو عمرو الداني (٦ / ١١٤٩ رقم ٦٢٦) .

(٨) في (س) : « المسيخ الدجال » .
يطلق لفظ المسيح على الصدِّيق ، وعلى الضلِّيل الكذّاب ، فالمسيح الصديق هو نبي ا لله عيسى ابن مريم عليه السلام فهو مسيح الهدى ، وقيل في وجه إطلاقه عليه : أنه كان لا يمسح ذا عاهةٍ إلا برأ ، وقيل : لأنه كان أمسح الرجل لا أخمص له ، وقيل : لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل : لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها .
وأما المسيح الكذاب الدجال ملبس الكذب ومموهه ، فهو رجل من بني آدم يخرج آخر الزمان ==

وفي رواية أحمد [(١)] : قالت [(٢)] : خرج رسول الله ﷺ يوماً من الأيام ، فصلى [(٣)] صلاة الهاجرة ، ثم قعد على المنبر ، ففزع الناس ، فقال : « **اجلسوا أيها الناس ، فإني لم أقم مقامي هذا لفزعٍ** » .

وفي روايةٍ له [(٤)] : أن رسول الله ﷺ جاء ذات يومٍ مسرعاً ، فصعد المنبر ونودي في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فقال : « **يا أيها الناس ، إني لم**

ويمسح الأرض في أربعين يوماً ، ويدَّعي الربوبية ، ويفتن الناس بما أعطاه الله من الآيات كإنزال المطر وإحياء الموتى وإخراج الزرع من الأرض وغيرها من الخوارق ، ويقتله نبي الله عيسى – عليه السلام – بعد إنزاله من السماء ، وله – أي الدجال – صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث النبوية الشريفة لِتُعَرِّف الناس به وتحذِّرهم من شرِّه ، ومنها : أنه رجل شابٌّ أحمر قصير ، أفحج جعد الرأس ، أجلى الجبهة ، عريض النحر ، ممسوح العين اليمنى ، وهذه العين ليست بارزة ولا غامرة كأنها عنبة طافئة ، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه : « ك ف ر » يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ، وقيل في سبب تسميته بالمسيح أن إحدى عينيه ممسوحة ، وقيل : لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً .

ولقد ذكر الإمام القرطبي – رحمه الله – في كتابه التذكرة في معنى لفظ المسيح ثلاثة وعشرين قولاً، وفي معنى لفظ الدجال عشرة أوجه .

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ١٠٢) و (٤ / ٣٢٦ – ٣٢٧) ، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص : ٧٤٤ – ٧٤٥) و (ص : ٧٦٦ – ٦٦٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة مسح (٢ / ٥٩٤ – ٥٩٥) ومادة دجل (١١ / ٢٣٦) ، وأشراط الساعة ليوسف الوابل (ص : ٢١٣ – ٢١٥) ، والرسالة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لماهر آل مبارك (ص : ١١٢ – ١١٣) .

(١) مسند الإمام أحمد (٦ / ٣٧٣ ، ٤١٧) دون قوله : « على المنبر» .

(٢) في (س) : « قال » .

(٣) في (س) : « وصلى » .

(٤) لم أقف على هذه الرواية في المسند بهذا السياق ، ولعل هذا السياق مركب من عدة روايات ، انظر المسند : (٦ / ٣٧٤ ، ٤١٧ ، ٤١٨) .

أدعكم لرغبةٍ نزلت ولا لرهبة ، ولكن [تميماً] [1] أخبرني خبراً ، منعني القيلولة [2] من الفرح وقرة العين ، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيِّكم » .

وفي رواية جابر رضي الله عنه [3] : قام رسول الله ﷺ ذات يومٍ على المنبر فقال : « **يا أيها الناس ، إني لم أقم فيكم لخَبَرٍ جاءني من السماء ، ولكن بلغني خبرٌ [4] ففرحتُ به ، فأحببت أن تفرحوا بفرح نبيِّكم ﷺ أنه بينا [5] ركب** » .

وفي رواية [6] : « **بينما [7] أناسٌ يسيرون في البحر ، فنفد طعامهم ، فرفعت لهم جزيرة فخرجوا يريدون الخبز [8] ، فلقيتهم [9] الجَسَّاسة [10]** » فذكر الحديث في أمر

---

(1) في (م) و (س) : « تميم » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبته ، وهو كما في المسند .

(2) القيلولة هي : النوم وقت الظهيرة .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة قيل (١١ / ٥٧٧ - ٥٧٨) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل القاف ، باب اللام (٤ / ٤٢ - ٤٣) .

(3) مسند أبي يعلى (٤ / ١١٩ رقم ٤٠٠ : ٢١٦٤) .

(4) في (س) : « خير » .

(5) في (س) : « نبيًّا » .

(6) سنن أبي داود - كتاب الملاحم - باب في خبر الجساسة (٤ / ٥٠٢ رقم ٤٣٢٨) ، ومسند أبي يعلى (٤ / ١٤٢ رقم ٤٣٦ : ٢٢٠٠) .

(7) في (س) : « بينا » .

(8) جاء في بعض نسخ أبي داود وكذا في مسند أبي يعلى : « الخبز » بدل « الخبر » .

(9) في (س) : « فلقيهم » .

(10) سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال ، ذكر ذلك النووي في شرحه لمسلم (١٨ / ٧٨) ، وابن الأثير في النهاية (١ / ٢٧٢) .

وجاء في بعض طرق الأحاديث أنها امرأة شعثاء لها شعرٌ منكر ، كما جاء في بعض الطرق أيضاً أنها دابة كثيرة الشعر .

قال صاحب عون المعبود (١١ / ٤٦٩) جامعاً بين هذين القولين : « قيل في الجمع بينهما ، يحتمل أن للدجال جساستين إحداها دابة ، والثانية امرأة ، ويحتمل أن الجساسة كانت شيطانة

==

الدجَّال .

وفي رواية أحمد [1] : قال عامر - يعني الشعبي - : فلقيت المحرّر بن أبي هريرة[2] فحدَّثته بحديث / فاطمة بنت قيس [رضي الله عنها] [3] فقال : أشهد على أبي [4] ﷺ أنه حدَّثني كما حدَّثتكَ فاطمة - رضي الله عنها - . [٢١ب/ س]

قال : ثم لقيت القاسم بن محمد [5] ، فذكرت له حديث فاطمة ، فقال :

==

تمثلت تارة في صورة دابة ، وأخرى في صورة امرأة ، وللشيطان التشكل في أي شكل أراد ، ويحتمل أن تسمى المرأة دابة مجازاً كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ » [سورة هود - الآية : ٦] .

(١) مسند الإمام أحمد (٦ / ٣٧٤ ، ٤١٨) .

(٢) هو : المحرَّر بن أبي هريرة الدوسي المدني ، روى عن أبيه وابن عمر ، وروى عنه الزهري ، والشعبي ، قال عنه الحافظ : « مقبول » ، مات - رحمه الله - في خلافة عمر بن عبد العزيز .
انظر : الكاشف للذهبي (٣ / ١٠٩) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠ / ٥٠) ، والتقريب لابن حجر (٥٢١) .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٤) هو : أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، اختلف في اسمه واسم أبيه كثيراً، وأوصل بعضهم الخلاف إلى أربعة وأربعين قولاً، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ولازمه ملازمة شديدة، دعا له رسول الله ﷺ بالحفظ، فكان أحفظ أهل دهره، روى عن النبي ﷺ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً ، توفي ﷺ بالمدينة سنة (٥٧ هـ) وقيل سنة (٥٨ هـ) .
انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (١ / ٣٧٦ - ٣٨٥) ، وأسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٣٧) ، والإصابة لابن حجر (١٢ / ٦٣ - ٧٩) .

(٥) هو: أبو عبد الله- وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن -القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الإمام التابعي الورع الثقة، عالم المدينة، وأحد فقهائها السبعة، كان -رحمه الله- صاحب سنَّة، تربى في حجر عمته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، ولد في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، وتوفي -رحمه الله- بقديد بين مكة والمدينة سنة (١٠١ هـ)، وقيل (١٠٦ هـ)، وقيل (١٠٧ هـ).
انظر : الجرح والتعديل للرازي (٧ / ١١٨) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ٥٩) ،
==

« أشهد على عائشة [1] – رضي الله عنها – أنها حدَّثتني كما حدَّثتك فاطمة » .

وفي آخر الحديث : أن النبي ﷺ قال : « **ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟** » فقال الناس : نعم ، قال : « **فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة** » .

وروى الشيخان عن أبي سعيد [2] ﷺ : أن النبي ﷺ قال : « **تكون الأرض يوم القيامة خبزةً نزلاً لأهل الجنَّة** » ، فأتى رجلٌ من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنَّة يوم القيامة ؟ قال : « **بلى** » ، قال : تكون الأرض خبزةً ، كما قال النبي ﷺ ، فنظر النبي ﷺ إلينا ، ثم ضحك [3] حتى بدت

== وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥ / ٥٣ – ٦٠) .

(١) هي : أم المؤمنين أم عبد الله بنت أبي بكر الصدِّيق ، فقيهة من فقهاء الصحابة ، ولدت بعد البعثة بأربع سنوات أو خمس ، وتزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست ، وقيل : سبع ، ودخل عليها وهي بنت تسع ، وتوفي عنها وهي بنت ثمانية عشر سنة ، وقد كانت من أحب نسائه ﷺ ، روت عنه ألفاً ومائتين وعشرة من الأحاديث ، توفيت –رضي الله عنها –بالمدينة سنة (٥٧ هـ)، وقيل (٥٨ هـ) ، ودفنت بالبقيع .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٣٩) ، والاستيعاب لابن عبد البر (١٣ / ٨٤ – ٩٤) ، والإصابة لابن حجر (١٣ / ٣٨ – ٤٢) .

(٢) هو : أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، أحد فقهاء الصحابة الكرام، شهد الخندق وبيعة الرضوان ، ولم يشهد أُحداً لصغر سنه ، روى عن النبي ﷺ ألفاً ومائة وسبعين حديثاً ، توفي ﷺ سنة (٧٤ هـ) ، وقيل (٦٣ هـ) وقيل غير ذلك.
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٤٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ١٦٨ – ١٧٢) ، والإصابة لابن حجر (٤ / ١٦٥ – ١٦٧) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في الفتح (١١ / ٣٧٤) : « يريد أنه أعجبه إخبار اليهودي عن كتابهم بنظير ما أخبر به من جهة الوحي ، وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فكيف بموافقتهم فيما أنزل عليه » .

نواجذه [1] » . [2]

قصة إسلام سلمان رضي الله عنه

ومن المشهور قصة سلمان [3] رضي الله عنه في سبب إسلامه بأخبار الرهبان من النصارى بالنبي ﷺ ، وفي آخرها : فأعجب النبي ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه ، رواها ابن إسحاق في « **السيرة** » [4] ، وأبو بكر بن أبي شيبة [5] ، والحارث بن أبي أسامة [6]

---

(١) النواجذ جمع ناجذ وهي آخر الأضراس ، ولكل إنسانٍ أربع نواجذ ، وقيل : إن النواجذ هي الضواحك التي تبدو عند الضحك » .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٢٠)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٧٤) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (١١ / ٣٧٢ رقم ٦٥٢٠) . ومسلم في صحيحه - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب نزل أهل الجنة (٤ / ١٧٠٦ رقم ٢٧٩٢)

(٣) هو : أبو عبد الله سلمان الفارسي ، مولى رسول الله ﷺ ، أصله من رام هرمز ، وقيل : من أصبهان ، سمع ببعثة رسولٍ للبشرية فأخذ يبحث عن مكانه حتى وجده فآمن به ، وكان يقال له : سلمان ابن الإسلام ، وسلمان الخير ، شهد رضي الله عنه الخندق وما بعدها مع رسول الله ﷺ ، روى عن النبي ﷺ ستين حديثاً ، توفي رضي الله عنه بالمدائن سنة (٣٥ هـ) ، وقيل (٣٦ هـ) .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٧٤) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٤ / ٢٢١ - ٢٢٥) ، والإصابة لابن حجر (٤ / ٢٢٣ - ٢٢٥) .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٢١٤ - ٢٢١) .

(٥) مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة - كتاب المغازي - باب إسلام سلمان رضي الله عنه (١٤ / ٣٢١ - ٣٢٤ رقم ١٨٤٥٤) .

(٦) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي - كتاب علامات النبوة - باب فيما كان عند أهل الكتاب من علامات نبوته (٢ / ٨٦٨ رقم ٩٢٩) .
والحارث هو : أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي مولاهم البغدادي الحافظ العلامة ، مسند العراق ، صاحب المسند ، المولود سنة (١٨٦ هـ) ، والمتوفى يوم عرفة سنة (٢٨٢ هـ).
انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨ / ٢١٨ - ٢١٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٣٨٨ - ٣٩٠) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٢٧٦) .

عن سلمان ﷺ .[1]

[١٦ ب/ م] وروى ابن إسحاق قبل / ذكر المعجزات عن أبي سعيد ﷺ أنه قال : بينا رجلٌ[2] من أسلم[3] في غُنيمةٍ له إذ عدا الذئب ، فذكر قول الذئب لما تعجَّب من كلامه : أعجب من ذلك رسول الله ﷺ بين الحرتين[4] ، وأنت ها هنا تتبع غنمك ، فأتى ، فأسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « **احضر العشية ، فإذا رأيت**

قصة الراعي مع الذئب وطرقها

---

(١) والقصة أخرجها أيضاً كل من : الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٤٤١ - ٤٤٥) ، وابن سعد في طبقاته (٤ / ٧٥ - ٨٢) ، والطبراني في المعجم الكبير (٦ / ٢٧٢ رقم ٦٠٦٥) و (٦ / ٢٨٠ رقم ٦٠٧٣) ، و (٦ / ٢٨٣ رقم ٦٠٧٦) و (٦ / ٢٩٦ رقم ٦١١٠) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص : ٢١٣ - ٢٢٩) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٢ / ٤١٧ - ٤١٩) ، والذهبي في السير (١ / ٥٠٦ - ٥١١) .
وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٣٢ - ٣٤٣) وقال : « رواه أحمد كله ، والطبراني بنحوه بأسانيد ، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالها رجال الصحيح ، غير محمد بن إسحاق ، وقد صرَّح بالسماع » .

(٢) واسمه : أهبان بن أوس الأسلمي، له صحبة ، ويُعد من أهل الكوفة، وكان من أصحاب الشجرة في الحديبية، مات ﷺ في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة عندما كان والياً عليها لمعاوية ﷺ .
انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (١ / ٢١٥) ، والإصابة لابن حجر (١ / ١٢٥) ، وفتح الباري لابن حجر (٧ / ٢٧) .

(٣) أسلم هو : ابن قصي بن حارثة بن عمرو من خزاعة قحطان ، وينسب إليه بنوه ، وتكون النسبة إليه : أسلمي .
انظر : الأنساب للسمعاني (١ / ٢٣٨) ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (ص : ٤٩) .

(٤) في (س) : « الحرنين » .
والحرة هي : أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار ، والحرتان هما : حرتا المدينة : الشرقية والتي تسمى بحرة واقم ، وهي التي وقعت فيها موقعة الحرة الشهيرة في عهد يزيد بن معاوية سنة (٦٣ هـ) ، عندما غزا جيشه المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المري الذي قتل وسفك دماء المسلمين بها . والحرة الغربية وهي حرة الوَبَرَة .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١ / ٣٦٥) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة حرر (٤ / ١٨٠) .

الناس قد اجتمعوا ، فأخبرهم » (١) . وأصله في الصحيحين (٢) [وأخرجه البيهقي (٣) / بتمامه في « **الدلائل** » وطرقه] (٤) في ثلاث ورقات . (٥)

[٢٢ أ/ س]

ورواه (٦) ابن حبان (٧) في « **صحيحه** » (٨) ، والبغوي في « **شرح السنّة** » (٩) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما .

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص : ٢٦٠ رقم ٤٣٢ - ٤٣٣) .

(٢) الحديث في الصحيحين مختصراً من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .
انظر : صحيح البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ (٧ / ٤٢ رقم ٣٦٩٠) ، وباب لو كنت متّخذاً خليلاً (٧ / ١٨ رقم ٣٦٦٣) ، وكتاب الحرث والزراعة - باب استعمال البقر للحراثة (٥ / ٨ رقم ٢٣٢٤) ، وكتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٦ / ٥١٢ رقم ٣٤٧١) . وصحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ (٤ / ١٤٨١ رقم ٢٣٨٨) .

(٣) هو : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الشافعي ، الإمام الحافظ العلامة ، الثقة الثبت ، شيخ خراسان بلا منازع ، صاحب التصانيف والآثار والتي وصل مجموعها ما يقارب ألف جزء ومنها : السنن الكبرى ، والسنن الصغرى ، ودلائل النبوة ، ولد سنة (٣٨٤ هـ) وتوفي - رحمه الله - بنيسابور سنة (٤٥٨ هـ) ، ونقل منها إلى بيهق .
انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤ / ٨) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٤٣٢) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٥ / ٢٤٨) .

(٤) ما بين المعقوفتين مطموس في (م) وأثبته من (س) .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٤١ - ٤٤) .

(٦) في (س) : « ورواية » .

(٧) هو : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي ، الحافظ الإمام العلامة الثقة ، صاحب التصانيف والآثار والتي منها : المسند الصحيح ، والتاريخ ، والضعفاء ، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٣٥٤ هـ) .
انظر : إنباه الرواة للقفطي (٣ / ١٢٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦ / ٩٢ - ١٠٤) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٣٧٥) .

(٨) صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ - باب ذكر شهادة الذئب لرسول الله ﷺ على صدق رسالته (١٤ / ٤١٨ رقم ٦٤٩٤ مع الإحسان) .

(٩) شرح السنة للبغوي - كتاب الفتن - باب كلام السباع (١٥ / ٨٧ رقم ٤٢٨٢) .

ورواه مسدد [1] عن أبي هريرة ﷺ ولفظه : « **إذا صليت الصبح معنا غداً ، فأخبر الناس بما رأيت** » .

ورواه أحمد بن منيع [2] (وعبد بن حميد [3] ، وأبو يعلى [4] عن أبي سعيد

---

(١) مسند مسدَّد مفقود ، ولقد عزاه لمسدَّد : البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - كتاب علامات النبوة - باب في إخبار الذئب به ﷺ (٤٨٦) ، وكذا في مختصر الإتحاف له : كتاب علامات النبوة - باب في إخبار الذئب به ﷺ (٩ / ٦٥ رقم ٧٠٩٧) .
ومسدَّد هو : مسدَّد بن مسرهد بن مسربل الأسدي البصري ، الإمام الحافظ الحجة ، أحد أئمة الحديث وأعلامه ، شيخ البخاري ، صاحب المسند ، ولد سنة (١٥٠ هـ) تقريباً ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٢٢٨ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٥٩١ - ٥٩٥) ، والكاشف للذهبي (٣ / ١١٩) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠ / ٩٨) .

(٢) مسند أحمد بن منيع مفقود ، ولقد عزاه لأحمد بن منيع : البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة - كتاب علامات النبوة - باب في إخبار الذئب به ﷺ (٤٨٨) ، وكذا في مختصر الإتحاف له - كتاب الفتن - باب فيما يكون في آخر الزمان من تكلم السباع (١٠ / ٥٣٢ رقم ٨٥٧٣) .
وابن منيع هو : أبو جعفر أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي البغدادي ، الإمام الحافظ الثقة ، صاحب المسند ، المولود سنة (١٦٠ هـ) ، والمتوفى سنة (٢٤٤ هـ) .
انظر : الجرح والتعديل للرازي (٢ / ٧٧ - ٧٨) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١ / ٤٨٣ - ٤٨٤) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٢١٢) .

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢ / ٦٣ - ٦٤ رقم ٨٧٥) .
وهو : عبد بن حميد بن نصر الكشي - وقيل : الكسي - الإمام الحافظ المحدِّث المفسِّر الثقة ، اختلف في اسمه فقيل : عبد الحميد ، وقيل : عبد المجيد ، له عدة آثار منها : المسند الكبير ، وتفسير القرآن ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٤٩ هـ) .
انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر (٦ / ٤٠٢) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٣ /٢٢٧)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٣٨) .

(٤) رواه عنه ابن حبان في صحيحه - كتاب التاريخ - باب المعجزات (١٤ / ٤١٨ رقم ٦٤٩٤) ، وعزاه لأبي يعلى : البوصيري كما في مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة - كتاب
==

الخدري ﷺ .

قال ابن منيع[1])[2] : فأقبل الراعي بغنمه حتى دخل المدينة ، ثـم أتـى النبيَّ ﷺ فأخبره ، فخرج رسول الله ﷺ إلى المسـجد وأمـر فنـودي : الصـلاة جامعـة ، فلمـا اجتمع الناس قال للأعرابي : « **أخبرهم بما رأيت** » فأخبرهـم . [3]

فقد عُلم من هذا لكل ذي لبٍّ أنه يسر النبي ﷺ ذِكْر ما يُصَدِّق كلامه من قـول بني آدم على اختلاف أصنافهم ، ومن كلام الوحوش وغيرهم .

ولا شك أن ما كان يُظنُّ أنه من كلام الله كان أجدر بذلك ، وأن من منع من شيءٍ من ذلـك كـان مخالفاً لأمـر رسـول الله ﷺ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [4] .

الفتن – باب فيما يكون في آخر الزمان من تكليم السباع ...(١٠/ ٥٣٢ رقم٨٥٧٣) .

(١) انـظر : إتحاف الخيرة (٤٨٨) ، ومختصره (١٠ / ٥٣٢ رقم ١٨٥٧٣) .

(٢) ما بين القوسين ساقطٌ من (س) .

(٣) والحديث أخرجه أيضاً : أحمد في المسند (٣ / ٨٣ – ٨٤) ، والترمذي في سننه مختصراً – كتـب الفتن – باب ما جاء في كلام السباع (٤ / ٤١٣ رقم ٢١٨١) وقال : « حديث حسن غريب » والحاكم في المستدرك (٤ /٤٦٧) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » ، وأبـو نعيـم في دلائل النبوة (ص : ٣١٨ – ٣١٩) .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩١) وقال : « رجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح » ، والحديث صححه الشيخ الألباني – حفظه الله – في السلسلة الصحيحة (١ / ١٩٠ رقم ١٢٢).

(٤) سورة النور – الآية : ٦٣ .

الفصل الخامس : في كلام الأئمة على الأدلّة وما يتراءى أنه يخالفها .

معنى قول النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »

قال الإمام شمس الدين الكرماني [1] في « **شرحه للبخاري** » في أوائل تفسير سورة البقرة في حديث : « **لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم** [2] » [3] : « هذا الحديث أصلٌ في [وجوب] [4] التوقُّف عما يشكل من الأمور ، فلا يُقضَى عليه بصحة أو بطلان ولا بتحليل أو تحريم ، وقد أُمرنا أن نؤمن بالكتب المنزَّلة على

وجوب التوقف عما يشكل من الأمور

---

(١) هو شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني الشافعي ، أصله من كرمان ، واشتهر ببغداد ، كان - رحمه الله - عالماً بالحديث ، له عدة مصنَّفات منها : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، والسبعة السيارة ، وهو شرح لمختصر ابن الحاجب ، وسماه بذلك لأنه جمع فيه سبعة شروح ، وله أيضاً : ضمائر القرآن ، ولد سنة (٧١٧ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٧٨٦ هـ) .

انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ٣٣٢) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٠٥) ، والأعلام للزركلي (٧ / ١٥٣) .

(٢) في (س) : « يكذبوهم » .

(٣) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [سورة البقرة - الآية ١٣٦] (٨ / ١٧٠ رقم ٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال : « كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ، وقولوا** : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ ... » الآية [سورة البقرة - الآية : ١٣٦].

والحديث أورده البخاري في عدة مواضع أُخر ، منها ما هو موصول ومنها ما هو معلق ، فالموصول كما في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة - باب قول النبي ﷺ : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء** » (١٣ / ٣٣٣ رقم ٧٣٦٢) ، وفي كتاب التوحيد - باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران - الآية : ٩٣] (١٣ / ٥١٦ رقم ٧٥٤٢) .

والمعلق كما في كتاب الشهادات - باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها (٥ / ٢٩١).

(٤) في (م) و (س) : « جواز » ، والصواب ما أثبته لمناسبته للسياق ، ولأنه أيضاً هو الموجود في أصل كلام الكرماني .

الأنبياء [1] إلا أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم صحيح ما يحكونه عن تلك الكتب من سقيمه ، [فنتوقف] [2] فلا نصدِّقهم لئلاَّ نكون [3] شركاء معهم فيما حرَّفوه منه ، ولا نكذِّبهم ، فلعله يكون صحيحاً فنكون [4] منكرين لما أُمرنا أن نؤمن به ، وعلى هذا كان توقُّف السلف / عن بعض ما أشكل عليهم وتعليقُهم القول فيه ، كما سئل عثمان ﷺ عن الجمع بين الأختين في ملك اليمين ؟ فقال : « أحلَّتهما آية ، وحرَّمتهما آية » [5] .

[٢٢ب/ س]

---

(١) إن الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – من أصول الإيمان وأركانه، ولا يجوز لمسلم أن ينكر كتاباً منها ، ومن أنكر ذلك فقد كفر وخرج عن الإسلام .
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ .
[سورة النساء – الآية : ١٣٦]
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [سورة البقرة – الاية : ٤ –٥] .
وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [سورة البقرة – الآية : ٢٨٥] .
وروى مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان – باب بيان الإيمان والإسلام ... (١ / ٤٦ رقم ٨٠) حديث جبريل المشهور والذي كان فيه يسأل رسول الله ﷺ ، والرسول ﷺ يجيب ، فسأله عن الإيمان ، فقال رسول الله ﷺ : « **أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » .

(٢) في (م) و (س) : « فيتوقف » ، والصواب ما أثبته لمناسبته للسياق ، ولأنه أيضاً هو الموجود في أصل كلام الكرماني .

(٣) في (س) : « يكون » .

(٤) في (س) : « فتكون » .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ – كتاب النكاح – باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين والمرأة وابنتها (٢ / ٥٣٨ رقم ٣٤) .
وعبد الرزاق في المصنَّف – كتاب الطلاق – باب جمع بين ذوات الأرحام في ملك اليمين (٧ /
==

[١٧ أ / م] وكما سئل ابن عمر – رضي الله عنهما – [(١)] عن رجلٍ نذر أن يصوم كل اثنين ، / فوافق ذلك اليوم يوم عيد ، فقال : « أمر الله بالوفاء بالنذر [(٢)] ، ونهى النبي ﷺ عن صيام يوم العيد[(٣)] » . [(٤)] فهذا مذهب من سلك طريق الورع ، وإن

==

١٨٩ رقم ١٢٧٢٨) و (٧ / ١٩١ رقم ١٢٧٣٢) .
والبيهقي في السنن الكبرى – كتاب النكاح – باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين وبين المرأة وابنتها في الوطء بملك اليمين (٧ / ١٦٣ – ١٦٤) كلهم عن عثمان ﷺ .
وروى هذا الأثر أيضاً عن كلٍّ من : علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، فأما أثر علي ﷺ فقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف – كتاب الطلاق – باب جمع بين ذوات الأرحام في ملك اليمين (٧ / ١٨٩ رقم ١٢٨٢٩) ، وسعيد بن منصور في سننه – كتاب الطلاق – باب الرجل له أمتان أختان يطأهما (١ / ٣٩٦ – ٣٩٧ رقم ١٧٣٤ ، ١٧٣٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى – كتاب النكاح – باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين (٧ / ١٦٤) .
وأما أثر ابن عباس فقد أخرجه سعيد بن منصور في السنن – كتاب الطلاق – باب الرجل له أمتان أختان يطأهما (١ / ٣٩٧ – ٣٩٨ رقم ١٧٣٥ ، ١٧٣٨ ، ١٧٣٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى – كتاب النكاح باب ما جاء في تحريم الجمع بين الأختين (٧ / ١٦٤) .
وقد ذكر ابن قدامة –رحمه الله – في المغني (٩ / ٥٣٧ – ٥٣٨) أقوال أهل العلم – رحمهم الله – في الجمع بين الأختين وذهب إلى عدم الجواز ، فلتراجع المسألة هناك للفائدة .

(١) في (س) : « عنه » .
(٢) قال تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ [سورة الحج – الآية : ٢٩] .
(٣) روى البخاري في صحيحه – كتاب الصوم – باب صوم يوم الفطر – واللفظ له – (٤ / ٢٣٨ رقم ١٩٩٠) ، ومسلم في صحيحه – كتاب الصيام – باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى (٢ / ٦٥٧ رقم ١١٣٧) عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال يوم العيد : « هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما : يوم فطركم من صيامكم ، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم » .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الصوم – باب صوم يوم النحر (٤ / ٢٤٠ رقم ١٩٩٤)، وكتاب الأيمان والنذور – باب من نذر أن يصوم أياماً فوافق النحر أو الفطر (٤ / ٥٩٠ – ٥٩١

==

كان غيرهم قد اجتهدوا واعتبروا الأصل ، ورجَّحوا أصل أحد [1] المذهبين على الآخر ، وكلّ ما تنويه من الخير وتنويه[2] من الصلاح مشكورٌ » . [3] انتهى

وهو واضحٌ جداً في أن التوقف إنما هو فيما يشكل ، وأما غيره مما عرفنا صدقه أو كذبه بشهادة كتابنا فلا [4] ، كما يأتي عن ابن بطال [5] ، ثم عن نصِّ الشافعي . [6]

قال الشيخ نور الدين : « وقوله [7] : " ورجحوا " إلى آخره ، موضع تأمل

رقم ٦٧٠٥ ، ٦٧٠٦) . ومسلم في صحيحه – كتاب الصيام – باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى (٢ / ٦٥٧ رقم ١١٣٩) .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في فتح الباري (٤ / ٢٤١) و (١١ / ٥٩١-٥٩٢) أقوال أهل العلم في هذه المسألة فلتنظر للفائدة .

(١) في (س) : « أخذ » .

(٢) في (س) : « أو تنويه » .

(٣) شرح الكرماني على صحيح البخاري (١٧ / ١٣) وهذا الكلام في الأصل ليس للكرماني ، بل نقله الكرماني عن الخطابي حيث قال : قال الخطابي ، ثم ساق الكلام إلى نهايته ، وهو موجودٌ أيضاً في أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي (٣ / ١٨٠١ – ١٨٠٣) .

(٤) انظر ما ذكره المصنِّف – رحمه الله – (ص : ٣٣٦) من هذا الكتاب عن الحافظ ابن حجر حول هذه الجزئية .

(٥) انظر : (ص : ٣٣٣) .

وهو أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي المالكي ، المحدِّث الفقيه أحد شُرَّاح صحيح الإمام البخاري ، وأحد كبار علماء المالكية ، توفي – رحمه الله – سنة (٤٤٩ هـ) .

انظر : ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤ / ٨٢٧) ، والعبر للذهبي (٢ / ٢٩٤) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٤٧ – ٤٨) .

(٦) انظر : (ص : ٣٣٦ ، ٥٠٨ – ٥٠٩) .

(٧) أي الكرماني .

وبعده لا تحتاج [١] في ردِّ كلام من ادَّعى الإجماع [٢] إلى شيءٍ » . انتهى

وقال الإمام بدر الدين الزركشي في أول كتاب الوصية من[٣] « **شرحه للمنهاج** » : « وفي « **البحر** » [٤] و « **الحاوي** » قبيل الصيد [٥] : أنه لو أوصى بكتْب شريعة موسى وعيسى - عليهما السلام - ، فإن أراد كتب سيرهم وقصصهم الموثوق بصحتها جاز ؛ لأن الله تعالى قصَّها علينا في كتابه ، وإن أراد الأحكام لم يجز كالتوراة والإنجيل » . انتهى . [٦] فيحمل قولهم في التوراة والإنجيل على كتابة أحكامهما للعمل بها ، لا للاعتبار بما فيها من الإصر [٧] مثلاً لنشكر الله على

(١) في (س) : « لا يحتاج » .

(٢) انظر : (ص : ٢٦١ ، ٤٨٩) .

(٣) في (س) : « في » .

(٤) يقصد به كتاب « بحر المذهب » والذي يعد من أكبر كتب الشافعية لعبد الواحد بن إسماعيل الروياني الشافعي الآتية ترجمته (ص : ٣٤٧) ، ويوجد من هذا الكتاب جزء يتعلق بالحج في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم (٤٨٨) في (٢٥٢) ورقة .

(٥) الحاوي الكبير للماوردي - كتاب الجزية - باب الحكم في المهادنين والمعاهدين (١٨ / ٤٥٧) .

(٦) وقع في أوائل كتاب الوصايا من مخطوط كتاب الديباج في توضيح المنهاج الموجود في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم (٢٧٠) خطأ في التصوير الميكروفيلمي مما سبب صعوبة في قراءته ، علماً بأن كتاب الوصايا يقع ما بين (ق ١٨٨ ب - ق ١٩٣ ب) .

(٧) عاقب الله - تبارك وتعالى - اليهود بالتشديد عليهم في الأحكام والأمور التعبدية ، وتكليفهم بما فيه شدة ومشقة وعنت لتشددهم وتعنتهم وكثرة اختلافهم على أنبيائهم ، ومن أمثلة ذلك :
تحريمه عليهم بعض الأطعمة قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ . [سورة الأنعام - الآية : ١٤٦] .
وكذا تحريمه العمل عليهم يوم السبت ، ومن عمل فيه يقتل ، قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ . [سورة الأعراف - الآية : ١٦٣] .
وجاء في سفر العدد - الإصحاح الخامس عشر - الفقرات (٣٢ - ٣٦) : « ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً
==

تخفيفه عنا [(1)] ، وعلى كل حال فقد جعل الفيصل [(2)] في معرفة الصحيح من غيره كتابنا .

== إلى موسى وهارون وكل الجماعة ، فوضعوه في المَحْرَس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به ، فقال الرب لموسى : قتلاً يقتل الرجل ، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة ، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة ، فمات كما أمر الربُّ موسى » .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : تكليفهم إذا ما أصاب البول أحدهم في جلده ، أو ثوبه أن يقرض ذلك بالمقاريض حتى يزول الأثر ، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن بني إسرائيل كان إذا أصاب أحدهم البول قرضه بالمقراض** » . رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ٤٦٦) وصححه .

وقد جاء عيسى عليه السلام مخفِّفاً بعض تلك الأحكام التي فرضتها التوراة عليهم ، وذلك في خطبته المشهورة المسماة : بخطبة الجبل أو وصية الجبل والموجودة في إنجيل متى ، الإصحاحات الخامس والسادس والسابع . ومع تخفيف المسيح – عليه السلام – إلا أنه ما زالت هناك آصار وأغلال بقيت على بني إسرائيل كما قال تعالى : ﴿ الذِيْنَ يَتَّبِعونَ الرَّسُولَ النَّبيَّ الأُمِيَّ الذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوراةِ والإنْجيلِ يَأْمُرهُمْ بالمعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنكرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الأعراف – الآية : ١٥٧] .

ومن أمثلة ذلك ما ورد في شأن الطلاق والقصاص فقد جاء في إنجيل متى – الإصحاح الخامس . الفقرة (٣٢) عن المسيح أنه قال : « وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني » .

وجاء في نفس الإنجيل ونفس الإصحاح الفقرات (٣٨ – ٤١) : عن المسيح أنه قال : « سمعتم أنه قيل عينٌ بعينٍ وسنٌّ بسنٍ وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشرَّ ، بل من لطمك على خدِّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين » .

انظر في ذلك : الجواب الصحيح لابن تيمية (١ / ٦٩ – ٧٠) ، والأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد (ص : ٩٢ – ٩٤) ، والرخص الشرعية لعبد الكريم النملة (ص : ١٣٩ – ١٤٠)، والشرائع السابقة لعبد الرحمن الدرويش (ص : ١٦٥ – ١٦٧) ، واليهود في السنة المطهرة لعبد الله الشقاري (٢ / ٦٩٨ – ٧٠١) .

(١) في (س) : « تحقيقه لنا » .

(٢) في (س) : « الفضل » .

حديث : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » وطرقه

وقال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر في « **شرحه** » في باب قول النبي ﷺ : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ** » [1] : « هذه الترجمة لفظ حديثٍ أخرجه أحمد [2] ، وابن أبي شيبة [3] ، والبزار [4] من حديث جابر [5] أن عمر - رضي الله / عنهما - [6] أتى النبي ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه عليه ، [٢٣ أ / س] فغضب وقال : « **لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيءٍ [فيخبروكم]** [7] **بحقٍّ [فتكذِّبوا]** [8] **به ، أو بباطل فتصدِّقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني** » [9] ، ورجاله موثَّقون ، إلا أنَّ في

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٣ / ٣٣٣) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٣ / ٣٣٨ ، ٣٨٧) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الأدب - باب في من كره النظر في كتب أهل الكتاب (٩ / ٤٧ رقم ٦٤٧٢) .

(٤) كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي - كتاب العلم - باب اتباع رسول الله ﷺ (١ / ٧٨ - ٧٩ رقم ١٢٤) .
والبزار هو : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار ، الإمام الحافظ الشهير ، صاحب المسند الكبير ، من أهل البصرة ، حدَّث في آخر عمره بأصبهان والشام ، توفي - رحمه الله - بالرملة سنة (٢٩٢ هـ) .
انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤ / ٣٣٤ - ٣٣٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٥٥٤ - ٥٥٧) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٢٨٩) .

(٥) هو : ابن عبد الله رضي الله عنهما .

(٦) في (س) : « عنه » .

(٧) في (م) و (س) : « ليخبروكم » ، والصواب ما أثبته ، انظر : الفتح (١٣ / ٣٣٤) ، وانظر أيضاً الحديث في مظانه السابقة .

(٨) في (م) و (س) : « لتكذبوا » ، والصواب ما أثبته ، انظر : الفتح (١٣ / ٣٣٤) ، وانظر أيضاً الحديث في مظانه السابقة .

(٩) الحديث أخرجه أيضاً : الدارمي في السنن - باب ما يتقى من تفسير حديث رسول الله ﷺ ، وقول غيره عند قوله ﷺ (١ / ١٢٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢٧ رقم ٥٠) ، وأبو يعلى في المسند (٤ / ١٠٢ رقم ٢١٣٥) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - باب

==

مجالدٍ [(١)] ضعفاً .

وأخرج البزار أيضاً من طريق عبد الله بن ثابت الأنصاري [(٢)] أن عمر رضي الله عنه نسخ صحيفة من التوراة ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ** » [(٣)] ،

==

مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم (٢ / ٨٠٥ رقم ١٤٩٧) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٣ - ١٧٤) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما » ، وذكره أيضاً في (٨ / ٢٦٢) وقال : « رواه أحمد » .

وللحديث طرقٌ كثيرة يرتقي بها لرتبة الحسن ، ومن هذه الطرق ما سيأتي ذكره بعد هذا الحديث مباشرة ، ومنها ما سيأتي ذكره - بإذن الله - (ص : ٤٩٥ - ٤٩٩) .

وقد ذكر هذه الطرق الشيخ الألباني - حفظه الله - في كتابه إرواء الغليل (٦ / ٣٧) ثم قال : « وجملة القول أن مجيء الحديث في هذه الطرق المتباينة والألفاظ المتقاربة لمَّا يدل على أن مجالد بن سعيد قد حفظ الحديث فهو على أقل تقدير حسن » .

وقال أيضاً عند تحقيقه للمشكاة (١ / ١٣) : « الحديث حسنٌ عندي لأن له طرقاً كثيرة » .

(١) هو : أبو عمرو - وقيل : أبو عمير ، وقيل : أبو سعيد - مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام الهمداني الكوفي ، يدرج في عداد صغار التابعين ، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد ، وقال عنه الحافظ : « ليس بالقوي ، وقد تغيَّر في آخر عمره » ، مات سنة (١٤٤ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٢٨٤) ، ومجمع الزوائد للهيثمي (١ / ١٧٤) ، والتقريب لابن حجر (٥٢٠) .

(٢) هو : عبد الله بن ثابت الأنصاري ، له صحبة ، ويدرج في الكوفيين ، اختلف فيمن يكون فقيل : هو عبد الله بن ثابت بن قيس أبو الربيع الظفري ، وذكر الحافظ أن ذلك خطأ والصحيح غيره ، وقال أبو حاتم : إنه عبد الله بن ثابت الأنصاري خادم رسول الله ﷺ ، وهو الذي ذكره الألباني في الإرواء (٦ / ٣٤) حيث قال : « عبد الله بن ثابت خادم رسول الله ﷺ » .
انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٦ / ١٢٠ - ١٢١) ، وأسد الغابة لابن الأثير (٣ / ٨٤) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ٢٩ - ٣٠) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٢ / ١٤) .

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار - كتاب العلم - باب اتباع رسول الله ﷺ (١ / ٧٩ رقم ١٢٥) ، وعبد الرزاق في المصنَّف - كتاب أهل الكتاب - باب في مسألة أهل الكتاب (٦ / ١١٣ رقم ١٠١٦٤) ، وكتاب أهل الكتابين - باب هل يسأل أهل الكتاب عن شيء (١٠ / ٣١٣ رقم ١٩٢١٣) ، وأحمد في المسند (٣ / ٤٧٠ - ٤٧١) و (٤ / ٢٦٥ - ٢٦٦) ،

==

وفي سنده [1] جابر الجعفي [2] وهو ضعيف .

واستعمله في الترجمة لورود ما يشهد لصحته من الحديث الصحيح .

وأخرج عبد الرزاق [3] من [4] طريق حُريث [5] بن ظُهير [6] قال : قال عبد الله [7] : « **لا تسألوا أهل الكتاب ، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم ،**

== وابن الضريس في فضائل القرآن (ص : ٥٤ - ٥٥) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - باب في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم (٢ / ٨٠٤ رقم ١٤٩٥) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٣) وقال : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح إلا جابر الجعفي وهو ضعيفٌ اتهم بالكذب » .

(١) في (س) : « سند » .

(٢) هو : أبو عبد الله جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي ، ضَعَّفَه كثيرٌ من أهل العلم ، فقال عنه الحاكم: « ذاهب الحديث » ، وقال الهيثمي : « ضعيف ، اتهم بالكذب » ، وقال الحافظ : « ضعيف رافضي » ، وكانت وفاته سنة (١٢٧ هـ) وقيل (١٣٢ هـ) .

انظر : مجمع الزوائد للهيثمي (١ / ١٧٣) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١ / ٤١ - ٤٥) ، والتقريب لابن حجر (١٩٢) .

(٣) هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصنعاني ، الإمام المحدِّث الثقة الحافظ ، صاحب التصانيف ومنها : المصنَّف ، والمغازي ، والأمالي ، ولد سنة (١٢٦ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٢١١ هـ) ، وله من العمر (٨٥) سنة .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ٢١٦ - ٢١٧) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٩ / ٥٦٣ - ٥٨٠) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ١٤٢) .

(٤) في (س) : « عن » .

(٥) في (س) : « حديث » .

(٦) هو حُريث بن ظهير الكوفي ، روى عن عبد الله بن مسعود ، وذكر الذهبي أنه لا يعرفه ، وقال الحافظ عنه : « مجهول » .

انظر : ميزان الاعتدال للذهبي (١ / ٤٧٤) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢ / ٢٠٥) ، والتقريب لابن حجر (١٥٦) .

(٧) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي المكي ، فقيه الأمة ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين ، وله عن النبي ﷺ ثمانمائة ==

فتكذبوا بحقٍّ ، أو تصدِّقوا [(١)] **بباطل »** . [(٢)]

وأخرجه سفيان الثوري [(٣)] من هذا الوجه بلفظ : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلُّوا ، أن تكذِّبوا** [(٤)] **بحقٍّ ، أو** [(٥)] **تصدِّقوا بباطل »** [(٦)] ، وسنده حسن .

وثمانية وأربعون حديثاً ، مات ﷺ بالمدينة سنة (٣٢ هـ) وله نحو ستين سنة .

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٤٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٤٦١ – ٥٠٠) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ٢١٤ – ٢١٧) .

(١) في (س) : « تكذبوا » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه – كتاب أهل الكتاب – باب في مسألة أهل الكتاب (٦ / ١١١ رقم ١٠١٦٢) ، وكتاب أهل الكتابين – باب هل يُسأل أهل الكتاب عن شيءٍ (١٠ / ٣١٢ رقم ١٩٢١٢) .

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي الإمام الثقة الحافظ ، سيد العلماء في زمانه ، أمير المؤمنين في الحديث ، مصنِّف كتاب الجامع ، ولد سنة (٩٧ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – سنة (١٦١ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٢ / ٣٨٦ – ٣٩١) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ٢٢٩ – ٢٧٩) ، والتقريب لابن حجر (٢٤٤) .

(٤) في (س) : « يكذبوا » .

(٥) في (س) : « و » .

(٦) الحديث أخرجه بهذا اللفظ من طريق سفيان الثوري : ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله – باب في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم (٢ / ٧٩٩ – ٨٠٠ رقم ١٤٨٤) .

وأخرجه بلفظ مقارب عبد الرزاق في مصنفه – كتاب أهل الكتاب – باب في مسألة أهل الكتاب (٦ / ١١١ رقم ١٠١٦٢) ، وكتاب أهل الكتابين – باب هل يسأل أهل الكتاب عن شيءٍ (١٠ /٣١٢ رقم ١٩٢١٢) ، وأبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه – كتاب الأدب – باب من كره النظر في كتب أهل الكتاب (٩ / ٤٨ رقم ٦٤٧٥) .

المراد بالنهي في قوله ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب »

قال ابن بطال ، عن المهلب [1] : « هذا النهي إنما هو في سؤالهم عما لا نصَّ فيه ؛ لأنَّ شرعنا مكتفٍ بنفسه ، فإذا لم يوجد فيه نصٌّ ، ففي النظر والاستدلال غنىً عن سؤالهم ، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدِّقة لشرعنا ، والأخبار عن الأمم السالفة » .

وقوله : « عن معاوية [2] ﷺ أنه ذكر كعب الأحبار [3] فقال : إنْ كان من

---

(١) هو : أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي المالكي ، من أهل العلم والفضل الراسخين والمتفننين في الفقه والحديث ، صنف شرحاً لصحيح الإمام البخاري، سكن المرية في الأندلس وتولى قضاءها ، وتوفي سنة (٤٣٥ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧ / ٥٧٩) ، والديباج المذهب لابن فرحون المالكي (٢ / ٣٤٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٥ / ١٦٧) .

(٢) هو : أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي المكي ، أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ، وقيل : يوم الفتح ، وكان من كتاب الوحي ورواة الحديث ، روى عن النبي ﷺ مائة وثلاثة وستين حديثاً ، وتولى خلافة المسلمين بعدما جرت بينه وبين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب حروب وفتن ، وتوفي ﷺ بدمشق سنة ستين هجرية ، بعد أن قضى في الخلافة تسع عشرة عاماً ونصف العام .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (٥٥) ، والاستيعاب لابن عبد البر (١٠ / ١٣٤ - ١٥٠) ، والإصابة لابن حجر (٩ / ٢٣١ - ٢٣٤) .

(٣) هو : أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري اليماني الثقة العلامة الحبر ، كان يهودياً فأسلم ، وحسن إسلامه ، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة الصديق ، وقيل : في خلافة عمر ، وقد قدم المدينة أيام عمر بن الخطاب ﷺ ، وجالس أصحاب النبي ﷺ ، وأخذ عنهم ، وأخذوا عنه بعض ما جاء في الكتب السماوية السابقة .
قال عنه الذهبي في السير (٣ / ٤٩٠) : «وكان خبيراً بكتب اليهود ، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة » . وقد كانت وفاته - رحمه الله - بحمص وهو ذاهب للغزو في أواخر خلافة عثمان ﷺ .
انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٤٣٤) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ٤٨٩ - ٤٩٤) ، والتقريب لابن حجر (٤٦١) .

معنى قول معاوية رضي الله عنه في كعب الأحبار

أصدق هؤلاء المحدِّثين الذين يُحَدِّثون عن [أهل] (1) الكتاب ، وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » . (2)

قوله : « عن [أهل] (3) الكتاب » : أي القديم ، فيشمل التوراة والصحف .

وقوله : « لنبلو » أي نختبر .

[17 ب/م] وقوله : « عليه / الكذب » أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به . (4)

قال ابن التين (5) : « وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور : بدّلَ من قبله (6) ، فوقع في الكذب » . / [23ب/ س]

قال : « والمراد بالمحدِّثين أنظار كعب ، ممَّن كان من أهل الكتاب وأسلم ، فكان يُحدِّث عنهم ، وكذا مَن نظر في كتبهم ، فحدَّث عمَّا فيها » . (7)

---

(1) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق وهي كما في الصحيح، وهي غير موجودة في (م) و (س) .

(2) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » (13 / 333 - رقم 7361) .

(3) ما بين المعقوفتين غير موجودة في(م) و (س) وهي زيادة يقتضيها السياق ، وهو الموجود أيضاً في الأصل المنقول منه وهو فتح الباري .

(4) في (س) : « بخلاف ما نخبر ما به » .

(5) هو عبد الواحد بن التين السفاقسي المغربي المالكي الإمام المحدث الراوية المفسر ، له شرح على صحيح الإمام البخاري ، توفي - رحمه الله - سنة (611 هـ).
انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (1 / 546) ، وهدية العارفين للبغدادي (5 / 635) ، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف (ص : 168) .

(6) في (س) : « قبل » ، وانظر : (ص : 338) .

(7) فتح الباري (13 / 334) .
قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح (13 / 334 - 335) حول قول معاوية رضي الله عنه هذا في كعب - رحمه الله - : « قال ابن حبان في " كتاب الثقات " : أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به ، ولم يرد أنه كان كذاباً ، وقال غيره : الضمير في قوله : « لنبلو عليه » للكتاب لا لكعب ،
==

قال الشيخ نور الدين : « تأمَّل هذا الكلام ، فإن فيه تصريحاً بأن كعب الأحبار قد وقع له التحديث بالمبدَّل ، وعذره ما قال ابن عباس [(١)] – رضي الله عنهما – ، ومع ذلك فلم تزل الصحابة – رضي الله عنهم – يطلبون منه أن يحدِّثهم مع ما ظهر لهم ممّا هو مذكور هنا [(٢)] ، هذا على أن شيخنا – حفظه الله تعالى – قد وقعت له موافقة ذلك ، فإن شخصاً من حُذَّاقِهم [(٣)] وهو صهر [(٤)] لبعض المشنِّعين أسلم وهو يحفظ التوراة إلى الآن ، وله خِبْرَة – زعم [(٥)] – بالمبدَّل من غيره ، فهو يميِّز [(٦)] ذلك من ذلك ، مع أن في تصديق كتاب الله وتكذيبه لما ينقل عنهم غنى عن ذلك ، فإنَّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » انتهى .

قال [(٧)] ابن التين : « ولعلَّهم كانوا مثل كعب ، إلاَّ أنَّ كعباً كان أشدَّ منهم بصيرةً وأعرف بما يتوقَّاه » .

= = وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بَدَّلوه وحَرَّفوه ، وقال عياض : يصح عوده على الكتاب ، ويصح عوده على كعب وعلى حديثه ، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب ، وقال ابن الجوزي : المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً لا أنه يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار » .

(١) انظر : (ص : ٣٣٨) .

(٢) قال الذهبي – رحمه الله – عند ترجمته لكعب في سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٩٠) : « حدث عنه : أبو هريرة، ومعاوية، وابن عباس، وذلك من قبيل رواية الصحابي عن التابعي ، وهو نادر عزيز » .

(٣) أي اليهود .

(٤) في (س) : « ظهر » .

(٥) قال صاحب اللسان عن الزعم (١٢ / ٢٦٤) : « قيل : هو القول يكون حقاً ويكون باطلاً » .

(٦) في (س) : « يمين » .

(٧) عاد المصنِّف – رحمه الله – للنقل من فتح الباري مرة أخرى .

وحديث أبي هريرة عنه [1] ، يعني في الصحيح : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال النبي ﷺ : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم** » . و ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ ﴾ [2] الآية [3] تقدم في تفسير سورة البقرة . [4]

معنى قول النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » .

وقال شيخنا هناك : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم** » ، أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لِئَلاَّ يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذِّبوه [5] ، أو كذباً فتصدِّقوه [6] ، فتقعوا في الحرج ، ولم يُرِد النهيَ عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا [7] بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نَبَّه على ذلك الشافعي [8] - رحمه الله - ، ويؤخذ من هذا الحديث التوقُّفُ عن الخوض في المشكلات ، والجزمِ فيها بما وقع في الظن ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك » . [9]

متى يجوز نقل المبدَّل من الكتب السابقة؟

[٢٤ أ / س]

قال الشيخ / نور الدين : « وما نبه عليه إمامنا الشافعي - رحمه الله - دالٌّ على أنَّه يجوز نقل المبدَّل لردِّه ، فضلاً عن نقل غيره للإلزام به ، أو بيان [10] ما انغلق

---

(١) أي البخاري رحمه الله .
وفي (س) بدل « عنه » جاء : « رضي الله عنه » وهو خطأ .

(٢) سورة البقرة - الآية : ١٣٦ .

(٣) تقدم تخريجه (ص : ٣٢٣) .

(٤) فتح الباري (١٣ / ٣٣٥) .

(٥) في (س) : « فيكذبوه » .

(٦) في (س) هكذا : « فيتصدقوه » .

(٧) في (س) : « عن شرعنا » .

(٨) انظر : الرسالة (ص : ٣٩٧ - ٤٠٠) .
وسيأتي ذكر كلام الشافعي - بإذن الله - في الفصل الثامن (ص : ٥٠٨ - ٥٠٩) .

(٩) فتح الباري (٨ / ١٧٠) ، وانظر : (ص : ٣٢٦) من هذا الكتاب .

(١٠) في (س) : « لبيان » .

ذم التقليد

عليهم منه، أو [1] الاستشهاد لِغَبِيٍّ [2] بحكاية عنه، ومن المعلوم أن شيخنا[3] مُقَلِّدٌ[4] لإمامه غير ملتفت لمن شذ عنه مما لا يصح بوجه مع كونه قادحاً في الأئمة الأعلام».

ثم ساق [5] ما يأتي في الفصل الثامن نقله [6] ، عن نص الشافعي من « **شرح**

---

(١) في (س) : « و » .

(٢) في (س) : « يعني » .

(٣) يقصد البقاعي – رحمه الله – .

(٤) التقليد في اللغة : وضع القلادة في العنق ، ويستعمل في تفويض الأمر إلى الشخص ، كأن الأمر مجعول في عنقه كالقلادة .

وفي الاصطلاح : قبول قول الغير من غير معرفة دليله .

والتقليد منه ما هو مذموم ، ومنه ما هو جائز .

قال ابن القيم –رحمه الله – في أعلام الموقعين (٢ / ١٨٧ – ١٨٨) مختصراً : «ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه إلى ما يحرم القول فيه ، والإفتاء به ، وإلى ما يجب المصير إليه ، وإلى ما يسوغ من غير إيجاب : فأما النوع الأول فهو ثلاثة أنواع : أحدهما : الإعراض عمَّا أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء . الثاني : تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله. الثالث : التقليد بعد قيام الحجة ، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد ، وقد ذم الله سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه . فإن قيل : إنما ذمَّ من قلَّد الكفار وآباءه الذين لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، ولم يذمَّ من قلَّد العلماء المهتدين .

فالجواب : أنه سبحانه ذمَّ من أعرض عمَّا أنزله إلى تقليد الآباء ، وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمِّه وتحريمه ، وأما تقليد مَن بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفِي عليه بعضه ، فقلَّد فيه مَن هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ، ومأجور غير مأزور » .

وانظر في التقليد أيضاً : النبذ في أصول الفقه لابن حزم (ص : ١٤٠) ، وروضة الناظر لابن قدامة (٢ / ٤٤٩) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة قلد (ص : ٥٤٨) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠ / ١٥ – ١٨) ، وأعلام الموقعين لابن القيم (٢ / ١٨٧ – ٢٧٩) ، والواضح في أصول الفقه لمحمد الأشقر (ص : ٢١٣ – ٢١٥) .

(٥) أي الشيخ نور الدين المحلي .

(٦) انظر : (ص : ٥١٠) .

ألفية [1] العراقي » [2] وقال [3] : « يشهد بذلك من له أدنى مطالعة في علم الحديث مع قدرة على فهم ، إذا تقرر / ذلك علم أن من عارض قول إمامنا « أنه لا بأس [١٨ أ / م] بالتحديث » بقوله : « إنَّ ثَمَّ بأساً » غير منظور إليه ولا معلوم به ، فضلاً عن أن يلتفت إليه أو يشتغل به » انتهى .

وقال شيخنا [4] في حديث أبي هريرة ﷺ : « هذا في كتاب الشهادات : الغرض منه هنا النهي عن تصديق أهل الكتاب فيما لا يعرف صدقه من قبل غيرهم » . [5] انتهى ، رجع إلى هذا الباب . [6]

الجمع بين قول النبي ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » وبين قوله : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء »

وقوله : « **لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم** » : لا يعارض حديث الترجمة ، أي وهي : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء** » فإنه نَهيٌ عن السؤال ، وهذا نهيٌ عن التصديق والتكذيب ، فيحمل الثاني على ما إذا بدأهم أهل الكتاب بالخبر ، وقد تقدم توجيه النهي عن التصديق والتكذيب في سورة البقرة - يشير إلى ما تقدَّم أنَّ الشافعي نبَّه عليه [7] - قال : « وأثر ابن العباس [8] - رضي الله عنهما - [9] : كيف

---

(١) في (س) : « الفقيه » .

(٢) وهو : أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الإمام الحافظ ، تلميذ ابن عبد الهادي وابن كثير ، صاحب الألفية والمراسيل ، نظم في السيرة النبوية نظماً في ألف بيت ، ولد بمصر سنة (٧٢٥ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٨٠٦ هـ).
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٥ / ١٧٠) ، والضوء اللامع للسخاوي (٤ / ١٧١) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٥٤٣) .

(٣) أي الشيخ نور الدين .

(٤) أي ابن حجر .

(٥) فتح الباري (٥ / ٢٩٢) .

(٦) أي باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .

(٧) انظر : (ص : ٣٢٦ ، ٣٣٦) من هذا الكتاب .

(٨) في (س) : « وابن ابن عباس » .

(٩) في (س) : « عنه » .

تسألون أهل الكتاب (عن شي ؟ [1] تقدم شرحه في كتاب الشهادات » . [2]

قال هناك : « أهل الكتاب ») [3] : أي من اليهود والنصارى ، و « كتابكم » أي القرآن ، « أحدث الأخبار با لله » ، أي أقربها نزولاً من عند ا لله ، فالحديث بالنسبة [4] إلى المنزل إليهم ، وهو في نفسه قديم [5] . و « لم يُشَبْ » : - بضم أوله وفتح المعجمة - أي يخلط ، ووقع عند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلُّوا** »[6] . [7]

[٢٤ب /س]

وقال في باب ما يجوز من تفسير التوراة / وكتب ا لله : « والحاصل أن الذي بالعربية مثلاً يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس »[8] انتهى .

في القرآن ما لا يحصى من ترجمة أقوال من تقدم من السابقين الصالحين أو الطالحين

وفي القرآن ما لا يحصى من ترجمة أقوال من تقدَّم من الأنبياء - عليهم السلام - وغيرهم من الصالحين والطالحين بالكلام المعجز ، وفيه نسبة الأقوال إليهم ، ومن المعلوم قطعاً أن عبارة كل منهم ما كانت إلا بلسانه » انتهى . [9]

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي ﷺ : «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء »(١٣ / ٣٣٣ - ٣٣٤ رقم ٧٣٦٣) ، والأثر بكامله هو : أن عبد ا لله بن عباس - رضي ا لله عنهما - قال : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول ا لله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب ا لله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند ا لله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا وا لله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم » .

(٢) فتح الباري (١٣ / ٣٣٥) .

(٣) ما بين القوسين ساقطٌ من (س) .

(٤) في(س) : «فالنسبة » .

(٥) انظر : ص (٢٣٢ - ٢٣٣) .

(٦) مسند الإمام أحمد (٣ / ٣٣٨) ، وقد تقدم تخريجه فانظر (ص : ٣٢٩) .

(٧) فتح الباري (٥ / ٢٩٢) .

(٨) فتح الباري (١٣ / ٥١٦) .

(٩) لعل الكلام الذي انتهى هو كلام نور الدين المحلي - وا لله أعلم ، وانظر في معنى هذا الكلام أيضاً :

==

هذا ما نقله الأئمة عن الشافعي وغيره ، من شرح ما لعلّه يخالف ما [1] سقته من الأدلة [2] على سُنِّيَّة النقل لما يؤيد شرعنا ، أو يكـون فيـه عـبرة وعظـة ، ولا يخـالف الشريعة وردّه إليه ، وقد علم منه أنَّ ما رده كتابنا ، جاز ردّه ، بل حُتِّم ، ومـا قَبِلـه جاز قبوله ، بل لَزِم .

توجيه أقوال أئمة الشافعية فيما يظن أنه مخالف لما ذهب إليه المصنّف

وأما ما قاله الشافعية في كتب الفقه تبعاً لإمامهم ، فمن ظنَّ أنَّه مخـالف لذلـك ، فداؤه عَيَاء ، ومرضه لا ينفع فيه الدواء ، ولا يقع ذلك إلاَّ لمن لم [3] ترسخ [4] قدمـه في الفقه ولا أحكمه التحنيك [5] بملازمة المشايخ .

قال الإمام أبو القاسم الرافعي [6] في « **شرحه** » : « وكتب التوراة والإنجيل مما لا يَحِلُّ الانتفاع به ، لأنهم بدَّلوا وغيَّروا » [7] ، وكذا قال غيره من الأصحاب .

==

فتح الباري (١٣ / ٥١٧) .

(١) في(س) : « منا » .

(٢) انظر : الفصلين الثالث والرابع .

(٣) قوله : « لم » ساقط من(س) .

(٤) في(س) : « يرسخ » .

(٥) المقصود بالتحنيك هنا : الفهم ، ويقال : حنكت الشيء : فهمته وأحكمته .
انظر : لسان العرب لابن منظور مادة حنـك (١٠ / ٤١٧) ، والقـاموس المحيـط للفيروزآبـادي ، فصل الحاء ، باب الكاف (٣ / ٣٠٠) .

(٦) هو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضـل القزويـني الشـافعي الرافعـي ، الإمـام العلامـة ، فقيـه الشـافعية وإمـامهم في عصـره ، ينسـب إلى رافـع بـن خديـج الصحـابي ﷺ ، ولـه مصنفات وآثار عديدة منها : التدوين في ذكر أخبار قزوين ، وفتح العزيز في شرح الوجيز للغـزالي، وشرح مسند الشافعي ، ولد سنة ٥٥٧ هـ ، وتوفي – رحمه الله – سنة (٦٢٣ هـ) .
انظـر : طبقـات الشــافعية للأســنوي (١ / ٥٧١) ، وطبقــات الشــافعية لابــن قــاضي شــهبة (١/ ٤٠٧) ، والأعلام للزركلي (٤ / ٥٥) .

(٧) فتح العزيز شرح الوجيز (١١ / ٤٢٣) .

وهو مخصوص بما عُلم تبديله ، بدليل أن كلَّ مَن قال ذلك علَّل بالتبديل ، فدار الحكم معه . قال ابن الرفعة [1] في « **الكفاية** » [2] : « لا يحل للمسلمين تموُّلها كما قاله البندنيجي [3] ولا حرمة لها لتبديلها ، فوجب [4] إتلافها كالخمور ، وكذا كتب السحر [5] وما لا منفعة فيه ، كما قاله

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع الأنصاري المصري الشافعي الشهير بابن الرفعة ، حامل لواء الشافعية في عصره ، له آثار وتصانيف عدة ، منها : شرح التنبيه المسمى بالكفاية ، وشرح الوسيط المسمى بالمطلب ، والنفائس في هدم الكنائس ، ولد بمصر سنة (٦٤٥ هـ) ، وتوفي بها سنة (٧١٠ هـ) .
انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٦٠١) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٦٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٤١) .

(٢) في(س) : « الكتابة » .

(٣) هو القاضي أبو علي الحسن بن عبيد الله ، وقيل عبد الله البندنيجي الشافعي ، الفقيه صاحب الجامع والذخيرة ، توفي ببندنيج سنة (٤٢٥ هـ) .
وبندنيج : هذه بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٤٩٩) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ١٩٣)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٥٥٩) .

(٤) في(س) : « وجب » .

(٥) السحر في اللغة : كل ما دق ولطف ، وخفي سببه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الأعراف : الآية : ١١٦] .
أما في الاصطلاح فهو : عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان ، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه ، قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة الآية ١٠٢] ، وعرفه بعضهم بقوله : هو المخادعة أو التأثير في عالم العناصر ، بمقتضى القدرة المحدودة ، بمعين من الجن أو بأدوية ، أثر استعدادات لدى الساحر .
وتعلُّمه كفر يخرج عن الملة ، وذلك لأنه لا يتم إلا بالاستعانة بالشياطين والعبودية لهم .
ووقوعه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .
قال تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ الآية [سورة البقرة – الآية : ١٠٢] .
وروى البخاري في صحيحه – كتاب الطب – باب السحر (١٠ / ٢٢١ رقم ٥٧٦٣) ، عن ==

أبو الطيب [1] ، وكتب الهجو [2] كما قاله القاضي الحسين . [3]

ثم ذكر كيفية إتلافها « وأنها بالغَسل ، إن كان الوعاء ينقع وإلاّ أُحْرِقت » ، ثم قال : « وعن « **البحر** » إن التوراة والإنجيل لا يحرقان على الصحيح لما فيهما من اسم الله تعالى » [4] انتهى .

فهذا يدل (على أن ما كان) [5] من أبواب الكتاب لا مكروه فيه لا يحل

==

عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت: « سَحرَ رسولَ الله ﷺ رجل من بني زريق يقال لـه : لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله... » الحديث.
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة سحر (ص : ٢٢٨) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة سحر (٢ / ١٠٦) ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص : ٣١٤) ، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص : ٦٠ - ٦١) ، وعلم التوحيد لعبد العزيز الربيعة (ص: ١٢٣) ، وفتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين لعبد الله الطيار وسامي المبارك (ص: ١٧٠- ١٧٩) .

(١) هو أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري الشافعي ، الإمام الفقيه الأصولي ، فقيه بغداد وقاضيها ، له عدة آثار وتصانيف منها : شرح مختصر المزني ، وشرح فروع ابن الحداد ، وكتاب المجرد ، ولد بآمل سنة (٣٤٨ هـ) ، وتوفي ببغداد سنة (٤٥٠ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧ / ٦٦٨ - ٦٧١) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ١٥٧) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ١٢) .

(٢) في(س) : « النحو » .

(٣) في(س) « حسين » .
وهو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المرُّوذي - ويقال له أيضاً : المرورُّوذي - الشافعي القاضي العلامة ، شيخ الشافعية بخراسان ، له عدة آثار وتصانيف منها : شرح على فروع ابن الحداد ، وأسرار الفقه ، والتعليق الكبير ، توفي سنة (٤٦٢ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٢ / ٤٠٧) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٢٦٠ - ٢٦٢) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٤٠٧) .

(٤) كفاية النبيه (ج ٦ / قسم ٤ / ق ٢٠٤ ب) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من(س) .

إتلافه ، كما أن كتاب الهجو لو كان في أثنائه مدح ما حلَّ إتلافه [لخروجه عن العلة] [1] ، وكذا لو انقلبت الخمر قبل إتلافها خَلاًّ لزوال العلة [2] . ونص / الشافعي / ظاهر في ذلك .

[٢٥ أ / س] [١٨ب / م]

قال المزني [3] عنه في « **مختصره** » في جامع السير : « وما كان من كتبهم ، أي الكفار فيه طبٌّ ، وما لا مكروه فيه بِيع ، وما كان فيه شركٌ [4] أُبطل وانتفع

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في(س) .

(٢) أجمع أهل العلم – رحمهم الله – على أن الخمر إذا تخللت من ذاتها طهرت وجاز أكلها ، واختلفوا فيما إذا قُصِدَ تخليلها على ثلاثة أقوال : التحريم والكراهة والإباحة .
فالتحريم هو الصحيح في مذهب مالك والشافعي وأحمد ، والكراهية هي قول عند مالك ، والإباحة هي مذهب أبي حنيفة ، وهو قول مرجوح عند الشافعية ، وهو قول عند الحنابلة أيضاً ، حكاه أبو الخطاب عنهم .
انظر : بداية المجتهد لابن رشد (٧ / ٥٥٤) ، والمغني لابن قدامة (١٢ / ٥١٧ – ٥١٨) ، وشرح النووي على مسلم (١٣ / ١٥٢) ، وفتح القدير لابن الهمام (١٠ / ١٠٦ – ١٠٧) ، ونيل الأوطار للشوكاني (١٠ / ١١٩) .

(٣) هو : أبو إبراهيم إسماعيل بن عمر بن مسلم المزني المصري ، الإمام الزاهد ، أفقه أصحاب الشافعي، صاحب التصانيف والآثار والتي منها : الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، ومختصر المختصر ، ولد سنة (١٧٥ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – بمصر سنة (٢٦٤ هـ) .
انظر : الفهرست لابن النديم (٢٩٨) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٢١٧ – ٢١٩) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٣٤) .

(٤) الشرك هو صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى ، أو هو مساواة غير الله بالله في العبادة ، ويكون في الاعتقاد والقول والعمل .
وينقسم الشرك إلى قسمين : أكبر وأصغر .
فأما الأكبر : فهو أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله كالصلاة ، والذبح ، والنذر والاستغاثة ، وغير ذلك من العبادات ، وهذا النوع من الشرك مخرج من الملة .
وأما الأصغر فهو كل ما كان ذريعة إلى الأكبر ، ووسيلة للوقوع فيه ، ونهى عنه الشرع ، وسماه شركاً ، وهو غير مخرج من الملة ، وهو من أكبر الكبائر ، ومثاله : كيسير الرياء وقول القائل : ما
==

بأوعيته »[1] .

وقال في « **الأم** » في سير الواقدي في باب ترجمته [2] كتب الأعاجم : « قال الشافعي : وما وجد من كتبهم فهو مغنم كله ، وينبغي للإمام أن يدعو من يترجمه ، فإن كان علماً من طبٍّ أو غيره لا مكروه فيه باعه ، كما يبيع ما سواه من المغانم ، وإن كان كتاب شرك شقُّوا الكتاب ، فانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ، ولا وجه لتحريقه [3] ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو »[4] انتهى .

فقوله في « **الأم** » : « كتاب شرك » مفهم لأنه كله [5] شرك ، ولهذا عبر المزني عن ذلك بقوله : « وما كان [6] فيه شرك » ، أي من أبواب الكتاب وفصوله ، ويوضِّح هذا جداً قول الرافعي في « **شرح قول الوجيز** » في باب الأحداث [7] : « ويجب إهلاك كتبهم التي لا يحلُّ الانتفاع بها ، وفي جواز استصحابها لفائدة تَعَرُّفِ

==

شاء الله وشئت ، وكذا التوسل إلى الله تعالى بجاه أحد الأنبياء أو الصالحين .

انظر : مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٣٣٩ - ٣٤٧) ، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله (ص : ٤٥) ، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني (ص : ١١٦) ، وفتح المجيد في شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن (ص : ٨٤) ، والعقيدة في صفحات لمن أراد الجنات لأبي بكر الحنبلي (ص : ٣٩ - ٤٦) ، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله لخالد بن عبد اللطيف (١ / ٩٣ - ٩٥) .

(١) مختصر المزني (٥ / ١٨٤ - مع الأم) .

(٢) في(س) : « ترجمة » .

(٣) في(س) : « لتحريفه » .

(٤) الأم (٤ / ١٧٩) .

(٥) في(س) : « كلمة » .

(٦) قوله « كان » ساقط من(س) .

(٧) لم أجد قول الرافعي هذا في باب الأحداث كما ذكر المصنِّف ، إنما وجدته في كتاب السير .

مذاهبهم خلاف . قال الإمام [1] : « وقد يخطر للفطِن أنَّ كتب الشرك يُنتفَع بها على معنى أن الحاجة تمس إلى الاطلاع على مذاهب المبطلين ليوجِّه [2] الرد عليها ، فإن كانت تلك المقالات مشهورة ، فالرأي إبطالها وإن كان فيها ما لم يتقدَّم الاطلاع عليه ، ففي جواز استصحابه ، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام [3] في السير من « **مختصر النهاية** » : « لِتُعْرَفَ مقالتهم ويُرَدَّ عليهم [4] تردُّدٌ واحتمال [5]

---

(١) أي الغزالي .

(٢) في(س) : « لتوجه » .

(٣) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الشافعي الإمام العلامة عالم عصره ، لقبه ابن دقيق العيد بسلطان العلماء ، وله عدة آثار وتصانيف منها : قواعد الشريعة ، والفرق بين الإيمان والإسلام ، والغاية في اختصار النهاية ، ولد بدمشق سنة (٥٧٧ هـ) وقيل : (٥٧٨ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - بمصر سنة (٦٦٠ هـ) .
انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ١٩٧) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٧ / ٥٢٢) ، والأعلام للزركلي (٤ / ٢١) .

(٤) من قوله : « قال الشيخ عز الدين » إلى هنا ليس من كلام الرافعي وإنما هو من إضافة المؤلف ، فقد أضاف كلام العز هذا المناسب لكلام الرافعي في الحاشية بعد أن وضع إشارة اللحق بعد قول الرافعي : « ففي جواز استصحابه » ، ويؤيد ما ذكرتُه أمران : أولهما : عدم وجود كلام العز هذا في فتح العزيز ، وثانيهما : أن الرافعي توفي قبل العز بأكثر من ثلاثين عاماً ، فقد كانت وفاة الأول سنة (٦٢٣ هـ) والثاني سنة (٦٦٠ هـ) .
وكتاب الغاية في اختصار النهاية يوجد جزء منه يتعلق بالشهادات إلى الرق بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (٢٣٥) .

(٥) قال أبو البقاء الجعفري - رحمه الله - في تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (ص : ٢٣) : «وقد ذكر الفقهاء تردداً في جواز استصحاب هذه الكتب للوقوف عليها وتوجيه الرد إليها ، وبالجملة فالأعمال بالنيات ، وإنما لامرئ ما نوى ، والحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها خطبها ، ومطية تنسج سواء السبيل بمن ركبها ، وربنا المسؤول أن يصحح منا المقاصد ، ويبعث رائد التوفيق فيقف لنا بالمراصد » .

بيّن » .[1] انتهى

وقال الغزالي في السير من « **بسيطه** » : « ومما يتلف كتُبُهم المشتملة على الكفر والهجو [2] وما [3] يحرم الانتفاع به ، فيبطل ذلك [وتُرَد] [4] الجلود إلى المغانم ، وإن كانت يستفاد منها تفصيلُ مذَاهبهم الباطلة ، ويستعان به في الردِّ عليهم ، ففي الاستصحاب لمثل هذا الغرض تَرَدُّدٌ واحتمال » [5] ، وأدلّ من ذلك قولهم في باب الأحداث[6] / : إنَّ حكمها [7] في الاحترام بالإكرام بتنزيهها [8] عن مس المحدث [9] لها كاحترام القرآن بلا خلاف ، لكن هل تلحق بما لم ينسخ منه ليحرم المس [10] أم[11] بما نسخ ليكره ، رجَّحوا أنَّ [12] حكمها في ذلك حكم ما نسخت تلاوته من

[٢٥ب/ س]

حكم مس المحدث للتوراة والإنجيل

---

(١) فتح العزيز شرح الوجيز (١١ / ٤٢١ ، ٤٢٣) .

(٢) في(س) هكذا : « الحجود » .

(٣) في(س) : « ما » .

(٤) في(م) : « ويرد » ، والصواب ما أثبته وهو كما في(س) .

(٥) البسيط (ج ٥ / ق ١٦٢ ب) .

(٦) في(س) : « في الباب المذكور » .

(٧) في(س) : « حكمنا » .

(٨) في(س) هكذا : « بالإكترام تنزيهها » .

(٩) في(س) : « المصحف » .

(١٠) ذهب جماهير أهل العلم من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة إلى أنه لا يجوز للمحدث مس المصحف . وذهب أهل الظاهر إلى جواز ذلك .

انظر : الأوسط لابن المنذر (٢ / ١٠١ - ١٠٤) ، واللباب لأبي الحسن أحمد بن محمد المحاملي (ص : ٦٩) ، والمحلى لابن حزم (١ / ٧٧ - ٨٤) ، وبداية المجتهد لابن رشد (١ / ٥٨) ، والمغني لابن قدامة (١ / ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(١١) قوله : « أم » ساقط من(س) .

(١٢) قوله : « أن » ساقط من(س) .

القرآن في أصح الوجهين، وهذا الحكم مذكور في « **الروضة** »[1] و « **الشرحين** »[2] و « **الكفاية** »[3] و « **مختصرها** »[4] و « **البهجة نظم الحاوي** »[5] وغير ذلك من كتب المذهب ، والتعبير بالأصح على ما اصطلحوا عليه ، يدلُّ على أنَّ الوجه القائل بحرمة مس المحدث لها قويّ .

وعبارة محرِّر المذهب : الشيخ محيي الدين النووي - رحمه الله - في مسائل ألحقها في آخر باب الأحداث من « **شرح المهذب** » : الثالثة : يجوز للمحدث مس[6] التوراة والإنجيل وحملهما ، كذا قطع به الجمهور ، وذكر الماوردي[7] والروياني[8]

---

(١) انظر : روضة الطالبين للنووي (١ / ٨٠) .

(٢) وهما: فتح العزيز شرح الوجيز للرافعي (١/١٧٦) ، والمجموع شرح المهذب للنووي (٢/٧٠) .

(٣) لم أقف على هذا الحكم بعينه في هذا الكتاب ، ولعل السبب في ذلك يعود لوجود بعض السقط في كتاب الطهارة من نسخة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ذات الرقم (٣٤٨) .
وانظر في الكلام عن مس المصحف (ج ١ / ق ٣٠ أ ، ق ٣١ أ ، ق ٦١ أ) .

(٤) لم أقف عليه ، وهو لأحمد بن لؤلؤ المشهور بابن النقيب . انظر : كشف الظنون (٢/ ١٤٩٨) .

(٥) بهجة الحاوي لعمر بن الوردي (ص : ٩) .

(٦) في(س) : « من » .

(٧) هو : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي ، من كبار الشافعية ، وقاضي بغداد ، له عدة مصنفات وآثار في الفقه والأصول والتفسير والأدب ، ومنها : الأحكام السلطانية ، والحاوي ، والإقناع ، ولد سنة (٣٦٤ هـ) ، وتوفي سنة (٤٥٠ هـ) .
انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢ / ١٠٢ - ١٠٣) ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥ / ٢٦٧ - ٢٨٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٦٤ - ٦٨) .

(٨) هو : أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن محمد الروياني الطبري ، الشافعي القاضي العلامة شيخ الشافعية في عصره ، أصله من رويان من نواحي طبرستان ، صاحب البحر المذهب الذي يعد من أطول كتب الشافعية ، وصاحب الكافي، وحلية المؤمن ، ولد ببخارى سنة (٤١٥ هـ) وتوفي بآمل سنة (٥٠٢ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩ / ٢٦٠) وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٥٦٥) ،
==

فيه وجهين : أحدهما : لا يجوز . والثاني : قالا وهو قول جمهور أصحابنا : يجوز لأنها مبدَّلة منسوخة . قال المتولي [1] : « فإن ظنَّ أنَّ فيها شيئاً غير مبدَّل كره مسه ، ولا يحرم »[2] انتهى .

ولاشك أن كراهة مس المحدث لها للاحترام ، والاحترام فرع جواز الإبقاء والانتفاع بالقراءة والسماع ، وأصرح من ذلك كله قول الشافعي – رحمه الله – : « إن ما لا مكروه فيه يباع » [3] ، وكذا قول / البغوي في « **تهذيبه** » في آخر باب الوضوء : « وكذلك لو تكلم – أي الجنب – بكلمة توافق نظم القرآن ، أو قرأ آية نسخت قراءتها أو قرأ التوراة والإنجيل أو ذكر الله سبحانه [وتعالى] [4] ، أو صلى[5] على النبي ﷺ ، فجائز . [6] قالت عائشة – رضي الله عنها – : " كان

[١٩ أ / م]

ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٣٣٢) .

(١) هو : أبو سعيد عبد الرحمن بن مأمون بن علي بن محمد المُتَوَلِّي النيسابوري الشافعي ، أحد كبار الشافعية ، كان جامعاً بين العلم والدين ، تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد ، له عدة آثار منها : تتمة كتاب الإبانة للفُوراني ، وكتاب آخر في أصول الدين ، ولد بنيسابور سنة (٤٢٧ هـ) وقيل : (٤٢٦ هـ) ، وتوفي ببغداد سنة (٤٧٨ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ١٣٣ – ١٣٤) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٥٨٥ – ٥٨٦) و (١٩ / ١٨٧) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (١ / ٣٠٥ – ٣٠٦) .

(٢) المجموع شرح المهذب (٢ / ٧٢) .

(٣) الأم للشافعي (٤ / ١٧٦) .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من(س) .

(٥) في(س) : «وصلى الله »وهو خطأ .

(٦) انظر : بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٥٩ – ٦٠) ، والمغني لابن قدامة (١ / ٢٠٤) ، وروضة الطالبين للنووي (١ / ٨٠) ، وفتح الباري لابن حجر (١ / ٤٠٨) .

النبي ﷺ يذكر الله على كلِّ أحيانه " [(١)] » . [(٢)]

فإنه لا يتخيَّل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للمحدث ، بل كل ما جاز للجنب قراءته ، جاز للمحدث ولا عكس ، وتعليله لذلك بحديث عائشة - رضي الله عنها - / دالٌّ على أنَّ ذلك ذِكْرٌ لله[(٣)] تعالى ، وكذا ما قالوه في باب الأيمان . [٢٦ أ / س]

قال في « **الروضة** » : « فيما إذا حلف [(٤)] لا يتكلم . قلت : قال القفال [(٥)] في « **شرح التلخيص** » : لو قرأ التوراة الموجودة اليوم [(٦)] لم يحنث [(٧)] ، لأنَّا نشكُّ في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً - كتاب الحيض - باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (١ / ٤٠٧) ، ومسلم في صحيحه موصولاً - كتاب الحيض - باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها (١ / ٢٣٦ رقم ٣٧٣) .

(٢) التهذيب في فقه الإمام الشافعي (ص : ١٦٣ - ١٦٤) .

(٣) في(س) : « الله » .

(٤) في(س) : « خلف » .

(٥) هو : أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله المروزي الشافعي ، المشهور بالقفال الصغير ، الإمام الفقيه وشيخ الخراسانيين في زمانه ، له عدة تصانيف وآثار منها : شرح التلخيص وشرح الفروع ، والفتاوى ، ولد سنة (٣٢٧ هـ) ، وتوفي بمرو سنة (٤١٧ هـ) .
انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٢٩٨) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ١٨٦) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٢٢٥) .
فائدة :
هناك عالمان مشهوران من علماء الشافعية كلاهما يعرف بالقفال ، أحدهما صاحبنا هذا ، وأما الآخر فهو القفال الكبير أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي ت (٣٦٥ هـ) .
قال ابن العماد في شذرات الذهب (٥ / ٨٧) بعد أن ذكر أن القفال المروزي إمام الخراسانيين : « كما أن القفال الكبير الشاشي شيخ طريقة العراقيين ، لكن المروزي أكثر ذكراً في كتب الفقه ، ويذكر مطلقاً ، وإذا ذكر الكبير قيد بالشاشي » .

(٦) قوله : « اليوم » ساقط من(س) .

(٧) في(س) : « يحبب » .

الذي قرأه هل هو مبدَّل أم لا ؟ وا لله أعلم » . [1]

علة منع أهل الذمة من رفع أصواتهم عند قراءتهم للتوراة والإنجيل

وأما قولهم في الهدنة : إنَّ عليهم أن لا يظهروا منكراً ، مثل إسماع المسلمين قراءة كتابهم التوراة والإنجيل [2] ، فعِلَّته إنَّ في ذلك إشعاراً بعلوِّ دينهم [3] . وأما قولهم في الوصية : إنها لا تجوز بمعصية مثل كتب التوراة والإنجيل ، أو قراءتهما [4] ، فالمراد به كتابتهما على ما هما عليه ، وقراءتهما كذلك [5] ، فإنَّ من المعلوم أنَّ فيهما المبدَّل وكتابتهما وقراءتهما كذلك [6] إقرار بجميع ما فيهما ، أو تسليط على الإقرار به ، ويدلُّ عليه تعبير البغوي في « **تهذيبه** » بقوله : « وإن أصاب التوراة والإنجيل الذي في أيديهم ، لم يجز تركه على حاله ، لأنه مبدَّل لا حرمة له » [7] انتهى .

وأما إذا عقَّب الصحيح بما يليق به من بيان مصادقته للقرآن ، وتأيده به [8] ، والمبدَّلَ ببيان فساده بتكذيب القرآن له ، فليس بداخل في ذلك ، فإنَّه ليس إبقاء له على حاله ، وعلى هذا دلَّ كلام الشافعي كما يأتي عنه في الفصل السابع [9] حيث قال : « ولو أوصى أن يكتب بثلثه الإنجيل والتوراة [10] يدرس ، لم تجز الوصية لأنَّ

---

(١) روضة الطالبين للنووي (١١ / ٦٥) .

(٢) انظر : المجموع شرح المهذب للنووي (١٩ / ٤١٢) .

(٣) قال ابن القيم – رحمه الله – في أحكام أهل الذمة (٢ / ٧١٩) ، في منع النصارى من رفع أصواتهم في الصلاة والقراءة : «لما كان ذلك من شعار الكفر منعوا من إظهاره » .

(٤) انظر : روضة الطالبين للنووي (٦ / ٣١٥) .

(٥) في(س) : «لذلك » .

(٦) في(س) : «لذلك » .

(٧) التهذيب في فقه الإمام الشافعي (٥ / ١٧٩) .

(٨) قوله : « به » ساقط من (س) .

(٩) انظر : (ص : ٤٨٢) .

(١٠) في(س) : «التوراة والإنجيل » .

الله عز وجل قد ذكر تبديلهم منها » . [1]

فتأمل [2] تقييده بقوله : « يدرس » يتّضح لك ذلك [3] ، ولا يجوز طرد هذا في تفاصيل [4] الكتابين لئلا يضيع تعليل الإمام - رحمه الله - بالتبديل ولا حمل المنع المذكور في باب السِّير وغيره على العموم ، لئلا يتناقض مع إطلاقهم القول في باب الأحداث بالاحترام ، ولا قولهم بالاحترام على العموم لئلا يناقض ما قالوه في باب / [٢٦ب/ س] السِّير من إطلاق المنع ، بل إطلاقهم في كلٍّ من البابين مُقيَّد بما في الآخر ، فإطلاقهم الجوازَ في باب الأحداث مخصوص بما لم يُبَدَّل [5] وإطلاقهم المنعَ في باب السِّيَر وغيره محمول على المبدل ، وعليه يتنزل إطباقهم على النقل منها من غير نكير ، وإلا ناقضت أقوالُهم أفعالَهم ، وحاشاهم من ذلك ، وقول « **الروضة** » : « وإنما نُقِرُّهَا [6] في أيديهم كما نُقِرُّ [7] الخمر » [8] ، معناه أنَّا [9] إذا ظفرنا بها أتلفنا ما كان مبدَّلاً ، ولم نتركه على حاله [10] كما كان وهو بأيديهم كالخمر ما دامت خمراً ، ويزيد ذلك عندك وضوحاً ملاحظة ما نقل عن القاضي الحسين : « أنه يجوز الاستنجاء بهما » [11] لأنه مبني على القول القائل بأن الكل مبدل وهو ضعيف ، كما

قول القاضي حسين في الاستنجاء بالتوراة والإنجيل ، والرد عليه

(١) الأم (٤ / ١٣٢) .
(٢) في(س) : «لتأمل » .
(٣) في(س) : « ذاك » .
(٤) في(س) : « تفضيل » .
(٥) في(س) : « يدل » .
(٦) في(س) : « يقرها » .
(٧) في(س) : « يقر » .
(٨) روضة الطالبين (١٠ / ٢٥٩) .
(٩) في(س) : « أنما » .
(١٠) في(س) هكذا « معاله » .
(١١) ونص عبارته كما في كتابه التعليقة (١ / ٣١٨ - ٣١٩) : «ولا خلاف في جواز الاستنجاء بالأوراق التي يكتب عليها التوراة » .

==

يأتي [1] ، أو محمول على المبدَّل منهما ؛ لأنه لا يخفى على أحد أن مسلماً [2] فضلاً عن عالم لا يقول إنه يُستَنجى بنحو ما فيها من نحو : « قال الله : جميع هذه [3] الآيات كلها ، أنا الرب إلهك الذي أصعدتك من أرض مصر من العبودية والرق ، لا يكونَّن لك آلهة غيري ، لا تعملنَّ شيئاً من الأصنام [4] والتماثيل [5] التي مما في السماء

==

قلت : قول القاضي الحسين هذا لا يسلم له ألبتة ، حتى مع حمله على المبدل ، فإن في المبدل ذكر اسم الله ، واسم ملائكته ، وأنبيائه ، وأشياء كثيرة محترمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الجواب الصحيح (٢ / ٤٢٠) في هذه المقولة : «ومن هؤلاء من يسرف حتى يقول : إنه لا حرمة لشيء منها ، بل يجوز الاستنجاء بهما » .

وقال أيضاً (٢ / ٤٤٨) : «كما في بعض المتأخرين من يجوز الاستنجاء بكل ما في العالم من نسخ التوراة والإنجيل ، فليست هذه الأقوال ونحوها من أقوال سلف الأمة وأئمتها » .

(١) انظر : الفصل السابع (ص : ٤٨٠ - ٤٨١) .

(٢) في(س) : « سلماً » .

(٣) قوله : « هذه » ساقط من(س) .

(٤) الأصنام جمع صنم، وهو ما اتخذ إلهاً من دون الله، وقد نحت من خشب أو صيغ من فضة أو نحاس. واختلف في الفرق بينه وبين الوثن ، قال بعض أهل العلم : لا فرق بينهما ، وقال بعضهم : بل يوجد فرق وهو أن الصنم ما كان منحوتاً على صورة ، أو جسم ، وما لم يكن له جسم ، أو صورة فهو الوثن ، وقيل إن الوثن ما كان له جثة من خشب ، أو حجر ، أو فضة ، كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد ، والصنم الصورة بلا جثة .

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ / ١٥٦) ، (٥ / ١٥١) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة صنم (ص : ٣٧١) ، ومادة وثن (ص : ٧٠٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة صنم (١٢ / ٣٤٩) ، ومادة وثن (١٣ / ٤٤٢ - ٤٤٣) ، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله آل الشيخ (ص : ١١٧) ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص : ٨١) .

(٥) التماثيل : جمع تمثال وهو الصورة ، قال القرطبي في تفسيره (١١ / ١٩٦) : « التمثال هو اسم موضوع للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالى ، يقال : مثلت الشيء بالشيء أي شبهته به ، واسم ذلك الممثل تمثال .

==

فوق ، وفي الأرض تحت ، ومما في الماء أسفل الأرض ، لا تسجدنَّ لها ولا تعبدنَّها ، لأني أنا الربُّ إلهك ، لا تقسم بالرب إلهك كذباً ، لأن الرب لا يُزَكِّي من حلف باسمه كذباً ، أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض التي يعطيكها / الربُّ إلهك ، لا تقتل ، لا تَزْنِ، لا تسرق، لا تشهد [بعذق][1] على صاحبك شهادة زور » .[2]

[١٨ب/ م]

فوائد ذكر ما لا مكروه فيه من الكتب القديمة

هذا آخر ما أردت ذكره من الدليل على سنية إطلاق ذكر ما لا مكروه فيه من الكتب القديمة ، للرد على أهلها به ، أو التنبيه على مصادقته لكتابنا وإلزامهم به ، ونحو ذلك من الفوائد التي لا تخفى [3] على منصف [4] ، مثل ظهور إعجاز القرآن / ظهوراً بيّناً للذكي والغبي ، فإنه كما قيل : **وبضدها تتبيَّن الأشياء** . [5]

[٢٧ أ / س]

لا يحل ذكر المبدَّل إلا مقرونا ببيان تبديله

وأما المبدَّل ، فلا يحلُّ ذكره إلاَّ مقروناً ببيان أنَّه مبدَّل ليحذر منه ، وذلك نحو ما

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٢٩٥) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة مثل (ص : ٦١٥) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة مثل (١١ / ٦١٣ - ٦١٤) .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في(س) .
والعذق بالكسر : هو عرجون النخلة بما فيه من الشماريخ ويجمع على عِذَاق .
والعذق بالفتح هو النخلة بحملها .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ / ١٩٩) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة عذق (ص : ٤٢١) .

(٢) سفر الخروج - الإصحاح العشرون - الفقرات من (١ - ١٦) .
مع وجود بعض الاختلاف بين ما ذكره المؤلف وبين ما هو موجود في الطبعة التي نقلت عنها من الكتاب المقدس .

(٣) في(س) : « يخفى » .

(٤) في(س) : « مصنف » .

(٥) هذا القول هو الشطر الثاني من بيت المتنبي الذي يقول فيه :

ونَذِيمُهُمْ وبهم عرفنا فضله   وبضدها تتبين الأشياء

انظر : ديوان المتنبي (١ / ٢٢ - مع شرح العكبري) .

قاله الأئمة في الحديث الضعيف والموضوع [1] وا لله الموفق .

ولم يبق بعد [2] معرفة هذه الأدلة ، وما ذُكِر من شرحها وبيانها من كلام الأئمة إلاَّ اتباعها والوقوف عندها ، أو [3] القول بالتشهي [4] والتحكم الذي لا يسوغ ولا يُعبأ بقائله ، ولا يلتفت إليه ، ولا يُعَوَّل بوجه عليه ، كما نقل ذلك عن إمامنا الشافعي الإمام سراج الدين البلقيني [5] في أواخر قسم الفيء والغنيمة من

(١) قال ابن الصلاح -رحمه ا لله- في مقدمته (ص: ١٢٨ -مع التقييد): « اعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ، ولا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وصفه » .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله - في نكته (٢ / ٨٣٩) بعد أن ذكر قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٢٣) : « **من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين** » : «وكفى بهذه الجملة وعيداً شديداً في حق من روى الحديث فيظن أنه كذب فضلاً عن أن يتحقق ذلك ولا يبينه ، لأنه ﷺ جعل المحدث بذلك مشاركاً لكاذبه في وضعه » .

وقال عبد الكريم الأثري في شرح قصب السكر (ص : ٦٩) : «وتحرم رواية الخبر الموضوع على العالم بحاله بالاتفاق ، إلا مقروناً ببيان وضعه وكشف عواره » .

وقال محمد عجاج الخطيب في أصول الحديث (ص:٤٣٠): « كان أئمة الحديث على جانب عظيم من الوعي والاطلاع، فكانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع، حتى لا يلتبس عليهم الحديث وفي هذا يقول الإمام سفيان الثوري: إني لأروي الحديث على ثلاثة أوجه، أسمع الحديث من الرجل أتخذه ديناً، وأسمع من الرجل أقف حديثه ، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته » .

(٢) قوله : « بعد » ساقط من (س) .

(٣) في(س) : « و » .

(٤) في(س) : « بالشهر » .

(٥) هو : أبو حفص سراج الدين عمر بن رسلان بن نصر البلقيني الكناني الشافعي ، الإمام ، العلامة ، الحافظ ، قاضي دمشق ، ومفتي دار العدل بها ، صاحب التصانيف والآثار ، والتي منها : تصحيح المنهاج ، ومحاسن الاصطلاح ، وشرح على البخاري لم يكتمل ، ولد ببلقينة وهي قرية من بلاد الغربية بمصر سنة (٧٢٤ هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٠٥ هـ) .

انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٥ / ١٠٧) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٨٠) ، والأعلام للزركلي (٥ / ٤٦) .

ترتيبه [1] لكتاب « **الأم** » ، قال : « ومن خالف شيئاً مما روي عن النبي ﷺ ، فليست في قوله حجة » [2] انتهى .

وقال الشافعي في أواخر كتاب اختلاف [3] الحديث من كتاب « **الأم** » في آخر باب نفي الولد يخاطب شخصاً قال له : « لا أنفي الولد باللعان ، وأجعل الولد لزوج المرأة بكل حال [4] ، لأن النبي ﷺ قال : « **الولد للفراش** » [5] » .

---

(1) في(س) : « ترسُه » .

(2) الأم (٤ / ٧٦) .

(3) قوله : « اختلاف » ساقط من(س) .

(4) قال ابن قدامة – رحمه الله – في المغني (١١ / ١٥٢) عن هذه المسألة : « وجملة ذلك أن الزوج إذا ولدت امرأته ولداً يمكن كونه منه ، فهو ولده في الحكم ، لقول النبي ﷺ : « الولد للفراش » ، ولا ينتفي عنه إلا أن ينفيه باللعان التام الذي اجتمعت شروطه ، وهي أربعة ، أحدها أن يوجد اللعان منهما جميعاً ، وهذا قول عامة أهل العلم » .
وانظر في المسألة أيضاً : اللباب لأبي الحسن المحاملي (ص : ٢٣٩) ، وبداية المجتهد لابن رشد (٢ / ١٤٠) ، وفتح الباري لابن حجر (١٢ / ٣٢ – ٣٩) .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب البيوع – باب تفسير المشبهات (٤ / ٢٩٢ – رقم ٢٠٥٣) ، وباب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه (٤ / ٤١١ – رقم ٢٢١٨) ، وكتاب الخصومات – باب دعوى الوصي للميت (٥ / ٧٤ – رقم ٢٤٢١) ، وكتاب العتق – باب أم الولد (٥ / ١٦٣ – رقم ٢٥٣٣) ، وكتاب الوصايا – باب قول الموصي : تعاهد ولدي ، وما يجوز للموصي من الدعوى (٥ / ٣٧١ – رقم ٢٧٤٥) ، وكتاب المغازي – باب وقال الليث ... (٨ / ٢٣ – رقم ٤٣٠٣) ، وكتاب الفرائض ، باب الولد للفراش (١٢ / ٣٢ – رقم ٦٧٤٩) ، وباب من ادعى أخاً أو ابن أخ (١٢ / ٥٢ – رقم ٦٧٦٥) ، وكتاب الحدود – باب للعاهر الحجر (١٢ / ١٢٧ – رقم ٦٨١٧) ، وكتاب الأحكام – باب من قضى له بحق أخيه (١٣ / ١٧٢ – رقم ٧١٨٢) ، من طرق عن عائشة رضي الله عنها .
ومسلم في صحيحه – كتاب الرضاع – باب الولد للفراش وتوقي الشبهات (٢ / ٨٧٥ – ٨٧٦ رقم ١٤٥٧ ، ١٤٥٨) من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما .

أرأيت رجلاً لو عمد إلى سنة لرسول الله ﷺ فخالفها ، أو إلى أمر عرف عوام من العلماء مجتمعين عليه لم يعلم لهم فيه منهم مخالفاً ، فعارضه أتكون له حجة بخلافه ، أم يكون بها جاهلاً يجب عليه أن يتعلَّم ؛ لأنه لو جاز هذا لأحد كان لكل أحد [أن] [1] ينقض كل حكم بغير سنة ، وبغير اختلاف من أهل العلم [2] ، فمن صار إلى مثل ما وصفت مِن أن لا ينفي الولد بلعان خَالَف سنة رسول الله ﷺ ، ثم ما لم أعلم المسلمين اختلفوا فيه ، ثم من أعجبِ أمرِ قَائلِ هذا ، أنه يدَّعي القول

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في (س) .

(٢) كان صنيع السلف الصالح - رحمهم الله - الوقوف عند قول الله ، وقول رسوله ﷺ ، فإن قالوا بقول وأفتوا الناس به ثم تبين لهم أن قولهم قد خالف الدليل فإنهم سرعان ما يرجعون للحق ويقولون به .

روى الخطيب البغدادي - رحمه الله - في الفقيه والمتفقه (١ / ٣٥٨) عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قضى في الأصابع بقضاء ، ثم أُخبر بكتاب كتبه النبي ﷺ لآل عمرو بن حزم وفيه : « **في كل أصبع مما هنالك عشر من الإبل** »فأخذ به وترك أمره الأول .

وقال الشافعي - رحمه الله - في الرسالة (ص : ٥٤٠) : «أخبرني من لا أتهم من أهل المدينة عن ابن أبي ذئب قال : قضى سعد بن إبراهيم على رجل بقضية ، برأي ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فأخبرته عن النبي بخلاف ما قضى به ، فقال سعد لربيعة : هذا ابن أبي ذئب ، وهو عندي ثقة ، يخبرني عن النبي بخلاف ما قضيت به ، فقال له ربيعة : قد اجتهدت ومضى حكمك ، فقال سعد : وا عجباً ! أُنفذُ قضاءَ سعد بن أم سعد ، وأرد قضاء رسول الله ؟ ! بل أرد قضاء سعد بن أم سعد وأُنفذ قضاء رسول الله ، فدعا سعد بكتاب القضية فشقه ، وقضى للمقضى عليه » .

وأخرج الخطيب البغدادي - رحمه الله - في تاريخ بغداد (١٤ / ٢٥٤) عن يحيى بن يحيى التميمي أنه سمع أبا يوسف عند وفاته يقول : « كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه ، إلا ما وافق الكتاب والسنة » ، وفي لفظ : « إلا ما في القرآن ، واجتمع عليه المسلمون » .

ونقل ابن القيم - رحمه الله - في أعلام الموقعين (٢ / ٢٨٢) عن الشافعي - رحمه الله - أنه قال : « أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس »

بالإجماع وإبطال غيره ، فما يعدو أن يكون رجلاً لا يعرف إجماعاً ولا افتراقاً في هذا ، أو يكون رجلاً لا يبالي ما قال »[1] انتهى .[2]

وقال الدارمي : « أخبرنا الحسن بن بشر[3] ، نا المعافى[4] ، عن الأوزاعي[5] قال : كتب عمر بن عبد العزيز[6] : " أنه لا رأي لأحد في كتاب الله ، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم / تَسِر به سنة من رسول الله ﷺ ، ولا رأي لأحد [٢٧ب/ س]

---

(١) الأم (٨ / ٦٥٩) .

(٢) في(س) : « النبي » .

(٣) هو : أبو علي الحسن بن بشر بن سَلْم الهمداني البجلي الكوفي ، قال الحافظ عنه : « صدوق يخطئ، من العاشرة » ، توفي سنة (٢٢١ هـ) .
انظر : الكاشف للذهبي (١ / ١٥٨) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣) ، والتقريب لابن حجر (١٥٨) .

(٤) في(س) : « الحسن بن بشر المعافا » وهو خطأ .
والمعافى هو : ابن عمران بن نفيل بن جابر الأزدي الفهمي أبو مسعود الموصلي ، قال الحافظ عنه : « ثقة عابد فقيه من كبار التاسعة » ، توفي سنة (١٨٥ هـ) .
انظر: الكاشف (١٣٧/٣)، وتهذيب التهذيب (١٨٠/١٠)، والتقريب لابن حجر (٥٣٧) .

(٥) هو : أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الشامي ، الأوزاعي ، الإمام الفقيه ، قال الحافظ عنه: « الفقيه ثقة جليل ، من السابعة » توفي ببيروت سنة (١٥٧ هـ) ، وقيل (١٥٨ هـ) .
والأوزاعي نسبة لمحلة الأوزاع بدمشق .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ١٠٧ - ١٣٤) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٦ / ٢١٦ - ٢١٩) ، والتقريب لابن حجر (٣٤٧) .

(٦) هو : أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، وخامس الأئمة في الفضل ، ونجيب عشيرته في العدل ، جمع زهداً وعفافاً ، وورعاً وكفافاً ، كان للرعية أمناً وأماناً ، ولد سنة (٦١ هـ) ، وولي المدينة سنة (٨٦ هـ) ، وأصبح خليفة للمسلمين سنة (٩٩ هـ) ، ووافته المنية سنة (١٠١ هـ) ، رحمه الله رحمة واسعة ، فإن سيرته زكية نقية .
انظر : تاريخ الطبري (٤ / ٥٩) ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥ / ٢٥٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥ / ١١٤ - ١٤٨) .

في سُنَّة سَنَّها رسول الله ﷺ " .

أخبرنا موسى بن خالد[1]، نا معتمر بن سليمان[2]، عن عبيد الله[3] بن عمر [4] : أن عمر بن عبد العزيز خطب فقال :« يا أيها الناس، إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبياً و لم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزل عليه كتاباً، فما أحلَّ الله على لسان نبيه ﷺ فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرَّم على لسان نبيه ﷺ فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بقاض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع »[5] انتهى .

---

(١) هو : أبو الوليد موسى بن خالد الشامي الحلبي ختن أبي إسحاق الفزاري ، وقيل ختن الفريابي ، قال الحافظ عنه : « مقبول ، من العاشرة » .
انظر : الكاشف للذهبي (٣ / ١٦١) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠ / ٣٠٤) ، والتقريب لابن حجر (٥٥٠) .

(٢) هو : أبو محمد المعتمر بن سليمان التيمي البصري ، الإمام الحافظ الفقيه ، كان يلقب بالطفيل ، قال عنه الحافظ : « ثقة ، من كبار التاسعة ، توفي بالبصرة سنة (١٨٧ هـ) بعد أن تجاوز الثمانين .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٨ / ٤٧٧ - ٤٧٩) ، والتقريب لابن حجر (٥٣٩) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (١٢٠) .

(٣) في(س) : «عبد الله »وهو خطأ .

(٤) هو : أبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي العُمَري المدني، الإمام الفقيه ، أحد الفقهاء السبعة الأعلام ، قال عنه الحافظ : « ثقة ثبت » توفي - رحمه الله - سنة (١٤٧ هـ) .
انظر : الكاشف للذهبي (٢ / ٢٠٢) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧ / ٣٥) ، والتقريب لابن حجر (٣٧٣) .

(٥) سنن الدارمي - المقدمة - باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ ، وقول غيره عند قوله ﷺ (١ / ١٢١ - رقم ٤٣٨ ، ٤٣٩) .
وانظر في ذلك أيضاً : الطبقات لابن سعد (٥ / ٣٤٠) ، (٥ / ٣٦٨) ، والمعرفة والتاريخ للفسوي (١ / ٥٧٤ - ٥٧٥) ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (١٦٨) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٩ / ٢٠٧) .

شروط القياس

وقال الشافعي في أواخر « **الرسالة** » في [1] باب الاجتهاد : « ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يعقل [2] إلا من جهة علم مضى قبله و جهة العلم بعد الكتاب : السنة والإجماع والآثار ، ثم ما وصفت من القياس [3] عليها ، ولا يقيس إلا من جمع الآلة التي القياس بها ، وهي العلم بأحكام كتاب الله : فرضه وأدبه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه وإرشاده ، / ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ ، فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين ، فإن لم يكن إجماعٌ فبالقياس ، ولا يجوز لأحد أن يقيس إلا أن يكون عالماً بما مضى قبله من السنن ، وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلافهم ، ولسان العرب ، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح [4] العقل ، وحتّى يفرِّق بين المشتبه ، ولا يعجل بالقول فيه دون

[٢٠ أ / م]

---

(١) في (س) : « من » .

(٢) في (س) : « يفعل » .

(٣) يطلق القياس في اللغة على التقدير – أي تقدير الشيء بغيره ، فيقال : قست الثوب بالمتر أي قدرته به، كما يطلق على المساواة بين الشيئين كقولهم : «فلان يقاس بفلان »و «قست الثوب بالثوب»
أما في الاصطلاح الشرعي فهو : حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما .
وقيل : حكمك على الفرع بمثل ما حكمت به في الأصل لاشتراكهما في العلة التي اقتضت ذلك في الأصل .
وقيل : حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما ، أو نفيه عنهما بجامع بينهما من إثبات حكم أو صفة لهما أو نفيهما عنهما .
انظر : الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٢ / ٩٤٦) ، وروضة الناظر لابن قدامة (٢ /٢٢٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة قوس (٦ / ١٨٦) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠ / ٥٠٥) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل القاف ، باب السين (٢ /٢٤٤)، والواضح في أصول الفقه لمحمد الأشقر (ص : ١٨٥) .

(٤) في(س) هكذا : «حيح » .

التثبت ، ولا يمتنع [1] من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يثبته [2] بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد به تثبُّتاً [3] فيما أعتقد من الصواب ، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده ، والإنصاف من نفسه ، حتى يعرف من أين قال ما يقول ، وترك ما يترك ، ولا يكون بما قال أعْنى منه بما خالفه حتى / يعرفَ (فضل ما يصيرُ إليه على ما يترك) [4] إن شاء الله » . [٢٨ أ / س]

قال محمد [5] : « فأما من تَمَّ عقله و لم يكن عالماً بما وصفنا ، فلا يحلُّ له أن يقول بقياس ، وذلك أنه لا يعرف ما يقيس عليه ، كما لا يحلُّ لفقيه عاقل أن يقول في ثمن درهم ولا خِبرةَ [6] له بسوقِهِ ، ومَن كان عالماً بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة ، فليس له أن يقول أيضاً بقياس؛ لأنه قد يذهب عليه عقل المعاني ، وكذلك [7] لو كان حافظاً مقصِّر العقل أو مُقصِّراً عن علم لسان [8] العرب : لم يكن له أن يقيس من قِبَلِ نقص عقله عن الأدلة [9] التي يجوز بها القياس ، فلا نقول [10] يسع [11] هذا - والله أعلم - أن يقول أبداً إلا اتباعاً

---

(١) في(س) : « ممتنع » .

(٢) في(س) : « ثبتت » .

(٣) في(س) : « تثبيتاً » .

(٤) ما بين القوسين ساقط من(س) ، وذكر مكانها العبارة السابقة وهي قوله : « من أين قال ما يقول ، وترك ما يترك ولا يكون » .

(٥) أي الإمام الشافعي ، فإن الكلام ما زال له رحمه الله .

(٦) في(س) : « خيرة » .

(٧) في(س) : « لذلك » .

(٨) في(س) : « اللسان » .

(٩) في المطبوع : « الآلة » .

(١٠) في(س) : « يقول » .

(١١) في(س) : « يسمع » .

لا قياساً »[1] انتهى كلام الشافعي رحمه الله.

حكم إنكار ما دعت إليه أدلة الكتاب والسنة

وهو كما ترى قاصمة لمن لم يصل إلى درجة التقليد ، فظن أنه مجتهد مطلق [2] ، فصار يُقبِّح ما صنعه [3] الأئمة قديماً وحديثاً ، بعد أن نطق به الكتاب وبيَّنته السنة ، فقد اتضحت الأدلة ، ونُزِّلت على كلام الهداة الجِلَّة [4] ، فإنكار ما دعت إليه ، ودلت عليه ، ينادي على صاحبه بالاتهام على دين الإسلام ، وأنه متعصِّب

---

(١) الرسالة (ص : ٥٠٨ - ٥١١) .

قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - معلقاً على كلام الشافعي هذا في الحاشية (ص : ٥٠٩) : «وهذه الدرر الغالية ، والحكم البالغة ، والفقر الرائعة ... أحسن ما قرأت في شروط الاجتهاد » .

ثم نقل - رحمه الله - عن الشافعي كلاماً يشبه هذا الكلام في جودته ورصانته ، وذلك من كتاب « الأم » : كتاب إبطال الاستحسان (٧ / ٣١٧) ، ونصه هو : «وليس للحاكم أن يقبل، ولا للوالي أن يدع أحداً ، ولا ينبغي للمفتي أن يفتي أحداً : إلا متى يجمع أن يكون عالماً علم الكتاب ، وعلم ناسخه ومنسوخه ، وخاصه وعامه ، وأدبه ، وعالماً بسنن رسول الله ﷺ ، وأقاويل أهل العلم قديماً وحديثاً ، وعالماً بلسان العرب ، عاقلاً ، يميز بين المشتبه ، ويعقل القياس ، فإن عدم واحداً من هذه الخصال لم يحل له أن يقول قياساً ، وكذلك لو كان عالماً بالأصول غير عاقل للقياس الذي هو الفرع : لم يجز أن يقال لرجل : قس، وهو لا يعقل القياس، وإن كان عاقلاً للقياس وهو مضيع لعلم الأصول أو شيء منها : لم يجز أن يقال له : قس على ما لا تعلم ... » .

وانظر في شروط الاجتهاد : روضة الناظر لابن قدامة (٢ / ٤٠١ - ٤٠٧) ، وشرح الكوكب المنير للفتوحي (٤ / ٤٥٩ - ٤٦٧) ، والواضح في أصول الفقه لمحمد الأشقر (٢٠٠- ٢٠١).

(٢) المجتهد المطلق هو الذي توفرت فيه شروط الاجتهاد ويفتي في جميع أبواب الشرع بما يؤديه إليه اجتهاده ، كالأئمة الأربعة .

انظر : شرح الكوكب المنير للفتوحي (٤ / ٤٦٧) ، ونزهة الخاطر لابن بدران (٢ / ٤٠٦ مع روضة الناظر) .

(٣) في(س) : «صنفه » .

(٤) أي العظمة .

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة جلل (ص : ١٠٨) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة جلل (١١ / ١١٦ - ١١٧) .

لبعض طوائف الكفرة العُتاة الفجرة ، لاسيما إن كان مشهوراً بعشرة بعضهم ، أو بعض من ينسب إليهم ، ويحنو عليهم ، وذلك من وجوه .

الأول : أن إقامة الدليل على مصادقة ما هم متمسِّكون به من كتبهم للقرآن ، لا يجهل أحد حسنه ليشهد معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾[1]، وقوله تعالى لبني إسرائيل :﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾[2] ، [وفي] [3] غيرهما [4] من الآيات في مثال حاضر محسوس ، وذلك أنه لا شك في أن تصديق العدو والصديق أولى وأقعد من تصديق الصديق وحده .

الثاني : أنه يثبت بمجرد هذه المصادقة بين الأنبياء إبطال ما ينتحله أهل الفرق الآن من الأديان مما يخالف الإسلام بشهادة كتبهم التي هم معترفون / بأنها نزلت على أنبيائهم ، وشهادة المرء على نفسه أقطع من شهادة غيره عليه . [5] [٢٨ب/ س]

الثالث : أنه يتبين من بعض تلك المصادقات سوءُ فهمهم لبعض معتقداتهم تمسكاً بما يخالف ظاهرهُ ذلك المصادق ، فيبطل ذلك الاعتقاد بشهادة كتابهم ، ولا يخفى ما في ذلك من الحسن الذي هو في أعلى الدرجات إلاَّ على من لا حس [6] له .

الرابع : أنه يتضح أيضاً ببعض ما تصادق فيه تلك الكتب القرآن معرفتنا لتبديلهم ما خالفه من كتابهم ، مخالفةً لا يمكن ردُّها إليه ، فيكونون شاهدين على

---

(١) سورة المائدة – الآية : ٤٨ .

(٢) سورة البقرة – الآية : ٤١ .

(٣) في(م) و (س) : « في » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) في(س) : « غيرها » .

(٥) قوله : « عليه » ساقط من(س) .

(٦) في(س) : « الأحسن » .

أنفسهم بالكفر [1] ، ومن سعى في إبطال شيء من هذه الوجوه التي هي : محاسن ومصالح ، وأضدادها قبائح ومفاسد ، فلاشك في تهمته على هذا الدين القويم ، وأنَّ قلبه بالغش سقيم ، فكيف إذا سعى في إبطالها كلها وا لله الهادي .

(١) قال أبو البقاء الجعفري في مقدمة كتابه تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (ص : ١٩ - ٢٠) : «وبينت بالدليل من التوراة والنبوات والإنجيل غلط الكافر ، بعد أن قدرت صحة كتبهم ، وإن كانت سقيمة ، وسلمت وجودها ، وإن كانت في حكم العديمة ، وأظهرت من كتبهم فساد معتقدهم ، وكشفت ما أخفوه من بشارة الأنبياء - عليهم السلام - بمحمد ﷺ ، وأكذبتهم فيما نسبوه إلى المسيح - عليه السلام - من نقائص ورذائل يجل قدره عنها ، وأوضحت أن ما جاء به من الخوارق والمعجزات قد سبقه بها من تقدمه من إخوانه الأنبياء ، ونبهت على إنكاره قول من غلا فيه ، ونسبه إلى ما لا يليق من الربوبية ، وأكذبت اليهود في تخرصهم عليه وعلى والدته العذراء البتول بما حققت من معجزاته ... » إلى أن قال : «فاشتمل الكتاب على فوائد منها: رسوخ الإيمان للمسلم بموافقة ما في أيديهم للكتاب العزيز، كما نبه عليه قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ [سورة الأعلى - الآية : ١٨] ، وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾ [سورة الأعراف - الآية : ١٥٧] ، وكثرة الأدلة توجب الطمأنينة وثلج الصدر ، ومنها : تعلم الحجة عليهم من كتبهم وإلزامهم على مقتضى أصولهم وذلك أفحم لهم .

ومنها : قصد إرشادهم ببيان احتمال الألفاظ التي اقتضت غلطهم ، فعسى ا لله أن يقدر هداية بعضهم ، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة .

ومنها : الوقوف على سر قول نبينا -عليه السلام - وقد رأى في يد بعض أصحابه صحيفة من كتبهم ، فغضب عليه السلام وقال له : « **ألقها فوا لله لقد جئتكم بها بيضاء نقية** » .

وأنت - رحمك ا لله - إذا شاهدت ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار والتطويل ، واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل ، وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية عرفت سر قوله - عليه السلام - : « **لقد جئتكم بها بيضاء نقية** » إلى غير ذلك كما يوضحه الكشف » .

الفصل السادس : في ذكر [1] بعض من نقل من الكتب القديمة من الأئمة وأعيان الأمة :

ذكر بعض ما نقله العلماء من الكتب القديمة

وذكر بعض ما نقلوه منها ، ويلحق به ما نقل عن أهل الأديان كلهم من اليهود والنصارى والمشركين والكهان [2] والشياطين ، وفيه من أقْرأ كتب [3] أهل الكتاب من المسلمين ، ومن يقبل جرحه ، وأدب العالم في إخفائه ما يخشى به الفتنة على من لا يبلغه فهمه ، كما أنه يرجي به إيمان من يراه من أهل الكتاب وإن طال الزمان .

روى البخاري في « **صحيحه** » الذي تلقته الأمة بالقبول [4] وتبركوا به في الارتحال والحلول [5] :

---

(١) قوله : « ذكر » ساقط من(س) .

(٢) الكهان : جمع كاهن وهو في الأصل من يأتيه الرئي من الشياطين المسترقة للسمع ، ثم أصبح عاماً في كل من يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب .
انظر : التعريفات للجرجاني (ص : ٢٣٥) ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن (ص : ٣٣٨ - ٣٣٩) ، ومعارج القبول لحافظ الحكمي (١ / ٤٣٦) .

(٣) في(س) : « أقر الكتب » .

(٤) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١ / ١٤) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢١/٢٠) ، وعمدة القاري للعيني (١ / ٥) ، ومكانة الصحيحين لخليل ملا خاطر (ص : ٤٥ - ٥٧) .

(٥) قول المصنف - رحمه الله - : « وتبركوا به في الارتحال والحلول » يحتمل أكثر من احتمال :
الاحتمال الأول : أن يقصد بقوله : « تبركوا به ... » أي عملوا به واتبعوا ما فيه من أقوال وأفعال للنبي ﷺ ، فعلى هذا القصد لا يوجد إشكال ، ولكن الأولى عدم استخدام مثل هذه الألفاظ الموهمة دون توضيح للمراد ، والتي من خلالها يتسلَّل أهل البدع لِبثِّ ما يُريدون بثَّه .
قال الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - في كتابه هذه مفاهيمنا (ص : ٢١٢) : « إن تعظيم الرسول ﷺ والتماس بركته وتحريها ، يكون بما بقي لنا اليوم من نوعي البركة ، وهي بركة الاتباع والعمل بسنته ، وجهاد أعداء سنته ، والمخالفين لأوامر شرعه ، والمنافقين الذي فتنوا الناس وأضلوهم ، وبهذا رغب السلف من التابعين وأئمة الهدى الذين حققوا محبة رسول الله ﷺ فنالهم من بركة اتباعه ما أذن الله فيه » .
الاحتمال الثاني : أن يقصد بقوله : « تبركوا به ... » أي بحمله وقراءته في الحضر والسفر من أجل طلب البركة ، وطلب نفع ، أو دفع ضر ، وكشف الخطوب ، وتفريج الكروب ، لا من أجل العلم
==

صفة رسول الله ﷺ في التوراة

عن عبد الله بن عمرو[1] - رضي الله عنهما- [2] أنه قال وقد سئل عن (صفة رسول الله ﷺ : « والله إنه لموصوف في التوراة ببعض) [3] صفته في القرآن [4] : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً [5] للأميين [6] ، أنت عبدي

==

والعمل ، كما هو صنيع بعض المسلمين وللأسف الشديد من بعض الأقطار .

فإن كان هذا هو المقصد - ولا أظنه يقصده لما علم عنه - رحمه الله - من محاربته للبدع وطرقها - فهذا ليس بصحيح بل هو من صنيع أهل البدع من المتصوِّفة وغيرهم ، ولم يكن هذا صنيع السلف - رحمهم الله - . بل إن أهل العلم - رحمهم الله - نصوا على أنه لا ينبغي حمل القرآن ووضعه في مكان ما ، أو كتابة آياته على الجدران في المساجد أو البيوت وغيرها من أجل طلب البركة أو جلب نفع أو دفع ضر ، لأن القرآن ما أنزل إلا لتلاوته وتدبره والعمل بما فيه ، والاستشفاء به على الطريقة المشروعة ، إذا كان قولهم هذا في كتاب الله الذي هو كلامه عز في علاه ، فكلام غيره من باب أولى . وللعلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) - رحمه الله - كلاماً نفيساً في قراءة البخاري لنازلة الوباء وذلك في كتابه قواعد التحديث (٢٦٣ - ٢٦٧) ولولا خوف الإطالة لذكرته بكامله ، ولكن ليراجع فإنه مهم .

وانظر للفائدة أيضاً : شرح السنة للبغوي (٤ / ٥٢٩) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١ / ١١٣) ، والتبرك لناصر الجديع (ص : ٢٣٩ - ٢٤٠) و (ص : ٣١٧) ، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤ / ٣٠ - ٣٣ فتوى رقم ٢٠٧٨) ، وهذه مفاهيمنا لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص : ٢٠١ - ٢١٤) .

(١) في(س) : « عمر » وهو خطأ .

(٢) في(س) : « عنه » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من(س) .

(٤) جاء في سفر إشعياء ، الإصحاح الثاني والأربعين ، الفقرات من (١ - ٢٠) : « هو ذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سُرَّتْ به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ... » الخ .

وانظر في ذلك : هداية الحيارى لابن القيم (ص : ٣٦٢ - ٣٦٩) .

(٥) في(س) : « وحرز » .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح (٤ / ٣٤٣) : « حرزاً بكسر المهملة أي حافظاً ، وأصل الحرز الموضع الحصين » .

وانظر في معنى الحرز : مختار الصحاح للرازي ، مادة حرز (ص : ١٣٠) .

(٦) أي العرب . انظر : الفتح لابن حجر (٨ / ٥٨٦) .

ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب [1] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن / يقبضه [2] الله حتى يقيم به [3] الملة [٢٩ أ / س] / العوجاء [4] بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقُلوباً [٢٠ ب/م] غلفاً [5] » [6] .

منزلة القاضي عياض وكتابه الشفاء

قال صاحب كتاب « **الشفاء** » الذي هو شفاء القلوب ، وجلاء الكروب ، وهو القاضي عياض أحد الأئمة الأعلام ، وحُفّاظ الإسلام ، الذي انتشر كتابه في أقطار الآفاق ، وبهر ضياؤه ، حتى فاق النيرين [7] في الإشراق ، بعد أن ساق الحديث المذكور : « وذكر مثله عن عبد الله بن سلام ﷺ وكعب

(١) الصَّخَب ، ويقال : السَّخَب : هو الصياح ، والجلبة ، وشدة الصوت واختلاطه .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٣٤٩)، ولسان العرب لابن منظور ، مادة صخب (١ / ٥٢١) .

(٢) في(س) : « يقنصه » .

(٣) في(س) : « في » .

(٤) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٤ / ٣٤٣) : أي ملة العرب ، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام ، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان » .

(٥) أي مغشاة مغطاة ، ومن ذلك سيف أغلف ، ورجل أغلف .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ / ٣٧٩) ، وفتح الباري لابن حجر (٤/٣٤٣) .

(٦) صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب كراهية السخب في الأسواق (٤ / ٣٤٢ - رقم ٢١٢٥) وكتاب التفسير : باب ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [سورة الأحزاب - الآية : ٤٥] (٨ / ٥٨٥ - رقم ٤٨٣٨) .

(٧) النيران هما الشمس والقمر ، كما يطلق عليهما القمران ، ومنه قول الفرزدق :

أخذنا بأطراف السماء عليكم ... لنا قمراها النجوم والطوالع

انظر : معاني القرآن للزجاج (٤ / ٤١٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣ / ٢٥٩) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٨ / ١٦) .

الأحبار »[1] انتهى[2] .

والذي عن عبد الله في البيوع من البخاري من رواية عطاء[3] عنه كالذي قبله ، ولفظه : « لقيت عبد الله بن عمرو[4] - رضي الله عنهما - فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ؟ قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة إلى آخره »[5]، وسبب سؤاله عما في التوراة أنه كان يحفظها .[6]

روى أحمد[7] وابن عبد الحكم في « **فتوح مصر** »[8] والبغوي[9] وأبو يعلى[10] عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - : أنه رأى في المنام كأن في إحدى

---

(١) أخرجهما عنهما كل من : ابن سعد في الطبقات في ذكر صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل (١ / ٣٦٠ - ٣٦١) ، والدارمي في السنن في صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه (١ / ٨ - ١٠ رقم ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) ، والبغوي في : مصابيح السنة - كتاب الفضائل والشمائل - باب فضائل سيد المرسلين (٤ / ٣٦ - رقم ٤٤٧٤) ، (٤ / ٤٢ - رقم ٤٤٩١) ، والبيهقي في دلائل النبوة - باب صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل ... (١ / ٣٧٤ - ٣٧٧) .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣١) .

(٣) هو أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني القاضي التابعي ، مولى أم المؤمنين ميمونة - رضي الله تعالى عنها - قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة » ، توفي - رحمه الله -بالإسكندرية سنة (١٠٣ هـ) ، وقيل : (٩٤ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٤٤٨ - ٤٤٩) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧ / ١٩٤) ، والتقريب لابن حجر (٣٩٢) .

(٤) في(س) : «عمر »وهو خطأ .

(٥) صحيح البخاري -كتاب البيوع - باب كراهية السخب في الأسواق (٤ / ٣٤٢- رقم ٢١٢٥) .

(٦) انظر : (ص : ٣٠٠ ، حاشية رقم ٤) .

(٧) مسند الإمام أحمد (٢ / ٢٢٢) .

(٨) فتوح مصر (ص : ٢٥٤) .

(٩) لم أقف عليه فيما وقفت عليه من كتب الإمام البغوي رحمه الله .

(١٠) لم أقف عليه فيما وقفت عليه من كتب الإمام أبي يعلى رحمه الله .

أصابعه عسلاً وفي الأخرى سمناً ، فكان يلعقهما [1] ، فأصبح ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال : « **إن عشت قرأت الكتابين: التوراة والفرقان** » ، فكان يقرأهما.[2]

وليس في السند من تكلّم فيه إلاّ ابن لهيعة [3] وقد مشّاه غير واحد ، منهم الإمام

---

(١) من اللعق وهو اللحس .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة لعق (ص : ٥٩٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة لعق (١٠ / ٣٣٠) .

(٢) والحديث أخرجه أيضاً الطحاوي في شرح مشكل الآثار - باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام في تعبير أبي بكر ﷺ بأمره الرؤيا التي عبرها ... (٢ / ١٥٢ - رقم ٦٧٢) - وقال المحقق : « إسناده حسن » - وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢٨٦) ، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢ / ٢٨٣) - وقال المحقق : « إسناده ضعيف » - وأورده الذهبي في السير (٣ / ٨٦) وقال : « ابن لهيعة ضعيف الحديث ، وهذا خبرٌ منكر » ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٨٤) وقال : «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف » .
وصحح إسناده أحمد شاكر كما في تحقيقه لمسند أحمد (١٢ / ٢٥) ، وحسنه شعيب الأرنؤوط كما في تحقيقه لمسند أحمد أيضاً (١١ / ٦٣٨) .

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي المصري ، قاضي مصر ومسندها ، ولد سنة (٩٥ هـ) ، وتوفي سنة (١٧٤ هـ) ، احترقت كتبه سنة (١٦٩ هـ) ، وقيل : (١٧٠ هـ) ، ولقد اختلف فيه الأئمة كثيراً . فمنهم من قال : حديثه في أول عمره قبل احتراق كتبه أصح ، وممن قال بهذا ابن معين في رواية عنه .
ومنهم من قال : حديثه في عمره كله واحد وهو ضعيف ، وهذا هو المشهور عن يحيى بن معين .
ومنهم من قال : حديثه ضعيف إلا ما كان من طريق العبادلة .
قال أبو زرعة : سماع الأوائل والأواخر منه سواء إلا أن ابن وهب وابن المبارك كانا يتتبعان أصوله
وقال أحمد : سماع العبادلة من ابن لهيعة عندي صالح ، عبد الله بن وهب وعبد الله بن يزيد المقرئ وعبد الله بن المبارك . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق اختلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما . ومنهم من وثّقه وقبل حديثه مطلقاً .
قال أحمد أيضاً : من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه .
انظر : ميزان الاعتدال للذهبي (٣ / ١٨٩ - ١٩٧) ، وأعلام الموقعين لابن القيم (٢ / ٤٠٧)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (١ / ٤١٩ - ٤٢٠) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٥ / ٣٢٧ - ٣٣١) ، والتقريب لابن حجر (٣١٩) .

أحمد (1) ، فهو حسن إن شاء الله [تعالى] (2) .

على أنَّ (3) مَن نظر هيئة سؤال (4) عطاء في حديث الصحيح قضى على هذا بالصحة .

[وقال الحافظ زين الدين بن رجب (5) في كتابه « **الاستغناء بالقرآن** » : « هذا الحديث يستدل به على جواز قراءة التوراة (6)] » (7) .

وروى أبو داود (8) والترمذي (9) عن سلمان رضي الله عنه قال : قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فقال رسول الله / ﷺ : « **بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده** » . (10) [29ب/ س]

---

(1) انظر : التعليق السابق .

(2) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(3) قوله : «أن» ساقط من (س) .

(4) في (س) : «سؤاله» .

(5) هو زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي ، الإمام الحافظ الفقيه العلامة ، صاحب التصانيف والآثار ، والتي منها : شرح علل الترمذي ، والقواعد ، والاستغناء بالقرآن ، ولد ببغداد سنة (٧٣٦ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٧٩٥ هـ).
انظر : إنباء الغمر لابن حجر (٣ / ١٧٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٧٨ -٥٨٠)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا حكالة (٢ / ٧٤ - ٧٥) .

(6) لم أقف عليه .

(7) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو في (س) .

(8) سنن أبي داود - كتاب الأطعمة - باب في غسل اليد قبل الطعام (٤ / ١٣٦ - رقم ٣٧٦١) .

(9) سنن الترمذي - كتاب الأطعمة - باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده (٤ / ٢٤٨ - رقم ١٨٤٦) .

(10) والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٤٤١) ، والطيالسي في مسنده (ص:٩١ رقم ٦٥٥)، والحاكم في مستدركه (٤ / ١٠٦ - ١٠٧) ، والبغوي في شرح السنة - كتاب الأطعمة - باب الوضوء عند الطعام (١١ / ٢٨٢ رقم ٢٨٣٣) ، والحديث متكلم في صحته .
قال أبو داود في السنن (٤ / ١٣٦) : « وهو ضعيف » ، وقال الترمذي في السنن (٤ /٢٤٨): ==

صفة رسول الله ﷺ في التوراة

وللدارمي عن كعب الأحبار قال : نجد مكتوباً في التوراة : محمد رسول الله عبدي المختار [1] ، فذكر حديثاً واتبعه عن عبد الله بن سلام [ﷺ] [2] بمثله . [3]

وللترمذي وقال : « حسن غريب » عن عبد الله بن سلام ﷺ قال : « مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم - عليهم السلام - يدفن معه » الحديث . [4]

وقال صاحب « **الشفاء** » في نحو النصف من الباب الثاني من القسم الأول : « قالت عائشة - رضي الله عنها - في « **الصحيح** » : « لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفَحِّشاً » . [5] الحديث » [6] ، ثم قال : « وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من

==

«لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع ، وقيس يضعف في الحديث ».

وقال الذهبي في التلخيص (٤ / ١٠٧ مع المستدرك) : «قلت : مع ضعف قيس فيه إرسال» .

والحديث حكم عليه بالضعف أيضاً الشيخ الألباني كما في إرواء الغليل (٧ / ٢٣ - رقم ١٩٦٤) والسلسلة الضعيفة (١ / ٢٠٠ - رقم ١٦٨) ، وضعيف الجامع (٣٤٣ - رقم ٢٣٣١) ، وتحقيقه للمشكاة (٢ / ١٢١٧ - رقم ٤٢٠٨) .

(١) في (س) : «عبد بن المختار» .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٣) سنن الدارمي - باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه (١ / ٨ - ١٠) . وانظر : (ص : ٣٦٧ ، حاشية رقم ١) .

(٤) سنن الترمذي - كتاب المناقب - باب في فضل النبي ﷺ (٥ / ٥٤٩ - رقم ٣٦١٧) ، والحديث أخرجه أيضاً البغوي كما في مصابيح السنة - كتاب الفضائل والشمائل - باب فضائل سيد المرسلين (٤ / ٤٢ - رقم ٤٤٩٢) ، والحديث ضعفه الألباني كما في تحقيقه للمشكاة (٣ / ١٦٠٧) ، وكما في ضعيف سنن الترمذي (٤٨٣ - رقم ٧٤٣) .

(٥) الفحش : هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ويكون في القول والفعل والصفة . والفاحش هو الذي يقول الفحش ، والمتفحش هو الذي يتكلف ذلك ويتعمده . انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ /٤١٥) ، وفتح الباري لابن حجر (٦ / ٥٧٥) ، (٤٥٣/١٠) .

(٦) الحديث الذي في الصحيح ليس من حديث عائشة إنما هو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحديث أنس بن مالك - رضي الله عن الجميع - ، فحديث عبد الله ذكره البخاري في صحيحه - كتاب المناقب - باب صفة النبي ﷺ (٦ / ٥٦٦ - رقم ٣٥٥٩) ، وكتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ (٧ / ١٠٢ - رقم ٣٧٥٩) ، وكتاب الأدب باب لم

==

رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم - »[1] انتهى .

حكم قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه

وقد سمع جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - من بني إسرائيل : كعب وغيره ، منهم العبادلة وغيرهم[2] ، فقد قال أئمة الحديث : أن الصحابي إذا نقل شيئاً لا يقال مثله بالرأي أنه مرفوع في الحكم إلا إن كان ذلك الصحابي سمع من أهل الكتاب[3] .[4]

== يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفاحشاً (١٠ / ٤٥٢ - رقم ٦٠٢٩) ، وباب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (١٠ / ٤٥٦ - رقم ٦٠٣٥) .

وحديث أنس ذكره في كتاب الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفاحشاً (١٠ / ٤٥٢ - رقم ٦٠٣١) ، وباب ما ينهى عن السباب واللعن (١٠ / ٤٦٤ - رقم ٦٠٤٦) .

أما حديث عائشة - رضي الله عنها - فقد أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٧٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦)، والترمذي في سننه : كتاب البر والصلة باب ما جاء في خلق النبي ﷺ (٤ / ٣٢٤- رقم ٢٠١٦) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وكذا أخرجه في الشمائل المحمدية (١٨٢ - رقم ٢٩٨ - المختصر) ، وعلق الألباني على الحديث بقوله : «صحيح ». ونصه كما عند الترمذي في الشمائل هو عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «**لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح** ».

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ١٥٤) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٤١٣) ، (٣ / ٤٨٩ - ٤٩٠) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ١٠٨) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٨ / ٣٩٣) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في نزهة النظر (ص : ٥٣) : «ومثال المرفوع من القول حكماً لا تصريحاً ، أن يقول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات ما لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا له تعلّق ببيان لغة أو شرح غريب ، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق ، وأخبار الأنبياء، أو الآتية كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة ، وكذا الإخبار عمّا يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص ، وإنما كان له حكم المرفوع ؛ لأن إخباره بذلك يقتضي مخبراً له ، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقفاً للقائل به ، ولا موقف للصحابة إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة» . وانظر في ذلك أيضاً :
النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢ / ٥٣١ - ٥٣٣) ، والنكت الوفية للمؤلف - تحقيق يحي الأسدي (ص : ٧٤) ، وتدريب الراوي للسيوطي (١ / ١٦٢ - ١٦٣) ، واليواقيت والدرر للمناوي (٢ / ٤٨٦ - ٤٨٧) .

(٤) في الحاشية : «ويتلوه في الفرخة وقال الشيخ سعد الدين ».

ذكر بعض ما تمسكت به الشيعة

وقال الشيخ سعد الدين [1] في « **شرح المقاصد** » في بحث الإمامة في تمسكات الشيعة [2] : « إن علياً ﷺ قال : علَّمني رسول ا لله ﷺ ألف باب من العلم ، فانفتح لي من كل باب ألف باب ، ثم قال : ولهذا قال [3] : لو كسرت الوسادة ، ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم [4] ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم [5] ، ثم تعقَّب أدلتهم و لم

---

(١) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد ا لله التفتازاني الشافعي المتكلم الأصولي ، تتلمذ على الإيجي المتكلم ، له عدة مصنفات منها : المقاصد في علم الكلام وشرحه ، وشرح العقائد النسفية ، وحاشية على شرح مختصر المنتهى للأيجي ، ولد - بتفتازان إحدى قرى نسا - سنة (٧١٢ هـ) ، وتوفي بسمرقند سنة (٧٩٢ هـ) .
انظر : الدرر الكامنة لابن حجر (٤ / ٣٥٠) ، وبغية الوعاة للسيوطي (٢ / ٢٨٥) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٤٧) .

(٢) الشيعة : هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً، وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده ، وقالوا إن الإمامة ركن وأصل من أصول الدين ، وإن الأئمة معصومون من الكبائر والصغائر . وهم فرق كثيرة منهم الغالي الكافر ، ومنهم دون ذلك ، ويطلق عليهم الرافضة أيضاً ، وذلك لرفضهم إمامة الشيخين أبي بكر وعمر ، وقيل : لرفضهم زيد بن علي ومن معه ، وذلك حينما تولى أبا بكر وعمر رضي ا لله عنهما .
انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي (ص : ٣٩ - ٤٠) ، والملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٤٦ - ١٤٧) ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١ / ٤٤٦ - ٤٤٧) ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص : ٦٥ - ٦٦) .

(٣) قوله : « ولهذا قال » مكرر في (م) .

(٤) في (س) : « بتورتهم » .

(٥) كلام علي ﷺ هذا هو جزء من خطبة له في الكوفة رواها أحد الوضاعين في الحديث وهو أبو البختري وهب بن وهب بن كبير بن عبد ا لله بن زمعة بن عبد المطلب القرشي المدني (ت ٢٠٠ هـ) ، والذي قال عنه ابن معين : « كان يكذب عدو ا لله » ، وقال أحمد : « كان يضع الحديث وضعاً فيما نرى » .

==

يتعقَّب هذا بشيء .[1]

وفي « **الصحيح** » عن معاوية ﷺ أنه ذكر كعب الأحبار ، فقال : « إن كان من [٣٠ أ / س] أصدق / هؤلاء المحدثين الذين[2] يحدثون عن الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب »[3] ، وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال : « كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام » ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إليكم** »[4] ، ولم يقل : لا تسمعوا منهم ولا قال : ولا تنقلوا عنهم . وقد تقدَّم التعريف بالمراد من النهي عن التصديق والتكذيب عن الشافعي وغيره[5] ، ولو لم يكن للناقل عنهم

==

انظر ترجمته في : المجروحين لابن حبان (٣ / ٧٤ - ٧٥) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٦ / ٢٧ - ٢٨) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في « منهاج السنة » - مختصراً - بعد أن ذكر بعض هذه الخطبة (٥ / ٥٠٦ - ٥٠٩) : «والحديث المذكور عن علي كذب ظاهر ، لا تجوز نسبة مثله إلى علي ، فإن علياً أعلم بالله وبدين الله من أن يحكم بالتوراة والإنجيل ، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله في القرآن ، وإذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا بينهم إلا بما أنزل الله في القرآن ... وإذا كان من المعلوم بالكتاب والسنة والإجماع ، أن الحاكم بين اليهود والنصارى لا يجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمد سواء وافق ما بأيديهم من التوراة والإنجيل أو لم يوافقه ، كان من نسب علياً إلى أنه يحكم بالتوراة والإنجيل بين اليهود والنصارى أو يفتيهم بذلك ، ويمدحه بذلك : إما أن يكون من أجهل الناس بالدين ، وبما يمدح به صاحبه ، وإما أن يكون زنديقاً ملحداً أراد القدح في علي بمثل هذا الكلام الذي يستحق صاحبه الذم والعقاب ، دون المدح والثواب » .

(١) انظر : شرح المقاصد (٥ / ٢٩٧ - ٣٠٠) .

(٢) في(س) : «الذي» .

(٣) تقدم تخريجه (ص : ٣٣٣ - ٣٣٤) .

(٤) تقدم تخريجه (ص : ٣٢٣) .

(٥) انظر : (ص : ٣٢٣ - ٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ - ٣٧٧) .

سند إلا سنة النبي ﷺ لكان فيها أتم كفاية ، فكيف وقد سمعت ما تُلي عليك من أقوال العلماء في ذلك .

خروج أبي هريرة إلى الطور

وللشيخين [1] ومالك [2] وهذا لفظه [3] : عن أبي هريرة ﷺ قال : « خرجت إلى الطور ، فلقيت كعب الأحبار ، فجلست معه ، فحدَّثني عن التوراة وحدَّثته عن رسول الله ﷺ ، فكان فيما حدثته أن قلت : قال رسول الله ﷺ : « **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلاَّ وهي مصيخة [4] يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلاَّ الجن والإنس ، [وفيه] [5] ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه** » ، فقال كعب : ذلك في كل سنة يوم ؟ فقلت : بل [6] في كل جمعة [7] ، قال : فقرأ كعب التوراة ،

---

(١) لقد روى الشيخان – رحمهما الله – طرفاً من الحديث ، ولم يروياه كاملاً .
انظر : صحيح البخاري – كتاب الجمعة – باب الساعة التي في يوم الجمعة (٢ / ٤١٥ – رقم ٩٣٥) ، وكتاب الطلاق – باب الإشارة في الطلاق والأمور (٩ / ٤٣٦ – رقم ٥٢٩٤) ، وكتاب الدعوات – باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة (١١ / ١٩٩ – رقم ٦٤٠٠) ، وصحيح مسلم – كتاب الجمعة – باب فضل يوم الجمعة (٢ / ٤٩٠ – رقم ٨٥٤) .

(٢) هو : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصحبي الحميري المدني ، شيخ الإسلام وحجة الأنام ، وإمام دار الهجرة ، له عدة آثار ومصنفات منها : الموطأ ، ورسالة في القدر ، ورسالة في الأقضية ، ولد بالمدينة سنة (٩٣ هـ) ، وتوفي – رحمه الله – بها سنة (١٧٩ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ١٣٥ – ١٣٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨ / ٤٨ – ١٣٥) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٩٦) .

(٣) الموطأ : كتاب الجمعة باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة (١ / ١٠٨ – ١١٠ رقم ١٦)

(٤) أي مصغية مستمعة ، ويقال : أصاخ وأساخ بمعنى واحد .
انظر : شرح السنة للبغوي (٤ / ٢٠٨) ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ / ٦٤) .

(٥) في (م) و (س) : « فيها » ، والصواب ما أثبته وهو كما في الموطأ .

(٦) في (س) : « بلى » .

(٧) انظر في فضائل وخصائص يوم الجمعة : زاد المعاد لابن القيم (١ / ٣٧٥ – ٤٢٥) ، ونور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي – مطبوع ضمن الرسائل المنبرية (١ / ١٨٨ – ٢٢٣) .

فقال : صدق رسول الله ﷺ .

قال أبو هريرة : فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري [1] ﷺ فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الطور ، قال : لو أدركتك قبل / أن تخرج إليه ما خرجت إليه، [٣٠ب/س] سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تُعْمَل المطيُّ [2] إلا إلى ثلاثة مساجد : إلى المسجد الحرام ، وإلى مسجدي هذا ، وإلى مسجد إيلياء [3] أو [4] بيت المقدس** »[5] . شك أيهما قال .

---

(١) هو بصرة بن أبي بصرة جميل - وقيل : حميل - بن بصرة بن وقاص بن غفار الغفاري ، له ولأبيه صحبة ، معدود فيمن نزل مصر من الصحابة ، وروى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً .
انظر : أسد الغابة لابن الأثير (١ / ٢٣٧) ، والإصابة لابن حجر (١ / ٢٦٨) ، وخلاصة تذهيب الكمال للخزرجي (١ / ١٣٣) .

(٢) المطيُّ : جمع مطية ، وهي الناقة التي يُرْكَب مطاها : أي ظهرها ، ويقال : امتطاها أي اتخذها مطية
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤ / ٣٤٠) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة مطا (ص : ٦٢٧) .

(٣) إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس ، ومعناه بيت الله .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٢٩٣) .

(٤) في(س) : « و » .

(٥) اختلف أهل العلم - رحمهم الله - في مسألة شد الرحال إلى غير هذه المساجد الثلاث ، كالذهاب إلى قبور الأنبياء والصالحين ، وإلى المواضع الفاضلة إلى قولين :
القول الأول : جواز ذلك وبه قال إمام الحرمين ، والنووي ، وتقي الدين السبكي وغيرهم .
القول الثاني : عدم جوازه وهو الصحيح ، كما هو ظاهر الحديث الذي معنا ، فإن بصرة ﷺ فهم من قول النبي ﷺ : « **لا تعمل المطي** ... » النهي عن شد الرحال إلى غير هذه المساجد ، فلذا رأيناه أنكر على أبي هريرة ﷺ ذهابه للطور ، ومن المعروف أن الطور يعتبر مكان فاضلاً ، فهو الوادي المقدس والبقعة المباركة ، وهو المكان الذي كلّم الله فيه كليمه موسى - عليه السلام - ، وبهذا القول قال كثير من الأئمة والعلماء ومنهم : مالك بن أنس ، وابن بطة العكبري ، والقاضي عياض ، وأبو محمد الجويني ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الهادي ، وغيرهم .
==

قال أبو هريرة : « فلقيت عبد الله بن سلام ﷺ ، فحدثته بمجلسي مع كعب وما حدثته في يوم الجمعة ، فقلت له : قال كعب ذلك في كل سنة يوم ، فقال عبد الله بن سلام [ﷺ] [1] : كذب كعب ، فقلت : ثم قرأ كعب التوراة ، فقال : بل هي في كل جمعة ، فقال عبد الله : صدق كعب ، ثم قال عبد الله : قد علمت أي ساعة هي ، قال أبو هريرة : فقلت : أخبرني بها ولا تَضِنَنَّ [2] بها علي ، فقال عبد الله : هي آخر ساعة في يوم الجمعة [3] ، فقال أبو هريرة : كيف يكون آخر ساعة في يوم الجمعة ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « **لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي** » ، وتلك ساعة لا يصلى فيها ؟ فقال ابن سلام : ألم يقل رسول الله ﷺ :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٣) : «والمقصود هنا : أن الصحابة لم يكونوا يستحبون السفر لشيء من زيارات البقاع ، بل إذا فعل بعض الناس شيئاً من ذلك أنكر عليه غيره ، كما أنكروا على من زار الطور الذي كلم الله عليه موسى ، حتى إن «غار حراء» الذي كان النبي ﷺ يتعبد فيه قبل المبعث لم يزره هو بعد المبعث ولا أحد من الصحابة » .

انظر في الكلام في هذه المسألة : شرح مسلم للنووي (٩ / ١٠٦) ، والرد على البكري لابن تيمية (٥٤ - ٥٥) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧ / ٢٦ - ٣٦) ، وفتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن (ص : ٢٨٩ - ٢٩٠) ، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي (ص : ٥٧٧ - ٥٩١) ، والدين الخالص لمحمد صديق حسن (٣ / ٥٨٣ - ٥٩٥) ، والتبرك لناصر الجديع (ص : ٣٢٢ - ٣٢٤) .

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من(س) .

(٢) أي لا تبخل .

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ / ١٠٤) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة ضنن (ص : ٣٨٥) .

(٣) رجح ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد (١ / ١٨٨ - ١٩٦) هذا القول وذكر أن في المسألة أحد عشر قولاً ، وأوصل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح (٢ / ٤١٦ - ٤٢٢) الأقوال إلى ثلاثة وأربعين قولاً .

« **من جلس مجلساً ينتظر الصلاة ، فهو في صلاة حتى يصلي** »؟ فقلت : بلى ، قال : فهو ذلك . [1]

وحكى الإمام حجة الإسلام الغزالي في أوائل « **الإحياء** » في [الباب السادس في باب] [2] آفات العلم وعلامات علماء الآخرة عن زاهد خراسان الشهيد شقيق البلخي [3] أنه قال لتلميذه زاهد وقته حاتم الأصم [4] الذي كان يقال له : لقمان [5]

---

(١) والحديث أخرجه أيضاً : أحمد في المسند (٢ / ٤٨٦) ، وأبو داود في السنن – كتاب الصلاة – باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (١ / ٦٣٤ – ٦٣٥ رقم ١٠٤٦) ، والترمذي في السنن – أبواب الصلاة – باب ما جاء في فضل يوم الجمعة (٢ / ٣٥٩ – رقم ٤٨٨) ، وقال : « حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح » ، والنسائي في السنن – كتاب الجمعة – باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (٣ / ١١٣ – ١١٥ رقم ١٤٣٠) ، وعبد الرزاق في المصنف – كتاب الجمعة – باب الساعة في يوم الجمعة (٣ / ٢٦٤ – رقم ٥٥٨٣) ، وابن حبان في صحيحه – كتاب الصلاة – باب صلاة الجمعة (٧ / ٧ – ٨ رقم ٢٧٧٢ مع الإحسان) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٢٧٨ – ٢٧٩) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، والبغوي في شرح السنة – كتاب الجمعة – باب فضل يوم الجمعة وما قيل في ساعة الإجابة (٤ / ٢٠٦ – ٢٠٨ رقم ١٠٥٠) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في(س) .

(٣) هو : أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي ، الإمام الزاهد شيخ خراسان ، كان صاحب لسان وحكمة ، قتل – رحمه الله – في غزوة كولان في بلاد الترك سنة (١٩٤ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٢ / ٤٧٠ – ٤٧٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٩ / ٣١٣ – ٣١٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٢ / ٤٤٢) .

(٤) هو : أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي ، الزاهد الواعظ القدوة صاحب الحكمة والبيان ، كان يطلق عليه لقمان هذه الأمة ، توفي – رحمه الله – سنة (٢٣٧ هـ) .
انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (٨ / ٧٣ – ٨٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١ / ٤٨٤ – ٤٨٧) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢ / ٢٦ – ٢٨) .

(٥) إن لقمان الذي شبه به حاتم الأصم هو أحد عباد الله الصالحين ، من قضاة بني إسرائيل ، قيل : إنه كان في عهد نبي الله داود ، وقد كان من أهل النوبة من بلاد السودان ، وكان أسود البشرة ،
==

هذه الأمة : « [منذ كم صحبتني] [1] ؟ قال : منذ ثلاث وثلاثين سنة ، قال : [فما] [2] تعلمت مني في هذه المدة ؟ قال : ثماني مسائل ، فقال شقيق : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب عمري معك ، ولم [تتعلم] [3] إلا ثماني مسائل ، فقال : يا أستاذ [لم أتعلّم] [4] غيرها ، ولا أحب أن أكذب ، فقال : هات هذه الثماني ، فذكرها له ، فقال شقيق : يا حاتم ، وفقك الله ، إني نظرت في علم التوراة والإنجيل والزبور [والفرقان العظيم] [5] / وهي تدور على هذه [الثمان] [6] مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة » . [7] وقال قبل ذلك بيسير : « وفي الإنجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم [8] » . [9]

[٣١ أ / س]

ويعمل نجاراً ، وكان صاحب حكمة وعلم وفضل ، اختلف السلف فيه من ناحية هل كان نبياً أم عبداً صالحاً ، والأكثرون على أنه أحد عباد الله الصالحين ، واختلف أيضاً في اسمه فقيل : هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح ، وقيل : هو لقمان بن عنقاء بن سرون .

انظر : تفسير القرطبي (١٤ / ٤١) ، وتفسير ابن كثير (٣ / ٤٥٢) ، وفتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٣٧) .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في(س) ، وقوله : «صحبتني » خطأ في(س) ، حيث كتبت « صحبني » ، والصواب ما أثبته وهو كما في الإحياء .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في(س) .

(٣) في(م) : «تعلم » ، والصواب ما أثبته وهو كما في(س) وأيضاً كما في الإحياء .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في(س) .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من(م) وهو في(س) .

(٦) في(م) : «الثماني » ، والصواب ما أثبته وهو كما في(س) وأيضاً كما في الإحياء .

(٧) إحياء علوم الدين (١ / ٦٤ - ٦٥) .

(٨) انظر : سفر يعقوب ، الإصحاح الثاني ، الفقرات (١٧ - ٢٦) ، وإحياء علوم الدين (٦٣/١).

(٩) في الحاشية : «ويتلوه في الفرحة وفي الكشاف » .

وفي « **الكشاف** »[1] : عند ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾[2] : « كقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾[3] ، وقوله في الإنجيل لعيسى -عليه السلام-[4]: سأنزل عليك كتاباً فيه نبأ بني إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم ، وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به ، وما ضيَّعوا من عهده إليهم ، وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله ، وأوفوا بعهده ، ونصره إياهم ، وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا، ونقضوا ميثاقه و لم يوفوا بعهده »[5] انتهى ما ذكره ، ولم نر أحداً ممن انتقده ذكر هذا فيما أخذه عليه ، والله الموفق .

بعض ما جاء في الإنجيل في شأن الميثاق

(وقال الإمام الزاهد الصوفي[6] الفقيه تقي الدين أبو بكر الحصني الأصل

---

(١) في(س) : « الكتاب » .

(٢) سورة البقرة – الآية : ٢٧ .

(٣) سورة البقرة – الآية : ٤٠ .

(٤) في(س) : « صلوات الله عليه » .

(٥) الكشاف للزمخشري (١ / ٥٩) .

(٦) نسبة للصوفية ، ولقد اختلف في اشتقاق لفظ الصوفية إلى أقوال كثيرة ، فقيل : من الصُّفَّة ، وقيل : من الصوفة وهم عمال وخدام البيت الحرام ، وينسبون إلى صوفة بن أد بن طابخة المضري أحد نساك البيت في الجاهلية ، وقيل : من الصفاء ، وقيل : من الصف الأول ، وقيل : من السوفية اليونانية والتي معناها الحكمة ، وقيل : إنه اسم جامد غير مشتق ، وقيل : نسبة لصفوة الفقهاء ، وقيل : من الصوف ، وهذا الأخير هو الذي رجحه كثير من أهل العلم وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ، وقد كانت بداية التصوف عبارة عن تمسك بالأخلاق وزهد في الدنيا ، ثم انحرف مفهومه إلى الانقطاع عن الدنيا والعلم ، ثم انحرف إلى عقائد باطلة كالحلول والاتحاد والتمسك بالخرافات والمنامات وترك الواجبات والتعبد في الخلوات ، وهم فرق كثيرة جداً فمنهم الغالي الكافر ، ومنهم دون ذلك .

انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص : ١١٥ – ١١٧) ، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (١٠١ – ١٠٥) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١ / ١٦ ، ١٩٥) ، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح (١ / ٣٤ – ٤٤) .

الدمشقي الشافعي [1] في كتابه « **سير السالك إلى أسنى المسالك** » في ترجمة فرقد السبخي [2] : « وقال جعفر - يعني ابن سليمان [3] - سمعت فرقداً يقول : قرأت في التوراة : من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه ، ومن جالس غنياً فتضعضع له ذهب ثلثا دينه ، ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس ، فإنما يشكو ربه عز وجل » [4]) . [5]

---

(١) هو : أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن العلوي الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي المعروف بالتقي الحصني نسبة للحصن ، وهو قرية من قرى حوران من أعمال دمشق ، اشتهر بالفقه والزهد والتصوف ، وقد كان شديد التعصب على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حتى وصل به الأمر إلى الجهر بتكفيره في الجوامع والمجامع ، وكان له عدة مصنفات منها : شرح التنبيه ، وشرح صحيح مسلم ، وسير السالك ، ولد سنة (٧٥٢ هـ) ، وتوفي سنة (٨٢٩ هـ) .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (١١ / ٨١ - ٨٤) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ٤٠٣) ، والأعلام للزركلي (٢ / ٦٩) .

(٢) هو : أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخي البصري ، من سبخة البصرة ، وقيل : من سبخة الكوفة، كان نصرانياً من نصارى أرمينية فأسلم ، وحدث عن أنس وسعيد بن جبير ، وتوفي بالطاعون سنة (١٣١ هـ) .
انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (٣ / ٤٤)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٨ / ٢٣٦- ٢٣٧) ، والتقريب لابن حجر (٤٤٤) .

(٣) هو : أبو سليمان جعفر بن سليمان الضُّبَعي نسبة لبني ضبيعة ، حيث كان ينزل عندهم فنسب إليهم ، كان صاحب عبادة وزهد ولكنه فيه تشيع ، توفي سنة (١٧٨ هـ) .
انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (٦ / ٢٨٧) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨ / ١٩٧ - ٢٠٠) والتقريب لابن حجر (١٤٠) .

(٤) سير السالك إلى أسنى المسالك ، وهو مخطوط في جامعة أم القرى بمركز البحث العلمي برقم ١٥٥٧ ، والكتاب لا يوجد عليه ترقيم للأوراق ، وكلام فرقد هذا يقع في ترجمته ، وهي في الثلث الأخير من الكتاب ، وهذا القول أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣ / ٤٥ - ٤٦) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من(س) .

أسماء النبي ﷺ وصفاته في الكتب السابقة

وقال القاضي عياض أيضاً في « **الشفاء** » في أواخر الباب الثالث : ومعنى قوله : « **لي خمسة أسماء** »[1] قيل إنها موجودة في الكتب القديمة ، وعند أولي العلم من الأمم السالفة ».[2] وقال بعده بقليل : « وقد وقع / أيضاً في كتب الأنبياء ، قال داود [٢١ أ / م] – عليه السلام – : اللهم ابعث لنا محمداً مقيم[3] السنة بعد الفترة[4] ».

قال الشيخ نور الدين المحلي : « في هذا اعتماد على أهل الكتاب في نسبة القول إلى الأنبياء – عليهم السلام – الذين لم ينطقوا عن الهوى ، وفيه ترجمته بالعربية مع نسبته إليهم » انتهى .

وقال القاضي عياض أيضاً بعد ذلك بقليل : « ومن أسمائه ﷺ في الكتب : المتوكل والمختار ، ومقيم السنة[5] ، والمقدّس[6] ، وروح الحق[7] ، وهو معنى

---

(١) يشير للحديث الذي رواه البخاري في صحيحه – كتاب المناقب – باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ... (٦ / ٥٥٤ – رقم ٣٥٣٢) ، وكتاب التفسير – باب ﴿ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [سورة الصف الآية ٦] (٨ / ٦٤٠ – ٦٤١ رقم ٤٨٩٦) واللفظ له ، ومسلم في صحيحه – كتاب الفضائل – باب في أسمائه ﷺ (٤ / ١٤٥٨ – رقم ٢٣٥٤) ، كلاهما عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لي خمسة أسماء: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**».

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣١٥) .

(٣) في(س) : « يقيم » .

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣١٧) .
وقد ذكر ابن ظفر في خير البُشَر بخير البَشَر (ق ١٥ / أ) ، وابن القيم في هداية الحيارى (ص : ٣٥٦) مثل هذا النص عن داود – عليه السلام – حيث قالا : «قال داود : اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنه بشر » ، وانظر أيضاً المزمور التاسع والثمانين ، الفقرات (٢٦ – ٢٧) ، وكلام محقق هداية الحيارى حول هذا النص (ص : ٣٥٦) .

(٥) انظر في هذه الأسماء الثلاث (ص : ٣٦٥ ٣٦٦) من هذا الكتاب ، وكذا دلائل النبوة لأبي نعيم (ص : ٧٢) .

(٦) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥ / ٢٥٧ ، ٢٦٧) .

(٧) انظر : المصدر السابق ، و (ص : ٣٦٥) من هذا الكتاب .

البار قليط في الإنجيل » .[1]

---

(١) لا نجد في الطبعات الحديثة للكتاب المقدس لفظة : البارقليط ، إنما نجد بدلها لفظة المعزي .
ولقد جاءت هذه اللفظة أعني – البارقليط أو الفارقليط – في الطبعات القديمة المطبوعة في لندن سنة (١٨٢١ م) و (١٨٣١ م) و (١٨٤٤ م) ، كما جاءت أيضاً في طبعة الموصل سنة ١٨٧٦م، ولقد ذكرها أيضاً الخوري يوسف إلياس الماروني في كتابه « تحفة الجيل في تفسير الأناجيل » المطبوع في بيروت سنة (١٨٧٧ م) كما ذكر ذلك الملكاوي في بشرية المسيح (ص : ٢٤) ، وكما أن جميع كتب العقائد والردود الإسلامية القديمة ذكرتها في مبحث بشارات النبي ﷺ في الكتب السابقة ، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر كتاب : أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية (ص : ١٠٩ – ١١١) ، وكتاب الأجوبة الفاخرة (ص : ١٦٥ – ١٦٩) ، وكلاهما للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي – رحمه الله – ، وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (٥ / ٢٨٤ – ٢٨٦) ، وكتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام ابن القيم – رحمه الله – (ص : ٣٢٣ – ٣٢٦) ، وكتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لأبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي – رحمه الله– (ص : ٢٦٧ – ٢٧٠) .
أما عن معنى البارقليط : فهو الحمد والحامد والحماد وأحمد ، ويشبهه لفظ المنحمنا بالسريانية .
قال ابن القيم – رحمه الله – في هداية الحيارى (ص : ٣٧٩) : «والمُنْحمنَّا بالسريانية ، وتفسيره بالرومية البارقليط ، وهو بالعربية الحماد والمحمود والحمد » .
ولقد ذكر – رحمه الله – في الهداية أيضاً (ص : ٣٢٥ – ٣٢٦) أن أهل الكتاب اختلفوا في معناه إلى ثلاثة أقوال :
الأول : أنه بمعنى الحامد والحمد .
الثاني : أنه بمعنى المخلص .
الثالث : أنه بمعنى المعزي .
انظر بالإضافة إلى ما سبق : إظهار الحق لرحمت الله الهندي (٤ / ١١٨٥ – ١٢١٣) ، وبشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين لمحمد أحمد ملكاوي (ص : ٢٣٨ – ٢٥٩) .

ومن أسمائه في الكتب السالفة : مأذمأذ [1] ، ومعناه : طيب طيب ، وحمطايا [2] والخاتم والحاتم [3] ، حكاه كعب الأحبار [4] ويسمى بالسريانية [مشفّح] [5]

(١) لا توجد هذه اللفظة في الطبعات الحديثة من الكتاب المقدس ، إنما توجد بدلها لفظة : «كثيراً جداً»
انظر : سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر ، الفقرة (٢) ، والفقرة (٦) .
ولقد اختلف أهل الكتاب في معنى مأذمأذ أو مأدمأد أو مِئدمِئد ، أو مؤدمؤد إلى قولين :
الأول : أن المعنى هو «جداً جداً» أو «كثيراً كثيراً» .
قال ابن القيم - رحمه الله - في هداية الحيارى (٣٣٥) : «فإن كان هذا معناها ، فهو بشارة بمن عظم من نبيه كثيراً كثيراً ، ومعلوم أنه لم يعظم من نبيه أكثر مما عظم محمد ﷺ» .
الثاني : أن المعنى هو محمد . قال ابن القيم - رحمه الله - في نفس المرجع السابق (ص: ٣٣٦): «وإذا أخذت لفظة مودمود وجدتها أقرب شيء إلى لفظة محمد ، وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية ، ولذلك يقولون : «اصبوع ألوهيم» أي أصبع الله كتب له بها التوراة» .
وقال أيضاً (ص: ٣٧٠) : «قال لي ولغيري بعض من أسلم من علمائهم: أن مئدمئد هي محمد» .
وقال الشوكاني - رحمه الله - في «إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات» (ص: ٢٧): «مأذمأذ هو اسم محمد بالعبرانية ، وهذا صريح في البشارة بنبينا محمد ﷺ» .
وانظر بالإضافة لما سبق : خير البُشَر بخير البشر لابن ظفر (ق ٨ / أ) ، وإظهار الحق لرحمت الله الهندي (٤ / ١١٣٦ - ١١٣٨) .

(٢) في (س) : «وسمطاتا» .

(٣) قال القاضي عياض في الشفاء (١ / ٣٢١) : «قال ثعلب : فالخاتم الذي ختم الله به الأنبياء ، والحاتم : أحسن الأنبياء خَلقاً وخُلقاً» .
وقال صاحب مختار الصحاح (ص : ١٢٢) : «الحاتم : القاضي» .

(٤) انظر : الخصائص الكبرى للسيوطي (١ / ١٩٢) .

(٥) في (م) : «مشقح» بالقاف ، وفي (س) : «متسقح» ، والصواب ما أثبته وهو كما في الشفاء .
وقد أورد ابن القيم -رحمه الله- في هداية الحيارى (ص:٣٦٢، ٣٦٩-٣٧٠) ترجمتين لنص واحد من سفر إشعياء ذَكرَ في الترجمة الثانية لفظة «مشفح» ولم يذكر في الأولى هذه اللفظة ، والترجمتان اللتان ذكرهما هما من الإصحاح الثاني والأربعين من السفر المذكور الفقرات (١ - ٧) .

==

والمُنْحَمِنَّا [1] ، واسمه أيضاً في التوارة : أحيد . روي ذلك / عن ابن سيرين [2] ، [٣١ ب/س]
ومعنى صاحب القضيب ، أي السيف [3] ووقع مفسراً في الإنجيل [4] قال : معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك [5] » . [6]

==
ثم ذكر - رحمه الله - معنى « مشفح » فقال : « مشفح » بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرّم - وهي لفظة عبرانية - مطابق لاسم محمد معنى ولفظاً ، مقارباً لمطابقة مؤد مؤد بل أشد مطابقة ، ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانيين ، فإنها بين الحاء والهاء ، وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة ، ولا يتريب عالم من علمائهم منصف أنها مطابقة لاسم محمد » .

(١) في(س) : « والمتحمنا » . وهذه اللفظة غير موجودة في الطبعات الحديثة ، إنما يوجد بدلها المعزي .
وقد تقدم ذكر معناها قريباً عند الكلام عن البارقليط .
انظر : إنجيل يوحنا ، الإصحاح الخامس عشر ، الفقرة (٢٦)

(٢) ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٩٢) ، من قول ابن عباس ، وليس من قول ابن سيرين ، وعزاه لابن عدي ، وابن عساكر .
وابن سيرين هو : أبو بكر محمد بن سيرين البصري الإمام العظيم الشأن ، صاحب الورع والأمانة والحيطة والصيانة ، كان والده مملوكاً لأنس بن مالك ﷺ ، وقد أخذ عن كبار الصحابة أمثال : أبي هريرة ، وابن عباس وأنس ، وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وتوفي - رحمه الله - بالبصرة سنة (١١٠ هـ) .
انظر : حلية الأولياء أبي نعيم (٤ / ١٨١) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥ / ٣٣١) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٦٠٦ - ٦٢٦) .

(٣) في(س) : « السلف » .

(٤) الصواب في التوراة بمعناها العام .

(٥) انظر : سفر التكوين ، الإصحاح التاسع والأربعين ، الفقرة (١٠) ، وسفر إشعياء ، الإصحاح الحادي عشر ، والمزمور الثاني ، الفقرة (٩) .

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٢١ - ٣٢٢) .
وانظر في ذلك للفائدة أيضاً : دلائل النبوة للبيهقي (١ / ٣٧٨) ، وهداية الحيارى لابن القيم (ص : ٣٥٤ - ٣٥٦) .

قال الشيخ نور الدين : « قوله : « قال معه » إن اعترض معترض وسأل عن فاعل قال في قوله شيخنا في « **نظم الدرر** » إن وجد قال في التوراة : ما هو ؟ فيجاب بأنه أراد بفاعل قال : ما أراده هذه العلامة » انتهى .

قال : « وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة ، وفيما ذكرنا منها مقنع » [1]، وقال بعد ذلك بقليل : « محمد بمعنى محمود ، وكذا وقع اسمه في زبور داود »[2] . [3]

وقال بعده بيسير: « ووقع في أول سفر من التوراة، عن إسماعيل -عليه السلام-: وستلد عظيماً لأمة عظيمة » [4] ، وسمي النبي ﷺ في كتاب داود - عليه السلام - بجبار ، فقال : « تقلد أيها الجبار سيفك ، فإنَّ ناموسك [5] وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك » [6] . [7]

قال الشيخ نور الدين : « قوله : « فقال » إلى آخره فاعل قال ، الكلام عليه

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٢٢) .

(٢) لفظة : « محمد » أو « محمود » غير موجودة في الطبعات الحديثة للكتاب المقدس ، وهي موجودة في الطبعات القديمة التي اعتمد عليها أئمة الإسلام مثل ابن القيم وغيره .

انظر : هداية الحيارى (٣٥٤ ، ٣٥٦) ، والمزمور الثامن والأربعين ، الفقرة (١) .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٢٤) .

(٤) انظر : سفر التكوين ، الإصحاح السادس عشر ، الفقرات (١٠ - ١٢) ، والإصحاح السابع عشر ، الفقرة (٢٠) ، والإصحاح الحادي والعشرين الفقرات ١٢ - ١٣ .

(٥) أي الوحي المنزل عليك ، والناموس اسم يوناني الأصل معناه الشريعة أو القانون .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة نمس (٦ / ٢٤٤) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٩٧٨) .

(٦) نص المزمور : « تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك ، وبجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة والبر ، فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون » . مزمور ٤٥ الفقرات ٣ - ٥ .

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٢٧) .

كالذي قبله » انتهى .

وقال بعد ذلك بقليل : « وقال في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور في صفته: ليس بفظ [1] » . [2]

بعض دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام

قال الشيخ نور الدين : « والكلام في فاعل قال هنا أيضاً كما تقدم » انتهى .

وقال في أواخر الباب الرابع : « فصل : ومن دلائل نبوته ما ترادفت بـه الأخبـار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب - إلى أن قال - : وما أُلْفِيَ مـن ذلـك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ، ونقله [3] عنها ثقات [4] ممن أسلم منهـم - وعدَّ جماعة ممن أسلم - ثم قال : وقد اعترف بذلك هرقل [5] - وعدَّ جماعة ممَّـن مـات علـى كفـره - إلى أن قـال : وقـد قـال لهـم : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [6] ، [7] إلى غير ذلك مما فيه لا ينكره فقيه ، ولا فاضل نبيه .

[٣٢ أ/س] قـال الشـيخ نـور / الديـن : « إن أنكـر معـترض قـول شـيخنا في « نظـم الـدرر » : وقـال متّـى [8] أو

(١) تقدم ذكره ، فانظر : (ص : ٣٦٥ - ٣٦٦) .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٣٣٣) .

(٣) في(س) : « ونقلته » .

(٤) في(س) هكذا : « بفَات » .

(٥) انظر : (ص : ٢٠٩) .

(٦) سورة آل عمران - الآية : ٩٣ .

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٥١٥ - ٥١٧) .

(٨) هو أحد الحواريين الإثني عشر ، أُخذ اسمه من الاسم العبري : « مشتيا » الذي معناه « عطية يهوه » ، وكان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليـل بفلسـطين ، وكانوا يسمون بالعشارين ، آمن بالمسيح - عليه السلام - ، واختـاره تلميذاً لـه ، ثـم بعـد رفـع المسيح أخذ يدعو للمسيحية مُطَوِّفاً في كثير من البلاد ، ثم استقر في الحبشـة مـدة ثـلاث وعشـرين سنة ، ومات بهـا سنة (٧٠ م) ، وقيـل : (٦٢ م) ، وإليـه ينسـب إنجيـل متـى أقدم الأنـاجيل المعتمدة عند النصارى ، كما ينسب إليه انجيل آخر غير معتمد عندهم .

==

مرقس [1] أو غيرهما / ممن اشتهر عند أهل الكتاب أنهم من حواري[2] السيد عيسى [٢١ ب/م] – عليه السلام–، فيقال له[3] : لا يتقاعد[4] نقله عنهم عـن نقـل هـذا الإمـام [5] عـن الأحبار والرهبان وعلماء أهل الكتاب ، فما أجيب عن هذا ، فهو الجواب عنه ، وقوله : « وعلماء أهل الكتاب » عام في مؤمنهم وكـافرهم ، فـلا يعـترض علـى مـن

سبب الاستدلال بكلام الكفرة مع استغناء الدين عن ذلك

==

انظر : الأسـفار المقدسـة لعلي عبـد الواحـد (ص : ٧٩) ، وإنجيـل متـى ، الإصحـاح التاسـع ، الفقرات (٩ – ١٢) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٨٣٢) .

(١) اسمه يوحنا ويلقب بمرقس وهو اسم لاتيني معناه « مطرقة » ، وأصله من اليهود ، وهو أحـد التلاميـذ السبعين على الأرجح ، وابن أخت القديس « برنابا » ، صحب بولس وبرنابا في رحلتهما التنصيرية في قبرص وآسيا الصغرى ، ثم صحب بطرس كبير الحواريين في رحلاته ، وبعد موت بطرس ذهـب إلى شمال إفريقيا ، ثم إلى مصر ، وأنشأ بها بطرياركة الإسكندرية التي يتولاها الآن بابوات الأقبـاط الأرثوذكس ، وكانت وفاته بمصر سنة (٦٧ م) تقريباً ، وإليه ينسب الإنجيل المسمى باسمه .
انظر : الأسفار المقدسة (ص : ٨٤) ، وسفر أعمال الرسل للوقا ، الإصحاح الثاني عشر ، الفقرة (٢٥) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٨٥٣) .

(٢) الحواريون هم صفوة أتباع الأنبياء الذين أخلصوا لهم ونصروهم ، وحواريي عيسـى – عليـه السـلام – هم اثنا عشر رجلاً اختارهم من بين السابقين الأولين من أتباعه ، ومن أكثرهم ملازمة له ، وقـد كلّفهم بتبليغ رسالته إلى الخلق ، وأطلق عليهم بعد ذلك اسم الرسل وهم : بطرس كبير الحواريين ، وأخوه أندراوس ، ويوحنا ، وأخوه يعقوب الكبير ابنا زبدي ، ويعقوب الصغير ابن حلفي، وأخـوه يهـوذا، ومتـى ، وتومـاس ، وفيلبيـس ، وبرثولمـاوس ، وسمعـان النشـيط أو الغيـور ، ويهـوذا الأسخريوطي ، وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالتهم ، صادقين ما عاهدوا المسيح عليه ، ما عدا الأخير يهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح وأرشد الرومان إلى مقره ليصلبوه ، لكن جعل الله كيـده في نحره ، فصلب بدلاً منه ، وحينئذ اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت رئاسـة بطـرس لاختيار حواري واحد بدلاً من يهوذا ، فتم اختيار متياس ، فاكتمل العدد اثنا عشر مرة أخرى .
انظر : لسان العرب لابن منظور ، مـادة حـور (٤ / ٢٢٠) ، وسـفر أعمـال الرسـل للوقـا – الإصحاح الأول (ص : ٦ – ١٥) ، والأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد (ص : ٧٦ – ٧٧) .

(٣) قوله : « له » ساقط من (س) .

(٤) في (س) : « تباعد » .

(٥) يقصد القاضي عياض رحمه الله .

قال ، وأخبرني بعض فضلائهم - يعني أهل الكتاب - وقوله : « العلماء » هو كما يراه من له أدنى مِسْكَةٍ وفَهْمٍ مُنَادٍ بالإنكار على من ادَّعى الإجماع[1] ومُعَبِّر في وجهه ، فافهمه . وقوله : « وقد اعترف » إلى آخره يسأل لم جعل [2] هذا الإمام كلام هؤلاء الكفرة دلائل ، مع أن الدِّين مستغنٍ عن ذلك بما فيه من البراهين القواطع ؟ ! وهل هو إلاَّ لأنَّ قطع الخصم بما يعتقده أتمَّ وأحسن[3] ، يشهد بذلك من حَنَّكَتْهُ الدراسة » . انتهى

منزلة الإمام البيهقي

وأما الإمام البيهقي الذي أضاءت مصنفاته الأرض بطولها والعرض ، وتلقاها الأئمة الأبرار تلقي الفرض [4] ، وقال العلماء : « إن للشافعي - رحمه الله - على كلِّ من تبعه المنَّة إلا البيهقي ، فإنَّ له على الشافعي المنَّة »[5] ، وذلك لما أحيا من آثاره ، وبثَّ في الناس من أنواره ، فأكثر في « **دلائل النبوة** » من النقل عن أهل

---

(١) يقصد الإمام بدر الدين الزركشي ومن اعتمد على قوله. انظر: (ص : ١٩٤ ، ٢٦١ ، ٤٨٩) .

(٢) في(س) : « يجعل » .

(٣) قال الدكتور محمد أحمد ملكاوي في كتاب « بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ » (ص: ١٩٤ - ١٩٥) : « ولا يعني الاستدلال على الخصم من كتبه أن دلائل صدق نبوة محمد ﷺ محصورة في كتب أهل الكتاب فحسب ، بل النبي الصادق له من دلائل الصدق ما يكفي لإقناع جميع الناس ، بحيث لا يكفر من يكفر به إلا عناداً واستكباراً ، والبشارات الواردة في كتب أهل الكتاب هي إحدى دلائل الصدق على نبوة محمد ﷺ لا كلها، وفائدة هذه البشارات هي لفت نظر أهل الكتاب وحثهم على المسارعة إلى الإيمان بهذا النبي ، أكثر من فائدتها للمسلمين المصدقين بنبوته ، وأهل الكتاب هم أولى وأحق بفهم هذه البشارات من غيرهم، وما استدلالنا عليهم بما في كتبهم إلا من قبيل الإلزام » .

(٤) في الحاشية : « يتلوه في الفرخة وقال العلماء إن » .

(٥) هذه المقولة في حق الإمام البيهقي - رحمه الله - تنسب لإمام الحرمين .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٧٦) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ١٦٨) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١ / ٢٢٦) .

بعض ما ذكره البيهقي من أخبار المتقدمين الدالة على نبوة محمد ﷺ

الكتب القديمة ، وجعلها أبواباً [1] ، فذكر في تزوج عبد الله بن عبد المطلب [2] أبي النبي ﷺ

بإسناده إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : « قال عبد المطلب [3] : قدمت اليمن في رحلة الشتاء ، فنزلت على حبرٍ من اليهود ، فقال لي رجلٌ من أهل الزبور : يا عبد المطلب ، أتأذن لي أن أنظر إلى بدنك ما لم يكن عورة »، فذكر خبراً [4] فيه أن في إحدى مِنْخَرَيهِ [5] ملكاً ، وفي الآخر نبوة [6] .

(١) في(س) هكذا : « أبونا ».

(٢) هو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، الذبيح الثاني ووالد النبي ﷺ ، وأمه هي فاطمة بنت عمرو المخزومية ، توفي في المدينة بعد مجيئه من الشام في عير لقريش ، ودفن في دار النابغة ، وقد كان النبي ﷺ حين وفاته في بطن أمه آمنة بنت وهب .
انظر : تاريخ الطبري (١ / ٥٠١) ، وسيرة ابن هشام (١ / ١٠٨ – ١٠٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٣٠) .

(٣) هو : أبو الحارث شيبة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ولد في المدينة وتربى بها إلى أن بلغ ، ثم انتقل إلى مكة مع عمه المطلب بن عبد مناف الذي أخذه من أمه سلمة بنت عمرو بن زيد النجارية، وعندما دخل به المطلب مكة قيل له : من هذا الفتى الذي معك ؟ فقال : هو عبدي ، فلقب بعدها بعبد المطلب ، وقد كان سيداً من سادات قريش ، وكانت له السقاية والرفادة ، وهو الذي سعى في الكشف عن بئر زمزم بعد اندراسه ، وكان من المحبين والمقربين للنبي ﷺ في صغره ، وتوفي وعمر رسول الله ﷺ ثمانية أعوام .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٦٨ – ١٦٩) ، والكامل لابن الأثير (١ / ٤٠٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٢٧ ، ٥٠٢ – ٥٠٣) .

(٤) في(س) : « حبراً ».

(٥) يطلق المنخر على الأنف وعلى ثقبة وعلى الفم وعلى اليدين ، والمقصود بالمنخرين هنا اليدان .
انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة نخر (١٩٨/٥)، والمعجم الوسيط ، مادة نخر (ص:٩٤٥) .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (١٠٦/١-١٠٧)، والخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨٦/١)، والحاكم في المستدرك (٦٠١/٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٢٩/١-١٣٠)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٢٣٣/٢)، وقال الذهبي في التلخيص (٦٠١/٢): « يعقوب وشيخه ضعيفان » وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٠/٨-٢٣١) وقال: « فيه عبد العزيز بن عمران ، وهو متروك» .

ثم أسند عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان يهوديٌّ قد سكن مكّة يتّجر [1] بها ، فلما كانت الليلة التي وُلِد / فيها رسول الله ﷺ » فذكرت بشارته [٣٢ ب/س] بنبوة النبي ﷺ ، وذهاب النبوة من بني إسرائيل [2] ، ثم ذكر أمر تبَّعٍ [3] عن ابن إسحاق ، وبشارة اليهود له [4] بالنبيِّ ﷺ في خبرٍ طويلٍ ، أراد [5] فيه تخريب المدينة الشريفة وأخذ كنز [6] الكعبة وهدمها [7] ، ثم ذكر قصة إيوان [8] كسرى [9]

---

(١) في(س) : « يتخير » .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (١ / ١٠٨ - ١٠٩) ، والخبر أخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (٢ / ٦٠١ - ٦٠٢) ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ولم يوافقه الذهبي .

(٣) هو تبع الأصغر أبو كرب تبان أسعد بن زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار ، أحد ملوك حمير في اليمن ، قدم المدينة وأراد خرابها وقتل أهلها ، لكن رجع عن ذلك بعد أن التقى بحبرين من يهود ، وتهود على يديهما ، وهو الذي عمر البيت الحرام وكساه بعد أن أراد هدمه ، قتله قومه بعد أن علموا باعتناقه اليهودية .

انظر : سيرة ابن هشام (١ / ١٩ - ٢٠) ، وتاريخ الطبري (١ / ٣٣١) ، ودلائل النبوة للبيهقي (١ / ١١٦) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ١٥٢) .

(٤) قوله : « له » ساقط من(س) .

(٥) في(س) : « أورد » .

(٦) في(س) : « كبز » .

(٧) دلائل النبوة للبيهقي (١ / ١١٥ - ١٢١) ، والخبر أخرجه أيضاً ابن هشام في السيرة (١ / ٢٠ - ٢٨) ، (١ / ٤١ - ٥٤) ، وذكر أبو نعيم في الدلائل جزءاً منه (١ / ١٤٤ - ١٥١) ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ١٥٢ - ١٦٤) .

(٨) الإيوان : هو الصُّفَّة العظيمة ، والمقصود به هنا : قصر كسرى . انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة أون (ص : ٣٤) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة أون (١٣ / ٤٠) .

(٩) هو يزدجر بن شهريار بن أبرويز بن هرمز المجوسي الفارسي ، أحد ملوك الفرس ، انهزم من جيش عمر في العراق ، وهرب إلى مرو فثار عليه أمراء دولته فظفروا به وقتلوه بعد ذلك سنة ثلاثين من الهجرة ، وكان آخر ملوك الأكاسرة والفرس والذي استمر حكمهم ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وستون عاماً .

انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٥١) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ١٠٩) ، وشذرات الذهب لابن العماد (١ / ١٩١) .

وما معه [1] ، وبشارة سطيح [2] بالنبيِّ ﷺ وهو خبرٌ طويلٌ [3] ،ثم قال : « باب صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب ، وصفة أمَّته » ، ثم ساق من ذلك أربع ورقاتٍ كبار منها : عن أبي العالية [4] قال : « لما افتتحنا تُسْتَر [5]

---

(١) من سقوط شرفه ، ورؤيا الموبذان - وهو قاضي المجوس - وخمود النيران .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤ / ٣٦٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة موبد (٣ / ٥١١) .

(٢) هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن الغساني ، من سكان الشام ، وأحد كهان العرب الذين أخبروا عن رسول الله ﷺ ومبعثه ، وكان صاحب علم بالكتب القديمة
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ١٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٥١ - ٢٥٢) ، وانظر في الكلام عنه أيضاً المراجع المدونة في التعليق التالي .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (١ / ١٢٦ - ١٢٩) ، والخبر أخرجه الطبري في تاريخه (١ / ٤٥٩ - ٤٦٠) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ١٣٨ - ١٤١) ، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (٤ / ١٢٢١ - ١٢٢٥ رقم ١٩٤) ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠) ، وأشار إليه ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٥٨٤) ، وذكر أن ابن السكن أخرجه في معرفة الصحابة ، قال محقق دلائل النبوة للبيهقي الدكتور عبد المعطي قلعجي (١ / ١٢٩) : « هذا حديث ليس بصحيح » .

(٤) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري ، الإمام المقري ، الحافظ المفسر ، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب ، وأسلم في خلافة الصديق ﷺ ، وأخذ عن كبار الصحابة ، قال عنه الحافظ : « ثقة كثير الإرسال » ، توفي - رحمه الله - سنة (٩٠ هـ) .
انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (٢ / ٢١٧) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٢٠٧ - ٢١٣) والتقريب لابن حجر (٢١٠) .

(٥) تُسْتَر : بالضم ثم السكون ، وفتح التاء الأخرى ، وهي تعريب (شوشتر) وهي من أعظم مدن خوزستان من أرض العراق ، فتحها المسلمون على يد أبي موسى الأشعري ﷺ في السنة السابعة عشر من الهجرة ، ويوجد بها قبر الصحابي الجليل البراء بن مالك ﷺ .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ / ٢٩ - ٣١) .

وجدنا[1] في بيت مال الهرمزان[2] سريراً عليه رجلٌ ميت[3] عند رأسه مصحفٌ[4]، فأخذنا المصحف ، فحملناه إلى عمر بن الخطاب ﷺ ، فدعا له كعباً ، فنسخه بالعربية ، أنا أول رجلٍ قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا » ، فذكره . [5] وقال بعده : « باب ما وجد من صورة نبينا محمدٍ ﷺ مقرونة بصور الأنبياء – عليهم السلام – قبله بالشام » وذلك في أربع ورقاتٍ كبار ذكر فيه خبراً عن جبير بن مطعم [6] ، عن

---

(١) في(س) : « فوجدنا » .

(٢) هو ملك الأهواز الذي أسر في العام السابع عشر من الهجرة يوم فتح تستر على يد أبي موسى الأشعري ﷺ ، ولقد أرسله إلى المدينة لملاقاة عمر بن الخطاب مع وفد فيه أنس بن مالك والأحنف ابن قيس ، وعندما وصل إلى المدينة أعلن إسلامه خوفاً من القتل ، وقد توفي مقتولاً على يد عبيد الله بن عمر بن الخطاب بعد اتهامه بممالاة أبي لؤلؤة وجفينة في مقتل عمر ﷺ .
انظر : تاريخ الطبري (٢ / ٥٠٠ – ٥٠٣) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢ / ٣٨٢ – ٣٨٤) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٨٧ – ٩٠) .

(٣) قيل : هو دانيال .
انظر : ترجمته ص : (ص : ٤٩٧ – ٤٩٨) .

(٤) المصحف – بضم الميم وكسرها – هو ما جمعت فيه الصحف .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة صحف (ص : ٣٥٧) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة صحف (٩ / ١٨٦) .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (١ / ٣٧٣ – ٣٨٢) ، والخبر أورده أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (٥ / ٢٨١ – ٢٨٢) ، وابن القيم في هداية الحيارى (ص : ٣٧٧) ، وابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٣٧) ، وقال : « هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية » .

(٦) هو : أبو محمد – وقيل أبو عدي – جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي ، أحد صحابة رسول الله ﷺ الكرام ، وأحد أشراف قريش وساسة العرب ، أسلم يوم الفتح وقيل عام خيبر ، وقد كان من المؤلفة قلوبهم ، روى عن النبي ﷺ ستين حديثاً ، توفي ﷺ بالمدينة سنة (٥٩ هـ) ، وقيل (٥٨ هـ) ، وقيل (٥٧ هـ) .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٧٧) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٢ / ١٣١ – ١٣٤) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ٩٥ – ٩٩) .

جماعةٍ من النصارى .[1]

ثم خبراً[2] عن هشام بن العاص[3] ، عن هرقل وكأن الصور لم تكن محرَّمةً عندهم[4] ، فإن في آخر الخبر أن هذه الصُّوَر منقولة عن خزانة آدم – عليه السلام –[5] ، ثم قال : « باب ما جاء في إخبار سيف[6] بن ذي يزن[7] عبد

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١ / ٣٨٤ – ٣٨٥) ، والخبر أخرجه أيضاً البخاري في التاريخ الكبير (١ / ١٧٩) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢ / ١٢٥ – رقم ١٥٣٧) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٤٩ – ٥٠) ، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (٣ / ٨٠٨ – رقم ١٢٢) ، وأورده ابن كثير في تفسيره (٢ / ٢٦٤) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٣٣ – ٢٣٤) ، وقال : «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم » ، والسيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ٣٦٣ – ٣٦٤) .

(٢) في (س) : «أخبر » .

(٣) هو أبو المطيع هشام بن العاص بن وائل السهمي ، أحد السابقين الأولين للإسلام ، وممن هاجر للحبشة ، وعندما علم بهجرة النبي ﷺ للمدينة رجع لمكة كي يلحق برسول الله ﷺ ، ولكنه حبس من قبل قومه ، قدم المدينة مهاجراً يوم الخندق ، فلازم النبي ﷺ وشهد ما بعدها من مشاهد معه عليه الصلاة والسلام ، واستشهد ﷺ يوم اليرموك .
انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (١٠ / ٣٩٩ – ٤٠٠) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ٧٧ – ٧٩) ، والإصابة لابن حجر (١٠ / ٢٤٦ – ٢٤٨) .

(٤) انظر في حكم التصوير : مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١ / ٤٤١ – ٤٤٢) ، وإعلان النكير على المفتونين بالتصوير لحمود التويجري .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (١ / ٣٨٥ – ٣٩٠) ، والخبر أخرجه أيضاً أبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٥٠ –٥٦) ، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (٣ / ٧٩٧ – ٨٠٦ – رقم ١٢١)، وأورده أيضاً ابن كثير في تفسيره (٢ / ٢٦٢ – ٢٦٣) ، وقال : «إسناده لا بأس به » ، وذكره ابن حجر في الفتح مختصراً (٨ / ٢١٩) ، وقال : «إسناده ضعيف » ، وذكره أيضاً في الإصابة (٦ / ٤٠٦) من طريق عبادة بن الصامت وقال عنه : «إسناده ضعيف » .

(٦) في(س) : «يوسف » .

(٧) هو : أبو مرة سيف بن ذي يزن ذي أصبح بن مالك الحميري ، أحد ملوك ودهاة العرب

==

المطلب بن هاشم بما يكون من أمر النبي ﷺ» وهو في ورقتين من الورق الكبار [1].[2]

ثم قال : « باب فيما [3] جاء في استسقاء عبد المطلب بن هاشم ، وما ظهر فيه من آيات رسول الله ﷺ » ، فذكر / قصة الهاتف الذي بشَّر بالنبيِّ ﷺ ، وهو غلام قد أيفع [4] أو كرب [5] . [6]

[٣٣ أ / س]

== اليمانيين، قيل : إن اسمه معد يكرب ، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان ، تربى ونشأ في صنعاء ، واستعان بكسرى على ملوك الحبشة الذين أخذوا ملك أجداده ، وقتل ملكها مسروق بن أبرهة الأشرم ، كانت فترة ملكه خمساً وعشرين سنة ، قتل على يد بعض الأحباش سنة خمسين قبل الهجرة .

انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٦٢ - ٦٤) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (١ / ٢٦٣) ، والأعلام للزركلي (٣ / ١٤٩) .

(١) في(س) : تكرار للعبارة السابقة والتي هي كما في (س) : «ثم قال باب ما جاء في إخبار يوسف ابن ذي يزن عبد المطلب » .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٩ - ١٤) ، والخبر أخرجه أيضاً أبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٩٥ - ٩٩) ، وأورده ابن كثير بطوله في البداية والنهاية (٢ / ٣٠٥ - ٣٠٧) .

(٣) في (س) : « ما » .

(٤) أي أصبح شاباً .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة يفع (٨ / ٤١٥) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الياء ، باب العين (٣ / ١٠٢) .

(٥) أي «دنا »ويقال كربت الشمس للمغيب أي دنت .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة كرب (١ / ٧١٢) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل الكاف ، باب الباء (١ / ١٢٣) .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١٥ - ١٩) ، والخبر أخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات (١ / ٨٩ - ٩٠) من طريق هشام بن محمد بن السائب وهو متروك .

انظر : ميزان الاعتدال للذهبي (٥ / ٤٢٩) .

ثم قال : « باب ما جاء في خروج النبي ﷺ مع أبي طالب [1] حين أراد الخروج إلى الشام تاجراً ، ورؤية بحيرا [2] الراهب من صفته وآياته ما استدلَّ به على أنه هو النبي [ﷺ][3] الموعود في كتبهم »، فذكر قصته وفيها قصة الروم الذين أرادوا قتل النبي ﷺ لما علموا من نبوَّته وأنَّه منعهم من ذلك، وطرق القصة وطولها في ورقتين.[4]

---

(١) هو : أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، عم النبي ﷺ ، وولي أمر رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب ، وكان له عضداً وحرزاً ومنعة وناصراً، طمع رسول الله ﷺ في إسلامه ، ولكنه مات على الكفر وعلى دين الآباء ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات ، كان له من الأولاد : جعفر وعلي وعقيل وطالب وأم هانئ .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ١٧٩ ، ٤١٥ - ٤١٨) ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص : ٣٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٣٥) ، (٣ / ١٢٠ - ١٢١) .

(٢) هو : بحيرا الراهب قيل : إن اسمه جرجيس ، وهو أحد علماء أهل الكتاب ، قيل : إنه من يهود تيما ، وقيل : إنه من نصارى عبد قيس ، توسم في رسول الله ﷺ النبوة حينما كان معه عمه أبي طالب في بصرى الشام ، وعده ابن حجر في الإصابة من أهل الإسلام .
انظر : الروض الأنف للسهيلي (٢ / ٢٨٠) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢١٣) ، والإصابة لابن حجر (١ / ٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٢٤ - ٢٩) ، والقصة أخرجها أيضاً الترمذي في السنن : كتاب المناقب باب ماجاء في بدء نبوة النبي ﷺ (٥ / ٥٥٠ -رقم ٣٦٢٠) ، وقال : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » ، وابن هشام في السيرة (١ / ١٨٠ - ١٨٢) ، وابن سعد في الطبقات (١ / ١٢٠ - ١٢١) ، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (١١ / ٤٧٩ - رقم ١١٧٨٢) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٦١٥ - ٦١٦) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ١٦٨ - ١٧٢) ، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١ / ٣٨١ - ٣٨٣ - رقم ٢٦) ، وأوردها ابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٢٦٣ - ٢٦٥) ، والحافظ ابن حجر في الإصابة (١ / ٢٩٣ - ٢٩٤) ، وقال : « قد وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعري ، أخرجها الترمذي وغيره ، ولم يسم فيها الراهب ، وزاد فيها لفظة منكرة ، وهي قوله : « وأتبعه أبو بكر
==

ثم ذكر قصة تجارة النبي لخديجة [١] - رضي الله عنها - ، وقصة الراهب [٢] الذي قال لميسرة [٣] - غلام خديجة رضي الله عنها - : « ما نزل تحت هذه الشجرة - أي [٤] التي نزل تحتها النبي ﷺ - إلا نبي » . [٥]

==

بلالاً » ، وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلاً ، ولا اشترى يومئذ بلالاً ، إلا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة منقطعة ، من حديث آخر دُرِجت في هذا الحديث ، والجملة هي وهم من أحد رواته » .

وقال الألباني عن هذه القصة وهذا الخبر في صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٩١) : «صحيح ... ، لكن ذكر بلال فيه منكر كما قيل» .

(١) هي أم القاسم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية ، سيدة نساء العالمين وأم المؤمنين ، وأول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، وكان عمرها إذ ذاك ٤٥ سنة ، وقيل : ٤٠ سنة ، وأول خلق الله إسلاماً ، إحدى نساء الجنة ، وأم أولاد رسول الله ﷺ عدا إبراهيم ، ماتت - رضي الله عنها - بعدما نصرت رسول الله ﷺ في بدء الدعوة ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات .

انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (١٢ / ٢٦٩ - ٢٨٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ١٠٩ - ١١٧) ، والإصابة لابن حجر (١٢ / ٢١٣ - ٢١٨) .

(٢) اسمه نسطورا ، وكان يسكن بصرى الشام .

انظر : الطبقات لابن سعد (١ / ١٣٠) ، ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ / ١٧٣) .

(٣) هو غلام خديجة رضي الله عنها ، ورفيق النبي ﷺ في تجارة خديجة قبل أن يتزوجها ، وحكى بعض أدلة نبوته ﷺ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله -أنه لم يقف على رواية صريحة ببقائه إلى البعثة.

انظر : الطبقات لابن سعد (١ / ١٣٠ - ١٣١) ، وسيرة ابن هشام (١ / ١٨٨) ، والإصابة لابن حجر (٩ / ٣٠٤) .

(٤) قوله : «أي» ساقط من(س) .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٦٦ - ٦٧) ، والقصة أخرجها أيضاً ابن هشام في السيرة (١ / ١٨٧ - ١٨٩) ، وابن سعد في الطبقات (١ / ١٣٠ - ١٣١) ، والطبري في التاريخ

==

ثم قال : « باب ما جاء في أخبار الأحبار والرهبان قبل أن يبعث النبي ﷺ رسولاً ، بما يجدونه عندهم في كتبهم من خروجه ، وصدقه في رسالته ، واستفتاحهم به على أهل الشرك » ، فذكر جملة من ذلك وأتبعها قصة سلمان ؓ [1] ، وذلك مجموعه في عشر ورقات كبار [2] ، ثم ذكر حديث قس بن ساعدة الإيادي [3] في عيب الشرك [4] ، وذكر خبر الجارود [5] في إسلامه بما وجده في الإنجيل من البشارة

==

(١ / ٥٢١) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ١٧٢ - ١٧٤) ، وذكرها أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣) ، وأشار إليها ابن حجر في الإصابة (١٢ / ٢١٣) .

(١) تقدم تخريجها . (ص : ٣١٨ - ٣١٩) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٧٤ - ١٠٠) .

(٣) هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر بن إياد بن نزار الإيادي ، وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو ابن عدي بن مالك الإيادي ، وهو أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، وهو أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه : « أما بعد » ، طال عمره ، وأدرك النبي ﷺ قبل النبوة ، ورآه في سوق عكاظ ، ولقد سئل عنه الرسول ﷺ بعد ذلك فأخبر أنه قد مات فدعا له رسول الله ﷺ بالرحمة .

انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢١٦) ، والإصابة لابن حجر (٨ / ٢٥٣ - ٢٥٦) ، والأعلام للزركلي (٥ / ١٩٦) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١٠١ - ٢١٦) ، والقصة أخرجها أيضاً ابن سعد في الطبقات (١ / ٣١٥) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ١٠٣ - ١٠٥) ، وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٢١٤ - ٢٢٥) ، من طرق عدة وقال : « وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة » ، وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤١٨) ، وأشار إليها الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨ / ٢٥٥) وقال : « وطرقه كلها ضعيفة » .

(٥) هو أبو المنذر - وقيل أبو غياث - الجارود بن عمرو بن حنس بن المعلّى ، اختلف في نسبه كثيراً ، وهو سيد من سادات عبد القيس ، قدم على النبي ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة على رأس قومه، كان قبل إسلامه نصرانياً مطلعاً على كتب أهل الكتاب ، روى عن النبي ﷺ أربعة أحاديث ، قتل ؓ مجاهداً في سبيل الله بعقبة الطين سنة ٢١ هـ في خلافة عمر ؓ ، وقيل : قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن .

==

بالنبي ﷺ ، وطوَّل ذلك في خمس ورقاتٍ كبار .[1]

وقال عَقِبَهُ[2] : « ذكر حديث النصراني الذي أخبر أمية بن أبي الصلت[3] ببعثةِ النبي ﷺ »[4] ، وبعده حديث الجهني في أمره بالإيمان بالنبي ﷺ بعد أن كان مات فيما يظهر ، ثم عاش حتى أدرك الإسلام ، فامتثل ما أمر به ، فأسلم[5] ، وحديث زيد بن عمرو بن نفيل[6] في أمر الراهب له بالتماس الدِّين الحق بأرضه بالحرم على

==

انظر : تاريخ الطبري (٢ / ١٩٩) ، وأسماء الصحابة الرواة لابن حزم (٢٤٦) ، والإصابة لابن حجر (٢ / ٥٠ - ٥١) .

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١٠٥ - ١١٣) ، وقال عنه وعن الذي قبله : « وإذا روي الحديث من أوجه وإن كان ضعيفاً دلَّ على أن للحديث أصلاً ، والله أعلم » ، وأخرجه أيضاً ابن هشام في السيرة (١ / ٥٧٥ - ٥٧٦) ، وابن سعد في الطبقات (١ / ٣١٤ - ٣١٥) ، والطبري في التاريخ (٢ / ٢٨٥) ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٢١٥ - ٢٢٠) ، وقال عنه وعن خبر قس السابق : « وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة » ، وأشار الهيثمي إلى الخبر في مجمع الزوائد (٩ / ٤١١) ، وقال : « رواه الطبراني وفيه زر بن عبد الله وهو ضعيف » .

(٢) في (س) : «عتبة » .

(٣) هو : أبو الحكم أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي ، شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف ، قدم دمشق قبل الإسلام ، وكان مطلعاً على الكتب القديمة ، طمع في النبوة كثيراً ، ولقي النبي ﷺ ولكنه لم يسلم ، ومات على الكفر ، توفي في السنة الخامسة من الهجرة . انظر : طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ص : ١٠١) ، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص : ٣٠٠) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٠٥) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١١٦ - ١١٧) ، والخبر ذكره أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (٤ / ١٢٣ - ١٢٤) ، وابن القيم في هداية الحيارى (ص : ٤٠٠ - ٤٠٦) ، وابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٢٠٥ - ٢٠٨) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٣١ - ٢٣٢) .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١١٨ - ١١٩) .

(٦) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي ، ابن عم عمر بن الخطاب ووالد سعيد

==

يد نبي يخرج به [1] .

ثم ذكر خبراً عن خديجة / - رضي الله عنها - في سؤالها عداساً [2] ﷺ - [٣٣ب/ س] وكان إذ ذاك غلاماً نصرانياً- عن أمر النبي ﷺ في نزول جبريل-عليه السلام- .[3]

== ابن زيد ، أحد حنفاء العرب الذين كانوا على دين إبراهيم - عليه السلام - ، وقد تنقل من مكان لمكان باحثاً عن دين صحيح يتعبد الله به ، رآه النبي ﷺ قبل النبوة وسئل عنه بعدها ، فأخبر أنه مات ، فقال عنه : « **يبعث يوم القيامة أمة وحده** » ، توفي - رحمه الله- قبل البعثة بخمس سنين.

انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٢١) ، والإصابة لابن حجر (٤ / ٦١) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٣ / ٣٦٣) .

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١٢٤ - ١٢٦) ، والخبر أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١ / ١٩٩ - ٢٠٠ رقم ٢٥٧) ، والنسائي في السنن الكبرى - كتاب المناقب (٥ / ٥٤ - ٥٥ رقم ٨١٨٨) ، والبزار كما في كشف الأستار (٣ / ٢٨٣ - ٢٨٤ رقم ٢٧٥٥) ، وأبو يعلى في مسنده (١٣ / ١٧٠ - ١٧٢ رقم ٧٢١٢) ، وقال المحقق : « إسناده حسن » ، والطبراني في المعجم الكبير (٥ / ٨٦ - ٨٧ رقم ٤٦٦٣ ، ٤٦٦٤) ، والحاكم في المستدرك (٣ / ٢١٦ - ٢١٧) وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (٢ / ٦٨٦ - ٦٨٨ رقم ٩٠) ، والخبر ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١ / ٢٢١ - ٢٢٢) ، وقال : « في بعضه نكارة بينة » ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤١٧ - ٤١٨) وقال : « رواه أبو يعلى والبزار والطبراني ... ورجال أبي يعلى والبزار وأحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث » .

(٢) هو غلام لعتبة بن ربيعة وقيل لأخيه شيبة ، كان نصرانياً من أهل نينوى - وهي قرية من قرى الموصل - عنده علم بالكتاب ، وهو الذي أتى بالعنب إلى النبي ﷺ بعدما احتمى بحائط يحميه من سفهاء الطائف ، آمن بالنبي ﷺ وصدقه ، قيل : إنه مات ببدر وقيل بعدها .

انظر : أسد الغابة لابن الأثير (٣ / ٥٠١) ، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي (١ / ٣٧٥) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ٣٩٨) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١٤٣ - ١٤٥) ، والخبر ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ١٣ - ١٤) ، وابن حجر في الإصابة (٦ / ٣٩٩) ، والسيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ٩٣) .

ثم ذكر بعده شهادة المشركين للقرآن بالإعجاز [1] ، ثم قال بعد ذلك : « باب إعلام الجنيِّ صاحبه بخروج النبي ﷺ وما سمع من الأصوات بخروجه » فذكر من ذلك قصصاً منها : قصة سواد بن قارب [2] في إخبار الجني له به ﷺ [3] ، وكذا مازن الطائي [4] [5] ، وكذا امرأة من يثرب [6] ، ثم ذكر أمر عداسٍ ﷺ مع النبي ﷺ في

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ١٩٨ - ٢٠٧) .

(٢) هو سواد بن قارب الأزدي الدوسي أو السدوسي ، صاحب كهانة وشعر في الجاهلية ، أسلم على يد النبي ﷺ بعد أن أخبر من الجان ببعثه ﷺ ، وكانت له أخبار عديدة ، عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ومات بالبصرة سنة ١٥ هـ .
انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٤ / ٢٩٤ - ٢٩٦) ، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي (١ / ٢٤٨) ، والإصابة لابن حجر (٤ / ٢٩٣ - ٢٩٥) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٢٤٨ - ٢٥٤) .
وأصل قصة سواد بن قارب ﷺ رواها البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب إسلام عمر بن الخطاب (٧ / ١٧٧ رقم ٣٨٦٦) ، لكنه لم يصرح باسم الكاهن الذي هو سواد، وصرح الحافظ في الفتح أنه سواد ، ولقصة سواد بن قارب ﷺ طرقٌ كثيرة جداً ذكرها وأطال النفس فيها وحكم عليها الشيخ مساعد الراشد عند تحقيقه لكتاب دلائل النبوة للحافظ أبي القاسم الأصبهاني (٤ / ١١٩ - ١٢٠) فانظره .

(٤) هو مازن بن الغَضُوبة - ويقال : الغَضُوب - بن غُراب بن بشر بن خِطامة بن سَعد الطائي العماني الخِطامي ، أسلم على يد النبي ﷺ ، وكان قبل إسلامه أحد سدنة الأصنام في قرية يقال لها : « سمايا » في عمان .
انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم (١ / ١١٥) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٩ / ٢٩٦ - ٢٩٨)، والإصابة لابن حجر (٩ / ٢٩ - ٣٠) .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٢٥٥ - ٢٥٨) ، والخبر أخرجه أيضاً أبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ١١٤ - ١١٧) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٤٧ - ٢٤٨) وقال : « رواه الطبراني من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وكلاهما متروك » ، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (٩ / ٣٠) وقال : « من طريق هشام الكلبي عن أبيه » .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٢٦٠ - ٢٦١) ، وذُكِرَ في الخبر أن اسم المرأة « فُطَيمة » وأنه كان لها تابع من الجن .
ويثرب هو : اسم للمدينة النبوية قبل أن يغيره رسول الله ﷺ ، وسميت بذلك نسبة لأول من ==

قصة الطائف . [1] ثم قال بعد هذا بكثير : « باب ما جاء في تعجُّب الحبر [2] الذي سمعه يقرأ سورة يوسف عليه السلام لموافقتها ما في التوراة » ، فذكر فيه خبراً [3] ، ثم قال في آخر وفاة النبي ﷺ : « باب معرفة أهل الكتاب بوفاة رسول الله ﷺ قبل وقوع الخبر » ، ثم أسند فيه عن جرير [4] ﷺ قال: « كنت باليمن، فلقيت رجلين » إلى أن قال : « فقالا : إن كان ما تقول حقّاً ، فقد مضى صاحبك على أجله منذ ثلاث » [5] فكان كما قالا [6] ، وأصله في البخاري . [7]

ثم أسند عن كعب بن عدي وهو العبادي الحيري [8] الذي كان شريك عمر

سكنها ، وهو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٤٣٠)

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٤١٤-٤١٦)، والقصة أخرجها ابن هشام في السيرة (٤٢١/١) وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (١٣٣/٣-١٣٤) ، وابن حجر في الإصابة (٦ / ٣٩٨ - ٣٩٩) .

(٢) في (س) : « الجني » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٢٧٦) .

(٤) هو أبو عمرو – وقيل أبو عبد الله – جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي ، أسلم قبل السنة العاشرة من الهجرة ، وكان حسن الصورة حتى قيل عنه : إنه يوسف هذه الأمة ، بعثه رسول الله ﷺ لهدم ذي الخلصة فهدمه ، وله عن النبي ﷺ مائة حديث ، وقد أبلى بلاء حسناً يوم القادسية ، توفي ﷺ سنة (٥١ هـ) ، وقيل : (٥٤ هـ).

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٦٣) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٢ / ١٤٠ - ١٤٦) والإصابة لابن حجر (٢ / ٧٦ - ٧٧) .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٧ / ٢٧٠) .

(٦) من كلام المصنف – رحمه الله – .

(٧) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب ذهاب جرير إلى اليمن (٨ / ٧٦ رقم ٤٣٥٩) .

(٨) هو كعب بن عدي بن ثعلبة بن عدي التنوخي العبادي الحيري ، جاء إلى النبي ﷺ مع وفد الحيرة قبل وفاته عليه الصلاة والسلام ، وأسلم على يديه ، وقد كان شريكاً لعمر في الجاهلية ، وهو ممن شارك المسلمين في فتوح مصر .

رضي الله عنه في الجاهلية ، قال : « أقبلت في وفد من أهل [1] الحيرة [2] إلى النبي ﷺ ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، ثم انصرفنا إلى الحيرة ، فلم نلبث أن جاءتنا وفاة رسول الله ﷺ، فارتاب أصحابي وقالوا : لو كان نبيًّا لم يمت ، فقلت : قد مات الأنبياء قبله ، وثبتُّ على إسلامي ، ثم خرجت أريد المدينة ، فمررت براهبٍ كنا لا نقطع أمراً دونه ، فقلت له : أخبرني عن أمرٍ ، فذكر أنه أخرج سِفراً ، فصفح فيه ، فإذا بصفة النبي ﷺ كما رأيته / وإذا بموته في الحين الذي مات فيه ﷺ ، فاشتدَّت [3] بصيرتي [٣٤ أ / س] في إيماني ، وقدمت على أبي بكرٍ رضي الله عنه فأعلمته ، فأقمت عنده ، فوجَّهني إلى المقوقس [4] ملك مصر والإسكندرية » [5] . [6]

==

انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٩ / ٢٤٨) ، وأسد الغابة لابن الأثير (٤ / ١٨٢) ، والإصابة لابن حجر (٨ / ٢٩٦) .

(١) قوله : « أهل » ساقط من(س) .

(٢) الحيرة : هي مدينة من مدن العراق ، تبعد ثلاثة أميال عن الكوفة .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ / ٣٢٨) .

(٣) في (س) : « فأفسدت » .

(٤) هو ملك الأقباط النصارى بمصر والإسكندرية ، واسمه جريج بن مينا القبطي ، بعث له النبي ﷺ كتاباً مع حاطب بن أبي بلتعة في السنة السادسة من الهجرة يدعوه فيه إلى الإسلام ، فرفض الإسلام وأكرم حاطباً ، وأهدى للنبي ﷺ معه كسوة وبغلة اسمها دُلْدُل وجاريتين وهما مارية القبطية وأختها سيرين رضي الله عنهما .
انظر : الطبقات لابن سعد (١ / ٢٦٠ - ٢٦١) ، وتاريخ الطبري (٢ / ١٢٨ ، ١٤١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٢٧١ - ٢٧٢) .

(٥) الإسكندرية : هي مدينة بمصر بناها الإسكندر بن فيلفوس ، وقد بنى الإسكندر هذا ثلاثة عشر مدينة أسماها كلها الإسكندرية منها ما هو في الهند ، ومنها ما هو في العراق ، ومنها ما هو بسمرقند، ولا يعرف الآن من هذه المدن بهذا الاسم إلا إسكندرية مصر .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ١٨٢ - ١٨٣) .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (٧ / ٢٧١ - ٢٧٢) ، والقصة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٥ / ٢٤٣ - ٢٤٤) ، وقال : « هذا أثر غريب وفيه نبأ عجيب وهو صحيح » ، وابن حجر في

==

بعض ما ذكره الدارمي وفيه النقل من الكتب القديمة

وفي أوائل الدارمي عن وهب بن منبه [١] أنه سئل عن الحسن [٢] فقال: كيف عقله ؟ فأخبره ، ثم قال : « إنا لنتحدَّث أو نجده في الكتب أنه ما آتى ا لله عبداً علماً ، فعمل به على سبيل هدى ، فيسلبه عقله حتى يقبضه ا لله إليه » . [٣]

وفيه عن كعب [٤] قال : « إني أجد نعت قومٍ [٥] يتعلمون لغير العمل ، ويتفقهون لغير العبادة ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، ويلبسون جلود الظأن ، وقلوبهم أمرُّ من الصبر ، فبي يغترُّون أو إياي يخادعون ، فحلفتُ بي لأُتيحَنَّ لهم فتنة تترك [٦] الحليم فيها [حيرانا] [٧] » .

== الإصابة (٨ / ٢٩٦ - ٢٩٩) مع ذكره لبعض طرقها .

(١) هو أبو عبد ا لله وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني الأبناوي ، العلامة الأخباري القصصي التابعي الثقة ، كان صاحب علم واطلاع كبير على كتب القدماء من أصحاب الملل والنحل ، قيل: إنه اتهم بالقول بالقدر ، ولكنه رجع عنه ، وكان مولده في زمن عثمان ﷺ سنة أربع وثلاثين ، وتوفي - رحمه ا لله - بصنعاء سنة (١١٠ هـ) ، وقيل : (١١٣ هـ)، وقيل : (١١٤ هـ).
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٦ / ٣٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٤٤-٥٥٧) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٥٨٥) .

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، الإمام الزاهد العابد ، أحد سادات التابعين وكبرائهم ، ومولى زيد بن ثابت ﷺ ، كان صاحب علم وزهد وعبادة وحكمة ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ ، وتوفي - رحمه ا لله - بالبصرة سنة (١١٠ هـ) .
انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (٢ / ١٣١) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٥٦٣ - ٥٨٨) وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٣٥) .

(٣) سنن الدارمي - المقدمة - باب في ذهاب العلم (١ / ٨٦ - ٨٧ رقم ٢٦٥) .

(٤) وهو كعب الأحبار - تقدمت ترجمته (ص : ٣٣٣) .

(٥) أي في الكتب القديمة .

(٦) في (س) : « يترك » .

(٧) في (م) و (س) : « حيران » ، والصواب ما أثبته وهو كما في سنن الدارمي .

==

وقال الدارمي : « أخبرنا سعيد بن عامر [1] ، عن هشام صاحب الدستوائي [2] قال : « قرأت في كتابٍ بلغني أنه من كلام عيسى عليه السلام : تعملون [3] للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل، وإنكم علماء السوء ، الأجرَ [4] تأخذون ، والعملَ تضيِّعون » فذكره [5] ، وهو كلامٌ طويلٌ نفيس .

ذكر قصة بيع سفح المقطم التي جرت بين عمرو بن العاص والمقوقس

وقال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري في كتاب « **فتوح مصر والمغرب** » : « حدثنا عبد الله بن صالح [6] ، عن

==

وانظر هذا القول في : سنن الدارمي – المقدمة – باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (١ / ٩٥ رقم ٣٠٤) .

(١) هو أبو محمد سعيد بن عامر الضُّبَعي البصري ، الزاهد الحافظ مولى بني عجيف ، وأخواله من بني ضُبيعة ، قال عنه الحافظ : ثقة صالح ، كان مولده بعد العشرين ومائة ، وتوفي سنة (٢٠٨ هـ).
انظر : تهذيب الكمال للمزي (١٠ / ٥١٠) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٣٨٥ -٣٨٧) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٢٣٧) .

(٢) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سَنْبَر البصري الربعي ، مولاهم الدستوائي ، الإمام الحافظ الحجة، قيل له : صاحب الدستوائي ، والدستوائي نسبة للثياب الدستوائية التي كان يتجر بها ودستوا هي بليدة من أعمال الأهواز ، قال عنه الحافظ : « ثقة ثبت » ، وكانت وفاته سنة (١٥٢ هـ) ، وقيل : (١٥٣ هـ) ، وقيل : (١٥٤ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ١٤٩ - ١٥٦) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١ / ٤٠ - ٤١) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٥٧٣) .

(٣) في (س) : « يعلمون » .

(٤) في (س): «الأجير» .

(٥) سنن الدارمي – المقدمة – باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله (١ / ١٠٩ - ١١٠ رقم ٣٧٤)

(٦) هو أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني مولاهم المصري ، كاتب الليث ، قال عنه الحافظ : « صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة » ، توفي سنة (٢٢٢ هـ) .

==

الليث بن سعد [1] قال : سأل المقوقس عمرو بن العاص [2] ﷺ أن يبيعه سفح المقطم [3] بسبعين ألف دينار ، فعجب عمرو ﷺمن ذلك وقال : أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين ، فكتب بذلك إلى عمر ﷺ فكتب إليه عمر ﷺ : سلْه لِمَ أعطاك به ما أعطاك [4] وهي لا تُزْدَرَعُ [5] ولا يُسْتَنبَط بها ماء ولا يُنتفَعُ بها ، فسأله ، فقال : إنا لنجد صفتها في الكتب : إن فيها غِراس الجنة .

انظر : تهذيب الكمال للمزي (١٥ / ٩٨) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٥ / ٢٢٥ - ٢٢٩) ، والتقريب لابن حجر (٣٠٨) .

(١) هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري ، الإمام الحافظ ، عالم الديار المصرية، كان صاحب علم وفضل وسنة ، قال عنه الحافظ : « ثقة ثبت ، فقيه إمام مشهور » ولد بقرقشنده بمصر في سنة (٩٤ هـ)، وقيل (٩٣ هـ)، وتوفي - رحمه الله - بمصر سنة (١٧٥ هـ) ودفن بالقرافة .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ١٢٧ - ١٣٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨ / ١٣٦ - ١٦٣) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٤٦٤) .

(٢) هو : أبو عبد الله - وقيل : أبو محمد - عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي ، أحد دهاة العرب ، هاجر إلى المدينة مسلماً في أوائل سنة ثمان ، وهو سفير قريش في الجاهلية ، وكان أحد الحكمين يوم صفين ، شارك في الفتوحات الإسلامية وكان من قادة الجيوش فيها ، روى عن النبي ﷺ تسعة وثلاثين حديثاً ، وكانت وفاته ﷺ بمصر سنة (٤٣ هـ) .

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٩٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣ / ٥٤ - ٧٧) ، والإصابة لابن حجر (٧ / ١٢٢ - ١٢٥) .

(٣) المُقَطَّم - بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وتشديد الطاء المهملة وفتحها ، وميم - هو : الجبل المشرف على القرافة مقبرة القاهرة بمصر ، وهو جبل يمتد من أصوان وبلاد الحبشة إلى شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعة طرف القاهرة ، ويسمى في كل موضع باسم .

انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ١٧٦) .

(٤) قوله : « ما أعطاك » ساقط من(س) .

(٥) في (س) : « لا ترد زرع » .

حدثنا هانئ بن المتوكل [1] ، عن ابن لهيعة / أن المقوقس قال لعمرو : إنا نجد في [٣٤ ب/س] كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة ، فكتب بقوله إلى عمر بن الخطاب ﷺ ، فقال : صدق ، فاجعلها مقبرة للمسلمين » .

وفي رواية الليث : فكتب بذلك إلى عمر [ﷺ] [2] ، فكتب إليه عمر : إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين، فاقبر من مات فيها قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء.

قال ابن لهيعة : « والمقطم ما بين القُصَيْر [3] إلى مقطع الحجارة وما بعد ذلك فمن اليحموم [4] » . انتهى [5]

فقد صدقهم عمر ﷺ فيما نقلوه عن كتابهم ، وعمل على حسبه ، وهو الفاروق الذي ينطق بالسكينة .

---

(١) هو : أبو هاشم هانئ بن المتوكل الإسكندراني المالكي ، الفقيه ، قال عنه ابن حبان : « كان تدخل عليه المناكير ، وكثرت ، فلا يجوز الاحتجاج به بحال » ، توفي سنة (٢٤٢ هـ) .
انظر : الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣ / ١٧٢) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٥ / ٤١٦) ، ولسان الميزان لابن حجر (٦ / ٢٤٥) .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٣) القصير : تصغير قصر وهو موضع لعزيز مصر قرب عَيذَاب ، وبينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام ، وبينه وبين عيذاب ثمانية أيام ، وعيذاب هذه هي بليدة على ضفة البحر الأحمر هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى صنعاء .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ١٧١ ، ٣٦٧) .

(٤) في (س) : «النجوم».
واليحموم : وتسمى أيضاً اليحاميم : هي جبال متفرقة مطلة على القاهرة بمصر من جانبها الشرقي، وتنتهي هذه الجبال إلى بعض طريق الجُبّ ، وسميت باليحاميم لاختلاف ألوانها .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٤٣١) .

(٥) فتوح مصر وأخبارها (١/١٥٦-١٥٧)، وانظر أيضاً: معجم البلدان لياقوت (٣٦٧/٤)و(٥/ ١٧٦)، فإنه أورد كلام ابن لهيعة حول المقطم ، وكذا قصة عمرو بن العاص مع المقوقس السابقة .

إن الرد على أهل الكتاب من كتبهم أقطع لعذرهم وأحسم لروغانهم

وأما ابن ظفر في كتابه « **خير** [(١)] **البُشَر بخير البَشَر** » ، فأكثر من ذلك جداً من التوراة ، والإنجيل ، وسفر أنبياء [(٢)] بني إسرائيل والزبور [(٣)] ، وقال بعد أن نقل كثيراً من ذلك : « وإنما ذكرنا ما أظهروه ورضوا [(٤)] التفسير له باللغة العربية ، وما حكيناه [(٥)] عن تراجمهم بلفظهم الذي اختاروه وأثبتوه في كتبهم ليكون ذلك أقطع لعذرهم ،وأحسم لروغانهم ، ونحن على بصيرة من أنَّ [(٦)] أهل الكتابين ليس في أيديهم اليوم من التوراة والإنجيل إلاَّ ما اختار ضُلاَّلُ علمائِهم أن يظهر لهم بعد التحريف والحذف والتبديل » . [(٧)] وقال أيضاً : « فهذه أيدك الله جمل مقنعة عظيمة الموقع ، جاءت في كتب الله عز وجلَّ مما لا يدفعه أهل الكتاب ، وحكيناها عنهم بالتراجم التي رضوها واختاروا تسطيرها في كتبهم ، فلا يدَّعون علينا [(٨)] فيها تحريفاً وهي على [ما] [(٩)] تحقَّقنا أنهم حرَّفوها ، وحذفوا منها ما كتموه مستقلة بدفع المعتدين وبنفع المهتدين » . [(١٠)] انتهى .

ولم يزل الناس يُعَظِّمون هذا الكتاب ويبالغون في تعظيمه ، فالطعن فيما [(١١)] هو

---

(١) في (س) : « خبر » .

(٢) قوله : « أنبياء » ساقط من (س) .

(٣) انظر : خير البُشَر بخير البَشَر (ق ٥ / ب - ق ٢٤ / ب) .

(٤) في الحاشية : « يتلوه بهامش الفرحة التفسير » .

(٥) في (س) : « حكيناهم » .

(٦) قوله : « أن » ساقط من (س) .

(٧) كلام ابن ظفر هذا ذكر جزءاً منه في (ق ١١ / أ) وهو من قوله : « وإنما ذكرنا ما أظهروه » ، إلى قوله : « وأحسم لروغانهم » ، وجزءاً في (ق ٢١ / ب) وهو بقية الكلام .

(٨) في (س) : « عليها » .

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو في (س) .

(١٠) خير البشر بخير البشر (ق ٢١ / ب) .

(١١) في (س) : « فيها » .

مثل هذا / المنقول في هذا الزمان عن هؤلاء الأئمة طعن فيهم ، والطعن فيهم وهم [٣٥ أ / س] حملة الدين ، والمبلغون له طعن في الدين وهدم لاعتقاد المسلمين .

صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل كما نقلها ابن إسحاق

وفي « **السيرة** » لإمام أهل المغازي محمد بن إسحاق تهذيب الإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام بعد قصة ورقة بن نوفل [١] ، وزيد بن عمرو [٢] بن نفيل -رضي الله عنهما - : « صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل . قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عما كان وَضَعَ عيسى بن مريم -عليهما السلام - فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما [٣] أثبت يُحَنّس الحواري [٤] لهم ،

---

(١) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، القرشي الأسدي ، ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ ، ممن اعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع عن أكل ذبائحها ، وممن تنصر في الجاهلية وقرأ كثيراً من كتب أهل الأديان ، وممن أقر بنبوة النبي ﷺ بعد بدء الوحي ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام ، عدَّه بعض أهل العلم من الصحابة ومنهم الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن ، وكذا البقاعي في كتابه « بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة » ، وذهب الحافظ ابن حجر كما في الإصابة إلى عدم عده من الصحابة حيث قال عنه : « أنه أقر بنبوته ، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام ، فيكون مثل بحيرا ، وفي إثبات الصحبة له نظر » .

انظر : أسد الغابة لابن الأثير (٤ / ٦٧١) ، والإصابة لابن حجر (١٠ / ٣٠٤ - ٣٠٧) ، والأعلام للزركلي (٨ / ١١٥) .

(٢) قوله : « عمرو » ساقط من(س) .

(٣) في (س) : « بما » .

(٤) أي يوحنا ، وهو يوحنا بن زبدي من بيت صيدا في الجليل ، وهو أحد كبار الحواريين الاثني عشر ، ومن أحبهم للمسيح ، وكان يقال له : الحواري الحبيب ، عمل بصيد الأسماك ، وأبوه هو زبدي أحد السابقين الأولين إلى المسيحية ، وأمه سالومة قديسة شهيرة من أقارب مريم - عليها السلام - وإليه ينسب آخر الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحية ، كما ينسب إليه أربعة أسفار من أسفار العهد الجديد ، وهي : السفر النبوي أو رؤيا يوحنا ، وثلاثة رسائل من الرسائل الكاثوليكية ، وكانت وفاته ما بين سنتي (٩٨ - ١٠٠ م) تقريباً .

==

حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى بن مريم – عليهما السلام – أنه قال : « من أبغضني ، فقد أبغض الرب ، ولولا أنِّي صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يَعُزُّونني [1] وأيضاً للرب ولكن لابد من أن تتم [2] الكلمة التي في الناموس أنهم أبغضوني مجاناً ، أي باطلاً ، فلو قد جاء المُنْحَمَنَّا [3] هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القسط [4] ، هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليَّ ، وأنتم أيضاً [لأنكم] [5] قديماً [6] كنتم معي هذا قلت لكم : لكي لا تشكوا » [7] . فالمُنْحَمَنَّا [8] بالسريانية محمد ﷺ ،

==

انظر : الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد (ص : ٧٨) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ١١٠٨ – ١١١٠) .

(١) أي يغلبونني ، يقال : عازَّني فَعَزَزْتُه أي غالبني فغلبته .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة عزز (ص : ٤٣٠) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة عزز (٥ / ٣٧٨) .

(٢) في (س) : « يتم » .

(٣) في (س) : « المنحنا » .

(٤) في (س) : « القدس » ، وفي السيرة : « القدس » أيضاً ، لكن المحقق ذكر في هامش رقم (٤) أنه يوجد في نسخة من نسخ ابن هشام « القسط » بدلاً من « القدس » ، ويبدو أنها هي التي اعتمد عليها المصنف رحمه الله .
والقسط معناه العدل كما في مختار الصحاح للرازي – مادة قسط (ص : ٥٣٤) ، ولسان العرب لابن منظور – مادة قسط (٧ / ٣٧٧) .

(٥) في (م) و (س) : « لكنكم » ، والصواب ما أثبته وهو كما في سيرة ابن هشام .

(٦) في (س) : « يما » .

(٧) انظر : إنجيل يوحنا ، الإصحاح الخامس عشر ، الفقرات (٢٢ – ٢٧) ، وهداية الحيارى لابن القيم (ص : ٣٧٨ – ٣٧٩) ، فإنه ذكر هذا النص بكامله .

(٨) في (س) : « المنحنا » .

وهو بالرومية البارقليطس »[1] .

ونقل ابن إسحاق لهذا وهو من أتباع التابعين ، دليل على أن هذه الكتب عُرِّبت[2] في هذه[3] الأعصار الفاضلة ، والله الموفق .

بعض ما نقله ابن عبد الحكم من الكتب القديمة

وأكثر الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من النقل من الكتب القديمة في كتابه[4] « **فتوح مصر والمغرب** » تارة معزوّاً إليها ، وتارة غير معزو ، فمن ذلك : دخول بختنصر[5] إلى مصر ، وغلبته عليها من نبوة آرميا[6] من سفر الأنبياء[7] في قصة وضع سريره فيها حين يدخلها ، ووحي الله

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٣٢-٢٣٣) ، وانظر أيضاً في معنى : المنحمنا (ص: ٣٨٢) من هذا الكتاب.

(٢) في (س) : « غربت » .

(٣) قوله : « هذه » ساقط من(س) .

(٤) في (س) : « كتاب » .

(٥) هو أحد ملوك الفرس ببابل ، قيل : كان مستقلاً بنفسه ، وقيل : كان نائباً للفرس ، ثم استقل بالملك بعد موت لهراسب ، واسمه بالفارسية : « بخترشه » ، وقد ملك سبع وخمسين سنة ، وقد سالمه العرب فأحسن إليهم ، أما بنوا إسرائيل فقد غدروا به بعد أن صالحوه ، فقاتلهم حتى أبادهم وخرب ديارهم وهيكلهم ثم سباهم ، وذلك سنة (٥٨٦ ق . م) تقريباً ، وهرب بعضهم لفرعون مصر فلحق بهم فقاتلهم ، وقاتل فرعون مصر وأتباعه حتى قتله وصلبه ، وأخذ ذخائر مصر وسبى أهلها .
انظر : تاريخ الطبري (١ / ٣١٦ – ٣٢٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١ / ٥٣٨) ، (٢ / ٣٦) ، وسفر دانيال ، الإصحاح الأول ، الفقرات (١ – ٧) ، ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٩٥٤ – ٩٥٥) ، والقاموس الموجز للكتاب المقدس (ص : ١٠٣) .

(٦) قيل : هو آرميا بن حقليا أحد أنبياء بني إسرائيل من عناثوث بأرض فلسطين ، بعثه الله إليهم ليحذرهم بأنه مسلط عليهم من يقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم إن لم يتوبوا إلى ربهم ، فضربوه وسجنوه ، فسلط الله عليهم بختنصر فسباهم وأذلهم ، وأكرمه وأحسن إليه .
انظر : تاريخ الطبري (١/ ٣١٦)، وسفر آرميا ، الإصحاح التاسع والثلاثين ، الفقرات (١١ – ١٨) ، والإصحاح الأربعين ، الفقرات (١ – ٦) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص: ٥٢– ٥٣).

(٧) الإصحاح الثاني والأربعون ، الفقرات (١٣ – ٢٢) ، والإصحاح الثالث والأربعون ، الفقرات (١ / ٣) .

إلى / آرميا في تعيين المكان الذي يضعه فيه ، وأمره له أن يدفن أربعة حجارة في موضع عيَّنه له ، فإذا أتى ووضع سريره ، كانت كل قائمة من قوائمه [1] على حجر منها لا تتعداه ، [2] ليعلم العصاة بذلك صِدق آرميا في جميع ما أتى به عن الله [عز وجل] [3] وهي قصة طويلة . [4] [٣٥ ب/س]

ومنها : ذكر تبع لذي القرنين [5] في شعر [6] عن ابن إسحاق عمن يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه [7] .

ومنها : عن عقبة بن عامر ﷺ ، عن رجال من يهود أتوا النبي ﷺ بمصاحف أو كتب أتوا بها إلى النبي ﷺ يسألونه عن شيء فيها ، وأن النبي ﷺ خيرهم بين أن

---

(١) قوله : «من قوائمه» ساقط من(س) .

(٢) في (س) : « يتعداه » .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٤) فتوح مصر وأخبارها (ص : ٣١ - ٣٢) .

(٥) اختلف فيه كثيراً ، فقيل : هو عبد الله بن الضحاك القحطاني الحميري ، وقيل : هو مرزبان بن مرذبة اليوناني ، واسمه الإسكندر ، وقيل : هو الإسكندر المقدوني الذي ملك الدنيا ، وقيل : هو الصعب بن ذي مرائد ، وهو أول التبابعة ، وقيل : هو أحد الأنبياء ، وقيل : بل هو أحد الملائكة ، وقيل غير ذلك ، قال ابن كثير : « وأغرب من قال ملكاً من الملائكة » وأياً كان هو ، فالصواب أنه أحد ملوك الأرض الذين أقاموا العدل فيها بعد أن ملكوا ما بين شرقها وغربها .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٧٠٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١ / ٣١ - ٣٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٩٥ - ٩٨) .

(٦) وهو :
قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ... ملكاً تدين له الملوك وتحشد
بلغ المغارب والمشارق يبتغي ... أسباب علم من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خُلَبٍ وثأط حَرْمِدِ

(٧) فتوح مصر وأخبارها (ص : ٣٧ - ٣٨) .
وانظر : سيرة ابن هشام (١ / ٣٠٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١ / ٣٤) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٩٦) .

يسألوه فيخبرهم [1] ، وبين أن [يخبرهم] [2] قبل أن يسألوه ، فاختاروا هذا ، فقال: « **جئتم تسألوني** [3] **عن ذي القرنين [وسأخبركم]** [4] **كما تجدونه مكتوباً [عندكم]** [5] » ، فذكره [6] ، فعلمنا أنه قد بقي في كتبهم ما [يستحق] [7] أن يذكر [8] لكونه لم يبدَّل . وقد علمنا النبي ﷺ « **فأتونا** » فميز [9] به ذلك من غيره ورفع عنا الحرج في نقله .

---

(١) في (س) : « فنجرهم » .

(٢) ما بين المعقوفتين مطموس بعضه في (م) ، وهو من (س) .

(٣) في (س) : « تسألون » .

(٤) ما بين المعقوفتين مطموس بعضه في (م) ، وهو من (س) .

(٥) ما بين المعقوفتين مطموس بعضه في (م) ، وهو من (س) .

(٦) فتوح مصر وأخبارها (ص: ٣٨ - ٣٩)، والحديث أخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره (١٦/٨)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤ / ١٤٦٨ - ١٤٦٩ رقم ٩٦٧) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ٢٩٥ - ٢٩٦) ، وذكره ابن كثير في التفسير (٣ / ١٠٦) ، وضعفه ، وقال : « وفيه طول ونكارة ، ورفعه لا يصح ، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل ، والعجب أن أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه » كما ذكره أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٣٧ - ٤٣٨) ، والشوكاني في فتح القدير (٣ / ٣١٠) وقال عنه : « ضعيف » .

(٧) ما بين المعقوفتين غير واضح في (م) وهو من (س) .

(٨) في (س) : « ذكر » .

(٩) في (س) : « تميز » .

ومنها : عن ابن [1] لهيعة أنه بلغه أنه وُجِد [بالإسكندرية] [2] حجر مكتوب فيه : « أنا [شداد] [3] بن عاد [4] ، وأنا [5] الذي [نصب] [6] العماد ، وجند [الأجناد] [7] ، [وشد] [8] بذراعه [9] الواد ، بنيتهن إذ لا شيب ولا موت ، وإذ الحجارة [في] [10] اللين مثل الطين » .

زاد هشام بن [سعد] [11] المدني [12] : « وكنزت [13] في الأرض كنزاً على

---

(١) في (س) : « أبي » .

(٢) ما بين المعقوفتين مطموس بعضه في (م) ، وهو من (س) .

(٣) ما بين المعقوفتين مطموس بعضه في (م) ، وهو من (س) .

(٤) هو شداد بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، أحد الملوك الذين ملكوا الدنيا ، ودانت له ملوكها ، وكان هو وقومه من عباد الأصنام ، فأرسل الله إليهم نبيه هوداً عليه السلام ، فعصوه وكذبوه ، فأرسل الله عليهم عذابه الذي لا يرد عن القوم الظالمين ، قيل : إنه عَمَّر طويلاً فقد عاش تسعمائة سنة .

انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ١٨٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠ / ٣٢) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١ / ١١٣ - ١١٤) .

(٥) في (س) : « أنا » دون حرف العطف .

(٦) ما بين المعقوفتين غير واضح في (م) ، وهو من (س) .

(٧) ما بين المعقوفتين مطموس بعضه في (م) ، وهو من (س) .

(٨) في (م) و (س) : « وسد » والصواب ما أثبته ، وهو كما في الأصول المنقول منها .

(٩) في (س) : « بزراعته » .

(١٠) ما بين المعقوفتين مطموس بعضه في (م) ، وهو من (س) .

(١١) في (م) و (س) : « سعيد » ، والصواب ما أثبته وهو كما في الفتوح .

(١٢) هو أبو عباد - أو أبو سعيد - هشام بن سعد المدني القرشي مولاهم ، قال عنه الحافظ : « صدوق له أوهام ، ورمي بالتشيع » ، وكانت وفاته سنة (١٦٠ هـ) .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ٣٤٥ - ٣٤٦) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١ / ٣٧) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٥٧٢) .

(١٣) في (س) هكذا : « وكترب » .

اثنى عشر ذراعاً ، لن يخرجه أحد حتى تخرجه [1] أمة محمد - عليه السلام - [2] » .

ومنها : نعته ﷺ على ما ذكره المقوقس عن كتاب الله عز وجل ، وأنَّ منه أنَّه لا يجمع بين أختين ، فأرسل مارية وأختها [3] هدية ليختبره بهما ، فذكر قصة الهدية بطولها . [4]

ومنها : أن معاوية ﷺ سأل كعب الأحبار : هل / يجد [5] لهذا النيل [6] في [٣٦ أ / س]

---

(١) في (س) : « يخرجه » .

(٢) فتوح مصر وأخبارها (ص: ٤- ٤٣)، والخبر ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/١٨٤) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٣٢) ، وابن كثير في التفسير (٤ / ٥٤٢) .

(٣) هما : مارية وسيرين - وقيل : شيرين - ابنتا شمعون القبطيتان ، اللتان أهداهما المقوقس للنبي ﷺ مع رسوله حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك سنة سبع من الهجرة ، وهما من قرية حفن من كورة أنْصِنا من الصعيد ببلاد مصر ، ولقد أعجب النبي ﷺ بمارية فاختارها لنفسه وهي أم ولده إبراهيم ، وكانت وفاتها - رضي الله عنها - في العام السادس عشر من الهجرة ، وصلى عليها عمر ﷺ ودفنت بالبقيع ، وأما أختها فوهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت ﷺ ، فولدت له عبد الرحمن .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٧) ، وتاريخ الطبري (٢ / ١٤١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٢٧١ - ٢٧٢) ، (٥ / ٢٦٤ - ٢٦٥) .

(٤) فتوح مصر وأخبارها (ص : ٤٨ - ٤٩) .
وانظر فيما أهداه المقوقس للنبي ﷺ : الطبقات لابن سعد (١ / ٢٦٠ - ٢٦) ، وتاريخ الطبري (٢ / ١٤١) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٤ / ٣٩٥ - ٣٩٦) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٢٧١ - ٢٧٢) .

(٥) في (س) : « تجد » .

(٦) هو تعريب نيلوس من الرومية ، وهو من أكبر أنهار إفريقيا ، ومن أكبر أنهار العالم ، كما أنه أشهر أنهار العالم قاطبة في التاريخ على ممر الأجيال ، وهو نهر من أنهار الجنة ، كما جاء ذلك في الصحيح ، ويبلغ طوله ألفا وستمائة وخمسين ميلاً ، ويمر هذا النهر بعدة دول منها : الحبشة ، والسودان ، ومصر ، ومنبعه من بحيرة فكتوريا في إفريقيا الوسطى .
انظر : صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب المعراج (٧ / ٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٣٨٨٧) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٣٣٤ - ٣٣٥) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٣) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٩٨٩) .

كتاب الله خبراً ؟ قال : إي والذي فلق البحر لموسى ، إني لأجد في كتاب الله يوحى إليه في كل عام مرتين ، فذكره . [1]

ومنها : قصة عثمان ﷺ أنه يقتل [2] ، وأنه يلي [3] الأمر بعده صاحب الأرض المقدسة . [4]

ومنها : قصة الأقفال التي كانت على بيت في الأندلس [5] على كتاب فيه صور العرب ، وأنه إذا فتح دخلوا تلك البلاد . [6]

ومنها : أنهم أخذوا [7] المائدة [8] التي يزعم أهل الكتاب أنها مائدة سليمان بن

---

(١) فتوح مصر وأخبارها (ص : ١٤٩) .

(٢) انظر في الكلام عن مقتل أمير المؤمنين ، وثالث الخلفاء الراشدين ، وثالث العشرة المبشرين ، وأحد كتاب القرآن المبين ، وأحد الرجال الذين تستحي منهم ملائكة رب العالمين ﷺ من قِبَلِ السبئية والخوارج البغاة المفسدين : تاريخ الطبري (٢ / ٦٦١ - ٦٧٩) ، والبداية والنهاية (٧ / ١٦٤ - ٢٠٠) ، وتحقيق مواقف الصحابة في الفتنة - لمحمد أمحزون (١ / ٤٦٥ - ٤٨٧) .

(٣) في (س) : « على » .

(٤) انظر الخبر بطوله : فتوح مصر وأخبارها (ص : ١٨٦ - ١٨٧) .

(٥) الأندلس : كلمة أعجمية لم تستعملها العرب في القديم ، وعرفت في الإسلام ، وهو إقليم جنوبي إسبانيا على شكل شبه جزيرة كبيرة يحدها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب المحيط الأطلسي ، وهي بلاد جميلة كثيرة الأنهار والأشجار ، دخلها الإسلام في عهد عبد الملك بن مروان بقيادة طارق بن زياد ، وظل فيها المسلمون قرابة السبعة قرون .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٢٦٢ - ٢٦٤) ، والموسوعة العربية الميسرة (ص : ٢٤١ - ٢٤٢) .

(٦) فتوح مصر وأخبارها (ص : ٢٠٦)

(٧) يقصد المسلمين عند فتحهم للأندلس .

(٨) المقصود بالمائدة هنا : الخِوان الذي يوضع عليه الطعام ، وهي شبيهة بما يعرف بالطبلية عند بعض الناس .
انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة ميد (٣ / ٤١١) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٩٣٨).

داود - عليهما السلام - .[1]

ومنها : أمر اليهودي الذي أخبر عمر ﷺ أنه قضى بالحق ، وأنهم يجدون أنه ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك ، وعن يساره ملك ، يسدِّدانه ويوفِّقانه للحق ما دام مع الحق ، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه .[2]

ومنها : أمر القضاة من بني إسرائيل من يقضي منهم بالحق أو بغيره .[3]

ومنها : عن موسى بن علي[4] ، عن أبيه[5] : أن أبا هريرة ﷺ قال له : « إنها يعني أم خنُّور[6] أول الأرضين خراباً ، ثم على إثرها أرمينية .[7] قال : فقلت :

---

(١) فتوح مصر وأخبارها (ص : ٢٠٧) .

(٢) فتوح مصر وأخبارها (ص : ٢٢٨) .

(٣) فتوح مصر وأخبارها (ص : ٢٢٩) .

(٤) هو أبو عبد الرحمن موسى بن علي بن رباح اللخمي مولاهم البصري ، نائب الديار المصرية لأبي جعفر المنصور ، قال عنه الحافظ : « صدوق ربما أخطأ » ، ولد سنة (٨٩ هـ) ، وتوفي سنة (١٦٣ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ٤١١ - ٤١٢) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠ / ٣٢٣) ، والتقريب لابن حجر (٥٥٣) .

(٥) هو : أبو عبد الله عَليُّ وعُلي بن رباح بن قصير اللخمي مولاهم ، أحد علماء التابعين ، وممن شارك في الفتوحات الإسلامية ، ذهبت عينه يوم ذات الصواري ، قال عنه الحافظ : « ثقة » ، توفي سنة (١١٤ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ٤١٢ - ٤١٥) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧ / ٢٨٠ - ٢٨١) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٤٠١) .

(٦) أم خنُّور هي : مصر ، والخنور هي : الدنيا .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٢٥١) .

(٧) أرمينية : بفتح أوله وكسره ، اسم لصُقع عظيم ، وواسع من بلاد الروم في جهة الشمال ، بالقرب من أذربيجان ، تم فتحها في عهد عمر ثم في عهد عثمان - رضي الله عنهما - .
انظر: تاريخ الطبري (٢ /٥٩١-٥٩٢) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/١٥٩-١٦٠) .

ذكر بعض مانسبته قريش لله عز وجل ولرسوله ﷺ

[٢٢ أ / م]

سمعت ذلك من رسول الله ﷺ . قال : أو من كعب الكتابين » [١] .

ولا يخفى ما قال [ابن إسحاق] [٢] في « السيرة » بعد هذا [٣] مما [٤] نسبته قريش إلى النبي ﷺ مما يُحاشَى عنه / مَنْصبُه الشريف ، ومقداره العالي . [٥]

وقولهم : إنا نعبد [٦] الملائكة وهي بنات الله [٧] ، وقولهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً [٨] ، ونحو ذلك من فجورهم ، إلى غير ذلك من كلماتهم الباطلة ، ومن حكاية مذاهب الجاهلية ، وما كانوا عليه من الفضائح . [٩]

---

(١) فتوح ومصر وأخبارها (ص : ٢٣٢) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو في (س) .

(٣) يقصد المؤلف - رحمه الله - بقوله : « بعد هذا » الكلام السابق الوارد عن ابن إسحاق (ص : ٤٠٨ - ٤١٠) ، حيث أن أصل كلامه الذي معنا هنا ذكره المؤلف بعد كلام ابن إسحاق السابق مباشرة ، ولكنه عند المقابلة أضاف ما نقله عن ابن عبد الحكم بين كلامي ابن إسحاق .

(٤) قوله : « مما » ساقط من(س) .

(٥) قال ابن إسحاق كما في تهذيب سيرة ابن هشام (١ / ٢٨٩) : « ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم ، فكذبوه ، وآذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر ، والكهانة ، والجنون ، ورسول الله ﷺ مُظْهِرٌ لأمر الله لا يستخفي به » .

(٦) في (س) : « بعد » .

(٧) قال تعالى في كتابه العزيز حاكياً كلامهم هذا : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [سورة النحل - الآية : ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [سورة الصافات - الآيات : ١٤٩ - ١٥٤) .

(٨) قال تعالى في كتابه العزيز ذاكراً كفرهم هذا : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء - الآيات : ٩٠ - ٩٢]

(٩) انظر : سيرة ابن هشام (١ / ١٩٧) .

ذِكْرُ كلام ابن هشام لحجج بعض النصارى فيما يعتقدونه من التثليث

وقال ابن هشام في وفد نصارى نجران [1] : « فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة [2] والعاقب عبد المسيح [3] والأيهم السيِّد [4] وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله، ويقولون : / هو ثالث ثلاثة [5] .

[٣٦ ب/س]

---

(١) انظر في قصة وفد نصارى نجران : الطبقات لابن سعد (١ / ٣٥٧ - ٣٥٨) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢ / ١٩٩ - ٢٠١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٥ / ٤٨ - ٥١) .
ونجران هي : مدينة تابعة للملكة العربية السعودية تقع في جنوب الجزيرة العربية من جهة اليمن ، وسميت بنجران نسبة لنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فهو أول من عمَّرها وسكن فيها .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٢٦٦) ، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب (ص : ٢٨٦) .

(٢) هو أبو حارثة ، ويقال : أبو الحارث بن علقمة بن بكر بن وائل ، أحد رؤوس الوفد ، وهو أسقفهم وحبرهم ، وإمامهم ، وصاحب مدراسهم ، أكرمه ملوك الروم كثيراً ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات بسبب ما حواه من علم ودين في النصرانية .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٥٧٣) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٥ / ٥١) ، وفتح الباري لابن حجر (٨ / ٩٤) .

(٣) هو العاقب عبد المسيح أحد رجال كندة ، أمير من أمراء الوفد ، وهو صاحب رأيهم ومشورتهم ، قيل : إنه جاء إلى النبي ﷺ مسلماً بعد رحيل الوفد بمدة من الزمن .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٥٧٣) ، والطبقات لابن سعد (١ / ٣٥٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٥ / ٥١) .

(٤) هو السيد الأيهم ويقال : الأبهم ، ويقال : شرحبيل بن الحارث ، أحد أشراف الوفد ، وصاحب الرحال ، قيل : إنه جاء مسلماً مع العاقب بعد رحيل الوفد بمدة من الزمن .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٥٧٣) ، والطبقات لابن سعد (١ / ٣٥٧) ، وفتح الباري لابن حجر (٨ / ٩٤) .

(٥) جاء في إنجيل لوقا ، الإصحاح الأول ، الفقرات (٣٤ - ٣٥) قوله : « فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك وقوة العلي

==

وكذلك[1] قول النصرانية، فهم يحتجون في قولهم : هو الله ، بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأسقام [2] ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك [3] وتعالى : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [4]

ويحتجون في قولهم : إنه [5] ولد بأنهم يقولون : لم يكن له أبٌ يُعلَم .

وقد تكلّم [6] في المهد [وهذا] [7] شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله [8]

تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » .

وجاء في إنجيل متى ، الإصحاح الثامن والعشرين ، الفقرة (١٩) قوله : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس » .

وجاء في إنجيل يوحنا ، الإصحاح الأول ، الفقرات (١ - ١٤) قوله : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة لله » ، « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما يوحيه من الأب مملوءً نعمة وحقاً » .

(١) في (س) : « ولذلك » .

(٢) في (س) : « وسيرى الانتقام » .

(٣) قوله : «تبارك» ساقط من(س) .

(٤) سورة مريم - الآية : ٢١ .

(٥) في (س) : « بأنه » .

(٦) في (س) زيادة كلمة « كان » قبل « تكلم » وهي خطأ من الناسخ .

(٧) ما بين المعقوفتين غير موجود في (م) و (س) وهو موجود في أصل كلام ابن هشام ، فأضفته لأن السياق يقتضيه ، ولأنه هو الصواب .

(٨) قال محقق كتاب الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية عند تعليقه على كلام ابن هشام هذا ، والذي ذكره شيخ الإسلام في كتابه (١ / ١٩٤) : « ذِكْرُ ابن إسحاق لاحتجاجهم بكلام عيسى عليه السلام في المهد على أنه ابن الله إطلاق فيه نظر ، ذلك لأن النصارى لا يقرون كلامه في المهد ، فلا يوجد في أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، ولا في كتبهم التي تناولت عقائدهم ما يشير من قريب أو بعيد إلى كلامه في المهد » .

قلت: ويشهد لهذا الكلام ما جاء في : طفولة المسيح ونشأته في قاموس الكتاب المقدس (ص:٨٦٥-٨٦٧).

ويحتجون في قولهم : إنه ثالث ثلاثة بقول [1] الله [تعالى] [2] : فعلنا وأمرنا وخلقنا [3] وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت، وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم[4] ، ففي كل ذلك من قولهم: نزل القرآن » .[5]

ونقل هذا الكفر عنهم المفسرون : البغوي [6] ، والأصفهاني[7] ، والبيضاوي[8]

---

(١) في (س) : « يقول » .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٣) قوله : « خلقنا » ساقط من(س) .

(٤) أَلَّه النصارى مريم عليها السلام ، كما قال تعالى في سورة المائدة - الآية : ١١٦ : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ... ﴾ ولكن هل أدخل النصارى مريم عليها السلام ضمن ثالوثهم ، فالذي يظهر لي - والعلم عند الله تعالى - أن النصارى لم يدخلوها ضمن ثالوثهم الأقدس ، وهو الأب والابن والروح القدس .

ويشهد لهذا الكلام ما جاء في إنجيل متى ، الإصحاح الثامن والعشرين ، الفقرة (١٩) قوله : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس » .

وانظر أيضاً : كلام محقق كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية (١ / ١٩٤) .

(٥) سيرة ابن هشام (١ / ٥٧٥) .

وقال بعد هذا الكلام بقليل (١ / ٥٧٦) : « فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها » .

وانظر في الرد على تُرهات وشبهات وأباطيل النصارى هذه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٨٢/٣-٢٤٠، ٢٥٧-٢٧٩ ، ٤٠٤-٥٠٥)، (٢٧/٤ ، ٧٦) ، وهداية الحيارى لابن القيم (ص : ٤٩٣ - ٥٢٢) ، وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله بن الترجمان الميورقي (ص:١٢١ - ١٣٠ ، ١٣٩-١٦٠، ١٨٥- ٢٠٢)، والأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية للدمشقي الطيبي (ص: ٣٥)، وإظهار الحق لرحمت الله الهندي (٣/ ٧٣٦ - ٧٧٢)، وبشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ لمحمد ملكاوي (ص : ١ - ١١٧) .

(٦) انظر : تفسير البغوي (٢ / ٥ / ٤٧) .

(٧) في (س) : « والأصبهاني » ، وانظر : تفسير الأصفهاني (ق ١ / أ من سورة آل عمران) .

(٨) انظر : تفسير البيضاوي (٢ / ١ ، ١٤٩ ، ١٦٥ - ١٧١)

في السير والتفاسير كثير من الحكايات التي تحكي كفر الكافرين

وغيرهم .

وفي السير أيضاً والتفاسير عند : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ [1] وعند : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [2] ، وغير ذلك من الآيات التي حكى الله كفرهم فيها من حكايات كفرهم التي شرع الله لنا ذكرها لنردَّها [3] - أشياء تَقْشَعِرُّ من سماعها الجلود - ثم ذكر بعد هذا [4] أمر النجاشي [5] ﷺ لما أرسلت إليه قريش في أمر من هاجر إليه من الصحابة - رضي الله عنهم - ، وأن جعفر بن أبي طالب [6] ﷺ لما قرأ عليه صدراً من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [7] بكى وبكت أساقفته [8] ، وقال

بيان ماقاله النجاشي عند سماعه قراءة جعفر وإلى أي شيء ينصرف قوله

---

(١) سورة آل عمران - الآية : ١٨١ .

(٢) سورة المائدة - الآية (٦٤) .

(٣) في (س) : « ليردها » .

(٤) الصواب : أن الكلام الذي سيذكره المؤلف - رحمه الله - من سيرة ابن هشام المطبوعة عن النجاشي قبل الكلام عن وفد نصارى نجران ، وليس بعده كما ذكر المؤلف هنا .

(٥) هو أصحمة بن أبجر ، واسمه بالعربية عطية ، والنجاشي لقب له ، وهو ملك الحبشة ، أسلم على عهد النبي ﷺ ، ولم يهاجر إليه ولم يره ، وكان ردءً للمسلمين أثناء هجرتهم لدياره ، توفي ﷺ في حياة النبي ﷺ وذلك سنة تسع من الهجرة ، فقام النبي ﷺ وأصحابه بالصلاة عليه صلاة الغائب .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٤٢٨) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٣ / ٦٧) ، والإصابة لابن حجر (١ / ١٧٧) .

(٦) هو أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، ابن عم النبي ﷺ ، وأحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، وممن هاجر الهجرتين ، وهو من أشبه الناس بالنبي ﷺ ، قدم على النبي ﷺ من الحبشة يوم فتح خيبر ، وقتل ﷺ شهيداً بمؤته سنة ثمان من الهجرة ، وكان عمره أربعين سنة .
انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (١ / ١١٤) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٢ / ١٤٩ - ١٥٦)، والإصابة لابن حجر (٢ / ٨٥ - ٨٧) .

(٧) سورة مريم - الآية (١) .

(٨) في (س) : « أسافقته » .
والأساقفة : جمع كلمة أُسْقُف وهي كلمة عربية مقتبسة عن اللفظ اليوناني « ابسكوبوس » التي معناها « مشرف » ، وهو كاهن وعالم ذو رتبة عالية في الكنيسة ، وموكول إليه رعايتها .

==

النجاشي : « إن هذا والذي جاء به موسى [1] ليخرج من مشكاة [2] واحدة » [3] ، وذلك في زمان لم يكن بقي [4] فيه أحد على الدين الصحيح ، كما في حديث سلمان الفارسي وزيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما [5] ، ولاشك أن التوراة كان قد بُدِّل [6] فيها قبل ذلك ما بُدِّل ، فلا ينصرف قوله إلا إلى ما عرف أنه غير مبدَّل ، ولا سبيل له إلى معرفة ذلك إلا أحد أمرين :

إما قائل يُعْتَقَدُ صدقُهُ وعلمُه ، وإما صحف يُعتقَد حفظها ، وكل من الأمرين يطرقه احتمال ، فنحن أعرف منه بتمييز المبدل من غيره من كتابنا المهيمن / على كل كتاب [7] ، وهو المحفوظ الذي لا يطرقه شك أصلاً ، لأن من سمعه فكأنما سمعه

[٣٧ أ / س]

بيان معرفة المبدل من غيره عن طريق القرآن

==

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٣٧٩) ، وقاموس الكتاب المقدس (٧٢ - ٧٣).

(١) في بعض نسخ ابن هشام « موسى » ، وفي بعضها « عيسى » .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٤ / ٣٣٤) بعد أن ذكر كلام النجاشي هذا : « المشكاة : الكُوّة غيرُ النافذة ، وقيل : هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل ، أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى ، وأنهما من شيء واحد » .

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ٣٣٤ - ٣٣٨) ، وهذا الخبر أخرجه أحمد في المسند (١ / ٢٠١ - ٢٠٣) (٥ / ٢٩٠ - ٢٩٣) ، وأبو نعيم في الحلية (١ / ١١٥ - ١١٧) ، وفي دلائل النبوة (١ / ٢٤٦ - ٢٥٠) ، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (١ / ٢٤٧ - ٢٦٠) ، وقال عن القصة : « وهي متواترة عند العلماء » ، وذكره الذهبي في السير (١ / ٤٣٠ - ٤٣٤)، وقال المحقق : « إسناده قوي » ، وابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ٧٠ - ٧٣) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٤ - ٢٧) ، وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع » .

(٤) في (س) : « نفي » .

(٥) تقدم تخريجهما ، انظر (ص : ٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٩٨ - ٣٩٩) .

(٦) في (س) : « يدل » .

(٧) قال تعالى في سورة المائدة - الآية : ٤٨ ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ... ﴾ الآية .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في فتح القدير (٢ / ٤٨) عن معنى الهيمنة في الآية :

==

من الذي [1] جاء به ﷺ ؛ لأنه معجز لا يمكن الإتيان بمثله ، ومحفوظ لا يمكن تبديله، ومتواتر / لا يجوز انقطاع تواتره . [٢٢ ب/ م]

وقول النبي ﷺ : « **إما أن تكذّبوا بحق أو تصدّقوا بباطل** » [2] ، كان قبل أن يكمل نزول القرآن ويتم الدين [3] ، ومثل ما ذاق النجاشي رضي الله عنه أمر القرآن وما صح من التوراة ، كذلك [4] ذاق ورقة حيث قال للنبي ﷺ لما سمع منه : « هذا الناموس الذي نَزّل الله على موسى »، كما هو في «**الصحيح**» عن عائشة رضي الله عنها.[5]

« والمعنى على قراءة الجمهور أن القرآن صار شاهداً بصحة الكتب المنزلة ، ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ ، وناسخاً لما خالفه منها ، ورقيباً عليها ، وحافظاً لما فيها من أصول الشرائع ، وغالباً لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ ، ومؤتمناً عليها لكونه مشتملاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك » .

وقال الدكتور صلاح الخالدي في كتابه هذا القرآن (ص : ١٩٤) : « إذا كان القرآن مهيمناً على الكتب الإلهية السابقة ، فلا بد أن يكن مهيمناً على ما سواها من نتاج البشر من باب أولى ، القرآن يجب أن يكون مهيمناً على جميع القوانين والأنظمة في بلاد المسلمين ، وعلى جميع التشريعات والأحكام ، وعلى جميع الدساتير والمواثيق ، يجب أن يكون فوق كل هذه ، ولا يجوز أن يكون أحد منها فوقه ، ويجب أن تحاكم هي إليه ، ولا يحاكم هو إليها ، ويجب أن تصاغ كلها وفقه ، وأن لا يخالفه شيء منها » .

وانظر في معنى الهيمنة أيضاً : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ١٣٦ - ١٤٧) ، والجواب الصحيح لابن تيمية (١ / ٦٤) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٦٨) .

(١) في (س) : « ذلك » .

(٢) تقدم تخريجه (ص : ٣٣١ - ٣٣٢) ، وانظر ما سيأتي (ص : ٤٩٥) .

(٣) انظر: أقوال العلماء في معنى هذا الحديث، والتي ذكرها المصنف في أوائل الفصل الخامس .

(٤) في (س) : « لذلك » .

(٥) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي (١ / ٢٢ رقم ٣) ، وكتاب أحاديث الأنبياء - باب : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [سورة مريم - الآية : ٥١] (٦ / ٤٢٢ رقم ٣٣٩٢) ، وكتاب التفسير ، تفسير سورة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٨ / ٧١٥ رقم ٤٩٥٣) ، وكتاب التعبير - باب أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة (١٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ رقم ٦٩٨٢) .

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح [1] إمام أهل الحديث في زمانه ، ومقامه [2] في الفقه وغيره معروف ، عند من لا ينكر المعروف ، في أول « **فتاويه** » - التي رتبها الكمال إسحاق المغربي الشافعي [3] شيخ إمام المسلمين النووي [4] - وقد سئل عن قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [5] وسأل المستفتي أن تفسر على الوجه الصحيح بحديث عن رسول الله ﷺ من الصحاح ، أو بما [6] أجمع أهل الحق على صحته : « ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [7] لدلالات للمتقين [8] على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى أمر البعث ، فإن الاستيقاظ بعد النوم شبيه به ، ودليل عليه ،

---

(١) هو : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، الإمام الحافظ والعلامة المدقّق والمحدِّث المفسِّر والفقيه الأصولي ، صاحب المصنَّفات والتي منها : علوم الحديث والمعروف بمقدمة ابن الصلاح ، والمؤتلف والمختلف في أسماء الرجال ، والفتاوى ، ولد سنة (٥٧٧ هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٦٤٣ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣ / ١٤٠ - ١٤٤) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ١٣٣ - ١٣٤) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٣٦١) .

(٢) في (س) : « ومَقدمَه » .

(٣) هو : كمال الدين إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي - وقيل المعري - الشافعي ، أحد مشايخ وأعيان الشافعية في عصره ، تتلمذ على ابن عساكر ، وابن الصلاح ، وأخذ عن النووي ، وأبي شامة ، وتوفي - رحمه الله - سنة (٦٥٠ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣ / ٢٤٨ - ٢٤٩) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١ / ٤٣٣) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٧ / ٤٣٠) .

(٤) في (س) : « النواوي » .

(٥) سورة الزمر - الآية : ٤٢ .

(٦) في (س) : « مما » .

(٧) هذا الجزء هو المقطع الأخير من الآية السابقة .

(٨) في (س) : « المتقين » .

نُقل في التوراة : يا ابن آدم كما تنام تموت ، وكما [1] تستيقظ تبعث [2] » . [3] ، فهذا واضح .

معنى قوله : ﴿ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ ﴾

وقال الإمام ناصر الدين البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام : ﴿ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [4] : « والمراد : تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة » . [5]

وقال الإمام محيي السنة البغوي في أول سير [6] تفسير سورة النمل [7] : « وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما–، وسعيد بن جبير، والحسن في قوله تعالى : ﴿ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [8] يعني [9] قُدس من في النار ، وهو الله تعالى ، عنى به نفسَه على معنى أنه نادى موسى –عليه السلام– منها وأسمعه كلامه من جهتها[10] لما رُوي أنه مكتوب في التوراة : جاء الله من / سيناء ، وشرق من مساعير [11] ، واستعلن من [٣٧ب/ س]

---

(١) في (س) : « ولا » .

(٢) انظر : سفر دانيال ، الإصحاح الثاني عشر ، الفقرة (٢) .

(٣) فتاوى ابن الصلاح (ص : ٥)

(٤) سورة يونس – الآية : ٩٤ .

(٥) تفسير البيضاوي (١ / ٤٧٤) .

(٦) قوله : « سير » ساقط من(س) .

(٧) في (س) : « النحل » .

(٨) سورة النمل – الآية : ٨ .

(٩) في (س) : « بمعنى » .

(١٠) انظر : تفسير الطبري (١٩ / ١٣٣ – ١٣٥) ، ومعاني القرآن لأبي جعفر النحاس (٥ / ١١٥ – ١١٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣ / ١٠٧) ، وتفسير ابن كثير (٣ / ٣٦٩) ، وفتح القدير للشوكاني (٤ / ١٢٧) .

(١١) مساعير أو ساعير : اسم لجبال فلسطين ، وهي من حدود الروم ، وساعير قرية قريبة من الناصرة بين طبرية وعكا .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ١٧١) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٤٦٦ – ٤٦٧) .

جبال فاران [1] » . [2] ، فمجيئه من سيناء [بعثة] [3] موسى – عليه السلام – ، ومن مساعير بعثة المسيح – عليه السلام – منها ، ومن جبال فاران بعثة المصطفى ﷺ منها [4] ، وفاران : مكة » . [5]

بعض ما نقله الأصبهاني من الكتب القديمة

[وقال الإمام] [6] شمس الدين محمود الأصبهاني في « **تفسيره** » [7] في [8] قوله

---

(١) في (س) : « فماران » .
وجبال فاران هي جبال مكة ، وفاران : كلمة عبرانية معربة .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ١٧١) (٤ / ٢٢٥) ، ، والجواب الصحيح لابن تيمية (٥ / ٢٠٠) .

(٢) وتمام النص من الترجمة الحديثة : « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعةٍ لهم » .
انظر : سفر التثنية ، الإصحاح الثالث والثلاثين ، الفقرة (٢) .

(٣) في (م) : « بعث » ، والصواب ما أثبته وهو كما في (س) ، وكما في تفسير البغوي أيضاً .

(٤) قال ابن القيم – رحمه الله – في هداية الحيارى (ص : ٣١٩ – ٣٢٠) بعد أن ذكر هذه البشارة:
« وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة : نبوة موسى ، ونبوة عيسى ، ونبوة محمد ﷺ ، فمجيئه من سيناء وهو الجبل الذي كلّم الله موسى ونبّأه عليه إخبار عن نبوته ، وتجليه من ساعير هو مظهر عيسى المسيح من بيت المقدس ، وساعير قرية معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة المسيح ، وفاران هي مكة ، وشبّه سبحانه وتعالى نبوة موسى بمجيء الصبح وفلقه ، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه ، ونبوة خاتم النبيين بعدهما ﷺ باستعلان الشمس وظهورها ، وظهور ضوئها في الآفاق ، ووقع الأمر كما أخبر به سواء ، فإن الله صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته ، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح ، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد ﷺ ، وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة التين : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [سورة التين – الآية : ١ -٣] .

(٥) تفسير البغوي (٦ / ١٤٥) .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو في (س) .

(٧) في (س) : « تفسير » .

(٨) قوله : « في » ساقط من(س) .

تعالى : ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [1] في أول الكلام : « ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان [2] ، والنخالة ، وحبة الخردل ، والحصاة ، والأَرَضَة ، والدود ، والزنابير » . [3]

بيان معنى الميثاق الذي أخذه الله على أهل الكتاب

وعند قوله : ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ [4] : « ومنها أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ، ولم يكتموا ذكره فيما تقدَّمه من الكتب المنزلة عليهم لقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [5] ، وقوله في الإنجيل لعيسى - عليه السلام - : سأنزل عليكم كتاباً فيه نبأ بني إسرائيل ونبأ ما أريته إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من [6] ميثاقهم الذي واثقوا به » . [7]

---

(١) سورة البقرة - الآية : ٢٦ .

(٢) الزوان : عشبٌ سامٌ ذو أطراف ليفية كثيرة ، وأكثر ما ينبت بين الحنطة بزراعة وبدونها . انظر : قاموس الكتاب المقدس (ص : ٤٣٨) .

(٣) تفسير الأصفهاني (ق ٢٣ / أ من سورة البقرة) . وانظر : سفر الخروج ، الإصحاح الثالث والعشرين ، الفقرة (٢٨) ، وسفر أيوب ، الإصحاح السابع عشر ، الفقرة (١٤) ، وسفر إشعيا ، الإصحاح الحادي والأربعين ، الفقرة (١٤) ، وإنجيل متى ، الإصحاح الثالث عشر ، الفقرات (٢٤ - ٣٢) (٣٦ - ٤٣) ، وإنجيل مرقس ، الإصحاح الرابع ، الفقرات (٣٠ - ٣٣) ، وإنجيل لوقا ، الإصحاح الثاني عشر ، الفقرة (٣٤) ورسالة بولس إلى أهل أفسس ، الإصحاح الثاني ، الفقرات (٢٠ - ٢٢) ، ورسالة بطرس الأولى ، الإصحاح الثاني ، الفقرات (٤ - ٨) .

(٤) سورة البقرة - الآية : ٢٧ .

(٥) سورة البقرة - الآية : ٤٠ .

(٦) قوله : « من » ساقط من (س) .

(٧) تفسير الأصفهاني (ق ٢٥ / ب من سورة البقرة) . وانظر في الكلام عن الميثاق : هداية الحيارى لابن القيم (ص : ٣١٥ - ٣١٦) ، وكتاب شيخنا الفاضل الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان - حفظه الله - : فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها (ص : ٣٤ - ١٣٨) .

قال الشيخ نور الدين : « يسأل عن مرجع المضاف إليه ، يعني في [1] قوله : " وقوله في الإنجيل " : ما هو ؟ على أنك إذا تأمَّلت ، رأيت أنه لا إشكال في إسناد ذلك إلى الله تعالى [2] ، عند ظن صحة ما أسند ، ولو لم يصل ذلك إلى القطع ، يشهد لذلك أن المحدثين لم يوجبوا بيان حال الحديث الضعيف مع أنَّ [3] من جملته الأحاديث القدسية ، فيقال فيها : قال الله كذا إلى آخره ، فإن ادُّعي أن المحدثين كلهم مخطئون ، فلا إشكال حينئذ ، نعم إن قيل إن بعض الناس لا يتعلَّق به هذه [4] الأحكام ، بل ينفرد بأحكام مختصة به يقرب إذن » [5] انتهى .

هل كان إبليس كافراً أبداً ؟

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [6] : « فمنهم من قال : إنه أي إبليس كان كافراً أبداً [7] ، يدل على ذلك ما نقل عن شارح [8]

---

(١) في الحاشية : « بلغ مقابلة على أصله فوافق – والله الهادي » .

(٢) قوله : « تعالى » ليس في (س) .

(٣) في (س) : « أنه » .

(٤) في (س) : « هذا » .

(٥) انظر : (ص : ٢٠٦ – ٢٠٩) .

(٦) الآية بكاملها هي : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة – الاية : ٣٤] .

(٧) اختلف أهل العلم –رحمهم الله تعالى– في معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ على قولين :
القول الأول : أن إبليس كان كافراً أبداً .
القول الثاني : أنه كفر بعد أن منعه كبره وغروره من السجود لآدم – عليه السلام – ، وهو القول الصحيح الذي عليه جماهير أهل العلم .
انظر أقوال العلماء في هذه المسألة في : مفاتيح الغيب للرازي (٢ / ٢٥٦–٢٥٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ٢٠٤) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٨١) ، ونظم الدرر للبقاعي (١ / ٩٣) ، وفتح القدير للشوكاني (١ / ٦٦ – ٦٧) .

(٨) في (س) : « شراح » . واسمه : ماري . انظر : مفاتيح الغيب للرازي (٢ / ٢٥٦) .

الأناجيل الأربعة / [1] : أنه وقع المناظرة بين الملائكة وبين [2] إبليس بعد الأمر بالسجود وَإِبَائِهِ . [٣٨ أ / س]

ذكر المناظرة بين إبليس والملائكة

قال إبليس للملائكة : « إني أُسَلِّمُ أن الله خالقي وخالق الخلق لكن لي على حكمته أسئلة سبعة .

الأول : ما الحكمة في الخلق ، لاسيما إذا كان عالماً بأن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا [3] الألم » ، وسرد السبعة ، وقال بعدها : « فأوحى الله [4] تعالى إليه من سرادقات [5] الجلال والكبرياء : يا إبليس إنك ما عرفتني ، ولو / عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليَّ في شيء من أفعالي ، فإني أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل » . [6] [٢٣ أ / م]

---

(١) المقصود بالأناجيل الأربعة هي : إنجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .

(٢) قوله : « وبين » ساقط من(س) .

(٣) قوله : « إلا » ساقط من(س) .

(٤) لفظ الجلالة ليس في (س) .

(٥) السرادق جمع سردق ، ومعناه في اللغة : كل ما احاط بشيءٍ من حائط أو مضرب أو خباء .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٣٥٩) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة سردق (١٠ / ١٥٧) .

(٦) تفسير الأصفهاني (ق ٣٢ / ب من سورة البقرة) .
انظر هذه المناظرة وكلام شارح الأناجيل الأربعة في :
الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٦ - ١٨) والذي قال - رحمه الله - قبل ذكرها : « اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة : شبهة إبليس لعنه الله ، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص ، واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خُلق منها - وهي النار - على مادة آدم عليه السلام - وهي الطين - ، وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات ، وسارت في الخليقة ، وسَرَت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة ، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة ... » .
وانظر أيضاً : مفاتيح الغيب للرازي (٢ / ٢٥٦) .

قال الشيخ نور الدين : « يُسئلُ عن حال [1] هذا الشارح الذي نَقَل عنه هذا الإمام أمُسْلِمٌ هو [أم] [2] لا ؟ فإن كان الأول فقد شرح - زيادة على نقله للإلزام، أو بيان ما انغلق عليهم منه ، إلى غير ذلك - هذا المسلمُ ما من المعلوم أن الأصح أن فيه المبدَّل ، فمحل النزاع أولى ، وإن كان الثاني فقد نقل هذا الإمام عن شرحه لما منع النقل منه لما يقدم ، فغير متقاعد محلّ النزاع عنه ، هذا مع أنَّ من جملة ما نقل شبهةَ إبليس المعلومِ كُفْرُهُ المقتضية وَهْنَ الدين لردها ، فالرجوع إلى الحق أولى » انتهى .

وقال في تفسير قوله [تعالى] [3] : ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [4] نقلاً عن الإمام الرازي [5] : « هذا آخر الآيات الدالة على النعم التي أنعم الله بها على جميع بني آدم ، وهي دالَّة على التوحيد موافقاً لما في التوراة والإنجيل » [6] .

المراد بالعهد في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾

وقال في تفسير : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ ﴾ [7] : « وفي المراد بعهدي : أربعة أقوال [8] : أحدها [9] : ما عهد إليهم في التوراة من صفة محمد ﷺ وأنه سيبعثه على ما قال

---

(١) قوله : « حال » ساقط من(س) .
(٢) في (م) : « أو » ، ولعل الصواب ما أثبته وهو كما في (س) .
(٣) ما ين المعقوفتين زيادة من (س) .
(٤) سورة البقرة - الآية : ٣٩ .
(٥) انظر : مفاتيح الغيب للرازي (٣ / ٣٠) .
(٦) تفسير الأصفهاني (ق ٣٨ / أ - من سورة البقرة) .
(٧) سورة البقرة - الآية : ٤٠ .
(٨) بل هي أكثر من أربعة ، انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ٢٢٧) فإنه ذكر سبعة أقوال لأهل العلم في المراد بالعهد .
وانظر أيضاً : مفاتيح الغيب للرازي (٣ / ٣٦ - ٣٧) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٨٦) ، وفتح القدير للشوكاني (١ / ٧٥ - ٧٦) .
(٩) وهو مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما .
انظر : تفسير الأصبهاني (ق ٣٩ / أ من سورة البقرة) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٨٦) .

ا لله تعالى في الأعراف : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[1] الآية ».[2]

ثم قال : « ولنذكر بعض ما جاء في كتب الأنبياء المتقدمين من البشارة بمقدم محمد ﷺ ، منها ما جاء في الفصل / التاسع[3] من السفر الأول من التوراة : أن هاجر[4] لما غضبت عليها سارة[5] تراءى لها ملك ، فقال لها : يا هاجر أين تريدين ومن أين أقبلت ؟ قالت : أهرب من سيدتي سارة ، فقال لها : ارجعي إلى سيدتك واحفظي لها ، فإن ا لله سيكثر زرعك وذريتك ، وستحملين وتلدين ابناً وتسمينه[6] إسماعيل من أجل أن ا لله سمع تلبيتك وخشوعك (وهو يكون عين الناس)[7]

[٣٨ب/ س]

بعض البشارات الدالّة على نبوة محمد ﷺ من كتب أهل الكتاب

---

(١) سورة الأعراف – الآية : ١٥٦ .

(٢) تفسير الأصفهاني (ق ٣٩ / أ – من سورة البقرة) .

(٣) هذا النص الذي سيُذكر هنا غير موجود في الفصل التاسع من الطبعة الحديثة للكتاب المقدس ، والتي اعتمدت عليها ، وإنما يوجد في الفصل السادس عشر كما سيأتي .

(٤) هي جارية قبطية من جواري فرعون مصر ، وهبها لسارة زوجة إبراهيم الخليل – عليه السلام – ، والتي وهبتها – بعدما يئست من الحمل – لزوجها إبراهيم ، راجية من ا لله أن يرزقهم منها ابناً ، فحملت وولدت إسماعيل – عليه السلام – ، وقد هاجر إبراهيم بها وبولدها إلى مكة المكرمة ، وتوفيت – رضي ا لله عنها – بعد رجوع زوجها لزوجته سارة ، وبعد زواج ابنها إسماعيل .
انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (١ / ٥٨ – ٥٩ ، ٧١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١ / ١٤٣ – ١٤٦) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٩٩٣ – ٩٩٤) .

(٥) اسمها الأصلي : ساراي الذي معناه : الأميرة ، وهي بنت هاران ملك حران ، وعم إبراهيم – عليه السلام – وهي زوجة إبراهيم الخليل وأم ولده إسحاق – عليهم السلام – والذي أنجبته بعد أن بلغت من العمر سبعين عاماً ، واشتهر عنها الجمال وحسن المظهر ، وكانت وفاتها – رضي ا لله عنها – بأرض الجبابرة من بلاد كنعان ، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون عاماً .
انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (١ / ٥٧ – ٥٩ ، ٧٠) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١ / ١٤١ – ١٤٣ ، ١٥٠ – ١٥٢) ، وقاموس الكتاب المقدَّس (ص : ٤٤٣ – ٤٤٤) .

(٦) في (س) : « وتسميه » .

(٧) ما بين القوسين مكرر في (س) .

وتكون يده فوق الجميع [1] ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع » [2] .

ومنها : ما جاء في الفصل الحادي عشر [3] من السفر الخامس : « أن الرب إلهكم يقيم لكم نبياً من بينكم ومن إخوتكم » . [4]

وفي هذا الفصل [5] : « أن الرب قال لموسى : وأي رجل لم يسمع كلامي الذي يؤديه ، أنا أنتقم منه » [6] » [7]

معنى : مصدّقا في قوله تعالى : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ [8] (ومعنى مصدقاً : أنه حصلت البشارة بمحمد وبالقرآن ، في التوراة والإنجيل ، فكان الإيمان بالقرآن وبمحمد [ﷺ] [9] تصديقاً للتوراة والإنجيل ، فيلزم الإيمان به ؛ لأن التوراة والإنجيل قد شهدا [10] على صدق النبي ﷺ ، وإنما ذكر الله هذا الكلام ليكون حجة على بني إسرائيل في وجوب / الإيمان بمحمد ﷺ ، وهذا الكلام يدلُّ على نبوة محمد ﷺ من وجهين : الأول : أن شهادة كتب الأنبياء عليهم [الصلاة و] [11] السلام لا تكون إلا حقاً . والثاني : أنه ﷺ لم يقرأ كتبهم ، ولم يكن له معرفة بذلك إلاَّ من قِبَل

[٢٣ ب/م]

---

(١) في (س) : « وهو يكون يده فوق يد الجميع » .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح السادس عشر ، الفقرات (٧ - ١٢) مع بعض الاختلاف .

(٣) يوجد النص في الطبعة الحديثة للكتاب المقدس التي اعتمدت عليها في الفصل الثامن عشر ، وليس الحادي عشر .

(٤) سفر التثنية ، الإصحاح الثامن عشر ، الفقرة (١٥ ، ١٨) مع بعض الاختلاف .

(٥) انظر : حاشية رقم (٣) .

(٦) سفر التثنية ، الإصحاح الثامن عشر ، الفقرة (١٩) ، مع بعض الاختلاف .

(٧) تفسير الأصفهاني (ق ٣٩ / أ - من سورة البقرة) .

(٨) سورة البقرة - الآية (٤١) .

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(١٠) في (س) هكذا : « شر » .

(١١) ما بين المعقوفتين زيادة من(س) .

الوحي » [1] .

معنى قوله : ﴿ هَادُوا ﴾

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ [2] لأنهم يتهودون [3] ، أي يتحركون عند [4] قراءة التوراة [5] ، ويقولون : إن السموات والأرض / تحركتا [٣٩ أ / س] حين آتى الله عز وجل التوراة لموسى عليه السلام » . [6]

صفة رسول الله ﷺ في التوراة

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [7] : « فاحْتالوا

---

(١) تفسير الأصفهاني (ق ٣٩ / ب – من سورة البقرة) .
وقال الشوكاني – رحمه الله – في إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص : ٤١ – ٤٢) عن الدليل أو الوجه الثاني والذي دلَّ على نبوة محمدٍ ﷺ : « ومثل دلالة هذا الدليل لا يتيسر لجاحد ، ولا لمكابر ، ولا لزنديق مارق أن يقدح فيها بقادح ، أو يعارضها بشبهةٍ من الشبه كائنة ما كانت ، إن كان ممن يعقل ويفهم ، ويدري بما يوجبه العقل من قبول الأدلة الصحيحة التي لا تقابل بالرد ، ولا تدفع بالمعارضة ، ولا تقبل التشكيك ، ولا تحتمل الشبهة » .

(٢) سورة البقرة – الآية : ٦٢ .

(٣) في (س) : « يهودون » .

(٤) في (س) : « عنه » .

(٥) المعنى المذكور هنا هو أحد الأقوال التي ذكرها أهل العلم – رحمهم الله – في معنى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ ، وفي سبب تسمية اليهود بهذا الاسم ، وهو قول أبي عمرو بن العلاء ، ومن هذه الأقوال أيضاً : ما روي عن ابن عباس أنه ذكر أن سبب التسمية مأخوذٌ من قولهم : « إنَّا هُدنا إليك » أي : تبنا ورجعنا عن عبادة العجل ، وقيل إنهم سموا بذلك نسبة ليهوذا أكبر أولاد يعقوب – عليه السلام – ، وقيل غير ذلك .
انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٢١٠) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٣ / ١١٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ٢٩٤) ، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد (ص : ١٥) .

(٦) تفسير الأصفهاني (ق ٤٨ / ب – من سورة البقرة) .

(٧) سورة البقرة – الآية : ٧٩ .

فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ في التوراة ، وكان صفته فيها : حسن الوجه ، حسن الشعر ، أكحل العينين ، رَبْعَةً [(١)] ، فغيَّروها وكتبوا مكانها : طوال [(٢)] ، أزرق ، سبط[(٣)] الشعر » . [(٤)]

وفي تفسير : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [(٥)] : « إنهم كانوا قرأوا في التوراة : إن الله يبعث في آخر الزمان نبياً ينزل عليه قرآناً مبيناً » . [(٦)]

وفي تفسير : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ [(٧)] : « تمسك اليهود في استحالة النسخ بشبه ، منها : أن الله تعالى إن كان عالماً باستمرار الحكم إلى وقت النسخ ، فينتهي الحكم بنفسه ، فلا رَفْعَ ، فلا نَسْخَ .

ومنها : لو نسخت شريعة موسى ؛ لبطل قول موسى المتواتر : هذه شريعة مؤبَّدة [(٨)] عليكم ما دامت السموات » [(٩)] .

---

(١) يقال : رجل رَبْعَة ، أي مربوع الخلق لا طويل ولا قصير .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة ربع (ص : ٢٣٠) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة ربع (٨ / ١٠٧) .

(٢) قوله : « طوال » ساقط من (س) .

(٣) قوله : « سبط » ساقط من (س) .

(٤) تفسير الأصفهاني (ق ٥٢ / ب – من سورة البقرة) .
وانظر : الطبقات لابن سعد (١ / ٣٦٣ ، ٤١٢ – ٤١٣) ، ودلائل النبوة للبيهقي (١ / ٣٧٨) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١ / ٢٧٦) .

(٥) سورة البقرة – الآية : ٨٩ .

(٦) تفسير الأصفهاني (ق ٥٥ / أ – من سورة البقرة) .

(٧) سورة البقرة – الآية : ١٠٦ .

(٨) في (س) : « مؤيدة » .

(٩) تفسير الأصفهاني (ق ٥٩ / أ – من سورة البقرة) .
قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (١ / ١٥٦) : « الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد ؛ فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لأنه يحكم ما يشاء كما أنه يفعل ما يريد ، مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة ، وشرائعه ==

بشارة التوراة بالنبي ﷺ

وفي تفسير : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [1] : « رُوي أن ابن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً [2] ، فقال لهما : قد علمتما [3] أن الله يقول في التوراة : إنِّي

==

الماضية ، كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك ، وكما أباح لنوحٍ بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها ، وكان نكاح الأختين مباحاً لإسرائيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها ، وأمر إبراهيم – عليه السلام – بذبح ولده ، ثم نسخه قبل الفعل ، وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ، ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل ، وأشياء أخرى يطول ذكرها ، وهم يعترفون بذلك ويصدفون عنه » .

ويقول الدكتور عبد الرحمن الدرويش في كتابه الشرائع السابقة (ص : ١٤٦) عن شبه اليهود في إنكارهم النسخ : « لاشبهة لهم فيما أعلم في إنكارهم النسخ إلا ما توهموه من أنه يلزم من النسخ البداء ، وهو الظهور بعد الخفاء ، فزعموا أنه يلزم عليه أن يكون قد ظهر لله ما كان خافياً عليه ، وذلك ممنوعٌ في حق الله تعالى ، هذا ولا يخفى مما سبق ذكره في توراتهم المحرفة أنهم قد وصفوا الله تعالى بأعظم من هذا من النقائص والعيوب التي ينزه الله عنها ولم يتحرَّجوا ، والواقع أن هذا من باب التضليل والعناد منهم ، من أجل أن يجحدوا شرائع الله ، ويكذبوا رسله من بعد موسى حتى لا يقولوا بنسخ شريعتهم وبطلان العمل بها » .

وانظر في النسخ وقول اليهود فيه وذكر شبههم وترهاتهم والرد عليها :

الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٢١١) ، وبذل المجهود في إفحام اليهود للحكيم السموءل (ص : ١٩ – ٥٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٣ / ٢٤٦ – ٢٤٩) ، وتخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الجعفري (ص : ٣٨٤ – ٣٩٤) ، وإغاثة اللهفان لابن القيم (ص : ٢٥٤ – ٢٦٣) ، وإظهار الحق لرحمت الله الهندي (٣ / ٦٤٧ – ٦٨٠) ، والشرائع السابقة لعبد الرحمن الدرويش (ص : ١٤٢ – ١٤٨) .

(١) سورة البقرة – الآية : ١٣٠ .

(٢) هما ابنا سلام أخ عبد الله بن سلام ﷺ ، وقد أسلم منهما سلمة ، وهو من مؤمنة أهل الكتاب، وفيه وفي غيره ممن أسلم من أهل الكتاب نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ... ﴾ . [سورة النساء – الآية : ١٣٦] . انظر : أسباب النزول للواحدي (ص : ١٨٨) ، وأسد الغابة لابن الأثير (٢ / ٢٧٦) ، والإصابة لابن حجر (٤ / ٢٣٠) .

(٣) في (س) : « علمتا » .

باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد ، فمن [1] آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به ، فهو ملعون ، فأسلم سلمة [2] ، وأبى مهاجر » . [3]

وفي تفسير : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [4] : « وقد أوحى الله تعالى إلى داود : كيف عرفتني وكيف عرفتَ [5] نفسك ؟ فقال : عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء ، وعرفت نفسي بالضعف والعجز والفناء . قال : الآن عرفتني » . [6]

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [7] : « وأوحى الله عز وجل إلى داود [عليه السلام] [8] : قل للظلمة لا تدعوني ، فإني أوجبت على نفسي أني أجيب من دعاني ، وإني إذا أجبت الظالمين لعنتهم » . [9]

وفي تفسير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [10] : « جاء في التوراة : تمسكوا بالسبت [11] / ما دامت السموات والأرض [12] » . [13] [٣٩ ب/س]

---

(١) في (س) : « من » .

(٢) في (س) : « مسلمة » .

(٣) تفسير الأصفهاني (ق ٦٤ / أ – من سورة البقرة) ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان (١/٣٩٤).

(٤) سورة البقرة – الاية : ١٣٠ ، في (م) و (س) : « فقد سفه نفسه » وهو خطأ .

(٥) قوله : «عرفت » ساقط من(س) .

(٦) تفسير الأصفهاني (ق ٦٤ / أ – من سورة البقرة) .

(٧) سورة البقرة – الآية : ١٨٦ .

(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من(س) .

(٩) تفسير الأصفهاني (ق ٧٥ / أ – من سورة البقرة) .
وانظر أيضاً : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢ / ٢٠٧) .

(١٠) سورة البقرة – الآية : ٢٠٨ .

(١١) في (س) : « بالسبب » .

(١٢) سفر الخروج ، الإصحاح الحادي والثلاثون ، الفقرات (١٦ – ١٧) ، وسفر اللاويين ، الإصحاح التاسع عشر ، الفقرات (٣ ، ٣٠) . وانظر في الكلام عن يوم السبت وتقديسه عند اليهود : قاموس الكتاب المقدس (ص : ٤٥٣ – ٤٥٥) .

(١٣) تفسير الأصفهاني (ق ٨٤ / ب – من سورة البقرة) .

وقال في تفسير [1] : ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [2] : « فأحيى أربعة أنفس: العازر[3] وكان صديقاً له ، فأرسلت أخته [4] إلى عيسى – عليه السلام – ، فذكر قصته [5] التي في الإنجيل » [6] . [7]

هل المحذور عند من أنكر على المصنّف النقل من الكتب القديمة هو عزوه إليها أم عدمه ؟

فإن كان المحذورُ عِند مَن أَنْكَرَ لقلة ممارسته لكتب الأئمة ، ذِكْرَ ما في الكتب القديمة ، فقد ذكر هذا الإمام المفسر وغيره من الأئمة الكبار كالرازي ، وكالبغوي كثيراً من ذلك ، [مع التصريح بذكر الكتاب المنقول منه وبدونه] [8] .

فإن البغوي ذكر في تفسير : ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [9] في آل عمران قصة الذي أضاف مريم وابنها – عليهما السلام – وأحسن إليهما [10] ، ثم استضافه الملك / وليس عنده شراب ، فاهْتَمَّ ، فأمره عيسى – عليه السلام – ، فملأ [٢٤ أ / م]

وانظر أيضاً : مفاتيح الغيب للرازي (٣ / ٢٢٤) .

(١) قوله : « تفسير » ساقط من (س) .

(٢) سورة آل عمران – الآية : ٤٩ .

(٣) اسمه كما في الكتاب المقدس وكما في القاموس : لِعازر وهو رجل من بيت عنيا بالقرب من بيت المقدس ، وكان يسكن مع أختيه مرثا ومريم ، وقد كان موضع محبة أختيه ، جاء في إنجيل يوحنا أنه مات فوضع في قبره فجاء المسيح فأحياه وأخرجه من القبر ، وقال صاحب القاموس : إن إحياء المسيح لعازر كان السبب الكبير الذي دفع اليهود باتخاذ قرار مفاده قتل المسيح عليه السلام .
انظر : إنجيل يوحنا ، الإصحاح الحادي عشر ، الفقرات (١ – ٤٦) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٨١٦ – ٨١٧) .

(٤) واسمها مرثًا ، انظر : إنجيل يوحنا ، الإصحاح الحادي عشر ، الفقرات (ص : ٢٠ – ٢٢) .

(٥) في (س) : « قصة » .

(٦) إنجيل يوحنا ، الإصحاح الحادي عشر ، الفقرات (١ – ٤٦) .

(٧) تفسير الأصفهاني (ق ١٤ / أ – من سورة آل عمران) .
وانظر أيضاً : مفاتيح الغيب للرازي (٨ / ٦٣) .

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطٌ من (م) ، وهو في (س) .

(٩) سورة آل عمران – الآية : ٥٢ .

(١٠) في (س) : « إليها » .

الخوابي [1] ماءً ، ثم دعا له ، فإذا هو شراب جيِّد ، فعرف الملك ذلك ، فسأله أن يُحْيِيَ ابنَه وكان قد مات ، فأحياه كما ذكرها في الإنجيل [2] [3] ، وذكر في آخر القصص قصة هارون ببعض ما في التوراة غير معزوّة إليها [4] ، وزادها أمراً فاحشاً جداً نسبوه إلى موسى - عليه السلام -[5] ، نَزَّهتُ كتابي عن ذكره . [6]

وإن كان المحذور عزوه إلى تلك الكتب التي أُخِذ منها لا ذكره غير معزو إليها ، فذلك [7] أمر لا [يَفْعَلُه] [8] عاقل . والتفاسير وغيرها طافحة بالنقل عن أهل الكتاب ، ومن المعلوم أنهم لا يأخذون ذلك إلاَّ من كتبهم ، أو عمن أخذه منها ، فَمَن سوَّغ النقل عنهم غير معزوّ ، ومنعه معزواً مع ما تقدم عن البخاري [9] و « **الشفاء** » [10] وغيرهما [11] من النقل معزواً [12] إلى كتبهم ؟ ! !

قال الشيخ نور الدين : « وإنما قال شيخنا : « لقلة ممارسته » إلى آخره ، لأنَّ من

---

(1) المقصود بها : الأقداح .
انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة خيب (1 / 368) ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، فصل الخاء ، باب الباء (1 / 64) .

(2) انظر : إنجيل يوحنا ، الإصحاح الرابع ، الفقرات (ص : 43 - 51) .

(3) انظر : تفسير البغوي (2 / 41 - 42) .

(4) انظر : سفر العدد ، الإصحاح السابع عشر ، الفقرات (1 - 12) .

(5) انظر : سفر العدد ، الإصحاح السادس عشر ، الفقرات (1 - 40) ، والإصحاح السادس والعشرين ، الفقرات (9 - 10) .

(6) انظر : تفسير البغوي (6 / 223 - 224) .

(7) في (س) : « فذكر » .

(8) في (م) : « يعقله » ، والتصويب من (س) .

(9) انظر على سبيل المثال : (ص : 209) .

(10) انظر على سبيل المثال : (ص : 381 - 386) .

(11) في (س) زيادة : « وتفسير البغوي » قبل قوله : « وغيرهما » ، والكلام لا يستقيم بوجود هذه الزيادة ؛ لأن قوله : « وغيرهما » جاء بصيغة التثنية في (م) و (س) .

(12) في(س) : « معزو » .

المعلوم أنَّ سيرة المصطفى ﷺ / التي هي عبارة عن ترجمة الدين وكيف بدأ ، وكيف [٤٠ أ / س] نشأ ، ومن أشهر السِّيَر وأجلها سيرة ابن هشام ، والكلاعي [1] ، وابن سيد الناس ، وهي مشحونة بالنقل عن التوراة والإنجيل بواسطة الأحبار والرهبان ، ففيها إسناد القول والاكتفاء فيه بأقوالهم ، ومن لم يطالع ذلك فهو عن الاعتناء بالدين بمعزل ، هذا مع أنَّ فيها نَقْلَ ما كانت الجاهلية عليه من عبادة الأوثان وغيرها ، مما كان ديناً لهم ، وهو هباء منثور ، فإن كان المحذور نَقْلَه لنسخه أو غيرِ ذلك ، فذلك كذلك » انتهى .

اعتراض وجوابه

فإن قال قائل : « إن الناقل عنهم بواسطة أحد ممن أسلم منهم مثل كعب ، فنقله سائغ لأنه يميز بين المبدَّل وغيره ، ونقل غيره لا يسوغ ؛ لأنه لا يعرف المبدل من غيره » .

قيل : « قد تقدم عندما ذكر عن النجاشي في قوله : « إنَّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة » ، إنَّا أَعْرَفُ منهم بالمبدَّل لشهادة كتابنا المهيمن على كل كتاب ، لكونه مأموناً من التحريف ، والتبديل [2] ، والغلط ، بخلاف من يَعرف ذلك من غيره ، فإن وسائطه غير مأمونة » .

موقف بني إسرائيل من القرابين والغنائم

وقال الأصبهاني أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ [3] :

---

(١) هو : أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي الأندلسي البلنسي ، الحافظ المؤرخ الأديب الشاعر ، صاحب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ، ومعرفة الصحابة وأنساب المصطفى ، ولد بمرسية سنة (٥٦٥ هـ) ، وقتل - رحمه الله - مجاهداً في كائنة أنيشة بالقرب من مرسية سنة (٦٣٤ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣ / ١٣٤ - ١٤٠) ، وفوات الوفيات للكتبي (٢ / ٨٠)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ٧٩٨) .

(٢) انظر : (ص : ٤٢٢) .

(٣) سورة آل عمران - الآية : ١٨٣ .

« قال (1) المفسرون : كانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل ، وكانوا إذا قربوا قرباناً أو غنِموا غنيمة ، فَتُقُبِّل منهم جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ، ولها دويّ فتأكل ذلك القربان وتلك الغنيمة فتحرقها ، فيكون ذلك علامةَ القبول ، وإذا (2) لم يُقْبَل / بَقِي على حاله . [24 ب/ م]

وقيل : كان بنو إسرائيل يذبحون لله ، فيأخذون الثُّروب (3) وأطايب اللحم ، فيضعونها في وسط البيت ، والسقف مكشوف ، فيقوم النبي (4) في البيت ويناجي ربه، وبنو إسرائيل خارجَ / البيت ، فتنزل نار ، فتأخذ ذلك القربان ، فَيَخِرُّ النبي ساجداً، فيوحي الله إليه بما شاء . [40 ب/س]

وقيل : إن الله أمر بني إسرائيل في التوراة : مَن جاءكم من أحد يزعم أنه رسول الله ، فلا تصدِّقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار ، حتى يأتيكم المسيح ومحمد ، فإذا أتياكم (5) ، فآمنوا بهما ، فإنهما يأتيان بغير قربان.

قيل : هذه دعوى باطلة وافتراءٌ على الله » . انتهى كلام الأصفهاني . (6)

---

(1) في (س) : « وقال » .

(2) في (س) : « وإذ » .

(3) في (س) : « التراب » .
والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيقٌ يغشى الكرش والأمعاء ، وقيل : هو الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين .
انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة ثرب (ص : 83) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة ثرب (1 / 234 - 235)

(4) في (س) : « الصبي » .

(5) في (س) : « أبنأكم » .

(6) تفسير الأصفهاني (ق 37 / ب - من سورة آل عمران) .
وانظر في الكلام على القرابين والغنائم إضافةً إلى ما سيذكره المؤلف بعد قليل :
صحيح البخاري- كتاب فرض الخمس - باب قول النبي ﷺ : « **أحلت لكم الغنائم ...** » (6 / 220 رقم 3124) ، وأسباب النزول للواحدي (ص : 138) ، والجامع لأحكام القرآن ==

وقد قال [1] : « إنه يقال إنه مبدَّل » ، وكذا نقله أبو حيان [2] ، والبيضاوي [3] والبغوي [4] وغيرهم [5] غير معزو ، وقال الأصبهاني في تفسير : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ [6] أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ [7] ﴾ [8] : « وكان من جملة أذاهم للرسول ﷺ أنهم كانوا يكتمون ما في التوراة والإنجيل من الدلائل الدالة على نبوَّته وكانوا يُحَرِّفونها ويذكرون لها تأويلاتٍ فاسدة » . [9]

للقرطبي (٤ / ١٨٨ -١٨٩) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٩ / ٢٠٥) ونظم الدرر للبقاعي (٢ / ١٩٠) ، وفتح القدير للشوكاني (١ / ٤٠٧) ، والشرائع السابقة لعبد الرحمن الدرويش (ص : ٣٨٩ - ٣٩١) .

وانظر أيضاً من كتب القوم :

سفر اللاويين ، الإصحاح الأول ، الفقرات (١ - ١٧) ، والإصحاح السادس ، الفقرات (٢٢ - ٢٣) ، وسفر العدد ، الإصحاح الثامن والعشرين ، الفقرات (٩ - ١٠) ، وسفر يشوع ، الإصحاح السادس ، الفقرات (١٧ - ١٩) ، وسفر رسالة العبرانيين ، الإصحاح العاشر ، الفقرات (١ - ١٠) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٧٢٢ - ٧٢٣) .

(١) في (س) : « كان » .

(٢) انظر : البحر المحيط (٣ / ١٣١ - ١٣٢) .

(٣) انظر : تفسير البيضاوي (١ / ١٩٦) .

(٤) انظر : تفسير البغوي (٢ / ١٤٤ - ١٤٥) .

(٥) في (س) : « وغيرهما » .

(٦) في (س) : « بني إسرائيل » وهو خطأ .

(٧) في (م) و (س) كتب قوله : ﴿ لَيُبَيِّنُنَّه ﴾ وقوله : ﴿ يَكْتُمُونَه ﴾ بالياء بدلاً من التاء ، وذلك حسب قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر ، وما أثبته هي قراءة حفص عن عاصم والتي اعتمد عليها المصنِّف في كتابه . انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد (٢٢١) .

(٨) سورة آل عمران - الآية : ١٨٧ .

(٩) تفسير الأصفهاني (ق ٣٨ / أ - من سورة آل عمران) ، وهذا الكلام بنصه نجده أيضاً في : مفاتيح الغيب للرازي (٩ / ١٣٤) .

وانظر في هذا وفي إيذائهم للنبي ﷺ كتاب : اليهود في السنة المطهرة للدكتور عبد الله الشقاري (١ / ١٦٥ - ١٨٠ ، ٢٧٣ - ٢٨٠ ، ٢٨٨ - ٢٩٣ ، ٣٢٧ - ٣٤٤)،(٢/٤٦٧- ٤٧٦).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ [1] : « أي (وهـذا ذكـر من قبلي) [2] أي التوراة والإنجيل وليس فيها كُلِّهَا إباحةُ ذلك ، أي اتخـاذ آلهـةٍ غـير الله سبحانه [وتعالى] [3] » . [4]

وقال الأصبهاني [5] أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [6] : « قال ابن عبـاس - رضـي الله عنهمـا - : « أنَّ النبي ﷺ دعـا جماعة من اليهود إلى دين الإسـلام ، وخوَّفهـم بعقـاب الله ، فقـالوا : كيـف تخوفنـا بعقاب الله ، ونحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [7] ؟ . وأمَّا النصارى : فإنَّهم يتلون في الإنجيـل الذي لهم : إنَّ المسيح قال لهم : أذهبُ إلى أبي وأبيكم [8] » . [9]

---

(١) سورة الأنبياء - الآية : ٢٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من(س) .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (س) .

(٤) تفسير الأصفهاني (ق ٣ / أ - من سورة الأنبياء) .
وانـظر : مفاتيح الغيب للرازي (٢٢ / ١٥٨) .

(٥) في (س) : « الأصفهاني » وكلاهما صحيح ، فالمؤلف - رحمه الله - يذكر هذا مرة ، وهذا مـرة أخرى .

(٦) سورة المائدة - الآية : ١٨ .

(٧) رواه ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق (١ / ٥٦٣) ، وابن جريـر في تفسـيره (٦ / ١٦٤) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٥٣٥) .
وأورده القرطبي في الجامع لأحكـام القرآن (٦ / ٨٠) ، وابـن كثـير في تفسـيره (٢ / ٣٦) ، وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن جرير ، وكذا الشوكاني في فتح القدير (٢/٢٥).

(٨) إنجيل يوحنا ، الإصحاح العشرون ، الفقـرة (١٧)، ونصهـا : « إنـي أصعدُ إلى أبي وأبيكـم ، وإلهي وإلهكم » .

(٩) تفسير الأصفهاني (ق ١٠ / أ - من سورة المائدة) .

وقال [1] في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ[2] ﴾ [3] : « وذلك أن الجواسيس لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا ، قال لهم موسى – عليه السلام – : اكتموا شأنه / ولا تخبروا به أحداً إلى آخر القصة ، كما ذكرت في التوراة [4] » . [5] [٤١ أ/س]

[وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [6] : « والعرب كانوا يخاطبون اليهود ، والظاهر أنهم سمعوا ذلك منهم [7] »] . [8]

وقال الإمام أبو حيان في تفسيره « **النهر** » في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [9] : « وهذا الذي ذكره الله عنه هو مذكور في

---

(١) قوله : « قال » ساقط من (س) .

(٢) اختلف أهل العلم – رحمهم الله – في المراد بالأرض المقدسة فقيل : إنها الشام ، وقيل : الطور وما حوله ، وقيل : أريحاء ، وقيل : دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وقيل : بيت المقدس ، وقيل : مابين العريش إلى الفرات .
انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ /٨٣) ، وتفسير ابن كثير (٢ / ٣٩) ، ونظم الدرر للبقاعي (٢ / ٤٢٥) ، وفتح القدير للشوكاني (٢ / ٢٩) .

(٣) سورة المائدة – الآية : ٢١ .

(٤) سفر العدد ، الإصحاح الثالث عشر ، الفقرات (١ – ٣٣) ، والإصحاح الرابع عشر ، الفقرات (١ – ٤) .

(٥) تفسير الأصفهاني (ق ١٠ / أ – ب – من سورة المائدة) .

(٦) سورة يونس – الآية : ٣ .

(٧) لم أجد هذا الكلام ضمن شرح الأصفهاني في تفسير هذه الآية .
انظر : (ق ١ / ب – ق ٢ / أ – من سورة يونس) .

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) ، وهو (س) .

(٩) سورة المائدة – الآية : ٧٢ .

إنجيلهم يقرؤونه ولا يعملون [1] به ، وهو قول المسيح : يا معشر بني المعمودية [2] .

---

(١) في (س) : « يعلمون » .

(٢) يطلق النصارى لفظ المعمودية ويقصدون به التعميد ، وهو من شعائرهم ، كما كان من شعائر اليهود قبلهم ، فقد كان يحيى المعمدان يعمد اليهود في نهر الأردن ، ويقولون : إن المسيح - عليه السلام - قد تبنى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنسية المسيحية .

ويقوم بالتعميد أحد رجالاتها وأساقفتها ، ويكون باسم الثالوث الأقدس عندهم ، وهو علامة على الانتساب الرسمي للكنيسة المسيحية ، وعلامة على التطهير من الخطايا والنجاسات .

وقد اختلفت وجهات نظر المسيحين حول المعمودية أو التعميد كثيراً ، وكان الجدل الأكبر بينهم حول قضيتين هما :

الأولى : كيفية التعميد :

فقد ذهب فريقٌ منهم إلى أن التعميد لا يصح إلا بتغطيس الإنسان تغطيساً كاملاً بالماء ، واختلف أصحاب هذا القول ، هل يكون التغطيس بالكامل مرة واحدة أو ثلاث مرات ؛ على قولين .

وذهب أغلبية النصارى إلى أن التعميد يكون برش الماء على الوجه ؛ لأن المقصود من وضع الماء هو الإشارة إلى غسل روح القدس .

الثانية : وقت التعميد :

فقد ذهب فريقٌ من النصارى إلى عدم تحديد وقت للتعميد ، فمن عمد في الصغر فلا حرج ، ومن عمد في الكبر فلا حرج أيضاً .

وذهب فريقٌ منهم إلى أنه يكون في الكبر ولا يلزم تعميد الأطفال ؛ لأن الكبار والذين بلغوا الرشد يمكنهم فهم الخلاص ، والاعتراف بالتوبة بعكس الأطفال فإنه لا يمكنهم ذلك .

وذهب أغلب النصارى إلى أن التعميد يكون في الصغر؛ لأنه علامة على الميثاق بين الله وبين العباد.

وذهب فريقٌ منهم إلى أن الأولى في التعميد أن يكون عند الموت ؛ لأن التعميد هو عبارة عن إزالة السيئات وتطهير النفس من الذنوب ، فيحسن أن يتم في وقت لا يستطيع الإنسان أن يفعل بعده ذنب .

انظر : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لأبي محمد عبد الله الترجمان (ص : ١٣٤ - ١٣٩) ، والمسيحية لأحمد شلبي (ص : ١٤٦ - ١٤٧) ، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص : ٢٣٤) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص : ٦٣٧) .

وفي رواية : يا معشر الشعوب ، قوموا بنا إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم ، ومخلصي ومخلصكم [1] » . [2]

[وسيأتي مثله عن الأصفهاني عن قريب[3] كما مضى آنفاً نقله عنه[4] أيضاً].[5]

قال [6] الشيخ نور الدين : « وإذا تأمَّلت ما نقله / الإمام أبو حيان وقابلت به ما شُنِّعَ به [7] على شيخنا مع بيانه في آخر [8] كلّ نَقْل [9] ما لا يجوز إطلاقه في شريعتنا ، مع إسقاط الإمام أبي حيان بيان ذلك اعتماداً على ظهور الأمر لمن يطالع التفسير - فإنه لا يكون إلا ممن رسخت قدمه في الفضائل - ظهر لك حال التشنيع، فالمنصف [10] من نقد الكلام ، ولم يخش في الله لومة لوَّام ، نعوذ بالله من حَسَدٍ يسُدُّ باب الإنصاف » . انتهى . [٢٥ أ/ م]

وفي كتاب الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي المسمَّى بـ « **الرد الجميل** » مثلُ هذا الإطلاق في غير موضع ، بل الكتاب كلُّه موضوع لما فيه [11] ، وفي التوراة من إطلاق الأب والابن وما ظاهره الاتحاد ، وتأويل ذلك وتضليلهم في

وصف كتاب الرد الجميل للغزالي

(١) إنجيل يوحنا ، الإصحاح العشرون ، الفقرة (١٧) مع بعض الاختلاف .

(٢) النهر الماد من البحر (٣ / ٥٣٤ - ٥٣٥ مع البحر المحيط) .

(٣) انظر : (ص : ٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٤) انظر : (ص : ٤٤٢) .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطٌ من (م) وهو في (س) .

(٦) في (س) : « وقال » .

(٧) قوله : « به » ساقط من(س) .

(٨) قوله : «آخر » ساقط من(س) .

(٩) في (س) : « نفس » .

(١٠) في (س) : « فالمصنف » .

(١١) انظر على سبيل المثال : الرد الجميل على من غيَّر التوراة والإنجيل (ص : ٢٣٩ ، ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٨٠) .

الاغترار [1] بظاهره من غير رد له إلى المحكم .

ذكر منهج القرافي في كتابه : الأجوبة الفاخرة

وهكذا كتاب صنّفه [2] الإمام شهاب الدين القرافي المالكي [3] سماه « **الأجوبة الفاخرة** » ، رتبه على أبواب رابعها في إبداء ما في كتبهم مما يدل على صحة ديننا ، وإثبات نبوة نبينا ﷺ ، فذكر فيه خمسين نصاً / من التوراة ، والزبور ، وأسفار الأنبياء والإنجيل [4] ، وفي غير ذلك الباب [أيضاً] [5] كثير من ذلك مما ذكر فيه [٤١ب/ س] الابن والأب ، وذكر في تأويله [6] نحو ما ذكرته . [7]

قال الشيخ نور الدين : « هذا مع ما فيه - أي كتاب الغزالي - من النقل عن إنجيل [8] يوحنا ومرقص ولوقا [9] ، فيا لله من ساعٍ في التشنيع على مثل هذا الإمام

(١) في (س) : « الاعتزاز » .

(٢) في (س) : « صفة » .

(٣) هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله الصنهاجي المصري ، الإمام العلامة الفقيه الأصولي ، انتهت إليه رئاسة الفقه المالكي ، برع في مختلف العلوم والفنون ، ومن مصنفاته : الذخيرة ، والفروق ، والأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة في الرد على أهل الكتاب ، توفي - رحمه الله - بمصر سنة (٦٨٤ هـ) ، ودفن بالقرافة .
انظر : الديباج المذهب لابن فرحون المالكي (١ / ٢٣٦) ، وشجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف (١ / ١٨٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١ / ١٠٠) .

(٤) انظر : الأجوبة الفاخرة (ص : ١٦٣ - ١٨٣) .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٦) انظر : الأجوبة الفاخرة (ص : ١٠١ - ١٠٢) .

(٧) انظر : (ص : ٤٥٠ - ٤٥٣) .

(٨) في (س) : « الإنجيل » .

(٩) لوقا اسم لاتيني ربما كان اختصار « لوقانوس » أو « لوكيوس » وهو صديق بولس ورفيقه في كثير من رحلاته ، وهو من مواليد أنطاكية بسوريا ، ولم يكن من اليهود بل كان من الأمم ، وهو ممن درس الطب وزاوله بنجاح كبير ، وقيل : لم يكن طبيباً بل كان مصوراً ، وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم ، كما ينسب إليه سفر أعمال الرسل ، توفي على الأرجح سنة (٧٠ م) .
انظر : الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد (ص: ٨٤) ، وقاموس الكتاب المقدس (ص: ٨٢٢).

وعلى غيره من الصحابة والتابعين والمقلدين [١] وغيرهم :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم » . [٢]

انتهى .

إن أحسن ما يُرد على الإنسان بما يعتقده

وكذا صاحب كتاب « **الصحائف في أصول الدين** » [٣] ذكر كثيراً من التوراة والإنجيل ورد عليهم بهما [٤] وقال : « إن أحسن ما يرد على الإنسان بما يعتقده وينجح باستخراج ذلك »[٥] .

وذلك أيضاً موجود في « **شرح المقاصد** » للشيخ سعد الدين . وقال في آخر ما نقله من الكتب الثلاثة في بحث النبوة : « قال في « **تلخيص المحصل** » [٦] : وأمثال

---

(١) انظر : (ص : ٣٣٧ ، حاشية رقم ٤) .

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي .

انظر : ديوان أبي الطيب المتنبي (٤ / ١٢٠ مع شرح أبي البقاء العكبري) .

(٣) واسمه محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي أحد علماء الكلام والمنطق والفلك والهندسة ، صنّف عدة مصنّفات منها : آداب البحث والمناظرة ، والصحائف الإلهية ، وعيني النظر في المنطق ، توفي سنة (٦٠٠ هـ) .

انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٣٩) و (٢ / ١٠٧٥) ، والأعلام للزركلي (٦ / ٣٩) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ١٣٦) .

(٤) في (س) : « فيها » .

انظر علي سبيل المثال (ص : ٤٢٢ - ٤٣٢) .

(٥) الصحائف الإلهية (ص : ٤٢٨) .

(٦) تلخيص المحصل (ص : ٢١١) .

وصاحب التلخيص هو : محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الفلكي المتكلم ، المقرب لهولاكو المغولي ، صاحب تلخيص المحصل وقواعد العقائد ، وزبدة الإدراك في هيئة الأفلاك ، والمتوفى سنة (٦٧٢ هـ) .

انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٧/ ٥٩١ -٥٩٢) ، والأعلام للزركلي (٧ / ٣٠ - ٣١)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٦٣٦ - ٦٣٧) .

هذا كثير في كتب الأنبياء المتقدمين ، يذكرها [1] المصنفون الواقفون على كتبهم ، ولا يقدر المخالف على دفعها أو صرفها إلى ملك أو نبي آخر ، ولا على أن يكتمها . [2]

الطاعن في أئمة الإسلام وعلمائه طاعنٌ في الدين

وكذا « **شرح المواقف** » [3] للسيِّد [4] وغيرها من أصول الدين ، فإن كان المحذور عند من أنكر ذلك [5] مُجَرَّدَ [6] ذكره ، ففي هؤلاء الأئمة أسوة ، وكفى بهم مُتَّبَعاً وقدوة ، فالطاعن فيمن اقتدى بهم لأجل ما اقتدي بهم فيه طاعن فيهم ، والطاعن فيهم – وهم سلف الأمة [7] ، وعلماؤهم ، وصلحاؤهم ، وحملة الشريعة ، [وأولياء الله ، كما صح النقل به عن الإمامين الشافعي وأبي حنيفة [8]] [9] –

---

(1) في (س) : « بذكرها » .

(2) شرح المقاصد (٤ / ٤٣) .

(3) انظر على سبيل المثال : شرح المواقف (٣ / ٢٠٢ – ٢٠٤) .

(4) والسيد هو : الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي المتكلم اللغوي النحوي ، شارك في كثيرٍ من العلوم ، وله مصنفات عديدة منها : التعريفات ، وحاشية على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول ، وشرح المواقف للإيجي ، وكان مولده بجرجان سنة (٧٤٠ هـ) ، ووفاته بشيراز سنة (٨١٦ هـ) ، وقيل غير ذلك .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٥/ ٣٢٨ – ٣٣٠) ، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ٤٨٨ – ٤٩٠) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٥١٥) .

(5) قوله : « ذلك » ساقط من(س) .

(6) في (س) : « لمجرد » .

(7) في (س) : « والطاعن فيمن اقتدى بهم وهم سلف الأمة » .

(8) يقصد – رحمه الله – قول الإمامين أبي حنيفة والشافعي – رحمهما الله – : « إن لم يكن أولياء الله في الدنيا والآخرة : الفقهاء والعلماء ؛ فليس لله ولي »
انظر: مناقب الشافعي للبيهقي (٢/١٥٥) ، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/١٥٠-١٥١)، وتذكرة السامع والمتكلم لبدر الدين بن جماعة (ص:١١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/١٥٣).

(9) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو في (س) .

طاعن في الدين .

فكيف إذا انضم إلى ذلك تأييدهم بنص الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي يُقرأ على البر والفاجر ، والعالم والجاهل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ /عُزَيْرٌ[1] ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ [٤٢ أ /س]

---

(١) هو : عزير بن جيروة - ويقال : ابن سوريق ، ويقال : ابن سروخا - بن عديا بن أيوب بن درزنا بن عري من نسل هارون بن عمران - عليه السلام - ، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل على المشهور، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى عليهم السلام .

ويسمى في كتب اليهود : ملاخي وكذا العازر ، وقيل : إن سبب قولهم : إنه ابن الله هو أنه كتب التوراة لبني إسرائيل من حفظه بعد فقدانها فترة من الزمن ، فقالت بنو إسرائيل : إن موسى لم يستطع أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب ، وإن عُزيراً قد جاء بها من غير كتاب فهو إذاً ابن الله .

وليس هو جامع التوراة عزرا بن سرايا الوراق الكاتب الهاروني الذي جمعها بعد التدمير وحرق الهيكل ، وذلك قبل بعثة المسيح بخمسمائة وخمسة وأربعين عاماً ، بل هما شخصان كما ذكر ذلك البقاعي - رحمه الله - في نظم الدرر (٣ / ٣٠١) عن الحكيم السَمَوْءَل حيث قال : « أما الذي جمع لهم هذه التوراة التي بين أيديهم فقال السَمَوْءل بن يحيى المغربي الذي كان يهودياً فأسلم : إنه شخصٌ آخر اسمه عزرا ، وإنه ليس بنبي » .

ونصُّ كلام الحكيم كما في كتابه بذل المجهود (ص : ٧٤) هو : « وهذا عزرا ليس هو العزير كما يظن ؛ لأن العزير هو تعريب أليازار ، فأما عزرا فإنه إذا عرب لم يتغيَّر عن حاله ؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ، ولأن عزرا عندهم ليس بنبي ، وإنما يسمون عزرا : هوفير ، وتفسيره: الناسخ » .

وقال في وصف عزرا الوراق (ص : ١٣٤) : « وهذا يدل على أنه - أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم - رجلٌ فارغ جاهلٌ بالصفات الإلهية ، فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندم » .

انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١ / ٢٩٨ - ٢٩٩) ، وشفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للجويني (ص : ٣٠ - ٣١) ، وبذل المجهود في إفحام اليهود للحكيم السموءل (ص : ١٣٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨ / ٧٥) ، والجواب الصحيح لابن تيمية (٣ / ٣٦) ، وإغاثة اللهفان لابن القيم (ص : ٢٨٦) ، والبداية

==

النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (1) وإن كان المحذور عندهم ذكره مقروناً بـرده أو تأويله بأن المراد به غير ظاهره ، فهو منابذة للدين .

معنى إطلاق الأب على الله عند أرباب العلوم المتقدمة

وقال (2) الإمام ناصر الدين البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (3) : « واعلم أن السبب في هذه الضلالة – يعني اعتقادهم أن ذلك حقيقة – أن أرباب / العلوم المتقدمة ، كانوا يطلقون الأب [25 ب/ م] على الله باعتبار أنه السبب الأصلي ، حتى قالوا : إن الأبَّ هو الربُّ الأصغر، والله تعالى هو الأب الأكبر ، ثم ظنَّت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة ، فاعتقدوا ذلك تقليداً ، ولذلك كفر قائله، ومنع منه منعاً مطلقاً حسماً لمادة الفساد » . (4)

وقال في أول سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ (5) : « والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مُفرط ، وتوهُّمٍ كاذب ، أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علمٍ بالمعنى الذي أرادوا به ، فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر » (6) . (7)

والنهاية لابن كثير (2 / 40 – 43) ، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (ص : 63 – 64) وقاموس الكتاب المقدس (ص : 621 – 622 ، 913 – 914) .

(1) سورة التوبة – الآية : 30 .

(2) في (س) : « قال » .

(3) سورة البقرة – الآية : 117 .

(4) تفسير البيضاوي (1 / 79) .

(5) سورة الكهف – الآية : 5 .

(6) تفسير البيضاوي (2 / 4) .

(7) في (م) وقع هنا تداخل في الإلحاقات التي كتبها المؤلف – رحمه الله – بخط يده ، لذا جعلت ترتيب الكلام كما في (س) ، والتي يوجد فيها نفس الكلام لكنه مرتباً ، مع مراعاتي للفوارق حيث يكون الأصل فيها – كما تقدم – ما في (م) .

وقال الإمام أكمل الدين محمد بن محمود الحنفي [1] في « **شرحه للسراجية** » في الفرائض في أن [2] تسمية الجد أباً وكذا العم والخال من باب المجاز [3] : « وقد كان

(١) هو : أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتي الرومي الحنفي الفقيه الأصولي المتكلم ، قيل : إن اسمه محمد بن محمود كما ذكره المصنِّف هنا ، والأكثر على أنه : محمد بن محمد بن محمود ، وله كثير من المصنفات ومنها : الأنوار في شرح المنار للنسفي ، والتقرير في شرح أصول البزدوي ، وشرح فرائض السراجية ، ولد سنة (٧١٢ هـ) وقيل (٧١٠ هـ)، وتوفي بمصر سنة (٧٨٦ هـ).
انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر (٢ / ١٧٩ - ١٨١) ، وهدية العارفين للبغدادي (٢ / ١٧١) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٦٩١) .

(٢) قوله : «أن » ساقط من(س) .

(٣) المجاز عند القائلين به هو : اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما ، أو هو اللفظ المتواضع على استعماله أو المستعمل في غير ما وضع له أولاً في الاصطلاح الذي به المخاطبة لما بينهما من التعلق .
وقد اختلف في وجوده إلى ثلاثة أقوال :
القول الأول : أنه يوجد في اللغة والقرآن ، وهو قول كثيرٍ من المتأخرين من المتكلمين والأصوليين ، ومنهم الآمدي وابن عقيل الحنبلي .
القول الثاني : أنه يوجد في اللغة دون القرآن ، وهو قول جماعة ومنهم داود الظاهري وأبو الحسن الجزري .
القول الثالث : أنه لا يوجد في اللغة والقرآن ، وهو قول أبي إسحاق الاسفراييني وأبي علي الفارسي .
وهذا الأخير هو الذي ذهب إليه كلٌّ من : شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة المحقق المدقق ابن القيم ، وهو الذي رجَّحه الشيخ الأمين الشنقيطي - رحم الله الجميع - ، بل إن ابن القيم - رحمه الله - عدَّه من الطواغيت ، والذي دفع هؤلاء العلماء الأجلاَّء إلى محاربته وإنكار وجوده في القرآن واللغة أمران :
الأول : القول بالمجاز في أسماء الله وصفاته ، وما سبَّب ذلك من الإلحاد فيهما .
الثاني : قول المرجئة أن القول بأن الأعمال من الإيمان مجاز .
انظر : الأحكام للآمدي (١ / ٢٦ - ٣٤) ، والإيمان لابن تيمية (ص : ٨٣ - ٨٥) ، ==

ذلك شائعاً في الزمن الأول حتَّى نقل من الإنجيل[1] : أن – عيسى – عليه السلام قال[2]: إني منطلقٌ إلى أبي [3] وأبيكم [4] ، يعني به الحق تعالى ؛ لأنه هو القائم بمصالح العباد ورازقهم وخالقهم وربهم [5] ، لكن لما غلط

==

والحقيقة والمجاز لابن تيمية – ضمن مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٠٠- ٤٩٧)-، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (١/١٧٣-٦٣٢)، ومختصر الصواعق للموصلي (٢/٢٤١-٤٢٣) والتعريفات للجرجاني (ص:٢٥٧) ، ومنع جواز المجاز للشيخ الأمين الشنقيطي (ص:٣-٩)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٣ / ١١٧٠ - ١١٧٦) .

ملحوظة : نجد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في المسألة التي معنا هنا لم يذكر أن ذلك من سبيل المجاز ، بل ذكر أن ذلك هو المراد في تلك اللغة .

انظر كلامه – رحمه الله – في الجواب الصحيح (٣ / ١٣٣) وسأذكره بنصِّه بإذن الله بعد قليل .

(١) في (س) : « حتى تعلمه من لفظ الإنجيل » .

(٢) قوله : «قال» ساقط من(س) .

(٣) في (س) هكذا : « اعحه » .

(٤) إنجيل يوحنا ، الإصحاح العشرون ، الفقرة (١٧) ، ونصه : « إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في الجواب الصحيح (٣ / ١٣٣ - ١٣٤) : « المسلمون أشد تعظيماً للمسيح – عليه السلام – واتباعاً له بالحق ممن بدَّل دينه وخالفه من النصارى ؛ فإن المسلمين يصدقونه في كلِّ ما أخبر به عن نفسه ، ولا يحرِّفون ما قاله عن مواضعه ، ولا يفسِّرون كلامه بغير مراده ، وكلام غيره من الأنبياء كما فعلت النصارى ، فإنهم نقلوا عن المسيح أنه قال: « عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس » ، وهذا إذا قاله المسيح فإنه يفسر بلغته وعادته في خطابه وعادة سائر الأنبياء ، وليس في كلام المسيح ولا في كلام سائر الأنبياء ، ولا كلام غيرهم أن كلمة الله القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابناً ، ولا روح قدس ، ولا تسمى صفته القديمة ابناً ولا روح قدس ، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعاً إلا على مخلوق ، والمراد في تلك اللغة أنه مصطفى محبوبٌ لله ، كما ينقلونه أنه قال لإسرائيل : « أنت ابني بكري » ، ولداود:

==

الأغبياء [(١)] والعوام من النصارى ، وتوهموا المعنى الآخر الذي هو الأصالة والتفرُّع[(٢)] منه مُنِع من ذلك تنزيهاً لله تعالى » . انتهى [(٣)]

ينبغي أن ينقل ما في كتب أهل الكتاب من باطل لردِّه

فينبغي أن ينقل ما في كتبهم من ذلك لئلا ينكروا أن يكونوا قالوه قصد التكذيب [للقرآن] [(٤)] ، كما نقل الأصبهاني في قوله تعالى في المائدة : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [(٥)] ونقل عن المفسرين / تكلف الجواب عن [٤٢ ب/س]

« أنت ابني وحبيبي » ، وأن المسيح قال للحواريين : « أبي وأبيكم » ، فجعله أباً للجميع، وهم كلهم مخلوقون فيكون اسم الابن واقعاً على المسيح الذي هو ناسوت مخلوق ، فعمد هؤلاء الضلال فجعلوا اسم الابن واقعاً على اللاهوت قديم أزلي مولود غير مخلوق ... » .

وقال أيضاً (٣ / ١٩٤) : « فالمراد بذلك أنه الرب المربي الرحيم ؛ فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، والابن هو المربى المرحوم ، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها ، فيكون المراد بالأب : الرب ، والمراد بالابن عنده المسيح الذي ربَّاه » .

وقال أبو محمد عبد الله الترجمان الميورقي – (ت ٨٣٢ هـ) والذي كان أحد علماء النصارى قبل إسلامه – في كتابه القيم تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص : ١٩٢ – ١٩٣) : « قال يوحنا في آخر إنجيله : إن عيسى قال للحواريين : « إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » ويعني بـ « أبي وأبيكم » المالك لي ولكم ، وهو اصطلاح أهل ذلك الزمان ، فإن قالوا : هو أبوه من هذا الباب ، قلنا : يلزم منه أن يكون أباكم أيضاً ؛ لأنه قال : أبي وأبيكم ، ثم صرح بعده بما ينفي كلَّ شبهةٍ بقوله : « وإلهي وإلهكم » ، فلم يبق لنفسه في دعوى الألوهية شيئاً » .

وانظر في ذلك أيضاً : الأجوبة الفاخرة للقرافي (ص : ١٠١ – ١٠٢) ، والجواب الصحيح لابن تيمية (٣ / ٢٣٦ – ٢٤٠) ، ونظم الدرر للبقاعي (٢ / ٤٢١) ، والمسيحية لأحمد شلبي (ص : ١٣١ – ١٣٢) .

(١) في (س) : « الاعتناء » .

(٢) في (س) : « والمتفرع » .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في (م) و (س) : « القرآن » والصواب ما أثبته .

(٥) سورة المائدة – الآية : ١٨ .

إنكارهم لما في الآية من وجوه لا تخلو عن نظر [١] ، فإذا نُقِلَ عنهم ما في كتابهم من ذلك أُلْقِموا [٢] الحجر ، ولذلك قال الأصبهاني في آخر الأجوبة : « وأما النصارى فإنهم يتلون في الإنجيل الذي لهم أن المسيح قال لهم : أذهبُ إلى أبي وأبيكم » [٣] . انتهى [٤]

فهذا يسير مما نقله الأئمة عن أهل الكتاب ومن كتبهم ، من كان يريد الحق كفى في معرفته ، ومن أراد الباطل والعناد ، فالله قاصم له وعاصم من كيده [٥] ، وما أشبه قوله في منع النقل عنهم رأساً ، الذي قد يلزم منه ردُّ كل ما عندهم من غير نظر في كتابهم بتكفير [٦] كُلّ من طائفتهم الأخرى .

سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ﴾

قال ابن إسحاق : « ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود ، فقال رافع [٧] بن حريملة [٨] : مَا أنتم على شيء ، وكفر بعيسى - عليه السلام - وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء ، وجحد نبوة موسى - عليه السلام - وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى:

---

(١) انظر : تفسير الأصفهاني (ق ١٠ / أ - من سورة المائدة) .

(٢) في (س) : « ألقوا » .

(٣) إنجيل يوحنا ، الإصحاح العشرون ، الفقرة (١٧) .

(٤) تفسير الأصفهاني (ق ١٠ / أ - من سورة المائدة).

(٥) في (س) : « كبده » .

(٦) في (س) : « تكفير » .

(٧) في (س) : « نافع » .

(٨) هو : رافع بن حريملة من بني قينقاع ، وأحد أحبار اليهود ، ممن أسلم نفاقاً وتقيةً ، وقال فيه رسول الله ﷺ يوم موته - كما ذكر ابن إسحاق في السيرة - : « قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين » .

انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٥١٥ ، ٥٢٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٣ / ٢٣٥ ، ٢٣٩) .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ »[1] .[2]

وجود الكتب الإلهية في مكتبات وخزائن المسلمين

وقد كانت الكتب الإلهية القديمة - فيما هو خير من هذا العصر مما سلف من الأعصار التي كانت أكثرَ عِلماً وعُلماءَ ، وأمَّارين بالمعروف - متظاهراً بها غَيْرَ مَخْفِيٍّ أمرها حتى إنها تُوقَف[3] في خزائن أهل الإسلام في الأوقاف[4] العظام .

ومن المعلوم أن الواقفين يُعَيِّنون ما وقفوه من كتب وغيرها في مكاتيب أوقافهم، ويثبتونها عند الحكام ، ويحكم بها قضاة الإسلام ، وتنفَّذ[5] على المتخالفين في المذاهب، وما بلغنا أن أحداً تَوَقَّفَ في ذلك[6] ، وكذا الأعصار التي عُرِّبَتْ هذه

(١) سورة البقرة - الاية : ١١٣ .

(٢) سيرة ابن هشام (١ / ٥٤٩) ، وهذه القصة أخرجها أيضاً : ابن جرير في تفسيره (١ / ٤٩٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٨ - ٣٩) ، وأوردها البغوي في تفسيره (١ / ١٣٧ - ١٣٨) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٥٢ - ٥٣) ، وابن كثير في تفسيره (١ / ١٦٠) ، والسيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٦٣) وعزاها لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم ، وذكرها الشوكاني في فتح القدير (١ / ١٣٠ - ١٣١) .

(٣) الوقف في اللغة : الحبس ، يقال : وقف يقف وقفاً أي حبس يحبس حبساً .
وفي الشرع : تحبيس الأصل ، وتسبيل الثمرة .
انظر : المغني لابن قدامة (٨ / ١٨٤) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة وقف (٩ / ٣٥٩ - ٣٦٠) ، والتعريفات للجرجاني (ص : ٣٢٨) .

(٤) في (س) : « الأوقات » .

(٥) في (س) : « وينفذ » .

(٦) كلام المصنِّف - رحمه الله - هذا يحتمل أكثر من احتمال :
فالاحتمال الأول وهو الأقرب للصواب : أن قضاة الإسلام يحكمون بصحة هذه الأوقاف وحكمهم هذا ينفذ على المتخالفين .
والاحتمال الثاني - ولعله بعيد جداً - وهو أن قضاة الإسلام يحكمون بالكتب السابقة على المتخالفين من أهل الكتاب
أقول : لو كان المراد الاحتمال الثاني فعلماء الإسلام وقضاته لا يحكمون إلا بشريعة الله - تبارك وتعالى - التي وردت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وإن استشهدوا على المتخالفين من أهل
==

الكتبُ فيها كانت أكثر علماً وعُلَماء ، وما بلغنا إنكار ذلك / ، فإنَّ من فوائده [٤٣ أ / س]
- مع ما تقدم - أنا نعرف الموافق لأصولهم من المنتمين إليهم من غيره ، ليرتب على ذلك ما ذكر الفقهاء من الأحكام من الإقرار بالجزية وعدمه .[١]

بعض فوائد معرفة ما في كتب أهل الكتاب

ومن الفوائد العظيمة أيضاً : معرفةُ ما كذبوه لِيُشكِّكُوا[٢] به على دين الإسلام، فراج على بعض العلماء فنقله عنهم ، وشرع يتمحَّل الجواب عنه ، فأخذه عنه العلماء وعمَّت به البلوى ، من ذلك ما قاله البغوي وغيره : « إن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء[٣] من اليهود قالا لرسول الله ﷺ : إن كنت نبيَّاً ، فائتِنا بكتابٍ جملةً من السماء ، كما أتى به موسى - عليه السلام - فأنزل الله تعالى :

هل الكتب السابقة نزلت جملة من السماء أم منجمة ؟

المذاهب من كتبهم فإنما هو من باب إلزام الخصم بما عنده من حق ، وذلك كما فعل النبي ﷺ مع اليهود في مسألة الزنا المشهورة والتي تقدم ذكرها في الفصل الثاني ، ولا أظن أن المؤلف - رحمه الله - يقصد بكلامه هذا أن قضاة الإسلام يحكمون بين أهل المذاهب بالكتب السماوية السابقة وتنحية الشريعة الإسلامية جانباً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في منهاج السنة النبوية (٥ / ٥٠٨ - ٥٠٩) : « كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحدٍ إلا بما أنزل الله في القرآن ، وإذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا بينهم إلا بما أنزل الله في القرآن ... إلى أن قال : « المعلوم بالكتاب والسنَّة والإجماع أن الحاكم بين اليهود والنصارى لا يجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمدٍ ، سواء وافق ما بأيديهم من التوراة والإنجيل أو لم يوافقه » .

(١) انظر : (ص : ١٩٩ - ٢٠٠ ، حاشية رقم ٥).

(٢) في (س) : « ليشكلوا » .

(٣) هو : فنحاص بن عازوراء ، أحد علماء وأحبار اليهود ، وفيه نزل قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [سورة آل عمران - الآية : ١٨١] .
انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٥٥٨ - ٥٥٩) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤ / ١٨٧ - ١٨٨) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٤٤٣) .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [1] الآية » . انتهى . [2]

ولما قالا ذلك ظنَّ بعض العلماء لعدم علمه بكتابهم ، أن هذا الكلام مُسَلَّمٌ [3] ، وأن الله تعالى أقرَّه ، فشرع في الجواب عنه بما للتنجيم [4] من الفوائد [5] ، فتلقاه عنه العلماء وطردوا ذلك في الإنجيل والزبور ، وليس شيء من ذلك ، كذلك لم تنزل التوراة جملة ولا أقر الله ذلك ، بل ردَّه كما بينتُه في موضعه من كتابي [6] بما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [7] إلى آخره .

واليهود مُقِرُّونَ بأنَّها نزلت مُفَرَّقة في عشرين سنة [8] ، وأما الإنجيل فأمره في

---

(1) سورة النساء – الآية : ١٥٣ .

(2) تفسير البغوي (٢ / ٣٠٥) ، والقصة أخرجها أيضاً : ابن جرير في تفسيره (٦ / ٧ – ٨) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٨٩) ، وأوردها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣ / ٣٨٦) ، وابن كثير في تفسيره (١ / ٥٨٦) ، والسيوطي في الدر المنثور (٢ / ٧٢٦) .

(3) يقصد القول بأن الكتب الإلهية السابقة نزلت جملة واحدة ، وسيأتي بعد قليل – بإذن الله – ذكر من قال بذلك من أهل العلم .

(4) المقصود بالتنجيم هنا : التتابع في النزول .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥ / ٢٤) ، ومختار الصحاح للرازي ، مادة نجم (ص : ٦٤٧) .

(5) انظر في حِكَم التنجيم وفوائده وأسراره : مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني (١ / ٥٣ – ٦٢) .

(6) انظر : نظم الدرر (٢ / ٣٦٨ – ٣٧١) .

(7) سورة النساء – الآية : ١٦٣ .

(8) هذه المسألة التي ذكرها المصنِّف – رحمه الله – هنا وهي مسألة كيفية نزول الكتب السماوية السابقة للقرآن من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم – رحمهم الله – إلى قولين :
القول الأول : وهو ما ذهب إليه المصنِّف هنا وهو القول بأن الكتب السماوية السابقة نزلت منجمة مثلها مثل القرآن .
القول الثاني : قول من قال : إنها نزلت جملة واحدة ، وبهذا القول قال جماهير أهل العلم – رحمهم الله – ومنهم : ابن فورك ، والبغوي ، والقرطبي ، وأبو شامة ، وابن كثير ، والسخاوي
==

ذلك أبين من أمرها ، وهذا من الفوائد التي أشار إليها كلام الإمام المتقدم في الفصل

==

وغيرهم .

وهذا القول هو الذي رجّحه كلٌّ من : السيوطي ، والزرقاني بل قالا عنه : « كاد أن يكون إجماعاً » ، وقد سردا - رحمهما الله - عدة أدلة رجحا بها هذا القول ومنها :

١-قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [سورة الفرقان - الآية : ٣٢] .

قال الزرقاني في مناهل العرفان (ص : ٥٣) معلقاً على هذه الآية : « إن الله تعالى لم يكذّبهم فيما ادّعوا من نزول الكتب السماوية جملة ، بل أجابهم ببيان الحكمة في نزول القرآن مفرَّقاً ، ولو كان نزول الكتب السماوية مفرَّقاً كالقرآن لردَّ عليهم بالتكذيب ، وبإعلان أن التنجيم هو سنَّة الله فيما أنزل على الأنبياء من قبل ، كما ردَّ عليهم بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [سورة الفرقان- الآية: ٢٠] حين طعنوا على الرسول : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [سورة الفرقان - الآية : ٧] .

٢- قصة كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء والتي أشار إليها المصنّف قبل قليل ، قال السيوطي - رحمه الله -في الاتقان في علوم القرآن (١ / ١٢١ - ١٢٢) مجيباً على قول القائل أن الآية التي في الحديث لم تصرح بأن النزول كان جملة واحدة ، وإنما هو على تقدير ثبوته قول الكفار: « قلت : سكوته تعالى عن الردِّ عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته ، ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي أن يقول : إن ذلك سنَّة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة ... » .

٣- قوله تعالى : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ﴾ [سورة الأعراف - الاية : ١٤٤] .

٤- وقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ [سورة الأعراف - الآية : ١٤٥] .

٥- قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾ [سورة الأعراف - الآية : ١٥٠] .

قلت : قول المصنّف - رحمه الله - أن اليهود مقرُّون بأنها نزلت مفرقة في عشرين سنة ليس بحجة لما علم عنهم من عدم معرفتهم إسناد كتابهم .

انظر في ذلك كلّه : تفسير البغوي (٢ / ٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤ / ٥) و (١٣ / ٢١) ، وتفسير ابن كثير (٣ / ٣٣٠) ، ونظم الدرر للبقاعي (٢ / ٣٤٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧١) ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١ / ١١٨ - ١٢٢) ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص : ١٠٦) ، والتوراة دراسة وتحليل لمحمد شلبي شتيوي (ص : ١٥) .

الخامس [1] ، وكانت هذه الكتب تقرأ على العلماء ، فلا يُنْكَرُ ذلك . [2]

ترجمة الكمال ابن يونس

نقل قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان [3] في « **تاريخه** » عن الكمال أبي الفتح موسى بن يونس الشافعي [4] والد شارح « **التنبيه** » [5] : أنه كان متبحراً في

---

(١) يقصد كلام الإمام الشافعي – رحمه الله – والذي ذكره في الفصل الخامس (ص : ٣٤٤) .

(٢) كلام المصنِّف – رحمه الله – هذا يحتمل عدة احتمالات :
أحدها : إن كان مقصده – رحمه الله – أن هذه الكتب قرئت على العلماء العارفين بما فيها من تحريف وزيف ، وبما فيها من حق ، لبيانه لطلاب العلم المتمكنين وذلك كيما يتسنى لهم الرد على أهلها منها وإقامة الحجة على الخصم بما يعتقده ، فهذا ليس فيه حرج ، بل هو مسلك حميد .
ثانيها : إن كان مقصده – رحمه الله – أن هذه الكتب قرئت من قِبل أهل الكتاب على العلماء العارفين بما فيها من تحريف وزيف وذلك لبيان ما فيها من دلالات تدل على صدق ما جاء به محمد ﷺ ، وغرض دعوتهم إلى الإسلام ، وإقامة الحجة عليهم بما هم يعتقدون ، وبما هو مسلم عندهم ، فهذا والله مسلك رشيد ومبدأ حميد ومن طرق نشر التوحيد .
ثالثها : إن كان مقصده – رحمه الله – قراءتها على أهل الذمة وأهل الكتاب لشرحها لهم وإظهار ما فيها من قصص وحكايات ، كما هو الصنيع الذي صنعه المترجَم له بعد قليل كما هو ظاهرٌ في الترجمة فأقول : إن هذا الأمر لا ينبغي ولا يجوز ، وأن هذا الفعل هو من الترف العلمي ومن وضع العلم في غير محله وعند غير أهله ، والله المستعان وعليه التكلان .

(٣) هو : أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي الفقيه المؤرخ ، قاضي دمشق صاحب التاريخ المشهور والمسمى بـ« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ولد بإربل سنة (٦٠٨ هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٦٨١ هـ) .
انظر : العبر للذهبي (٣ / ٣٤٧) ، ومرآة الجنان لليافعي (٤ / ١٩٣) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧ / ٣٥٦) .

(٤) هو : كمال الدين أبو الفتح بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الشافعي ، تفقه في الموصل على والده ، وبرع في كثيرٍ من العلوم والفنون ، ولا سيما العقلية منها ، وله عدة مصنَّفات منها : كشف المشكلات في تفسير القرآن ، وعيون المنطق، وشرح الأعمال الهندسية ، ولد في الموصل سنة (٥٥١ هـ) ، وتوفي بها سنة (٦٣٩ هـ) .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٥ / ٣١١ – ٣١٨) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٥٧٠ – ٥٧٢) ، والأعلام للزركلي (٧ / ٣٣٢) .

(٥) هو : شرف الدين أبو الفضل أحمد بن كمال الدين موسى بن يونس الشافعي ، تفقه بالموصل على
==

العلوم ، وأن الفقهاء كانوا يقولون : إنه يدري أربعة وعشرين فناً دراية متقنة ، فمن ذلك المذهب / وكان فيه أوحد الزمان ، وكان يحل « **الجامع الكبير** » للحنفية [1] [٤٣ ب/س] أحسن حل ، إلى أن قال : « وبالجملة فلقد كان كما قال الشاعر :

وكان من العلوم بحيث يُقضَى ... له في كل علم بالجميع » [2]

قال : « وكان له في التفسير ، والحديث ، وأسماء الرجال وما يتعلق به يد جيدة » .

قال : « وكان شيخنا ابن الصلاح يبالغ في الثناء عليه ويعظِّمه ، فقيل له يوماً : من شيخه ؟ فقال : هذا الرجل خلقه الله عالماً ، لا يقال : مَن شيخه ؟ فإنه أكبر من هذا » . [3]

قال [4] : « وكان / أهل الذمة يقرؤون عليه التوراة والإنجيل ، ويشرح لهما [٢٦ أ / م] هذين الكتابين شرحاً يعترفون أنَّهم لا يجدون من يوضِّحُهما لهم مثله » . [5]

== أبيه السابق الذكر ، وكان كثير المحفوظات ، غزير المادة العلمية ، وكان له شرحٌ للتنبيه ، ومختصر للإحياء ، ولد بالموصل سنة (٥٧٥ هـ) وتوفي بها سنة (٦٢٢ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ١٠٨ - ١٠٩) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٥٧٢ - ٥٧٣) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٧ / ١٧٤) .

(١) وهو من تأليف أبي الحسن عبيد الله بن الحسين دلال الكرخي الحنفي المتوفى ببغداد سنة (٣٤٠ هـ) .

انظر : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٣٥١) .

(٢) ذكره طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة (٢ / ٣٥٦) ولم ينسبه .

(٣) هذا الكلام فيه مبالغة كما ذكر ذلك ابن خلكان .

(٤) يقصد ابن خلكان .

(٥) انظر : (ص : ٤٥٩ ، حاشية رقم : ٢) .

ونقل عن الأثير الأبهري [1] أنه قال : « ما دخل بغدادَ مثلُ الكمـال هـذا » ، إلى أن قال [2] : « وهو في الفقه والعلوم الإسلامية نَسِيجُ وحْدِهِ ، ودرس في عدة مدارس وتخرَّج [3] عليه خلق كثير ، وتولّى المدرسة العلائية [4] عن أخيه الشيخ عماد الدين محمد [5] ، ولما فتحت المدرسة القاهرية [6] تولاهـا ، ثـم تـولى المدرسـة البدريـة [7] ،

---

(١) هو : أثير الدين المفضل بن عمر بـن المفضـل الأبهـري المنطقـي الفلكـي ، صـاحب هداية الحكمة وتنزيل الأفكار في تعديل الأسرار في المنطق ، وكشف الحقائق في تحرير الدقائق في الفلسـفة ، تـوفي سنة (٦٦٣ هـ) .

انـظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٥ / ٣١٣) ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٤٩٤) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣ / ٩٠٤) .

(٢) أي ابن خلكان .

(٣) في (س) : « ويخرج » .

(٤) في (س) : « الفلانية » .

والمدرسة العلائية هي إحدى المدارس التي زخرت بالطلاب في مدينة الموصـل بـالعراق ، وقـد تـولى التدريس بها كل من : العماد بن يونس وأخيه الكمال .

انـظر : وفيـات الأعيـان لابـن خلكـان (٤ / ٢٥٣) ، (٥ / ٣١٦) ، وشـذرات الذهـب لابـن العماد (٧ / ٦٣) .

(٥) هو : عماد الدين أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة الموصلي الشـافعي ، إمـام الشـافعية في زمانه ، تولى التدريس في عدة مدارس ، وله عـدة مصنفـات منهـا : المحيـط في الجمـع بـين المهـذب والوسيط ، وشرح الوجيز للغزالي ، ولد بإربل سنة (٥٣٥ هـ)، وتوفي بالموصل سنة (٦٠٨ هـ) .

انـظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ٢٥٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٤٩٨) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٥٦٩) .

(٦) المدرسة القاهرية هي : إحدى مدارس مدينة الموصل العراقية التي فتحت في القرن السـابع الهجـري ، وقد تولى التدريس فيها جماعة من أهل العلم منهم : الكمال بن يونس ، وابنه محمد .

انـظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ١٠٨) ، (٥ / ٣١٦) .

(٧) المدرسة البدرية هي : إحدى مدارس مدينة الموصل العراقية ، ولقد تولى التدريس فيهـا الكمـال ابـن يونس سنة (٦٢٠ هـ) .　انـظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٥ / ٣١٦) .

وحضر في بعض الأيام درسَه جماعةٌ من المدرسين أرباب [الطيالس] [١] ، وكان العماد أبو علي عمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي البجائي [٢] حاضراً ، فأنشد على [البديهة] [٣] :

كمال كمال الدين للعلم والعُلى   فهيهات ساعٍ في مساعيك يطمع
إذا اجتمع النظّار في كل موطن   فغاية كل أن تقول [٤] ويسمعوا
فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا   ولكن حياءً واعترافا تقنعوا

وأطال في مدحه ، وقال في أثناء الكلام : « ومن يقف على هذه الترجمة قد ينسبني إلى المغالاة في حق الشيخ ، ومن كان من أهل تلك البلاد / وعرف ما كان الشيخ عليه، علم أني ما أعرته وصفاً، ونعوذ با لله من الغلو والتساهل في النقل ».[٥]

[٤٤ أ /س]

ونقل عنه كثيراً من هذه الترجمة وما ذكره عن [٦] التوراة والإنجيل كلُ من جاء بعده كابن الوردي [٧] وابن الشحنة في

---

(١) في (م) و (س) : « الطيالسين » ، ولعل الصواب ما أثبته ، وهو كما في الأصل المنقول منه .
والطيالس جمع الطيلسان : وهي كلمة فارسية معربة ، وهو ضربٌ من الأوشحة ، يلبس على الكتف ويحيط بالبدن ، خالٍ من التفصيل والخياطة ، وهو الذي يعرف في العامية بالشال ، وتقول العرب : ابن الطيلسان أي أنه من العجم .
انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة طلس (٦ / ١٢٥) ، والمعجم الوسيط ، مادة طلس (٢ / ٥٨٢) .

(٢) في (س) : « البخاري » .
وهو : العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماخوخ بن يوسف الصنهاجي النحوي البجائي ، كان صاحب شعر جيد ، رحل إلى مصر والموصل وإربل ، ولازم الكمال ابن يونس ، وأخذ عنه .
انظر : بغية الوعاة للسيوطي (٢ / ٢٢٠) .

(٣) في (م) و (س) : « البديه » ، والتصويب من وفيات الأعيان .

(٤) في (س) : « يقول » .

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان (٥ / ٣١١ - ٣١٦) .

(٦) في (س) : « من » .

(٧) هو : زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن الوردي المصري الحلبي الشافعي ، أحد أئمة اللغة والفقه والنحو والأدب والتاريخ ، له آثار ومصنفات عديدة منها : شرح
==

« **تاريخيهما** » [1] والسبكي [2] والأسنوي[3] وابن قاضي شهبة في طبقاتهم [4] .

وقال السبكي في آخر ترجمته : « وحاصل الأمر عند الإنصاف وترك الغلو أنه كان إماماً مبرِّزاً ذكياً ، جامعاً لأشتات العلوم » انتهى . [5]

ألفية ابن مالك ، والبهجة الوردية وهو نظم للحاوي الصغير ، وتتمة المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء في التاريخ ، توفي بالطاعون في حلب سنة (٧٤٩ هـ) .

انظر : بغية الوعاة للسيوطي (٢ / ٢٢٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨/٢٧١-٢٧٥) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٥٨٠) .

(١) انظر : تاريخ ابن الوردي (٢ / ٢٤٦) ، وروضة المناظر في أخبار الأوائل و الأواخر لابن الشحنة (٩ / ٩٧) .

(٢) هو : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف بن موسى السبكي الشافعي الفقيه الأصولي المؤرخ ، صاحب الطبقات ، وشرح مختصر ابن الحاجب ، والترشيح وهو في اختيارات والده ، ولد بالقاهرة سنة (٧٢٧ هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٧٧١ هـ) .

انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ٢٥٦ - ٢٥٨) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٣٧٨) ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢ / ٣٤٣) .

(٣) هو : أبو محمد جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي القرشي الأموي الأسنوي المصري الشافعي ، أحد أئمة الشافعية في وقته ، وهو صاحب الطبقات ، وكافي المحتاج في شرح المنهاج ، وتصحيح التنبيه ، ولد بأسنا في صعيد مصر سنة (٧٠٤ هـ) ، وتوفي بمصر سنة (٧٧٢ هـ) .

انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢ / ٢٥٠ - ٢٥٣) ، وبغية الوعاة للسيوطي (٢ / ١٩٢) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٣٨٣) .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الوسطى للسبكي (ج ٤ / ق ٦٢٩ - ٦٣٠) ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي أيضاً (٨ / ٣٨٠) ، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢ / ٥٧١ - ٥٧٢) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١ / ٤٢٦) .

وانظر في هذا أيضاً : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣ / ٨٦) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٧ / ٣٥٧) ، والأعلام للزركلي (٧ / ٣٣٢) .

(٥) طبقات الشافعية الوسطى (ج ٤ / ق ٦٣٠) .

ولم يعب عليه أحد ممن ترجمه إقراءَهُ للتوراة والإنجيل [1] ، وكل من بزَّ [2] الناس سبقاً وعلاهم فوقاً ، لا يعدَم مَن يتكلَّم فيه ممَّن لا يفهم بعض كلامه ، أو يحسده لأنَّه لا يصل إلى جميع مرامه ، كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم [3]

[غيره] [4] :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل [5]

ومن جهل شيئاً عاداه [6] ، ومما ينسب إلى إمامنا الشافعي - رحمه الله - أو علي بن أبي طالب رضي الله [تعالى] [7] عنه :

وضد كل امرء ما كان يجهله   والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

لا يُقبل الجرح إلا مفسَّراً

ومن المعلوم [8] عند أئمة الحديث ، وجهابذة النقد ، أنَّ الجرح لا يُقْبَل إلاَّ مُفَسَّراً ، بل وإن / فُسِّر نُظِر في الجارح [9] هل هو مطعون فيه بجهل ، أو فسق ، أو غرض ، وإن سلم من ذلك وكان هناك توثيق مَن هو مثله ، أو أعلى منه ، نُظر في

[٢٦ ب/م]

(١) ذكرهم لهذا الأمر ليس دليلاً على أنهم لم ينكروا ؛ فإن باب التاريخ أوسع من غيره .
وانظر : (ص : ٤٥٩ ، حاشية رقم ٢) .

(٢) يقال في المثل : « من عزَّ بزَّ » أي من غلب سلب . انظر: مختار الصحاح للرازي ، مادة بزز (ص : ٥١) .

(٣) البيت لأبي الطيب المتنبي . انظر : ديوانه (٤ / ١٢٠) مع شرح أبي البقاء العكبري .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٥) البيت أيضاً لأبي الطيب المتنبي . انظر : ديوانه (٣ / ٢٦٠ مع شرح أبي البقاء العكبري) .

(٦) من المشهور على ألسنة بعض العوام أن هذا حديثٌ ، والصحيح أنه ليس بحديث ، وتتمته : ومن أحب شيئاً استعبده .
انظر : بهجة المجالس لابن عبد البر (٢ / ١٩٣) ، وتمييز الطيب من الخبيث لعبد الرحمن بن الديبع (ص : ١٨٣) ، وكشف الخفا للعجلوني (٢ / ٢٤٤) .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٨) في (س) : « المعلو » .

(٩) في (س) : « الخارج » .

القولين هل يتنافيان [1] أم لا ؟ ويجتهد في مثل ذلك ، لِيُقَدِّم الأهل ، ويترك غيره .

ولو قُبِل [2] [كل جرح] [3] لأدَّى ذلك إلى فساد الدين بالطعن في سائر أئمة المسلمين ، فإنَّ مَن سَلِم من كلام / الناس نَفَرٌ يسير جداً ، ربَّما قيل : إنهم لا يبلغون خمسة أنفس ، [وربما] [4] أنهم ما سَلِموا من الكلام أيضاً [5] ، فأعراض

[٤٤ ب/س]

أعراض الناس ليست هينة

---

(١) في (س) : « يتعاقبان » .

(٢) في (س) : « قيل » .

(٣) ما بين المعقوفتين غير واضح في (م) وهو من (س) .

(٤) ما بين المعقوفتين غير واضح في (م) ، وهو من (س) .

(٥) إن مسألة اشتراط التفسير أو عدمه في الجرح والتعديل والتي تطرق إليها المؤلف - رحمه الله - هنا من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم - رحمهم الله - وكان خلافهم إلى خمسة أقوال وهي باختصار :

القول الأول : أن الجرح لا يقبل إلا مفسراً ، وهو قول جهابذة أهل الحديث كالشافعي ، والبخاري ، ومسلم ، وأصحاب السنن الأربعة ، وابن الصلاح ، والنووي ، والعراقي ، والسيوطي وغيرهم من أهل العلم ، وهو الذي رجَّحه المصنِّف كما هو ظاهرٌ من كلامه هذا .

القول الثاني : أنه يجب بيان سبب العدالة ولا يجب بيان أسباب الجرح ، وهذا القول نقله إمام الحرمين والغزالي عن القاضي أبي بكر الباقلاني .

القول الثالث : أنه لا بد من ذكر أسباب الجرح والتعديل كليهما ، وهو قول بعض الأصوليين .

القول الرابع : عدم اشتراط التفسير والبيان في الجرح أو التعديل طالما أن المجرح والمعدل من أئمة الفن والاختصاص ، وهذا القول هو قول القاضي الباقلاني في المشهور عنه ، وهو قول إمام الحرمين والغزالي ، والرازي وغيرهم من أهل العلم .

القول الخامس : وهو قول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في نزهة النظر (ص : ٧٣) فقد ذكر أن التجريح المجمل المبهم يقبل في حقِّ من خلا عن التعديل ؛ لأنه لما خلا عن التعديل صار في حيز المجهول ، وإعمال قول المجرح أولى من إهماله في حقِّ هذا المجهول ، وأما في حقِّ من وُثِّق وعُدِّل فلا يُقبل الجرح المجمل .

وقال اللكنوي في الرفع والتكميل (ص:١١٠) عن قول الحافظ هذا: « هذا وإن كان مخالفاً لما حقَّقه ابن الصلاح وغيره من عدم قبول الجرح المبهم بإطلاقه، لكنه تحقيق مستحسن، وتدقيق حسن ».

وقال العلامة أحمد شاكر في كتابه الباعث الحثيث(ص : ٩١) عنه أيضاً : « والتفصيل الذي اختاره ابن حجر هو الذي يطمئن إليه الباحث في التعليل ، والجرح والتعديل بعد استقرار علوم ==

الناس ليست هيِّنة ليتكلم فيها من لم يتضلَّع بالعلوم ، ويشتهر بالدين ، فما جاء البلاء [1] إلا ممن يتكلَّم وهو يظن أنَّه يعلم ، والحال أنه لا يُقْبل في ثمن درهم ، كما مضى عن إمامنا الشافعي [رحمه الله] [2] ، ولاسيما إن وجد له جهلة مثله ، فالجنسية علة الضم ، يتلقَّفون [3] من كلامه ويُبَرِّدون غليل حسده [4] وأُوامَه ، وما آفة الأخبار إلا رواتها ، ولعمري إن الحق لواضح جداً عند من يتعرفه وهو منصف ، فكل من يتكلم مِن وراء وراء ، منسوبٌ إلى أفرى الفرى [5] ، ومن لم يقدر على إبراز كلامه لخصمه فقد شهد على نفسه بجهلها ، ولخصمه بعلمه .

وهذا برهان بديهي التصور ، واضح التقرُّر والتحرُّر [6] ، ولمثل هذا كان مثل هذا الأمر مما ينبغي أن يصان عمَّن لا يسعه عقله ، فقبح الله من أحوج إلى إظهاره ، ودعا إلى إِشاعته عند من ليس بأهله وإِشْهَارِهِ ، فقد ذكر أئمة المحدثين في آداب

==

الحديث وتدوينها » .

انظر : الكفاية للخطيب البغدادي (ص : ١٧٩) ، والمستصفى للغزالي (١ / ١٦٢ - ١٦٣) ، وأحكام الأحكام للآمدي (٢ / ٨٦) ، ورسالة في الجرح والتعديل للمنذري (ص : ٤٠ - ٤١) وعلوم الحديث لابن الصلاح (ص : ٩٦ - ٩٧) ، وإرشاد طلاب الحقائق للنووي (١ / ٢٨٠ - ٢٨٤) ، وشرح اختصار علوم الحديث لابن كثير (ص : ٩٠ - ٩١ مع الباعث الحثيث) ، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي (ص : ١٤٤ - ١٤٨) ، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر (ص: ٧٣)، وتدريب الراوي للسيوطي (١ / ٢٧٢ - ٢٧٥) ، والرفع والتكميل للكنوي (ص : ٧٩ - ١١٠) ، والباعث الحثيث لأحمد شاكر (ص : ٩٠ - ٩١) ، وضوابط الجرح والتعديل لعبد العزيز العبد اللطيف (ص : ٣٧ - ٤٠) .

(١) في (س) : « البلاد » .

(٢) ما ين المعقوفتين زيادة من (س) ، وانظر : (ص : ٣٥٩ - ٣٦١) .

(٣) في (س) : « يتلفقون » .

(٤) في (س) : « جسده » .

(٥) في (س) : « أقرا القرى » .

(٦) في (س) : « والتحرز » .

المحدث : أنه لا يروي في الإملاءِ المشكلَ الذي لا يحتمله عقول العوام .

من الحكمة عدم رواية المشكل الذي لا تحتمله عقول العوام للعوام

قال الشيخ زين الدين العراقي تبعاً لابـن الصـلاح في « **شرح منظومـة كتابـه** » : « قال الخطيب [١] : وليجتنب في [٢] أماليه ما لا تحتمله [٣] عقول العوام » ، ثم قال : « وإن كانت الأحاديث صحاحاً ، ولها في التأويل طرق ووجوه ، إلا أن مِن حقِّها أن لاَّ تروى إلا لأهلها ، خوفاً من أن يضِلَّ بها مَن جَهِل معانيها [٤] ، فيحملها على ظاهرها [٥] أو يستنكرها ، فيردها » . [٦]

وقال الدارمي : « حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية [٧] أن أبا فروة [٨]

---

(١) هو : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي الشافعي الإمام الحافظ المتفنِّن ، حافظ المشرق ، صاحب المصنَّفات والآثار والتي منها : تاريخ بغداد ، والكفاية ، وشرف أصحاب الحديث ، ولد بالعراق سنة (٣٩٢ هـ) ، وتوفي بها سنة (٤٦٣ هـ) ، وهي نفس السنة التي توفي بها حافظ المغرب الإمام ابن عبد البر رحمهما الله جميعاً .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٩٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٢٧٠ - ٢٩٧) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٤٣٣) .

(٢) قوله : « في » ساقطٌ من (س) .

(٣) في (س) : « يحتمله » .

(٤) في (س) : « معانيه » .

(٥) لكي يكون المعنى صحيحاً لا بدَّ من وضع قيدٍ هنا وهو : « ظاهرها غير المراد ، وليس ظاهرها المراد » .

(٦) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي (ص : ٢٩٢) .

(٧) هو : أبو عمرو وأبو عبد الرحمن معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد الحضرمي الحمصي ، قاضي الأندلس من قِبل عبد الرحمن الداخل ، قال عنه الحافظ : « صدوق له أوهام » ، توفي بالأندلس سنة (١٥٨ هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧ / ١٥٨ - ١٦٣) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠ / ١٨٩ - ١٩١) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٥٣٨) .

(٨) مشهورٌ بكنيته ، وهو ممن روى عن عائشة وأبي ذر رضي الله عنهما ، وروى عنه معاوية بن صالح .
انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩ / ٤٢٥) ، والمقتنى في سرد الكنى للذهبي (٢ / ١٣).

حدثه أن عيسى بن مريم - عليه السلام - كان يقول : لا تمنع [1] العلم من أهله فتأثم[2] / ولا تنشُرْهُ [3] عند غير أهله فتُجَهَّل [4] ، وكن طبيباً رفيقاً يَضَعُ دَوَاءَهُ حيث يَعلم أنه ينفع » . [5] [٤٥ أ /س]

كثرة نقل العلماء عن أعداء الإسلام في تأييد الحق

هذا ، وأما ما نقل العلماء عن غير أهل الكتاب ، من أعداء الإسلام في تأييد الحق وتكذيب الباطل ، فكثير ، ففي السيرة باب معقود للنقل عن الأحبار [6] من

---

(١) في (س) : « يمنع » .

(٢) في (س) : « فنأثم » .

(٣) في (س) : « وننشره » .

(٤) في (س) : « فنجهل » .

(٥) سنن الدارمي - المقدمة - باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله (١ / ١١٢ رقم ٣٨٥) ويؤيد ما أشار إليه المصنِّف هنا أن من الأولى عدم رواية ما يشكل فهمه من الأحاديث على العوام قول علي بن أبي طالب ﷺ الذي أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية أن لا يفهموا (١ / ٢٢٥ رقم ١٢٧) : « حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله » ، وقول عبد الله بن مسعود ﷺ الذي أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١ / ٢٥ رقم ٥) : « ما أنت بمحدِّثٍ قوماً حديثاً لم تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » ، وقول أبي هريرة ﷺ الذي أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٥٣٩ ، ٥٤٠) : « والذي نفسي بيده لو حدَّثتكم بكلِّ ما أسمع لرميتموني بالقشع وما ناظرتموني » ، ومعنى قوله : « لرميتموني بالقشع » : أي لبزقتم في وجهي .

وقوله أيضاً كما عند البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب حفظ العلم (١ / ٢١٦ رقم ١٢٠) : « حفظت على رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم » .

وانظر بالإضافة إلى ما سبق : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢ / ١٠٠١ - ١٠٠٣) ، وعلوم الحديث لابن الصلاح (ص : ٢٢١) .

وانظر في معنى « القشع » النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤ / ٦٦) .

(٦) في (س) : « الأخبار » .

اليهود والرهبان من النصارى والكهَّان من العرب .

قال ابن هشام : « أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى ، فعَمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وأما الكهان من العرب ، فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق [1] من السمع ، إذ [2] كانت لا تحجب (عن ذلك بالقذف بالنجوم » [3] . فقد اشتمل هذا على النقل في تأييد الإسلام) [4] عن جميع طوائف الكفرة من الجن والإنس ، وتلقت ذلك الأمة بالقبول ، بل استحسنوه وأثنوا عليه ، ومدحوه عصراً بعد عصر ، وجيلاً بعد جيل ، فقد وقع عليه الإجماع ، وانفصل النزاع ، حتى جاء في هذا الزمان مَن لا خلاق [5] له يشنع بما [6] ليست له حقيقة [7] ولو ثبت كان جهده / أن يكون مثل هذا ، فيخشى [8] على من أنكر مثله على بعض أهل عصره ، أن يكون ممن أنكر مجمعاً عليه ، معلوماً من الدين بالضرورة ، بعد الرد لصريح كتاب الله في قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ ﴾ [9] ، وسنةِ رسول الله ﷺ في حديث : « **حدثوا عن بني إسرائيل [ولا حرج]** [10] » [11] .

إن النقل في تأييد الإسلام عن جميع طوائف الكفرة مما استحسنته الأمة وتلقته بالقبول ولا ينكر ذلك إلا معاند

[٢٧ أ / م]

---

(١) في (س) : « تسرق » .

(٢) في (س) : « إذا » .

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ٢٠٤) .

(٤) ما بين القوسين ساقطٌ من (س) .

(٥) في (س) : « الأخلاق » .

(٦) قوله : « يشنع بـ » ساقط من (س) .

(٧) جاء في الحاشية بخط المؤلف : « ح / أي بأني أنقل عن أهل الكتاب ما لم أره في كتبهم » .

(٨) في (س) : « فنخشى » .

(٩) سورة آل عمران – الآية : ٩٣ .

(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(١١) تقدم تخريجه (ص : ٢٤٥) .

فيكون هذا المعاند قائلاً : لا [1] تأتوا بالتوراة ولا تتلوها إن كنتم كـاذبين ، لئـلا يظهر كذبكم ، ولا تحدثوا عن بني إسرائيل ، وإن حدثتم عنهم كان عليكم حرج ، فيكون حينئذ مبدِّلاً لما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ محادة [2] لله ولرسوله . [3]

ذكر بعض البشارات التي بشرت بمحمد ﷺ

وقال ابن هشام عقب النقل عن طوائف الكفرة في إنذار يهود برسول الله ﷺ : « ومنهم رجلٌ [4] بشَّر برسول الله ﷺ : قال سلمة بن سلامة بن وقـش [5] : فـوالله / ما ذهب الليل والنهار حتى بعث [6] الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنـا ، فآمنـا به وكفر به [7] بغياً وحسداً » . [8]

[٤٥ب /س]

(١) في (س) : « ولا » .

(٢) في (س) : « بحاده » .

(٣) يلاحظ أن كلام المصنِّف – رحمه الله – فيه شيءٌ من المبالغة ، والله أعلم .

(٤) وهو من اليهود ، كان جاراً لبني عبد الأشهل ، وذكر أبـو نعيـم في دلائـل النبـوة (ص : ٧٥) أن اسمه : يوشع ، وقصته باختصار : أنه خرج على بني عبد الأشهل قبل بعثة النبي ﷺ بيسـير ، فذكـر لهم البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار وبعض الأهوال ، ثـم اخـبرهم أن نبيـاً يبعـث في هذا الزمان من بين مكة واليمن .
انـظر : القصة في المصادر التي سأذكرها – بإذن الله – عند تخريجها .

(٥) في (س) : « وقس » .
وهو أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زُغبة بن زعوراء بـن عبـد الأشـهل الأنصـاري ، أحـد الصحابة الأجلاء ، ممن شهد العقبتين وجميع المشاهد مع النبي ﷺ ، استعمله عمر على اليمامة ، وله عن النبي ﷺ حديثين ، توفي ﷺ بالمدينة سنة (٣٤ هـ) وقيل (٤٥ هـ) .
انـظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٢٩٦) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٣٥٥) والإصابة لابن حجر (٤ / ٢٣٠) .

(٦) قوله : « بعث » ساقطٌ من (س) .

(٧) في (س) : « وكفرنا » .

(٨) سيرة ابن هشام (١ / ٢١٢) ، والقصة أخرجها أيضاً أحمد في المسند (٣ / ٤٦٧) ، والبخـاري في التـاريخ الكبـير (٤ / ٦٨ – ٦٩) ، والحـاكم في المسـتدرك (٣ / ٤١٧ – ٤١٨) وقـال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، وأخرجها أبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٧٤ – ٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٧٨ – ٧٩) وأشار إليها الذهبي في سير أعلام النبـلاء (٢ / ٣٥٥)
==

وفيها في [1] قصة حسان [2] ﷺ في الذي قال من اليهود : « طلع الليلة نجم أحمد » . [3]

وفي البخاري النقل عن ابن [4] الناطور وهرقل في ظهور النجم الدَّال على النبي المبعوث إلى الأميين ﷺ . [5]

ومن ذلك قصة ابن الهيِّبان [6] التي نفع الله بها ناساً منهم أبناء سعية [7] ،

==

وقال محققها : « إسناده قوي ، فقد صرَّح ابن إسحاق بالتحديث » ، وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ /٢٣٠) وقال: « رجال احمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق وقد صرَّح بالسماع ».

(١) قوله : « في » ساقط من (س) .

(٢) هو : أبو الوليد وأبو الحسام وأبو عبد الرحمن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي النجاري ، شاعر الإسلام ، وشاعر رسول الله ﷺ ، والمؤيد بروح القدس ، وله عن النبي ﷺ حديث واحد ، وقد اختلف في زمن وفاته على عدة أقوال : فقيل : إنه توفي ﷺ سنة (٤٠ هـ) ، وقيل : (٥٠ هـ) ، وقيل : (٥٤ هـ).

انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٤٦٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٥١٢ - ٥٢٣) ، والإصابة لابن حجر (٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ١٥٩) ، والقصة أخرجها أيضاً الحاكم في المستدرك (٣ / ٤٨٦) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٧٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١ / ١٠٩ - ١١٠) ، وأوردها ابن حجر في المطالب العالية (٤ / ١٦٧ - رقم ٤٢٥١) ، وعزاها لإسحاق بن راهويه في مسنده

(٤) قوله : « ابن » ساقط من (س) .

(٥) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي (١ / ٣١ - رقم ٦) ، ولقد تقدم تخريجه (ص : ٢٠٩)

(٦) هو أبو عمير بن الهيِّبان ، أحد فضلاء وعلماء وأحبار اليهود ، قدم من الشام إلى المدينة قبل خروج النبي ﷺ بسنوات ، فأخبر اليهود بأنه قد آن أوان خروج نبي من هذه الأرض ، وذكر لهم بعض علاماته وأمرهم بالإيمان به ، وكان صاحب دين وعبادة ، توفي قبل خروج النبي ﷺ بقليل ، والهيِّبان وصف له ، و قيل في معناه : القطن الخشن .

انظر : الطبقات لابن سعد (١ / ١٦٠ - ١٦١) ، والروض الأنف للسهيلي (٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠) ، وكذا المراجع التي سأذكرها - بإذن الله - عند تخريج القصة بعد قليل .

(٧) في (س) : « سعته » .

وأبناء سعية هم ثعلبة ، وأسد ، وأسيد من بني هَدْل وقيل هذيل من يهود ، وهم ليسوا من بني

==

فأسلموا بعد مدة طويلة [1]، وغير ذلك وهو كثير ، منه أمر طلحة بن عبيد ا لله [2]، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة [3] رضي ا لله عنهم .

قريظة ولا النضير ، إنما هم أبناء عمومتهم ، فإن نسبهم فوق ذلك ، وكانوا مع قريظة في جاهليتهم، وأسلموا في الليلة التي نزلت في غدها قريظة على حكم سعد بن معاذ ﷺ بعد الخندق .
انظر : تاريخ الطبري (٢ / ١٠٠) ، والاستيعاب لابن عبد البر (١ / ١٥١ - ١٥٢) ، والإصابة لابن حجر (١ / ٤٨) .

(١) رواها ابن هشام في السيرة (١ / ٢١٣ - ٢١٤) ، وابن سعد في الطبقات (١ /١٦٠- ١٦١) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ٨١ - ٨٢) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٤ / ٣١ - ٣٢) ، وفي السنن الكبرى أيضاً في كتاب السير - باب الحربي يدخل بأمان (٩ / ١١٤) ، والقصة أوردها أيضاً ابن حجر في الإصابة (١ / ٤٨) وذكر أن ابن السكن رواها من طريقين ، إسناد أحدهما أقوى من الآخر .

(٢) هو أبو محمد طلحة بن عبيد ا لله بن عثمان بن كعب بن سعد القرشي التيمي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، له عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثون حديثاً ، وقد استشهد ﷺ يوم الجمل من رمية لمروان بن الحكم سنة (٣٦ هـ) .
انظر : أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص : ٩٥) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٢٣ - ٤٠) ، والإصابة لابن حجر (٥ / ٢٣٢ - ٢٣٥) .

(٣) والعشرة هم : رسول ا لله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ابن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - رضي ا لله عن الجميع - .
وانظر حديثهم - أعني حديث العشرة - في : سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في الخلفاء (٥ / ٣٧ - ٤٠ - رقم ٤٦٤٨ ، ٤٦٤٩ ، ٤٦٥٠) ، وسنن الترمذي - كتاب المناقب - باب مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ (٥ / ٦٠٩ - ٦١٠ - رقم ٣٧٥٧) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ، وسنن ابن ماجه - المقدمة - باب فضائل العشرة رضي ا لله عنهم (١ / ٤٨ - رقم ١٣٣) ، والحديث صحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ٨٧٩ - ٨٨٠ - رقم ٣٨٨٥ ، ٣٨٨٦ ، ٣٨٨٧) .

قال أسامة بن مرشد في [1] ترجمته من « **أخبار البدريين** » : « وكان إسلامه [2] فيما رواه أبو جعفر [3] : أن طلحة [ﷺ] [4] قال : حضرت سوق بُصْرَى [5] ، فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم : أفيهم أحد من أهل الحرم ؟ قال طلحة : [قلت] [6] نعم ، أنا ، فقال : هل ظهر أحمد بعد ؟ قال [7] : قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ومَخْرَجُه من الحرم ، ومُهَاجَرُه [8] إلى نخل وحرَّة وسباخ [9] ، فإياك أن

---

(١) في (س) : « من » .

(٢) في (س) : « أسامة » .

(٣) هو : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري الآملي ، علامة وقته ، وإمام عصره ، وفقيه زمانه ، صاحب التفسير الكبير ، والتاريخ الشهير ، وتهذيب الآثار ، وقد مات قبل أن يتمه ، ولد بآمل سنة (٢٢٤ هـ) ، وتوفي - رحمه الله - ببغداد سنة (٣١٠ هـ) .

انظر : الفهرست لابن النديم (ص : ٣٢٦) ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ١٩١ - ١٩٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٤ / ٢٦٧ - ٢٨٢) .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٥) في (س) هكذا : « مِضري » .

وبصرى : هي مدينة بالشام من أعمال دمشق ، وهي أول مدينة من مدن الشام فتحت في خلافة أبي بكر ، وذلك على يد خالد بن الوليد ﷺ .

انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٤٤١) ، وتاريخ الطبري (٢ / ٣٤٦) .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (س) .

(٧) قوله : « قال » ساقط من (س) .

(٨) في (س) : « ومهاجرته » .

(٩) سباخ : جمع سبخة ، وهي الأرض المالحة .

انظر : مختار الصحاح للرازي ، مادة سبخ (ص : ٢٨٢) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة سبخ (٣ / ٢٤) .

تُسْبَقَ[1] إليه ! قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة، فقلت : هل كان من حَدَثٍ ؟ قالوا : محمد بن عبد الله الأمين تَنَبَّأَ [2] وقد تبعه ابن أبي قحافة [3] ، فخرجتُ حتى دخلت على أبي بكر ﷺ ، فقلت : اتَّبعت هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلِقْ إليه ، فاتَّبِعه ، فإنه يدعو الى الحق ، فأخبره طلحة بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر بطلحة ، فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحةُ ، وأخبر رسول الله ﷺ ، فَسُرَّ رسول الله ﷺ » [4] .

وروى شيخنا حافظ عصره ، أبو الفضل ابن حجر هذه القصة / في ترجمة [٤٦ أ /س] طلحة (عن محمد بن سعد [5] من طريق مخرمة بن سليمان [6] ، عن إبراهيم بن

---

(١) في (س) : « يسبق » .

(٢) في (س) : « الأمي نبياً » .

(٣) المقصود به أبو بكر الصديق ﷺ .

وأبو قحافة هو : والد أبي بكر واسمه عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التيمي ، أسلم ﷺ يوم الفتح بعد أن كُفَّ بصره ، وهو أول مخضوب في الإسلام ، وأول من ورث خليفة في الإسلام ، توفي ﷺ بمكة سنة (١٤ هـ) ، وله سبع وتسعون سنة .

انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٦ / ٣٦١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٥١) ، والإصابة لابن حجر (٦ / ٣٨٩ - ٣٩٠) .

(٤) انتهى كلام ابن مرشد من كتابه أخبار البدريين ، والذي لم أقف عليه .

(٥) هو : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري ، العلامة ، المؤرخ ، الفاضل ، كاتب الواقدي ، وصاحب الطبقات الكبرى ، والطبقات الصغرى ، قال عنه الحافظ : « صدوق فاضل »، ولد بالبصرة سنة (١٦٨ هـ) ، وتوفي ببغداد سنة (٢٣٠ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٤ / ٤٥١ - ٤٥٢) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٦٦٤ -٦٦٧) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٤٨٠) .

(٦) هو : مخرمة بن سليمان الأسدي الوالبي المدني ، أحد ثقات التابعين ، روى عن ابن عباس ، وابن الزبير ، وأسماء بنت أبي بكر - رضي الله عن الجميع - ، قال عنه الحافظ : « ثقة » ، قتلته الحرورية بقديد بالقرب من مكة سنة (١٣٠ هـ) ، وهو ابن سبعين سنة .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٥ / ٤١٧) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٦٤-٦٥) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٥٢٣) .

محمد بن طلحة [1] عن طلحة) [2] فذكرها . [3]

وفي السيرة والتفسير لقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [4] أن الأنصار قالوا - رضي الله عنهم - [5] : « إن مما نفعنا وهدانا للإسلام لما كنا نسمع من رجال يهود من أمر النبي ﷺ » [6] انتهى . وهذا الذي يذكر في التفسير من كتبهم يُرجى به ما رُجي من ذلك ولو بعد حين ، [وكما أنه يُرجى أن يهدي الله بمثل هذا مَن يريد هدايته ، فكذلك يُخشى أن يضلّ من يضطر إلى خلطتهم بطريق من الطرق أشر - والعياذ بالله - أو غيره ، فيشبّهوا عليه ببعض أكذوباتهم [7] ،

التحذير من مخالطة الكفار

(١) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني ، أحد النبلاء والفضلاء ، كان يقال له أسد قريش ، قتل أبوه وجده يوم الجمل ، وهو في بطن أمه ، وذلك سنة (٣٦ هـ) ، قال عنه الحافظ : « ثقة » ، توفي سنة (١١٠ هـ).

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٥٦٢ - ٥٦٣) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٣٣ - ١٣٤) ، والتقريب لابن حجر (ص : ٩٣) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (س) .

(٣) الإصابة (٥ / ٢٣٢ - ٢٣٣) ، والخبر أخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات (٣ / ٢١٤ - ٢١٥) والحاكم في المستدرك (٣ / ٣٦٩) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ١٦٥ - ١٦٦) ، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (٢ / ٤٣٧ - ٤٣٨) ، وقال المحقق عنه : « ضعيف جداً » ، وذكر لقوله هذا سببين : الأول : أن في الإسناد الواقدي وهو متروك ، والثاني : أن الإسناد منقطع ، إذ أن إبراهيم بن محمد ولد عام الجمل ، فهو إذاً لم يسمع من طلحة بن عبيد الله الذي قتل يوم الجمل .

والخبر أورده أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ٢٨) .

(٤) سورة البقرة - الآية : ٨٩ .

(٥) في (س) : « أن الأنصار رضي الله عنهم قالوا » .

(٦) انظر : سيرة ابن هشام (١ / ٢١١ - ٢١٢) ، وتفسير ابن كثير (١ / ١٢٩) ، والدر المنثور للسيوطي (١ / ٢١٥ - ٢١٦) ، وفتح القدير للشوكاني (١ / ١١٣) .

(٧) لما كانت النفس البشرية مجبولة في أصل خلقتها على الضعف أرشد الله عباده إلى ما يعينهم على حفظ دينهم من صحبة أهل الدين من الأخيار والصالحين ومجالستهم ، قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة الكهف -

==

فإذا كان مطلعا على أمورهم ، لم يتأثر بغرورهم و لم يَرُجْ عليه حالهم ، ويتبين بعلمه لذلك ضلاَلَهم] .[1]

ما ذكره ابن هشام في شأن بنيان الكعبة

وقال ابن هشام في « **السيرة** » في بنيان الكعبة : « قال ابن اسحاق : فحدثني بعض من يروي الحديث : أنَّ رجلاً من قريش ممن كان يهدمها - أي الكعبة -

---

الآية : ٢٨] ، كما حذرهم في مقابل ذلك صحبة ومخالطة أهل الكفر والضلال ، فقال : ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام - الآية : ٦٨]، وذلك لسابق علم الله بما فطرت عليه النفس البشرية من سرعة التأثر سلباً أو إيجاباً بالمجتمع الذي تعيش فيه ، وبما يترتب على الفرد والمجتمعات من مفاسد عظيمة وآثار وخيمة من مخالطة أهل الضلال من أهل الكفر والبدع وغيرهم، والتي من أهمها :

١- مخالفة أمر الله تبارك وتعالى بترك مجالستهم والحديث معهم .

٢- ما تجلبه مجالستهم ومخالطتهم من محبتهم وموادتهم ، وترك ما أمر الله من بغضهم ومعاداتهم .

٣- أن في مجالستهم ومخالطتهم إحياءاً لبدعهم وشركياتهم وتشجيعاً لهم .

٤- ما فيها من إفساد لدين المسلمين ، ومجتمعاتهم بتقليدهم ، وإحداث البدع والخرافات المستجلبة من دين الكفار ، وأهل الضلال ، وما حال بعض ديار المسلمين هذه الأيام عنا ببعيد .

٥- أن مجالستهم ومخالطتهم جسرٌ لإذابة شخصية المسلم وهدم لكيانه ، وما حال بعض شباب المسلمين هذه الأيام عنا ببعيد أيضاً .

٦- أن في مجالستهم ومخالطتهم خطر على المجالس لهم بأن يَرِدَ عليه من شبههم ما لا يستطيع دفعه لجهله ، وبالتالي ينغمس في التخبط والضلال .

٧- أن في مجالستهم ومخالطتهم سبباً لسوء الظن بِمُجَالِسِهِم ، وهي مسبة عند العقلاء ، منقصة عند الصالحين ، ولذا قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١ / ٧٤ - ٨٢) ، والتوحيد لصالح الفوزان (ص : ١٠٨) ، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم الرحيلي (٢ / ٥٢٩ ، ٥٥٠ - ٥٥٣) .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو في (س) ، مع ملاحظة أن المؤلف قام بوضع إشارة اللحق، لكنه لم يضف شيئاً في الهامش .

حين أرادوا بناءها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها [1] أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنفضت [2] مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس » . [3]

قال : « وحدّثت أنَّ قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأهُ لهم رجلٌ من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بكّة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر ، وحففتها [4] بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها [5] ، مبارك لأهلها في الماء واللبن » . [6]

فهذا عن بعض الجاهلية ، عن رجل يهودي ، عن خط سرياني في وصف بلد الله الحرام ببعض ما لا يتحقق صحته ، ولا فساده أهل الإسلام ، ولم ينكره أحد من الأعلام .

(١) في (س) : « منها » .

(٢) أي اهتزت وصوّتتْ .

انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة نفض (٧ / ٢٤٥) ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، فصل النون ، باب الضاد (٢ / ٣٤٧) .

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ١٩٥ - ١٩٦) ، والخبر أخرجه أيضاً الطبري في تاريخه (١ / ٥٢٦) ، وذكره ابن الأثير في الكامل (٢ / ٢٩) ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (١ / ٢٨٠) .

(٤) في (س) : « وحففتهما » .

(٥) في (س) : « أخشابها » . والأخشبان هما : جبل أبو قبيس وجبل قعيقعان ، وقيل : هما جبل أبو قبيس والجبل الأحمر الذي كان يسمى في الجاهلية : الأعرف ، وقيل غير ذلك .

انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ١٢٢) .

(٦) سيرة ابن هشام (١ / ١٩٦) ، والخبر ذكره عبد الرزاق في المصنّف - باب المقام وذكر ما فيه مكتوب (٥ / ١٤٩ - ١٥٠ رقم ٩٢١٩) ، وباب الحجر وما فيه مكتوب (٥ / ١٥٠ - ١٥١ رقم ٩٢٢٠ - ٩٢٢١) ، وباب القدر (١١ / ١١٤ رقم ٢٠٠٧١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٨ / ١٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان - طبعة بتحقيق محمد بسيوني زغلول (٣ / ٤٤٥) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٠ / ٤٤) ، وياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ / ١٨٣) ، وابن كثير في البداية والنهاية (١ / ٢٨١) .